# عاور ألا

40

#### في هذا العدد:

- البنية الدلالية والإحالية للضمائر
- تخفيف عين الكلمات الشلائية
- ه عالم السدلالية
- مصطلح العنبى فى كستاب سيبويه
- دلالة السمات شبه السلخويسة



## علوم اللغة

### دراسات علمیة مُحَكَّمة تصدر أربع مرات فی السنة کتــاب دوری

Y . . 7

العدد الثالث

المجلد التاسع

#### رئيس التحرير أ.د. محمود فهمي حجازي (القاهرة)

مدير التحرير

نائبا رئيس التحرير

د. مجدى إبراهيم يوسف (حلوان)

أ.د. سعيد حسن بحيري (عين شمس)

أ.د. عمر صابر عبد الجليل (القاهرة)

#### المستشارون العلميون

أ.د. عبده على الراجحي (الإسكندرية)

أ.د. چـــوزيـــــــــ ديشــــــى (لــــون۲)

أ.د. كــمــال محمــد بشــر (الـقـاهـرة)

أ.د. حسن حسرزة (ليون٢)

أ.د. م<u>ائث شرد قد وي</u>دخ (أمستردام) أ.د. محمد عوتي عبد الرووف (عين شمس)

i.د. حسمسزة المزيسنسي (الرياض) i.د. رئسيسف جسورج خسوري (هيدابرج)

أ.د. عبد الضتباح البركاوي (الأزهــــر)

أ.د. السعيد محمد بدوى (الجامعة الأمريكية بالقاهرة)

أ.د. صبلاح البديس صبالح (بني سويف)

أ.د. **شوله المعادية و المعادية** (الا<del>لجان</del>)



## بِتُمْلِلْهُ الْخَرِّ الْخَمِيْنَ

#### علـ وم اللعــه دراسات علمية مُحَكِّمة تُصلِرُ أَرْبِع مراتُ في السِنْة كتاب دوري

- Staff Letter

حقوق الطبع والنشر معفوظة ، ولا يسمع بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم مر
 أفسامه ، بأي شكل من أشكال النشر أو استشائه أو ترجمه ، أو اختراله في أي شكل
 من أشكال نظم استرجاع المعلومات ، إلا يأذن كتابي من النائس .

قيمة الاشتراك السوى:

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربة)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٧٠ جنها مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٧٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العرب شاملا البرية)

أسعار خاصة للطالية : أسعار خاصة للطالية :

المراسلات: ﴿ وَمَا الْمُواسِلَاتِ الْمُواسِلِينَ \* وَمِنْ الْمِيْنِ الْمُواسِلِينَ \* وَمِنْ الْمُواسِ

وحه جمع الراسلات الخاصة إلى: دار غريب للطباعة والنشر، والمرزيع

ص . ب (۸۸) الدواون - القاهر ۱۹۲۱ ألقاهر - جيهورية مصر العربية . قليفرن ۷۹۲٬۷۹ - فاكر ۷۹۲۲۲۲

#### المحتويات

الصفحة	البحوث
4	البنية الدلالية والإحالية للضمائر
	د. أشرف عبد البديع عبد الكريم
174	نخفيف عين الكلمات الثلاثية
	د. قبار <i>ی محمد</i> شحاته
149	علم الدلالة
	د. عبد الكريم محمد حسن جبل
170	مصطلح المعنى في كتاب سيبويه
	د. صبحي إبراهيم الفقي
717	دلالة السمات شبه اللغوية (المصاحبة لأداء الكلام في عملية التواصل)
	د. عبد المنعم السيد أحمد جدامي

# "بسم الله الرحمن الوحيم"

يضم هذا العدد من سلسلة علوم اللغة الذي يصدر بإشراف ا-د/ سعيد حسن بحيرى، أستاذ علوم اللغة ، ووكيل كلية الألسن لشؤون التعليم والطلاب مجموعة من البحوث اللغوية في حقول لغوية قديمة وحديثة ، وبمعنى أصح يجمع بين بحوث حديثة، وموضوعات تراثية تعالج من منظور حديث؛ فالبحث الأول دراسة جيدة في ضوء التحليل النصى ، وهي البنية الدلالية والإحالية للضمائر ، والثاني دراسة صرفية متميزة، وهي تخفيف عين الكلمات الثلاثية. أما الثالث فترجمة لفصل من كتاب يتعلق بفرع مهم من فروع علم اللغة وهو علم الدلالة ، ويتوقف الرابع عند مصطلح "المعنى" في كتاب سيبويه ، محاؤلاً تحديد دلالاته واستعمالاته في دستور النحو العربي . أما البحث الخامس والأخير فهو دراسة متقدمة في إطار أرحب لعلم اللغة المعاصر ، وهي دلالة السمات شبه اللغوية المصاحبة لأداء الكلام في عملية التواصل .

وبعد ...... فلا شك في أن المجلة تحاول أن تنهض بالبحث اللغوى ، وأن تؤازر الباحثين الشبان الواعدين الذين يصعب عليهم أن يجدوا مكاناً مناسباً لبحوثهم المغرقة في التخصص . وقد أشرت فيما سبق أن طاقة المجلة محدودة ، وأنه قد تم الاتفاق على ألا يزيد عدد صفحات البحث عن (٧٠) ضفحة . وهاأنذا أعتدر للقارئ الكريم عن طول بعض البحوث التي يصعب تجزئتها ، ورجاء أصحابها أن تنشر كاملة حتى يمكن أن تقدم صورة شاملة ودقيقة للموضوعات المدروسة . فماذا أفعل غير النزول على رغباتهم ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وتسبعد أسسرة تحرير المجلة أيما سعادة أن تهدى هذا العدد أيضاً إلى

أستاذنا العالم الفاضل ا ٠د/ محمود فهمى حجازى أطال الله في عمره ، ومتعه بكل صحة وعافية

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ،،،

أسسرة التحرير

#### شروط النشر

- ، يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث في علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة في حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية في حدود ٢٠٠٠ كلمة ، والتقرير في حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب في حدود ١٥٠٠ كلمة .
  - يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر في. أي مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
  - تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة على الحاسوب .
  - تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى في الاستشهادات المرجعية الدقة في التوثيق واكتمال بيانات الوصف والاطراد في ترتيب عناصر البيانات.
- . يعبر ما ينشر في هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أى عمل ما ينشر في هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابي من الناشر.
- ، يخضع ترتيب المواد في النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة
  - العمل.

#### البنية الدلالية والإحالية للضمائر

د. أشرف عبد البديع عبد الكريم
 أستاذ مساعد بكلية دار العلوم
 جامعة المنيا

#### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلي آله وصحبه وسلم إلي يوم الدين ...

أما يعد ...

تعد هذه الدراسة جزءاً ضمن إطار أطروحة الدكتوراه التى كان موضوعها: دلالة التراكيب عند الزمخشرى، وقد تمت مناقشتها فى ١٤/ ١٠ ١٩٩٩م بكلية دار العلوم، جامعة المنيا، وجاءت فى إطار القنوات العلمية المشتركة بين جامعتى المنيا / مصر وهايدلبرج / ألمانيا الاتحادية تحت إشراف علمى متميز من:

أ. د. محمود فهمى حجازى أستاذ علم اللغة - آداب القاهرة البروفسور رئيف چورج خورى أستاذ ورئيس قسم الدراسات العربية جامعة هايدلبرج / ألمانيا الاتحادية.

وتنبغى الإشارة إلى أننى لم أقم بالمحو أو الإثبات فيما كتب منذ زمن انقضى، إلا ضبط جوانب العبارات، لم تؤثر على الصياغة الكلية أو مضمون العبارة، ومن هنا جاءت كما هي في الأصل، ولم تتغير إلا الطباعة الجديدة . ويعد هذا الجزء هو الأول من نوعه الذي بدأت أقدمه للنشر من الرسالة، راجياً المولى سبحانه أن يوفقنا فى طباعة الأجزاء الأخرى .

يضم هذا البحث عدداً من القصايا الأساسية التي تعمل على تنصيص النص، وهي قصايا أساسية في سبك وحبك بنية النص القرآني من منظور الزمخشري في كشافه .

وإذا كانت قضايا الإحالة عديدة (\*) ومنتشرة في كل النصوص المختلفة، فإن النص لا يمكن أن يكون محكماً مترابط الأجزاء، إلا من خلال هذه الروابط، وإلا يعد مفككاً، وبناء عليه يفقد المعانى المختلفة التي تنتجها الجمل المكونة لبنيته، والتي بدورها تكون معنى عاماً يلم شتات المعانى المختلفة تحت سقف معنى واحد .

ومن هذا فإن الإحالة بالضمير تمثل أحد جوانب الإحالة، وأرى أن الباحثين العرب للأسف الشديد يركزون على قضايا الإحالة بشكل لافت للنظر، تاركين القضايا الإحالية الأخرى؛ ويدل هذا على شيئين:

الأول: إما عن نقص معرفتهم بما أنتجته الدراسات الغربية في هذا المجال.

الثانى: وإما أنهم يرتقون مرتقى سهلاً، مفضلين المترجم (وهو قليل مقارنة بما هو موجود/ بالفعل فى سيرة الدراسات الأوربية ويخاصة الألمانية) وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المترجمات والدراسات النقدية

<sup>(\*)</sup> أشار زتسيسلان إلى أعداد مختلفة من الإحالات التى تحتاج إلى دراسات تطبيقية موسعة للتحقيق من مدى فاعليتها على النصوص العربية المختلفة، الأمر الذى يمكن أن يكشف عن قاعدة النص التى تمثل هذه النصوص المختلفة . مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النصوص حس ص ٢٤٠ . ١٣٨ .

قيمة لا ينكرها إلا جاحد في تعريف شباب الباحثين بهذا العلم الحديث نسبياً، خاصمة لأولئك الذين ليس لهم دراية بلغة أوربية، وخاصمة الألمانية.

على الرغم من قلة الدراسات النقدية والمترجمة التى لا يمكن أن تشبع رغبة من يريد أن يقيم تصورات راقية، ونذكر من هذه الدراسات ما قام به شيخى أ. د. سعيد حسن بحيرى من ترجمة عدد من الدراسات النصية ذائعة الصيت، ونذكرها على النحو التالى:

علم النص لتون قان ايك .

مدخل إلى علم لغة النص ڤواڤجانج هاينه من / د. يتر فيفير هر.

مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النصوص زيستيسلاف واورزنياك ودراسات أخرى قيد الطبع .

وترجمة د. تمام حسان : النص والخطاب والإجراء لرويرت دى برواند .

\* \* \* \*

يأتى هذا البحث فى ثلاثة محاور أساسية نفصل فيها القول على النحو التالى، جاء المبحث الأول، ليناقش قضايا العناصر الإحالية والدلالية لضمير الفصل من حيث دلالته، وكيف ترقى هذه الدلالات إلى ربط بنية النص، وكيف أن دلالته الأساسية (الربط) تمثل سمة جوهرية أساسية فى هذا الشأن، على أية حال فإن هذه السمة ليست خاصة بضمير الفصل أو الشأن أو الإشارة، وإنما هى سمة يمكن أن تقع مواقع عدة، تضم عدداً من حروف العطف أو الضمائر أو المقابلة أو إعادة اللفظ، أو الترادف والتبعية ... (لخ .

ومن هنا تمثل وظيفة أساسية / عامة تنطبق على كل ذلك، وعلى الرغم من ذلك فإن ثمة وظائف دلالية تمتاز بها الضمائر الثلاثة المعالجة هنا: الفصل والشأن والإشارة، من منظور الزمخشرى كما ذكرت منذ قليل.

وتبقى المعالجة فى المبحث الثانى فى البنية الدلالية والإحالية لضمير الشأن والمبحث الثالث لضمير الإشارة، كما جاءت فى ضمير الفصل، أعنى فى التحليل المتبع، ومن ثم خلصت الدراسة إلى عدد من الملحوظات التى جاء ذكرها فى نهاية التحليل، وقد كشف التحليل – بما لا يدع مجالاً لريب عن إسهام هذه العناصر فى سبك وحبك بنية النص القرآنى .

هذا وإن كنت قد أخطأت فمن نفسى والشيطان، وإن كنت وفقت فى بعض المواضع فمن الله وحده، هو حسبى، عليه أتوكل وإليه أنيب .

كتيه

أشرف عبد البديع عبد الكريم المنيا في ١٤/ ٢/ ٢٠٠٥م

#### توطئة ،

اختلف النحاة حول رتبة الضمير - كما اختلفوا حول قضايا أخرى مرتبطة به - بيد أن الترتيب هنا حسب رؤية الزمخشرى، وبالتالى حسب رؤية النحاة، ومن ثم فإن هذه النظرة تمثل رأى جمهور البصريين، غير أن الكوفيين جعلوا العلم في مرتبة أولى، يليه الضمير(١).

وبالتالى فإن النظرتين مختلفتان من حيث الأساس الدلالى لكل منهما . وريما انطلقت وجهة نظر جمهور النحاة فى هذا الشأن، أن الضمير ليس كالاسم والصفة أو الفعل، بمعنى أن دلالته لا تتحدد إلا بما يعود عليه، وبما أنه ليس كالاسم والصفة والفعل ... الخ من الناحية الوظيفية، ومن ثم يتجه معناه ويقترب أو يكاد يتشابه مع الحرف من جهة الوظيفة، بمعنى أن كلا منهما لا يدل على معنى فى ذاته، إذ يفتقر كل منهما إلى موضح ومفسر بالنسبة للضمير، والمجرور بالنسبة لحرف الجر.

ولعله في هذا المقام يمكن إجمال المواضع التي تلتقي فيها الصمائر والحروف : –

- ۱ أشبهت الضمائر الحروف، أن الضمائر مبنية بحيث لا تتصرف تصرف الأسماء فلا تثنى، بسبب كون أكثرها قد وضع على حرف واحد أو حرفين وحمل ما وضع أكثر من ذلك عليه .
- ح وجه آخر الشبه الجمودى، وهو كون المنمائر بحيث لا تتصرف تصرف الأسماء، قلا تثنى ولا تصغر، وأما نحو: هما، وهم وهن

Dr. G. John; Erste Band, leipziq, 1882.

 <sup>(</sup>١) ابن يعيش : شرح للمفصل (ب) ١ / ٩٨٣. تجور الإشارة هذا إلى الرمز (ب) يشير إلى الطبعة الأوربية .

وأنتما وأنتن، فهذه صيغ وضعت من أول الأمر على هذا الوجه، وليست علاقة المثنى والجمع طارئة عليها .

٣ - أشبهت الصمائر الحروف، وهي أنها مفتقرة في دلالتها على معناها
 البتة إلى شئ، وهو المرجع في ضمير الغائب، وقرينة التكلم أو
 الخطاب في ضمير الحاضر.

أشبهت الضمائر الحروف في أنها استغنت بسبب اختلاف صيغها
 عن أن تعرب ... فأشبه الحرف في عدم الحاجة إلى الإعراب، وإن
 كان بسبب الحاجة مختلفا فيه (١) .

وإذا كان الضمير لابد له من عائد يعود عليه، أو ما يطلق عليه بالضمير العائد أو الإحالة (Rückweis Pronomen) إذا لا يمكن فهمه في ذاته، أو منفرداً إذ هو: ضرب من الكتاية، فكل مضمر كتاية، وليس كل كتاية مضمرا، وإنما صارت المضمرات معارف؛ لأنك لا تضمر الاسم إلا وقد علم السامع على من يعود ...(٢).

وسيشير الباحث في موضع لاحق عند الحديث عن ضمير الإشارة إلى المفارقة بين الضمير بوجه عام وضمير الإشارة بوجه خاص .

ويشير الضمير في أغلب الأحيان إلى اسم ظاهر (إحالة معجمية)، محدد الدلالة، ومن ثم فإن: تحديد دلالة هذا الظاهر قرينة لفظية تعين الإبهام الذي كان الصمير يشتمل عليه بالوضع؛ لأن معنى الصمير وظيفي وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقهما، فلا يدل دلالة معجمية لا يضمه المرجع وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدل هذا الضمير على معين...(٣).

<sup>(</sup>١) ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ص ٩٢.

<sup>(</sup>٢) ابن يعيش: شرح المفصل (ب) / ٩٨١.

<sup>(</sup>٣) د . تمام حسان : اللغة العربية معناها وميناها، ص ١١١ .

وبناء على هذا فإن الضمير على وجه العموم فارغ الدلالة، بمعنى أن دلالته فى المعجم تمثل صفرا، وبالتالى لا يقوم بدوره إذا استخدم منفردا، بل لابد له من تركيب يعمل من خلاله، كالحرف الذى يحتاج إلى مجرور، فهو يحتاج إلى تراكيب يستطيع من خلالها أن يقوم بدوره وتتفق هذه الرؤية وما ذهب إليه ليز (O . LEYS) من أنه يمكن

وتتفق هذه الرؤية وما ذهب إليه ليل (O. LEYS) من أنه يمكن للصنمير العائد أو الإحالة ... أنه يربط بمحتوى التعبير بين الخبر والمبتدأ، وهو نموذج ناقص الدلالة في ذاته إلا إذا تعلق أو حدد من عناصر أخرى في النص، وهو من خلال ذلك يكتسب دلالته (1).

ويؤكد كلاوس هويزينجر: (Klaus, Heusinger) في تحديد مختصر له بالنسبة للضمائر: بأنها كلها يمكن وصفها بأنها نكرة في ذاتها، أي تحتاج إلى غيرها ولابد من وجودها في تركيب ووصف هذا الضمير بأنه نكرة، أى مفتقر إلى غيره، أو إلى ما يوضحه ويزيل نكرته التي تعنى إبهامه، وهذا الافتقار في الضمير يشبه الافتقار في الحرف، من حيث احتياج كل منهما إلى غيره (١).

أما إذا وجد منفردا فلا معنى له، فإذا قلت: (هو) ولم يكن داخل إطار جملة، فإن هذا لا يدل على شيء إذ لابد من إحالة إلى سابق أو إلى لاحق، توضح من هو ؟ فإذا وضع داخل جملة دل على معنى، كما فى قوله تعالى (هُو اللهُ الذي لا إله إلا هُو).

ومن هنا تلتقى الرؤية الغربية الحديثة ورؤية النحاة العرب حول

Odo, Leys: Das Reflexivpronomen, Eine Variante des Personalpronomen, (1) S.223. Johannes, Erben: Abriss der Deutschen Grammatik, S.198.

Klaus, Heusinger: Salienz und Referenz ..... S. 147.

افتقار الضمير وحده إلى تأدية الغرض، لأنه نكرة والنكرة لا تغيد، ومن ثم تشير هده الملاحظة إلى مدى الالتقاء بين الفكر الإنساني من جهة، ومن ناحية ثانية بين القدامي والمحدثين.

ويرتبط عنصر الإحالة على وجه العموم بعملية النطق الكائنة في السياق والعنصر الكتابي، أو بحسب معرفته بطرق أخرى، كما يذهب كلاوس (١).

وإذا كانت الضمائر تلتقى مع الحرف فى مواضع، فبالتالى تختلف عن الأسماء، ويختلف النظام فى الضمائر عن النظام فى الأسماء فى وجوه منها:

- ١ تكون الضمائر نظاما مغلقا محدودا، في حين تكون الأسماء الصريحة
   قسما مفتوحا
- ٢ تتميز الضمائر ببعض السمات الصرفية التي تغيب من الأسماء، من ذلك انقسامها حسب الإعراب إلى ضمائر رفع وضمائر نصب، وهذا أمر معدوم في الأسماء(٢).

وتعد الصمائر قسما من أقسام الربط في اللغة العربية، إذ تشترك مع روابط أخرى مثل الربط بالحروف أو إعادة اللغظ، أو إعادة المعنى، أو العهد، وبالتالى تمثل الصمائر أحد الروابط الأساسية في بناء النص في الفصحى .

ويقتصر البحث في هذا الموضع على معالجة نوع واحد من أنواع هذه الروابط، وهو الريط بالصمير (الضمائر)، وإذا كان التركيز على

Ebenda, S. 147. (1)

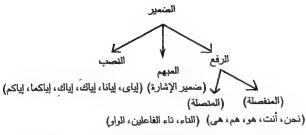
<sup>(</sup>٢) الأزهر الزناد: نسيج النص، ص ١١٧ .

الضمائر في هذا الموضع – حسب معالجة الزمخشري – فإن الزمخشري لم يعالج كل الضمائر، وإنما عالج أقساما وأنواعا منها، وبناء على هذا ستقتصر المعالجة على مناقشة الضمائر الآتية: ضمير الفصل، ضمير الشأن، ضمير الإشارة (المبهم).

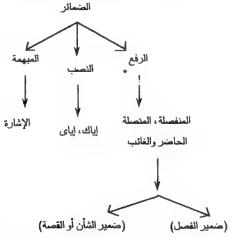
وينبه الباحث في هذا السياق أن الاقتصار على كل من ضمير: الفصل والشأن والإشارة لا يقلل بحال من الأحوال من شأن وقيمة الروابط النصية الأخرى<sup>(۱)</sup>، وإنما الاقتصار على هذه الروابط؛ لأن الإحصاء المستخلص أثبت أن هذه الضمائر هي الأكثر ورودا، أي معالجة عند الزمخشري، ومن هنا فإن الزمخشري لم يعالج من الضمائر إلا ثلاثا: ضمير الفصل، ضمير الشأن، ضمير الإشارة، صحيح أنه قد عالج بعض الضمائر المتصلة (الفعلية) كما في قوله تعالى (إيك نعبد وإياك نستعين)<sup>(۱)</sup>، غير أن هذا النوع جاء في إطار التركيب الفعلى، كما سيأتي في الدراسة، أما الضمائر الاسمية فلم يشر إلا لهؤلاء الثلاثة؛ أي أنه عالج في الدرسة، أما الضمائر الاسمية فلم يشر إلا لهؤلاء الثلاثة؛ أي أنه عالج النصمائر المنفصلة، والمبهم ليس غير، ويمكن القول إحمالا بأن الزمخشري قد عالج من الضمائر: ضمائر الرفع وضمائر الإشارة، ولمحاولة إيضاح هذه الرؤية أضع الشكل التالي:

<sup>(</sup>١) سأعالج الروابط بالحروف في فصل مستقل من هذه الدراسة .

<sup>. 1 . 4 / 1 (</sup>Y)



شكل توضيحي رقم (١) يوضح تقسيم الضمائر كما وردت عند النحاة العرب



شكل توضيحي رقم (٢) يوضح اشكال الضمائر التي عالجها الزمخشري

وإذا كان الزمخشرى قد عالج من الصمائر الرفع المنفصلة، وأقتصر فيها على صميرى : الفصل، والشأن، فإن صمائر الفصل في ذاتها كثيرة (هو، هى، أنت، أنتم، أنتما ...) وليس المقصود هذه الضمائر، وإنما الغرض مما تؤديه هذه الضمائر، ولا أحسب أن الزمخشرى كان يركز على ضمير (هو) مثلا على أساس أهميته مقدما إياه على (أنت)مثلا، وإنما الغرض الأساسى هو الضمير فى حد ذاته، أى لما تؤديه دلالته، وبالتالى فإن الزمخشرى يعالج من الضمائر ما يعن له، وأزعم أنه لم يكن فى حسبانه الضمير ذاته، بقدر ما كان يشغله الغرض والدلالة .

والأمر كذلك بالنسبة لضمائر النصب، إذ لم يعالجها الزمخشرى جميعا، وإنما عالج منها ما عن له أثناء دراساته التى قام بها، ومنها دراسته حول القرآن الكريم – الكشاف – ومن هنا يمكن القول بأن الشكل رقم (٢) يمثل تصورا عاما لمعالجة الزمخشرى، صحيح أن الزمخشرى عالج قضايا الشكل (٢) إلا أن ثمة تفريعات أو ضمائر لم يشر إليها، والأمر لا يعدو أن تكون طبيعة المادة المعالجة هى التى فرضت أو أملت عليه هذا .

من مقارنة الشكلين (۱)، (۲) يتضح أن الزمخشرى لم يعالج من الضمائر إلا المنفصلة منها بدون استثناء ممثلة في ضميرى: الفصل والشأن، وفي مقابل ذلك عالج من ضمائر النصب (إيًا) مضافا إليها ضمير المتكلم (ي) أو المخاطب للمذكر (ك) ... إلخ حسب ما ورد من الأنماط القرآنية، ويعد (إياك) و (إياي) من أكثر أنماط الضمائر شيوعا في القرآن الكريم - بالنسبة لضمائر النصب - وبالتالي فهي أكثر الأنماط معالجة عند الزمخشرى - كما سيتضح من خلال الشكل رقم (۲) أن الزمخشرى لم يعالج من ضمائر الرفع المتصلة (تاء الفاعل، نا الفاعلين) ربما في ظنى على أساس أنها معارف ولا تحتاج إلى مناقشة حول

قضاياها، وقد أشرت فى هذا السياق إلى ضمير الإشارة، ووضعته جنبا إلى جنب مع الضمائر الأخرى المعالجة فى هذا الموضع؛ لما له من سمات يشترك فيها مع الضمائر، أوضحها فى موضعها من الدراسة.

ويمكن أن أشير هنا إلى ملاحظة يسيرة وعامة، أن الصمائر -عموما - في التراكيب اللغوية والنصوص، تؤدى وظائف مهمة منها:

الأولى: إن عنصر الإحالة (الضمير) يحدد العنصر المشار إليه تحديدا تاما، سواء أكان سابقا أم لاحقا، أم غير موجود في النص (خارج النص)، وهذا التحديد يؤمن اللبس. وفي هذا السياق يرى چون لايونز: (John Lyons) أن مغزى ضمير الإحالة (أو العائد) هو تحديد وفهم موضع الكلمة في النظام في علاقاتها بالكلمات الأخرى المجاوزة لها سواء كانت سابقة أم لاحقة – وهذا التحديد يكون بالربط بين عناصر داخل التركيب(1).

الثانية: إن وجود الضمير، يعنى أن ثمة نوعا من الإحالة، أى أن وجوده يغنى عن التكرار، أى تكرار العنصر المشار إليه، وهذا ما يطلق عليه الاقتصاد فى اللغة (الإيجاز)(٢)، هذا التعويض أو الاستعاضة (اللضمائر) ترتكز على الوحدات السياقية، نعم هذا أساسى بالنسبة للضمائر من حيث إنها تعمل على ربطها وتماسكها مع موضوع النص (أو عناصر النص)، من هذا فإن تحديد النص كله من خلال الضمائر التى تعمل على تماسك وتشابك النص(٣).

John Lyons: Einführung in die moderne Linguistik, S.437. (1)

<sup>(</sup>٢) ينظر ابن يعيش: شرح المفصل ١ (ب) ٣٢٨.

W. Heinemann, u. A, : Textlinguistik, EineEinführung, S. 29. (7)

**الثالثة**: إن وجود ضمير الفصل يعمل على توكيد محتوى السياق<sup>(۱)</sup>.

ويمكن أن تمثل الوظيفة الثالثة – حسب الإحصاء – وظيفة عامة، تنطبق على سائر الضمائر المعالجة في هذا الموضع، إلا أن الزمخشرى أشار إلى هذه الوظيفة في معرض تحليله لأنماط ضمير (١) الفصل وضمير الإشارة، أما ضمير الشأن فلم يشر الزمخشرى إلى هذه الوظيفة من قريب أو بعيد، بيد أن الجرجاني أشار إليه أثناء تناوله لضمير الشأن، على أية حال سيتضح هذا أكثر من خلال معالجة هذا في موضعه من البحث.

وبالتالى فإن رؤية ليقاندوقسكى: (LEWANDOWSKI) فى مجملها تتفق ورؤية النحاة والبلاغين العرب، إلا أن المفارقة بين الرؤية الغربية الحديثة والرؤية العربية القديمة أن الرؤية الحديثة تمثل رؤية عامة تنطبق على كل الصنمائر، أما رؤية النحاة فقائمة على معالجة كل صنمير على حدة، ومن ثم حددوا السمات الخاصة بكل صنمير، ثم استخلصوا من خلال ذلك الصفات المشتركة بين هذه الصنمائر، ومن خلال ذلك يستطيع المرء أن يستشف هذه الوظائف العامة التى تشترك فيها الصمائر، ومنها التأكيد، الذى أشار إليه ليقاندوقسكى.

والذى يمكن قوله فى هذا السياق إن التوكيد هنا، ليس توكيدا بأداة، وإنما هو توكيد من نوع آخر، حيث تشترك الضمائر جميعها وتعمل على ربط أجزاء النص عن طريق الإحالة سواء إلى متقدم أم إلى لاحق، ومن

Th . Lewandowski : Linguistisches Worterbuch, Band 2, S. 80 . (1)
Fünk, Kolleg: Sprache, Einführung in die moderne Linguistik,. Band 2, S. : وينظر

ثم فإن هذا الربط فى ذاته يعمل على نشابك النص وتماسكه، وتمثل هذه وظيفة فى حد ذاتها، وبالتالى تؤكد ترابط البنى الصغرى المكونة للتركيب (الكلمات، الأدوات) بالبنى الكبرى المكونة لأجزاء النص وبنائه عن طريق الإحالة، ومن هنا فإن هذه الوظيفة يمكن أن تنطبق على الصمائر كافة باختلاف أنواعها .

ونتيجة لهذا، فإن الروابط الإحالية - بوجه عام - تقوم بعملية ربط ليست بين أجزاء التركيب، وإنما بين أجزاء النص المتباعدة، على نحو ما سيتضح في النص القرآني .

وفى إطار تحديد طبيعة الروابط الإحالية (الضمائر)، لابد من الإشارة إلى العناصر التى تعوضه: وهى فى الكلام وحدات معجمية (أسماء مفردة أو ما يضارعها من المركبات) يمكن أن نطلق عليها مصطلح العنصر (الإشارى) ( Deicticelement)؛ وتشمل كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو رمز إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة؛ فيمثل العنصر الإشارى معلماً (Index) لذاته، لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره، وتمثل العناصر الإشارية فيه جملة الذوات التى تكون العناصر الأساسية الدنيا فى عالم الخطاب؛ وتتصل هذه الذوات مباشرة بالمقام دون توسط عناصر إحالية أخرى؛ فهى لا ترتبط بالحقل الإشارى باتقاسمها طرفا التواصل، وهى فى ذلك تقابل العناصر الإحالية التى يتقاسمها طرفا التواصل، وهى فى ذلك تقابل العناصر الإحالية التى ترتبط بالسابق وما يتعلق به من ملابسات . ويشمل العنصر الإحالية التى

- لفظا مفرداً دالاً على حدث أو ذات موقع ما في الزمان أو المكان.

- جزءاً من الملفوظ أو الملفوظ كاملاً<sup>(١)</sup> .

<sup>(</sup>١) الأزهر الزناد : نسيج النص، ص ١١٦،١١٥ .

وما دام الحديث عن الضمائر ودلالتها التي لا تكتمل إلا بالعودة على لاحق أو سابق، وهو ما يسمى بالمرجع أو الإحالة: وتطلق تسمية العناصر الإحالية (Anaphors) على قسم من الألفاظ تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك(١). وإذا كان هذا العنصر الإحالي يشير إلى ذات سواء كانت في النص أو في خارجه، بناء على ذلك أنه لابد من وجود هذا العنصر المشار إليه في النص.

على أن هذه العناصر المشار إليها هى التى تفسر الضمير - هنا - أو ما يطلق عليها المعوضات فى اللغة، وهى : أن عنصر الإحالة يمكن أن يكون متقدم الرتبة أو متأخرها، ويرى أحد الباحثين أن العناصر الإشارية التى تتوفر فى عالم النص من جهة العمل قسمين : عامل وغير عامل :

١ - عنصر إشارى يذكر مرة واحدة فى النص ولا يحال عليه، فهو غير
 عامل، إذ لا يحكم مكونا آخر بعده أو قبله باعتماد عامل الإحالة .

(١) الأزهر الزناد: نسيج النص، ص ١١٨ .

وينظر:

W. Kallmayer und Andre: Lektürekolleg zur Textlinguistik, Band 1: Einführung, S. 98, 99. ٢ – عنصر إشارى يذكر مرة أولى ثم يحال عليه بمضمر أو بلفظة مرة أو أكثر فى غضون النص، فهو عامل، إذ يحكم مكونا أو عددا من المكونات؛ لأنه يفسرها . والعنصر الإشارى مفرد دائما يرد فى رأس الوحدة الإحالية التى يحكمها، والتى يمكن أن تتكون من عدد غير محدود من العناصر الإحالية (١) .

وينقسم العنصر الإشارى إلى عنصر معجمى، يتمثل فى المغردات المعجمية، وعنصر إشارى نصى، يتمثل فى جزء أو مقطع من نص يحال عليه بعنصر إحالى نصى، فالعناصر الإشارية النصية هى مقاطع من المفوظ، وقد تطول وقد تقصر، وقد تمثل جزءا من مقاطع تجرى الإحالة عليها للاختصار واجتناب التكرار، وتتميز هذه العناصر الإشارية النصية عن العناصر الإشارية المعجمية بكونها أقل انتشارا، بل لعل وجودها اختيارى، إذ لا تتوفر فى جميع النصوص من ناحية، ثم إن العناصر الإحالية النصية التي تقتضيها مجدودة فى الرصيد اللغوى من ناحية أخرى (۲)، وتقسم الإحالة إلى قسمين:

- ١ إحالة داخل النص أو اللغة (Endophora) وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة، فهي إحالة نصية.
- ٢ إحالة على ما هو خارج النص (Exophora) وهى إحالة عنصر لغوى إحالى على عنصر لغوى موجود فى المقام الخارجى، كان يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه، حيث يرتبط عنصر لغوى إحالى بعنصر لغوى هو الذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر

<sup>(</sup>١) الأزهر الزناد : نسيج النص، ص ١٢٨ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ١٢٨ : ١٣٠ .

لغوى إلى المقام ذاته فى تفاصيله أو مجمل، إذ يمثل كاننا أو مرجعا أو موجودا مستقلا بنفسه (۱). ومن ثم فإن ثمة اختلافا بين الإحالة فى النوع الأول نجد إحالة من عنصر لغوى إلى عنصر لغوى آخر داخل النص الموجود، ومن هنا تكون الإحالة بين:

عنصر إحالة (عنصر لغوى) --- عنصر إشارى (لغوى) (منسر)

أما النوع الثاني فإن الإحالة تكون بين إحالة لغوية إلى إحالة غير نغوية (مقام):

عنصر إحالى (لغوى) ---- عنصر إشارى غير لغوى (مقام) (مفسر)

وبالتالى فإن بنية التكوين فى النوعين مختلفة، وأحسب أن الإحالة فى النوع الأول أسهل منالا منها فى النوع الثانى، إذ فى النوع الأول تكون كافة العناصر موجودة وكلها لغوية، فتكون من السهولة بمكان التوصل إلى العنصر المشار إليه، أما النوع الثانى فأزعم أنه أصعب منالا من الأول إذ إن إحالته ليست إلى عناصر لغوية داخل النص، وإنما إلى شىء خارج النص، ومن ثم يحتاج إلى استخلاص هذا الشىء الخارجى بناء على الحصيلة الثقافية أو المعرفية المزود بها هذا الشخص، وبالتالى فهى تختلف من شخص إلى آخر، أى أن عملية القياس فيها نسبى، بناء على الكم الثقافي أو المعرفي المزود بها هذا الشخص أو ذاك .

وتقسم عناصر الإحالة إلى قسمين:

۱ - عنصر إحالي معجمي (Elementanaphorique Lexical) يعود على

<sup>(</sup>١) السابق: ص ١١٩،١١٨ .

مكون مفسر له يدل على ذات أو مفهوم مجرد، وعدد العناصر الإحالية المعجمية كبير في المعجم، ونظامه محكم في عمله، فإحصاء الضمائر وأسماء الإشارة وعلامات المطابقة والموصلات الاسمية، وكذلك الإحكام الموجود في نظام كل واحد منها وفي النظام الذي يجمعها في (اللغة) يثبتان ذلك؛ فهي إذن عناصر ضرورية في كل ملفوظ.

٢ - عنصر إحالى نصى (Elementanaphorique Texte) يعود على مكون مفسر له يمثل مقطعا من النص، وعدده محدود في المعجم، ثم إن اللغة لم تخصها بنظام تركيب يحكم استعمالها، وإنما تجرى جريان الأسماء الصريحة فيها، ولكنها تتميز من حيث الدلالة عن الأسماء بفراغها، وهي في ذلك توافق المضمرات فلا يتحدد محتواها إلا إذا ربطت بما يفسرها؛ فهي (مضمرات) ولكن مفسرها لا يكون إلا مقطعا من ملفوظ، وهي في هذا أخص منها، إذ يمكن أن يعود الضمير (أو أحد المضمرات) على مقطع من الملفوظ().

ويكتفى الباحث بهذه التوطئة التى ربما تكون قد ألقت الصوء على جزء مهم فى العلاقة القائمة بين الضمائر (الروابط) ودورها وقيمتها فى تماسك النص نظريا . وأحاول الآن أن أناقش قضايا الضمائر الواردة عند الزمخشرى حسب الإحصاء وأبدأ أولا بـ : ضمير الفصل .

<sup>(</sup>١) الأزهر الزناد: نسيج النص ص ١٣٢.

#### المبحث الأول

#### البنية الدلالية والإحالية لضمير الفصل

حد الزمشخرى ضمير الفصل بأنه: يتوسط بين المبتدأ وخبره قبل العوامل اللفظية وبعده إذا كان الخبر معرفة أو مضارعا له في امتناع دخول حرف التعريف عليه كأفعل من كذا أحد الضمائر المنفصلة المرفوعة ليؤذن من أول أمره بأنه خبر لا نعت، وليفيد ضربا من التوكيد (1).

وفائدة الفصل عند الجمهور التأكيد خلافا للسهيلى: الاختصاص، فإذا قلت : كان زيد هو القائم، كان إخبارا عن زيد بالقيام، واحتمل أن يكون غيره قد شاركه فيه، وإذا قلت : كان زيد هو القائم، أفاد اختصاصه بالقيام دون غيره (۱).

هذه الرؤية لجمهور النحاة العرب هى التى جعلت كلاً من كسبارى Das) وركندورف (Reckendorf) يطلقان عليه ضمير التأكيد (Caspari) . على أساس أنها الوظيفة الأساسية له (٢٠) .

وإذا كان كل من الجمهور والسهيلى يريان دلالة واحدة لصمير الفصل (التوكيد عند الجمهور، والاختصاص عند السهيلى) فإن الزمخشرى قد حدد دلالتين له فى المفصل: ليؤذن من أمره بأنه نعت لاصفة، وليفيد ضربا من التوكيد<sup>(1)</sup>، مضيفا دلالة أخرى على رأى الجمهور (كما ورد عند أبى حيان).

- (١) المفصل ص ٥٣ (ب) . الرمز (ب) يشير إلى الطبقة الأوربية تحقيق J.P. Broch, londini
  - (٢) أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب ١/ ٤٩٥ .

Caspari : Arabische Grammatik, S. 342 . (\*\*)

H . Reckendorf : Arabische Syntax, S. 279, 280 .

W. Wright: A Grammar of the Arabic Language, p. 265.

(٤) المفصل ص ٥٣ (ب) .

ويفيدنا نص الزمخشرى فى جزئية أخرى تتعلق بقيمة هذه الوظيفة وأهميتها بالنسبة لضمير الفصل، إذ لا يرتأى أنها الوحيدة، وإنما هو – التوكيد – نوع من أنواع كثيرة من الدلالات يؤديها ضمير الفصل: ليفيد ضربا من التوكيد .

والحقيقة أن رأى الزمخشرى السابق هو رأى جمهور النحاة (١)، فإذا كان جمهور النحاة (١)، فإذا كان جمهور النحاة يرون أن الوظيفة الأساسية هي التوكيد، فإن هذا لا يمنع من إضافة وظيفة أخرى أن : الوارد بعده خبر لا نعت، وبالتالى يزول التعارض الذى قد يبدو ظاهرا بين نص أبى حيان الأندلسي وما عند الزمخشرى .

وقبل أن أنتقل إلى مناقشة وظائف ضمير الفصل – عند الزمخشرى – أناقش بعض الشروط التى وضعها النحاة لصنمير الفصل، يقول ابن يعيش فى تحديده لشرائط ضمير الفصل الثلاثة، أحدهما: أن يكون من الصمائر المنفصلة المرفوعة الموضع، ويكون هو الأول فى المعنى . الثانى: أن يكون بين المبتدأ وخبره أو ما هو داخل النص على المبتدأ وخبره من الأفعال والحروف . الثالث: أن يكون بين معرفتين أو معرفة وما قاربها من النكرات(٢) .

ومن هنا يرى ابن يعيش ضمنيا أن التوكيد ليس لفظيا، وإنما هو توكيد معنوى، ويدعم هذه الرؤية عند ابن يعيش ما أورده الرضى حين قال: وإنما قلنا ضمير الفصل يفيد التوكيد؛ لأن معنى زيد هو القائم، زيد نفسه القائم (").

<sup>(</sup>١) السيوطى : همع الهوامع ١/ ٦٩ .

<sup>(</sup>٢) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٢٣٠ .

<sup>(</sup>٣) الرضى . شرح الكافية في النحو ٢ / ٢٤ .

ويستخلص من عبارة الرضى (نفسه) أنه لم يرد التوكيد اللفظى، وإنما هو توكيد معنوى يقول ابن يعيش مؤكدا هذا ومؤكدا – أيضا – رأيه السابق : وإنما اشترط أن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعة الموضع؛ لأن فيها ضريا من التوكيد، والتأكيد يكون بضمير المرفوع المنفصل، نحو : قمت أنا و (اسكن أنت وروجك المخنية) البقرة/٣٥، ولذلك من المعنى وجب أن يكون المضمر هو الأول في المعنى؛ لأن التأكيد هو الموكد في المعنى، ولهذا يسميه سيبويه وصفا، كما يسمى التأكيد المحض، ولو قلت على هذا : كان زيد أنت خير منه، أو ظننت زيدا أنت خيرا منه أو ظننت زيدا أنت خيرا منه لم يجز؛ لأن الفصل ها هنا ليس الأول، فلا يكون فيه تأكيد

ويتفق هذا الرأى عند ابن يعيش مع رأى الزمخشرى فيما جاء عنه في قوله: فإن قلت: ما محل هو ؟ قلت: الرفع على الابتداء والخبر الجملة، فإن قلت في الجملة الواقعة خبر لابد فيها من راجع إلى الابتداء، فأين الراجع ؟، قلت: حكم هذه الجملة حكم المفردة في قولك: زيد غلامك، في أنه هو المبتدأ في المعنى، وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن، الذي هو عبارة عنه، وليس كذلك: زيد أبوه منطلق، فإن زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين، فلابد مما يصل بينهما(٢).

ويمكن إثارة مناقشة وجيزة هنا حول رأى الزمخشرى السالف بأن الضمير يؤدى ضربا من التأكيد، وكذلك حول ملاحظات ابن يعيش، علها تثرى هذا الموضع .

<sup>(</sup>١) ابن يغيش: شرح المفصل (ب) ١/ ٢٣٠٠

<sup>(</sup>٢) نكت الأعراب ... ورقة ٢١٦ .

لقد لفت الزمخشرى النظر حول أهمية ضمير الفصل، كما أشرت، إذ لم يذكر دلالة واحدة، وإنما رأى له دلالتين، يبدو أن ثمة اختلافا بين هذه الرؤية وبين رؤية النحاة، وهو اختلاف يبدو سطحيا لو أمعنا النظر في كلا الرأيين .

وريما تقوينا هذه الملاحظة إلى أن الزمخشرى فى عرضه للوظيفتين – فى المفصل – التى يقوم بهما ضمير الفصل فى التركيب، أنه يمكن أن يكتسب معانى أخر، تتيحها له السياقات المتنوعة، وريما كانت رؤية الزمخشرى هنا – فى المفصل – محددة ومقننة، وأحسب أن طبيعة المادة الموجودة والمعالجة فيه هى التى أملت عليه ذلك، فالمادة المحروضة لا تسمح بمزيد من الإيضاح والبسط، بقدر ما تسمح بالإيجاز والاختصار.

غير أن الرؤية تكتمل عند الزمخشرى حول وظيفة هذا الضمير (الفصل) من جهة المكونات الدلالية المتنوعة بما جاء في الكشاف، وسيلاحظ أن الزمخشرى يعرض لأنواع دلالات مختلفة، فاقت بكثير ما قدمه النحاة.

فإذا كان ضمير الفصل يفيد (التوكيد) عند الجمهور و (الاختصاص) عند السهيلى، فإن رؤية الزمخشرى قائمة على الجمع بين الدلالتين، بمعنى أنه يرى أن ضمير الفصل يقوم بأداء الوظيفتين – التوكيد، الاختصاص – معا .

ولم يكتف الزمخشرى بهذا، وإنما أضاف فى الواقع أنواعا دلالية أخرى فى الكشاف، لم يشر إليها اللحاة جملة، وإن جاءت فى مواضع منتشرة فى الحواشى والشروح، وينبغى الوضع فى الاعتبار أن هذه الوظائف الدلالية لضمير الفصل الواردة في شروح المفصل، ليست إلا أفكار وإشارات الزمخشرى، طورها ونماها ووسع من دائرة الحديث فيها أصحاب الشروح، وأرجاً الحديث عنها للاستفادة بها في موضعها.

وإذا كان النحاة قد قسموا الوظائف الدلالية لصمير الفصل، فقد جاءت إحداها لفظية، واثنتان معنوية، وبالتالى بلغ المجموع الإحصائى دلالات ثلاث: الإعلام بأن ما بعده خبر لا صفة، التوكيد، التخصيص<sup>(۱)</sup>. وبالتالى فإن الزمخشرى قد جمع رؤية النحاة هذه كلها في نمط قرآنى واحد في سورة البقرة/٥ ( أُونِيكَ عَلَىٰ هُدُى مِّن رَبِّهِمْ وَأُولِيكَ هُمُ المُفْلَحُونَ) (۲) ، وقد أضاف وظائف أخرى لهذا الضمير في مواضع مختلفة من مؤلفاته .

إذا عالج الزمخشرى دلالات كثيرة، مختلفة حينا ومتداخلة فى أحايين كثيرة، وقد أحصيت الدلالات – بشكل عام – الواردة فى مؤلفات الزمخشرى، فأثبت الإحصاء أنها (ثمانى) وهى على الترتيب: الكمال، التأكيد، فى المرتبة الأولى، الاختصاص، التأكيد والاختصاص، التقرير والتوكيد، وقوعه بين معرفتين، التعريض، أن الوارد بعده خبر لا صفة.

فإذا كانت الوظائف الدلالية لضمير الفصل عند الزمخشرى بلغت (ثمانى) دلالات، فإن هذه الدلالات مثلت مراحل أربع كالتالى: فى المرتبة الأولى: الكمال والتوكيد، فى المرتبة الثانية: الاختصاص. فى المرتبة الثالثة: التأكيد والاختصاص. فى المرحلة الرابعة: أن الوارد بعده خبر وليس صفة، وقوعه بين معرفتين، التعريض.

وبالتالى فإن المراحل الأربع ليست سواء من حيث عدد الوظائف،

<sup>(</sup>١) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ٢/ ١٠٥ .

 <sup>(</sup>٢) ٢/٥١ . نشير هنا بعدم استعمال رمز (أ) في كل الأجزاء إلى طبعة «الكشاف» العربية»
 الصادرة عن دار عالم المعرفة ، د . ت .

فإذا كانت المرحلة الأولى والثالثة تمثلان توازنا من حيث عدد الأنماط لكل منهما، وبالتالى يمكن تقسيم هذه المراحل إلى مجموعات، الأولى: وتضم: دلالة الكمال، دلالة التأكيد، دلالة التأكيد والاختصاص، دلالة التقرير والتوكيد. الثانية: وتضم دلالة الاختصاص منفردة. الثالثة: وتضم كل من: التعريض، وقوعه بين معرفتين، أن الوارد بعده خبر لا صفة ويلفت الجدول رقم (٣) النظر إلى عدة ملاحظات أهمها: أن هذه الوظائف الدلالية لم تعالج بنسب متساوية، أى ليست بعناية واحدة، كما أن ورود هذه الدلالات كلها في الكشاف، يعنى شيلين، الأول: أن نسب الأخرى تمثل في معالجتها تضمير الفصل صفرا، أعنى مؤلفاته التي يمكن أن نطلق عليها المؤلفات التحليلية، بخلاف كتابه (المفصل).

ملاحظات	المصادر الكشاف	النسب	عدد التردد	וובעעי	د
	١٠	44, 4	1.	التأكيد	١
مجموع الأنماط	٨	۲٥,٨	۸	الكمال	٧
الانماط (۳۱)	0	17,1	٥	الاختصاص	٣
	۳ ۹,	۹,۷	٣	التأكيد والاختصاص	٤
	٣	۹, ۷	٣	التقرير والتوكيد	٥
		۳,۲	١	ان الواقع بعده خبر لا صفة	٦
	١	۳, ۲	١	التعريض	٧

شكل توضيحي رقم (٣) بدلالات ضمير الفصل كما وردت عند الزمخشري

كما يلفت الشكل رقم (٣) النظر إلى ملاحظة تكاد تكون على قدر من الأهمية، أنه إذا كان النحاة يرون أن الوظيفة الأساسية: لضمير الفصل التوكيد، فإن السهيلى يرى رأيا مخالفا، إذ يجعل الوظيفة الأساسية: الاختصاص . ونلحظ في الجدول السابق أن الزمخشرى جعل التأكيد في أنماط مستقلة تارة وعالجه مع دلالات أخرى نحو: التأكيد والاختصاص، التقرير والتأكيد، كذلك فعل الشيء ذاته مع الاختصاص، وهي محاولة من الزمخشرى - فيما أظن - التوفيق بين جمهور النحاة وفي محاولة من الزمخشرى - فيما أظن - التوفيق بين جمهور النحاة الترتيب: التأكيد والاختصاص وعالجهما في موضع واحد، كما هي الحال هنا، وقد تردد هذا النوع في (٣) أنماط مختلفة . وهكذا يسوى النمكل (٣)، ومن ثم نرى التسوية الدلالية من حيث المعالجة بين معالجة الشكل (٣)، ومن ثم نرى التسوية الدلالية من حيث المعالجة بين معالجة الدلالة رقم (٤) و (٥) من الشكل (٣)، أي التوفيق بين الرؤية العامة (الجمهور) والرؤية الخاصة (السهيلي) .

وبهذا الصنيع يخيل إلى أن الزمخشرى لا يرى فارقا كبيرا بين الرؤيتين، بل إن جمعه إياهما في دلالة واحدة يؤكد هذه الرؤية، وكأنه يشير من طرف خفى إلى أنه يرتضى رأى الجمهور (التأكيد) ورأى السهيلى (الاختصاص) وهذا له دلالته على ما سيتضح فيما بعد .

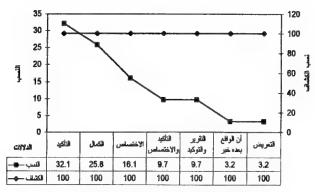
فإذا كان الزمخشرى يرى الرأيين ويرتضيهما، فإن هذا لا يمنع أن التأكيد مكانة لا تخفى بالنسبة لضمير القصل، وعلى الرغم من أن الإحصاء يظهر أن أنماط التوكيد وأنماط الكمال تكاد تكون شبه متساوية، إلا أنه رغم ذلك (فى ظنى) تظل دلالة التوكيد ذات فعالية كبيرة فى هذا الموضع . ويؤكد هذا أن دلالة التوكيد جاءت منفردة فى أعلى نسبة أنماط (تسعة) وهكذا تفرق عن دلالة الكمال بنمط واحد، غير أن الباحث يرى أنهما قد نالا قدرا متساويا من المعالجة من الزمخشرى، خاصة وأن هذا

النمط الذى فرقت به دلالة التوكيد عن دلالة الكمال، إنما هو نمط شعرى استشهد به الزمخشرى ليوضح النمط القرآنى، وليس بنمط قرآنى قائم بذاته، وبالتالى تتساوى دلالة الكمال مع دلالة التوكيد، من حيث عدد الأنماط القرآنية، أى أن كلاً من دلالة التوكيد والكمال قد ورد لكل منهما ثمانية أنماط قرآنية، ومن ثم فإن الباحث يرى أن معالجة الزمخشرى لدلالة كل من: التوكيد والكمال تكاد تكون متقاربة إلى حد ما؛ بناء على هذا الاحصاء.

غير أن التوكيد يغرق عن الكمال في أن الزمخشري قد عالج معه دلالات أخرى: التأكيد والاختصاص، التقرير والتوكيد، وبالتالي فإن التوكيد قد عولج في مواضع ثلاثة، مرة منفردا، وفي موضعين بالاشتراك مع كل من دلالتي: الاختصاص والتقرير.

وتعكس هذه الملاحظات ملاحظة أخيرة في هذا الشأن، حيث تؤكد الملاحظات السالفة أنه قد عالج كلاً من دلالتي : التأكيد والاختصاص، منفردة في أنماط خاصة، ثم جمع بينهما في أنماط منفردة، التأكيد والاختصاص، وهاتان الدلالتان هما اللتان كررهما الزمخشري وجمع بينهما، وربما كان فعل الزمخشري هذا قائما على أساس الأهمية بالنسبة لهانين الدلالتين، إذ تعدان الأساسيتين - حسب الرؤية العامة - إلا أن رؤيته تضيف لهما دلالة أساسية أخرى : الكمال، بالإضافة إلى دلالات أخرى لا تقل أهمية رغم قلة الأنماط الواردة لها، ورغم هذا تظل دلالة (الاختصاص) في مرتبة أقل بالنسبة لدلالة التوكيد.

ومما يؤكد هذا في هذا الشأن، أن دلالة التوكيد جاءت منفردة مرة ومشتركة مرتين، مرة مع الاختصاص، ومرة أخرى مع التقرير، وذلك بخلاف الاختصاص الذي ورد مرتين فقط، مرة منفرداً، وتارة أخرى مع التوكيد . وإذا كانت هذه المسلاحظات ترتكز على الإحصاء الذى أجمله الباحث فى الشكل رقم (٣) فإنه يحاول فى هذا الموضع أن يوضح نسب هذه الدلالات، ومن ثم يمكن أن أمثل لها بالرسم البيانى رقم (٤).



شكل توضيحي رقم (٤) بنسب دلالات ضمير الفصل عند الزمخشري كما وردت في الشكل (٣)

وبناء على هذا فإن رؤية الزمخشرى لضمير الفصل قائمة على أساس الأخذ بما يوفره السياق من دلالات، وبالتالى فإن الزمخشرى له رؤية خاصة، صحيح هى لا تختلف من حيث محتواها العام، إلا أنها مطبوعة بتأثيره، ومن هنا فإنه يتغق مع الجمهور من حيث أهمية دلالة التوكيد.

غير أنه يختلف مع الجمهور في أنه لا يرى أنها الدلالة الوحيدة أو الأساسية لهذا الضمير، وإنما يشرك معها دلالة الكمال، التوكيد، إذ هما الدلالتان الأساسيتان أو التي ينبغي أن يركز عليهما، وبالتالي فإنه يضيف دلالة زيادة على ما جاء عند النحاة – الكمال – وتمثل هذه الملاحظة مفارقة بين الزمخشري وبين جمهور النحاة - كما يفارق الزمخشري

السهيلى فى اعتبار أن دلالة الاختصاص، ليست الوحيدة، وبالتالى بناء على الإحصاء فليست هى الأساسية، ومن ثم نراها وردت عند الزمخشرى فى المرتبة الثالثة، وأضاف دلالات أخرى بجانبها . وبهذا النهج يخالف الزمخشرى كلاً من : جمهور النحاة والسهيلى على السواء، حيث أجمع كل منهما، أن لضمير الفصل وظيفة أساسية واحدة، التأكيد عند جمهور النحاة، والاختصاص عند السهيلى، ومن ثم نرى الزمخشرى لم يتابع أحدا منهم .

ورؤية الزمخشرى هذه فى الواقع ليست سلبية ، بمعنى أن الزمخشرى لم يرفض الدلالتين، وإنما تكمن المفارقة بين الزمخشرى وهذين الفريقين حول الأهمية بالنسبة لترتيب الدلالات بالنسبة للصمير وعلى الرغم من هذه المخالفة والرؤية الخاصة بالزمخشرى القائمة على الجمع والتوفيق وعدم الرفض، فإن رؤية الزمخشرى تعد – فيما أحسب – أرحب أفقا وأوسع فهما، من حيث توفيقه بين الرؤيتين، ليس هذا فحسب، بل أضاف إليها وظائف أخرى .

وإذا كانت هذه الملاحظات تمثل ملاحظات عامة حول معالجة الزمخشرى لضمير الفصل عامة، فإن الوظائف الدلالية التى عالجها الزمخشرى تحتاج إلى نوع من التحليل في ضوء الأنماط الواردة عند الزمخشرى، وبالتالى تثرى المعالجة في هذا الموضع.

ويرى الزمخشرى - بناء على الإحصاء السابق - أن وظيفة الكمال تعد ذات أهمية كبيرة، لا تقل أهميتها عن الوظيفة الأساسية عند جمهور النحاة والزمخشرى - التوكيد - حيث يظهر الإحصاء أن لها ثمانية أنماط، وبالتالى تأتى فى المرتبة الثانية بعد وظيفة التوكيد . فغى قوله تعالى فى سورة النساء الآية / ١٥١ ( أُولَّكُ هُمُ الْكَافِرُون حَقَّا وَأَعْدُنَا للْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) قال الزمخشرى : أى هم الكاملون فى الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة، كقولك : هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا، وهو كونهم كاملين فى الكفر، وهو صفة لمصدر الكافرين، أى هم الذين كفروا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه (١٠). وفى الآية / ٢٥، من سورة الأنعام ( قُل هُو الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ) قال الزمخشرى : هو الذي عرفتموه قادرا، وهو الكامل القدرة (٢).

وتعد هذه الوظيفة ضمن وظائف أخرى لهذا الضمير، يقول ابن يعيش موضحاً هذه الوظيفة: الغرض من دخول الفصل في الكلام .... إرادة الإيذان بتمام الاسم وكماله ...(٣) .

وريما استقى الزمخشرى هذه الوظيفة من مقولة البصريين فى تسمية هذا الضمير فصلاً ووسعها، يقول ابن يعيش: فالفصل من عبارات البصريين، كأنه فصل الاسم الأول عما بعده وآذن بتمامه، وإن لم يبق منه بقية من نعت ولا بدل إلا الخبر لا غير<sup>(1)</sup>.

ويمكن مناقشة مفهوم الكمال التى – ريما – تختلف عند جمهور النحاة عنها عند الزمخشرى، فإذا كان النحاة يرون أن الكمال مقصود به كمال التركيب وتمامه من حيث أداء المعنى، فإن الزمخشرى طور المصطلح – الكمال – ولم يقصد به الكمال فى تمام التركيب، بقدر ما عنى به كمالا من نوع آخر، كالكمال فى قدرة الله سبحانه، عندما يتعرض لآية تدل على قدرة الله وعظمته، وفى نمط آخر يعرض لكمال من نوع آخر كآية الكافرين، ويرى أنهم كاملون فيه .

<sup>.</sup> ٣٠9 /1 (1)

<sup>·</sup> Y · / Y (Y)

<sup>(</sup>٣) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ٢٣٠/١ .

<sup>(ُ</sup>٤ُ) ابن يَعْنِشُ : شَرِح المفصلُ (أُ) ٣/ ١٠٠ يشير الرمز (أ) إلى الطبعة العربية، وهي عن مكتبة المنتبي، القاهرة، د . ت السيوطي : همع الهوامع ١/ ٦٨ .

ومن هنا فإن الزمخشرى يغيّر (يطور) مصطلح الكمال – إن جاز التعبير – من مفهوم تمام العبارة وكمالها عند جمهور النحاة إلى كمال يقتضيه السياق، وريما تقودنا هذه الملاحظة إلى أن مصطلح الكمال، عند الزمخشرى مصطلح يمثل وظيفة عامة، يمكن أن تطلق على أى كمال/ كما أوضحت في الفقرة السابقة، تناسب السياقات والقرائن كافة، ومن ثم نزى الزمخشرى يخصص دلالة المصطلح، حسب مقتضى السياق، ومن ثم يبدو لنا بوضوح اختلاف استخدام المصطلح عند النحاة عنه عند الزمخشرى، وكذلك في طبيعة المعالجة، التي تفضى بطبيعة الحال إلى اختلاف النتائج المسخلصة.

ويؤدى ضمير الفصل دلالة التوكيد: (Doppelsetzung)، وتشترك هذه الدلالة مع الدلالة السابقة فى المرتبة الأولى من حيث عدد الأنماط ثمانية أنماط، وتتفق هذه الوظيفة الدلالية لضمير الفصل مع تسمية بعض الكوفيين: دعامة؛ لأنه يدعم به الكلام، أى يقوى به ويؤكد، والتأكيد من فوائد مجيئه، وبعض المتقدمين سماه صفة، قال أبو حيان ويعنى به التأكيد (1).

وثمة ملاحظة تتعلق بهذا السياق، وهي لماذا جاء التعبير بهذه الضمائر المنفصلة للتعبير عن هذا المحتوى ويرى ابن يعيش: إنما اشترط أن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعة الموضع؛ لأن فيه ضريا من التأكيد والتأكيد يكون بضمير المرفوع المنفصل نحو: قمت أنا واسكن أنت وزوجك... وهذا المعنى يسميه البصريون وصفا كما يسمى التأكيد المحض(٢).

وينص ابن يعيش هنا نصاً صريحاً على رفض دعوة النحاة

<sup>(</sup>١) ابن يعيش : شرح المفصل (أ) ١ / ١١٠، السيوطي : همع الهوامع ١ / ٦٧ .

<sup>(</sup>٢) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٣٣٠ . .

والسهيلي بأن الضمير يخلص في النهاية إلى التوكيد، أو الاختصاص... وبهذه الرؤية يتابع ابن يعيش رأى الزمخشري كما سيتضح.

تناول الزمخشرى في قوله تعالى ( أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَ يَشْعُرُونَ ) البقرة / ١٢ ، معالجة هذه الوظيفة الدلالية، قال الزمخشرى : وحرف النفى لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفى أفاد تحقيقا كقوله ( أَلْسَ ذَلكَ بِقَادِرِ عَلَىٰ أَن يُحْبِي الْمَوْتَىٰ) سورة القيامة / ٤٠ ، ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة (١) .

وفى هذا النمط القرآنى نرى الزمخشرى لم يتعرض فيه إلا لدلالة واحدة التوكيد، أو التحقيق، وقال فيهم أيضا ( ألا إنهم هُمُ السُّفَهَاءُ ولكن لأ يَمْمُونَ) البقرة / ١٣، وهناك سفهاء آخرون، غير أنه قصد الإفساد والسفه عليهم مبالغة على معنى أنهم أولى، كما فى قوله تعالى ( وَمَن لُمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئكَ هُمُ الظَّالمُونَ) المائدة / ٤٥، ( وَمَن لُمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئكَ هُمُ الظَّالمُونَ) المائدة / ٤٥، وإذا كان الزمخشرى لم يشر إلى هذه الأنماط وأمثالها إلا أنها للتوكيد أو التحقيق، فإنه كذلك لم يشر إلى ما يخصص ذلك، أى أن هذا التوكيد قد جاء على جهة المبالغة فى هذا الأمر.

وفى قوله تعالى في/ ٩ من سورة الحجر ( إِنَّا نَحْنُ نَزْلْنَا الذَكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) يفسر الزمخشرى تفسيره اللغوى بقوله :... ولذلك قال إِنا نحن، فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات وأنه هو الذي بعث جبريل إلى محمد(٢) .

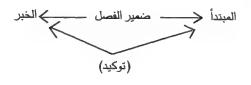
ويختلف هذا النمط القرآني من حيث إن دلالته توحى بالتوكيد، كما

ر۱) ۱/ ۳۳ .

<sup>.</sup> T11 /Y (Y)

ذهب الزمخشرى، بيد أن ثمة كلمة هذا، أنه يندرج ضمن إطار توكيد القصر الحقيقى، لا على جهة المبالغة كما فى النمط السابق، وبالتالى يشترك النمطان فى الدلالة على التوكيد، إلا أن كليهما يختلف عن الآخر من حيث التقسيم والتفريع، إذ تدل الأولى على التوكيد على جهة المبالغة، وتدل الثانى على جهة القصر الحقيقى، بمعنى أننا لو حذفنا (نحن) من النمط الثانى؛ لبقى القصر موجودا، إلا أن الضمير (نحن) جاء لتوكيد معنى القصر على الله - سبحانه وتعالى -، ومن ذلك ما ورد فى سورة المؤمنين (فَمَن ثَقُلتُ مَو اَنْهُويُ الْعَزِيزُ). والأنماط من هذا النوع أكثر من من سورة هود (إنْ ربّك هُو الْقُويُ الْعَزِيزُ). والأنماط من هذا النوع أكثر من أن تحصى، وفى قوله تعالى فى سورة النحل ١٠٥ (وأولئك هُم الكاذبون) قال الزمخشرى محللا: أى أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون فى الكذب؛ لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب، وأولئك الذين عادتهم الكذب لا يبالون به فى كل شيء لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين (۱۰).

وهكذا يمثل هذا النمط ملمحا ثالثا يختلف عن النمطين السابقين، من حيث توكيده لمعنى الكمال، وبالتالى يختلف عن السابقين من جهة القصر أو توكيد شيء معين، وإن جاءت الأنماط في عمومها للدلالة على التوكيد.



<sup>. 750 / 7 (1)</sup> 

وتعد هذ الوظيفة لضمير الفصل من أهم الدلالات الواردة له عند الزمخشرى، وهى الدلالة الأساسية له عند جمهور النحاة، وأكدت الملاحظات العامة السابقة بالمناقشة مدى فعالية هذه الدلالة بالنسبة لهذا الضمير، كما أن هذه الوظيفة لا تمثل خاصية هنا في هذا الموضع، وإنماوظيفة عامة للضمير على وجه العموم كما سيأتى، وكما أوضحت ذلك إشارة ليقاندوقسكى: Lewandowski).

وإذا كان الزمخشرى يرى فى ضمير الفصل هنا دلالة على التوكيد، فإن هذا التوكيد فى الواقع ليس من ضمير الفصل وحده، وإنما هناك بعض الأدوات الأخرى التى أكدت هذه الدلالة، ومن ذلك ما جاء فى سورة الأنفال/٤ (أُولَتِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِهِمْ وَمَغْفِرةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) نراه يستخدم مؤكدا آخر بجانب ضمير الفصل فى الآية الكريمة حقا – وهذا المؤكد لا يقل أهمية عما أداه ضمير الفصل، ومن ثم نرى أكثر من مؤكد فى سياق مضمون الآية إضافة إلى ما جاء عند الزمخشرى.

وتمثل إشارته هذه فيما أحسب رؤية عامة لوظيفة الضمير، إذ لم يحدد ضميرا بعينه، بمعنى أنها يمكن أن يمثلها أى ضمير ويقرم بها، بيد أن الضمائر المعالجة هذا : ضمير الفصل، ضمير الشأن، ضمير الإشارة، ولم ترد هذه الوظيفة لأحد هذه الضمائر المعالجة عند الزمخشرى إلا لضمير الفصل، وإذا كان الزمخشرى لم يشر إلى هذه الوظيفة إلا لضمير الفصل، فإن ثمة أحد الباحثين في الإعجاز اللغوى للقرآن أشار إلى أن ضمير الشأن يحتمل هذه الدلالة ويؤديها، كما سيوضح في موضعه من

Th . Lewandowski : Linguistischs Worterbuch, Band 2, S. 809 . (1)

البحث، وبالتالى فإن هذا يؤكد أن هذه وظيفة الضمير كما ذهب ليڤاندوڤسكى .

ومن ثم نرى الرؤية العربية القديمة تلتقى والرؤية الغربية الحديثة فى معالجة قضايا اللغة والتى تمثل اهتمام كلا الجانبين فى هذا الشأن، وثمة ملاحظة هنا وهى أن هناك فرقا بين الفصل والتأكيد، ويرى ابن يعيش أنه: إذا كان التأكيد ضميرا، فلا يؤكد به إلا مضمر نحو: قمت أنت ورأيتك أنت ومررت بك أنت، والفصل ليس كذلك، بل يقع بدل الظاهر والمضمر، فإذا قلت: كان زيد القائم، لم يكن هو هنا إلا فصلا لوقوعه بعد ظاهر، ولو قلت: كنت أنت القائم، جاز أن يكون فصلا ههنا وتأكيدا، ومن الفصل بينهما أنك إذا جعلت الضمير تأكيدا، فهو باق على اسميته... (١).

وتتفق هذه الرؤية ورؤية الزمخشرى التى رأيناها عمليا من خلال الأنماط السابقة للتوكيد، ويقع فصلا كذلك، وهذا لا يمنع أن يؤدى الوظيفة ذاتها .

وتقودنا هذه الرؤية إلى أن ضمير الفصل يمكن أن يعرب مبتدأ، أى أن وجوده فى الكلام عمدة، إذا أعرب، إن لم يكن له محل من الإعراب، ثم أنه دائما ما يربط المبتدأ والخبر، وفى هذه الحالة لا يكون له محل من الإعراب، أى أنه فضلة، وبناء على هذا، فإنه لا يغير فى شكل الجملة، بخلاف إذا أعرب مبتدأ، فإنه يربط عن طريق الإحالة، وفى هذه الحالة الأخيرة يؤكد كذلك، لكن عن طريق التكرار أو الإحالة.

ويود الباحث أن يلفت النظر إلى أن دلالتي : الكمال والتوكيد،

<sup>(</sup>۱) ابن يعيش : ۱ (ب) ۳۳۳ .

الواردتين فى الكشاف تمثلان وظائف دلالية عامة، بمعنى أنها يمكن أن تتفرع دلالات جزئية منبثقة عنها، ومن ثم تتيح لنا هذه الملاحظة استعارة بعض الأنماط الدلالية الواردة عند الزمخشرى لدلالة الكمال والتوكيد، واستعارة دلالة الكمال لوظيفة التوكيد، فقد يرد النمط القرآنى عند الزمخشرى ظاهريا يعنى دلالة الكمال، وهو يدل فى الواقع على توكيد هذا الكمال، ومن ثم يحدث التبادل الموقعى للدلالات المختلفة، وهذا يعنى التداخل الحاصل بين هذه الوظائف الدلالية .

وإذا كانت كل من دلالتى: الكمال والتوكيد جاءتا فى المرتبة الأولى من حيث اهتمام الزمخشرى، فإن دلالة الاختصاص قد جاءت فى المرتبة الثانية من حيث عدد الأنماط، غير أن الذى يلاحظ فى هذا المقام أن الفارق بين الدلالتين السابقتين ودلالة الاختصاص من حيث عدد الأنماط يمثل فارقا كبيرا، يصل إلى ٥٠٪ بين الدلالتين السابقتين، وإذا كانت دلالتا: التوكيد والكمال تمثل كل منهما ثمانية أنماط، فإن دلالة الاختصاص يمثلها أربعة أنماط، ومن هنا نرى فارقا كبيرا فى المعالجة.

على أية حال فإن وظيفة الاختصاص: ( Spezialisierung) جاءت في المرتبة الثانية من حيث عدد الأنماط، وبالتالي من حيث الهتمام الزمخشرى . كذلك تتحدد المفارقة بين رؤية الزمخشرى ورؤية السهيلي؛ لأن الأول جعلها ضمن وظائف متعددة لهذا الضمير، بيد أن الثاني جعلها هي الوحيدة، ومن ثم يتضح التمايز بين الرجلين .

وثمة ملاحظة يسيرة أود أن أشير إليها قبل مناقشة بعض أنماط الاختصاص الواردة عند الزمخشرى، أن وظيفة الاختصاص التى ذهب إليها السهيلي لضمير الفصل، إنما هي في الواقع رأى البيانيين ومن ثم ذهب مذهبهم(١).

<sup>(</sup>١) ينظر : السيوطى : همع الهوامع ١/ ٦٩ .

ومن ثم فإن هذا الرأى يكشف عن جزئية يمكن مناقشتها من أكثر من وجب الإثراء هذا المسوضع، أولا: يكشف هذا الرأى عن أن رأى السهيلي هذا ليس له، وإنما هو مستقى من بيئة أخرى (بيئة البيانيين)، وثانياً: يكشف من جهة أخرى عن علاقة المداخلة بين العلوم العربية المختلفة في استعارة المصطلحات، كما ستتضح المداخلة بين العلوم العربية في استخدام المصطلحات.

كما يلفت النظر إلى استخدام الزمخشرى هذه المصطلحات العربية في بيئة المفسرين، ومن هنا يعكس هذا مدى محاولة الزمخشرى الاستفادة بقدر ما يمكن من الأدوات والوسائل التي تتاح له للكشف عن دلالات النص، مع الوضع في الاعتبار أن الزمخشري يعد من البلاغيين المبرزين، ومصادره تشهد على ذلك .

وفى مناقشة الزمخشرى لبعض أنماط الاختصاص فى قوله تعالى فى سورة التوية الآية / ٨٨ ( لَكِنِ الرُسُولُ واللّذين آمنُوا مَعَهُ جَاهدُوا بِأَمُوالِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْمُفْلِحُونَ) يقول الزمخشرى : هم المُفْلِحُونَ) يقول الزمخشرى : هم الأخصاء بالقلاح دون غيرهم (١) .

وبناء على نص الزمخشرى فإن الاختصاص: يعنى القصر، أى قصر الفلاح على هذه الفئة التى جاهدت بالمال والنفس، وهم المختصون بصفة الفلاح، وفي قوله تعالى ( أم اتَّخَذُوا آلِهَةً مَنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ) الأنبياء/ ٢١ قال الزمخشرى: فإن قلت: لابد من نكته في قوله (هم)، قلت: النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية، كأنه قيل: أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدهم(٢).

<sup>. \* \* / 1 (1)</sup> 

<sup>(</sup>٢) ينظر ٣ /٧ .

ويلفت الباحث النظر إلى جزئية مهمة، أن الاختصاص بمعنى الحصر والقصر إلا أن الحصر والقصر، مصطلح بيانى، يستخدم في بيئة البيانيين أكثر من مصطلح الاختصاص الذي يستخدم في بيئة البلاغيين، أن أنهما بمعنى واحد، وبالتالى فإن المفارقة بينهما تكمن في استخدام مصطلحات البيئة العلمية فقط، وقد كان الزمخشرى على وعي بهذه الملاحظة، ففي قوله تعالى في سورة النمل/٣ ( الله يَن يُقيمُونَ الصلاة ويُرتُون الزُكاة وَهُم بالآخرة هُمْ يُوتُون) يرى أن ضمير الفصل يفيد الحصر والقصر(۱)، أي الاختصاص بمصطلح البلاغيين.

ومن ثم نرى التبادل الموقعى الذى يمكن أن يتم بين الحصر والقصر والاختصاص، مما يؤكد هذه الملاحظة فى هذا الموضع، وقد أشرت منذ قليل إلى هذه الملاحظة، وبالتالي فإن هذا يؤكد ما جاء سابقا.

ويدل ضمير الفصل على (التأكيد والاختصاص)، وجاءت فى المرتبة الثالثة، وإذا كان الزمخشرى عالج كل دلالة من هاتين الدلالتين منفردة، فإنه هنا قد جمعهما تحت مسمى دلالى واحد (التأكيد والاختصاص) ومن ثم نرى العلاقة القائمة بين الدلالتين على أساس عدم رفض كل منهما للأخرى، بمعنى أن التركيب يقبل الدلالتين دون أى تعارض يؤدى إلى المداخلة واللبس.

وإذا كان الأمر كذلك، فهل تقوينا هذه الرؤية إلى أنه يمكن جمع الدلالتين رقم (1) تحت المسمى الذى نحن بصدده، ويناء على هذا، فإنه يمكن ولا تعارض، غير أن ثمة شيئا لابد أن يؤخذ بعين الاعتبار، وهو السياق الذى حتم فيما أظن على الزمخشرى أن يعالج كل دلالة على حدة

<sup>. 177 / 7 (1)</sup> 

منفردة . وأملى عليه في مواضع أخرى أن يدمجهما معا، وبالتالى فإنه يمكن القول إذا كان هذا جائزا في بعض المواضع، إلا أن هذا يصبح من الصعوبة بمكان الجمع بينهما؛ لأن هناك السياقات بأنواعها المختلفة هي الصعوبة بمكان الجمع بينهما؛ لأن هناك السياقات بأنواعها المختلفة هي عدمه، وفي هذا الموضع ساعدت – فيما أظن – عوامل كثيرة في جمع عاتين الدلالتين، ففي قوله تعالى في التوبة / ١٠٤ ( ألَمْ يُعْلَمُوا أنَّ اللهُ هُو التَّوْبَةُ عَنْ عَبَاده وَيَأْخُذُ الصَّدقَات وَأَنَّ اللهُ هُو التَّوْابُ الرَّحِيمُ)، قال الزمخشري معلقا : للتخصيص والتأكيد، وأن الله من شأنه قبول التوبة التاثبين، وقيل معنى التخصيص في هو أن ذلك ليس إلى رسول الله عَلَى النا الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها...(۱)، وفي قوله تعالى غي سورة هود ( الذين يَصُدُون عَن سَبِيلِ الله وَيَنْغُونهَا عَوَجًا وَهُم بالآخرة هُمُ كَافُرُونَ) الآية / ١٩ ، قال الزمخشري : وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة كفرون) الآية / ١٩ ، قال الزمخشري : وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به (١).

وتلفت هذه الدلالة النظر من جهة عدم ورودها عند جمهور النحاة خلافا للسهيلي، وبالتالي فإن عدها وظيفة أساسية لضمير الفصل، ربما لا يتمشى بشكل مباشر مع رؤية النحاة، بقدر مناسبتها للمنهج التفسيري.

ويمكن القول فى هذا المقام إن التخصيص مفاد من تعريف المسند إليه والمسند (أل) فى الآية الأولى، وأن التخصيص فى الآية الثانية للذين يضلون عن سبيل الله، هم المختصون بالكفر بالآخرة .

وتقودنا هذه الملاحظة السابقة إلى ذلك الجدل الدائر في الفكر اللغوى الغريم حول هل الضمير يؤكد الاسم أو يؤكد الصرف (أل) مثلا،

<sup>.</sup> IYI /Y (I)

<sup>.</sup> Y11 /Y (Y)

ومن خلال هذا التساؤل يعرض رولاند هارقيج: (Roland Harweg) لعدد من آراء الباحثين الذين يختلفون فيما بينهم، فمنهم من يقول إنه يؤكد الاسم... ولا يخلص الباحث في النهاية إلى رأى خاص حول هذه القضية : لأن الاختلافات حادة ومختلفة تمام الاختلاف، على حد قوله(١).

وهذه الملاحظة على قدر كبير من الأهمية، خاصة أن المقصود منها تحديد الذى يؤكد هذا الضمير، وإذا كان الزمخشرى يرى أنه يؤدى وظيفة التوكيد، غير أنه لم يشر من قريب أو من بعيد على أى جزء من الجملة يقع هذا التأكيد، وبالتالى فإن هذه الملاحظة تمثل أهمية كبيرة فى هذا الموضع.

ويدعم التفتازانى هذه الرؤية على النمط الأول للزمخشرى بقوله: وهو أى كلمة (هو) للتخصيص، بمعنى أن الله يقبل التوبة لا غيره، والتأكيد بمعنى أنه يفعل ذلك ولا محالة لما سبق من أن ضمير الفصل يفيد ذلك، والخبر المصارع من مواقعه، وقيل التخصيص بالنسبة إلى رسول الله ﷺ ... بمعنى أن الله يقبل التوبة لا رسول الله، لما أن كثر رجوعهم إلى رسول الله ... لكن حق العبارة أن يقال: إنما الذي يقبل التوبة هو الله، والله هو الذي يقبل التوبة بدون كلمة إنما...(٢).

ويمكن فى هذا السياق أن نلاحظ شيئا ذا بال، ليس على ما ورد فى النص السابق التفتازانى فحسب، وإنما هى ملاحظة يمكن أن تكون عامة فى معالجة التفتازانى لضمير الفصل فى حاشيته على الكشاف، فلا يكاد يخلو تركيب يعالج فيه ضمير الفصل إلا ويذكر أنه يقصر المسند على

<sup>(</sup>۱) ينظر : Roland Harweg : Pronomina und Textkonstitution, S. 14, 20 .

<sup>(</sup>٢) التفتازاني : حاشية سعد الدين التفتازاني على الكشاف ورقة ٢٤٥ .

المسند إليه؛ بمعنى أن دلالة القصر تعد أساسية بالنسبة له، ولا أدل على ذلك من أنها تأتى عنده تارة مع التوكيد؛ ومرة أخرى مع التخصيص، وثالثة منفردة (١).

ومن جهة أخرى تغيدنا هذه الملاحظة إلى العلاقة القائمة بين التخصيص والقصر، إذ كل منهما يدعم الآخر ويقويه، فالتخصيص هو قصر شيء على شيء آخر، ومن هنا نرى التلازم والتقارب الدلالي بين معنى المصطلحين .

وريما كانت رؤية التفتازاني في ذكره القصر في الدلالات المختلفة؛ لأنه ريما ارتبط هذا المصطلح - القصر - وشيوعه في عبارات البلاغيين، أو شرح حواشي البلاغيين.

وتتضح العلاقة القائمة بين القصر والتوكيد فى: زيد الحاضر، وزيد هو الحاضر، وزيد الحاضر، وزيد زيد الحاضر، فالأول: إخبار بالمعرفة على معنى القصر، والثانى: توكيد لمن شك فى. (زيد) أو ظن المحكلم أن المخاطب كان ساهيا، فلم يسمع كلمة (زيد) أو ظن أنه انصرف ذهنه، فكرر له زيدا؛ لتزول هذه الاحتمالات. وأما الرابعة: لغير ذلك، إنها لتفخيم الأمر وتعظيمه، والضمير هو فى الجملة الرابعة غيره فى الجملة الثانية، وهو ليس زيدا... (").

ويدل ضمير الفصل على (التقرير والتوكيد) بثلاثة أنماط، في المرتبة الثالثة، ففي قوله تعالى ( قُلْنا لا تَخَفْ إِنْكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ) سورة طه

<sup>(</sup>١) ينظر : الإيضاح هذه الملاحظة التفتازاني : حاشيته على الكشاف ورقة : ٣٦، ٣٦، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢٢٠ ، ١٨٨ على سبيل المثال لا الحصر .

<sup>(</sup>٢) د. فاضل السامرائي : معاني النحو ١/ ٦٤ .

آية/ ٦٨ (١)، وفي قوله تعالى في سورة المائدة آية/ ١١٦ (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنِّكَ أَنتَ عَلاَمُ الْغُيُوبِ )(٢) .

وثمة ملاحظة يمكن أن أشير إليها في هذا السياق وهي أن مصطلحى: التقرير والتوكيد، لا تعارض بينهما من الناحية الدلالية، إذ التقرير في حقيقته إرادة حمل المخاطب على الإقرار بشيء هو عليه، أي توكيده، ومن ثم تتضح عبارة الكوفيين في أن ضمير الفصل يسمى دعامة؛ لأنه يدعم به الكلام، أي يقوى به ويؤكد (٣).

ومن هنا يبدو بوضوح أهمية عبارة الكوفيين ومغزاها، كما يظهر أن آراءهم ترتكز على واقع منطقى، ومن هنا تتضح العلاقة القائمة بين استخدام المصطلحين فى دلالة واحدة، أو تعبير آخر بين المصطلح والمغزى الدلالى له .

وتقودنا هذه الملاحظة السابقة إلى ملاحظة أخرى ذات بال، وهى استخدام الزمخشرى للمصطلحين هنا، بل وفى سائر دراساته استخدم فى الدلالة الواحدة أكثر من مصطلح، كما فى الدلالتين السالفتين .

ويلمح الباحث ملمحا مهما، أن استخدام الزمخشرى أكثر من مصطلح فى دلالة واحدة، ريما يحاول من أن يؤكد هذه الدلالة ويوضحها، وذلك باستخدام أكثر من مصطلح، وريما يشير استخدامه لأكثر من مصطلح فى الدلالة الواحدة أنه لا تعارض بين المصطلحين المستخدمين، كما يلاحظ أن الزمخشرى كثيرا ما يستخدم فى تفسير القرآن الكريم عبارات ومصطلحات بلاغية وهذا له دلالته على ما سيتضح.

<sup>. ££+ /</sup>Y (1)

<sup>.</sup> TYT /1 (Y)

<sup>(</sup>٣) ابن يعيش : شرح المفصل (أ) ٣/ ١١٠ ، السيوطى : همع الهوامع ١/ ٦٨ .

ويمثل الزمخشرى بنموذج واحد أن ضمير الفصل يشير إلى أن الوارد بعده خبر لا صفة، كما في قوله تعالى في سورة البقرة / ٥ ( أُولَيْكُ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١) .

ويحلل ابن يعيش رأى الزمخشرى بغلسفة تتمشى ومذهبه الاعتزالى بقوله: وإنما اشترط أن يكون بين المبتدأ والخبر أو ما دخل عليهما مما يقتضى الخبر، نحو قولك: زيد هو القائم؛ لأن الذى بعده معرفة يمكن أن يكون نعتا لما قبله، فلما جئت به فاصلة بين أنك أردت الخبر، وأن الكلام قد تم لفصلك بينهما، إذ القصل بين النعت والمنعوت قبيح(٢).

وتقوم هذه الرؤية عند الزمخشرى وغيره من النحاة والبلاغيين على أن الخبر في ذاته صفة للمبتدأ الموجود، ومن هذا رأى النحاة والبلاغيون، أنه قد يختلط الأمر على القارئ فيقع في خلط وتداخل، ومن ثم رأوا أن من وظائف هذا الضمير في التركيب تجنب التفسير الخاطئ للتركيب، أو بتعبير آخر، فهم أن ما ورد بعد الضمير هو الخبر، وسأفصل القول في هذه الجزئية في موضع آخر من الدراسة عند الحديث عن المهتدأ.

ويشير الزمخشرى إلى أن ضمير الفصل يقع بين معرفتين وذلك فى نمط واحد، فى النازعات آية/٣٩ ( فإنَّ الْجَعِيم هِيَ الْمَأْوَى) ويختلف الصمير هنا. عن المواضع السابقة، إذ يحتمل رأيين : إما أن يكون فصلا أو مندأ (٢).

وفى هذا عدم تمييز بين عنصر جوهرى (عمدة) إذا حذف اختلف المعنى، وبين عنصر إضافى إذا حذف لا يختل معنى الجملة، ويكون

<sup>. 10 /1 (1)</sup> 

<sup>(</sup>٢) ابن يعيش : شرح ابن يعيش (ب) ١/ ٢٣١ .

<sup>. 1147 / ( ( )</sup> 

مجيئه لأداء وظيفة محددة، فإذا اختير الفصل فلا تكرار، وإنما هي إحالة إلى متقدم، ويكون التوكيد معنويا للركن الأول أو الثاني أو لكليهما معا، أما إذا اختير الابتداء، فالمبتدأ الثاني تكرار للأول، وفي ذلك توكيد لفظي للركن الأول من الجملة .

ويوضح ابن يعيش أسباب عدم وقوع ضمير الفصل إلا بين معرفتين: وإنما وجب أن يكون بعد معرفة، لأن فيه ضربا من التأكيد ولفظه لفظ المعرفة، فوجب أن يكون الاسم الجارى عليه معرفة؛ لأنه لا يكون ما بعده إلا ما يجوز أن يكون نعتا لما قبله ونعت المعرفة معرفة، فلذلك وجب أن يكون بين معرفتين (1).

وبالتالى فإن ضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين بصفة عامة، غير أن الزمخشرى يجد أنماطا لا تتوفر فيها هذه الشروط، فيحاول جاهدا أن يؤوله ويجد له مخرجا، كما في قوله تعالى في سورة غافر/٢١ (... كَانُوا هُمُ أَشَدٌ مِنْهُمْ قُوّةٌ وَآثَارًا فِي الأَرْضِ...)، قال الزمخشرى: قلت: أشد قد ضارع المعرفة في أنه لا تدخله الألف واللام فأجرى مجراها(٢).

ووضع الزمخشرى الإطار النظرى لهذه الرؤية في المفصل<sup>(٣)</sup>، ومن ثم نجده يحاول أن يجد مخرجا لهذه الأنماط التي لا تتفق ظاهرا مع الشروط العامة التي وضعها النحاة.

وفى مناقشة قضية دخول اللام على ضمير الفصل موضحا العلاقة بينه وبين الخبر؛ لأن اللام تدخل على الخبر من باب المجاوزة، وبالتالي

<sup>(</sup>١) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١/ ٢٣١، ٢٣٢ .

<sup>.</sup> T77 /T (Y)

<sup>(</sup>٣) المفصل (ب) ص ٥٣ .

فإن دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ() منه وأصلها أن تدخل على المبتدأ كما في قوله تعالى ( إنَّ هَذَا لَهُو الْقَصَصُ الْحَقُ وَمَا مِنْ إلَهُ إِلاَّ اللهُ) آل عمران/ ٦٢ . على أننى أوضح جزئية مهمة تتعلق بضمير الفصل، أشار إليها ابن يعيش : بأن هذا الضمير لا يتعلق له حكم في باب إن وأخواتها وباب المبتدأ والخبر؛ لأن أخبارها مرفوعة ... ولكن تحديد هذا الضمير لنية المتكلم وإرادته، ولعل رأى ابن يعيش هذا يرجع فحواه إلى أن هذا الضمير مع إن والمبتدأ أو الخبر، ويكون اسم إن والخبر كلاهما مرفوعاً، وبالتالى لا يعرف أهو مبتدأ وما بعده خبر ؟ إلا بالنية التي يريدها المتكلم، فلايظهر الفرق معهما في اللفظ، وإنما يظهر مع الفعل؛ لأن أخبارها منصوبة، نحو : كان زيد هو القائم ()) .

وينتقد ابن يعيش رأيه هذا في موضع لاحق بأن هذا الضمير يمتنع دخول الألف واللام عليه؛ لأن الألف واللام تعاقب؟ فلا تجامعهما فجرى مجرى العلم، نحو: زيد وعمرو في امتناعه من الألف واللام، وليس بمضاف مع أن من تخصصه؛ لأنها من صلته فطال الاسم بها فصارت كالصلة للموصول(٣).

معنى هذا أن ضمير الفصل لا يفيد التوكيد فقط؛ لأن: لام التأكيد تدخل على الفصل ولا تدخل على التأكيد والبدل، فتقول: إن كان زيد لهو العاقل، وإن كنا لنحن الصالحين، ولا يجوز ذلك في التأكيد والبدل؛

<sup>. 197 /1 (1)</sup> 

<sup>(</sup>٢) ابن بعيش : شرح المفصل ١ (ب) / ٣٣١ .

<sup>(</sup>٣) السابق: ١ (ب) / ٣٣٢ .

لأن اللام للفصل بين التأكيد والمؤكد والبدل والمبدل منه، وهما من تمام الأول في البيان(١) .

وهذا يعنى أن ضمير الفصل لا يأتى للتوكيد، وقد رأينا دلالات مختلفة، استطاع الزمخشرى أن يستغل كافة الوسائل والأدوات المتاحة له، وبذلك قدم لهذا الضمير دلالات مختلفة من خلال الأنماط التى عالجه فيها، ومن ثم اختلفت نظرته كثيرا أو قليلا عن نظرة النحاة والبلاغيين على السواء .

وإذا كانت معالجة الزمخشرى قد جاءت فى مواضع متفرقة من تفسيره، فإن التفتازانى فى حاشيته على الكشاف قدم وظائف ثلاثا: الأولى: أن ما بعده خبر لا نعت... الثانية: تأكيد الحكم لما فيه من زيادة الربط،... الثانثة: إفادة قصر المسند على المسند إليه بشهادة الاستعمال فى مثل: إن الله هو الرزاق، وكنت أنت الرقيب عليهم...(٢).

ومن هذا يلغت الباحث إلى جزئية مهمة في نهاية هذا المبحث بأنه لا قوة في أداء المعنى بالنسبة لضمير الفصل فيما يقوله بعض النحاة من إنه يفيد الابتداء؛ لأنه بناء على هذه الاعتبارات المنتشرة في هذا المبحث تكون قيمته لفظية أكثر منها معنوية، أما على الاعتبار الثاني فتعد قيمته معنوية، وبالتالى تكون قيمته أكبر وفعاليته في التركيب أسرى وأوضح .

وانتهى ابن يعيش من مبحث ضمير الفصل من رفض أن يكون ضمير الفصل من الاسم أو الصفة أو الفعل، وبالتالى تقريه هذه الرؤية من الحرف، التي أشرت إليها في التوطئة عن الضمير.

<sup>(</sup>١) التفتازاني : حاشية سعد الدين التفتازاني على الكشاف ورقة ١٧٨ .

<sup>(</sup>٢) محمد اليعلاوى : ملاحظات في لغة القرآن ص ٥٩ .

وإذا كان ضمير الفصل يمثل عنصرا إحاليا إلى المشار إليه، وبالتالى فإن ضمير الربط يمثل عنصر الإحالة فى التركيب، والاسم المشار إليه يمثل العنصر الإشارى، ولا يكتفى الضمير بالربط بين هذه الأجزاء، بل يقوم بدور الربط بين ما هو بعده أو قبله، أى دور التفسير والشرح والتحليل، وتعد هذه الوظيفة وظيفة معنوية (١).

وتقودنا الملاحظة السابقة إلى أن الزمخشرى لم يشر صراحة إلى وظيفة الربط التى يؤديها الضمير على وجه العموم، غير أن الذى يمكن قوله إن الزمخشرى استخلص دلالات كثيرة لضمير الفصل: كالتوكيد والاختصاص... وهذه الدلالات فى الواقع تعمل على ربط أجزاء الكلام عن طريق الإحالة فالضمير (هو) مثلا يؤكد شيئا يعود عليه، ومن خلال العودة إلى السابق أو اللاحق يستطيع الضمير أن يؤكد أو يخصص، يؤكد ويخصص، يقرر ويؤكد، يكمل... كل هذه الوظائف يعمل الضمير من خلالها على ربط أجزاء النص عن طريق الإحالة.

وبالتالى فإن الباحث يختلف مع اليعلاوى حول رؤيته بأنه: لا يجرى الفصل (ذلك) كمبتدأ وخبره على وتيرة واحدة، فتارة يفصل بينهما الضمير (هو)، وتارة يعتمد على المعنى وحده لإجراء هذا الفصل ففى مثل هذه الآية (وذلك ألفوز ألفطيم) النساء /١٣، التى تكررت خمس عشرة مرة، نجد ضمير الفصل مذكورا فى سبع آيات، ولا نجده فى ثمان، دون أن يكون لإثباته أو لتركه مرجح، إذ يكفى السياق لمعرفة المعنى، ولا سيما أن الكلمة الأخيرة، نظرا لما فيها من نغم طويل، لا تبقى شكاً فى انتهاء الآية، فلا خوف أن يلتس الخبر ببدل الإشارة، فيقرأ قارئ

Peter, Polenz: Deutsche Satzsemantik: Grundbegriffe des zwischen den - Zei- (1) len - Lesens. S. 223.

(وَذَلِكَ الْفُوزُ الْعَظِيمُ) وينتظر بقية، أي خبرا للفوز المنعوت بالعظيم (١) .

ورأى اليعلاوى لا غبار عليه فى عمومه، بيد أن ثمة جزئية تسترعى الانتباه، وهى: أن ذلك وربت خمس عشرة مرة، ذكر ضمير الفصل فى ثمان، ولم يذكر فى سبع آيات، ويذكر أن إثبات الضمير أو حذفه دون مرجح، وهذا محل نظر.

وأحاول مناقشة نص الآية التي أشار إليها اليعلاوي (ودَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) النساء/ ١٣، غير أنني أتناول فقط ما جاء في سورة التوبة، إذ ورد هذا النمط القرآني أربع مرات فيها، في الآية : ٧٧، ٨٩، ١٠٠، ١١١، أي ما يمثل ٢٦,٧ ٪ مما جاء في القرآن، بناء على إحصائيات اليعلاوي السابقة .

ونستعرض أولا سياق الآيتين اللتين وردا فيهما ضمير الفصل، فنجد ذلك في الآية ٧٧ – ١١١، ففي الآية / ٧٧ ( وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَاللّهُ اللّهِ الْحَبْدِينَ فِيها وَمَسَاكِنَ طَيِّهَ في جَنَّاتَ عَدْنُ وَرِضُوانً مَنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُو الْفُوزُ الْعَظِيمُ ) وقبل هذه الآية، الآية / ٧١ من السورة ذاتها، ذكر الله عز وجل صفات هؤلاء المؤمنين والمؤمنات (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللّهَ عَرِيزً اللّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيْرُ حَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللّهَ عَرِيزً حَكِيمٌ ).

ومن ثم فإن هذه الصفات التى يتصف بها المؤمن والمؤمنة لابد أن تكون جميعا مقترنة به، ومن ثم لا يمكن أن تختل صفة من هذه الصفات، وإلا يختل بالتالى رصيده الإيماني، بناء على اختلال الصفات

<sup>(</sup>١) محمد اليعلاوى : ملاحظات في لغة القرآن ص ٥٩ .

الواردة، ومن ثم تأتى الآية التالية مباشرة؛ لتقدم المقابل للتمسك بهذه الصفات، ولما كانت صفات كثيرة والنفس تجنح إلى التفلت والسعى وراء الشهوات، وضع الله تعالى نتيجة لمن يتمسك بهذه الصفات ( جنات تجرى من تحتها الأنهار... ومساكن طيبة في جنات عدن... ورضوان من الله أكبر) وختم الآية بالتأكيد والتعظيم وذلك من خلال استخدام ضمير الإشارة (ذلك) بالإضافة إلى وجود ضمير الفصل (هو)، ومن ثم نجد أن السياق يحتاج إلى هذه المؤكدات، ولم تأت عرضا .

فجاءت الصفات — النتيجة — توكيد هذه النتيجة، ومن هذا فإن الترتيب طبيعى وذلك للتمسك بالصفات السابقة وحرصا على الفوز بالنتيجة .

أما الآية (111) من السورة ذاتها (إنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمُوالَهُم بِأَنْ لَهُمُ الْجُنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتُلُونَ وَعُدًا عَلَيْه حَقًا فِي اللَّهِ اللَّهِ فَيقَتْلُونَ وَيُقْتُلُونَ وَعُدًا عَلَيْه حَقًا فِي اللَّه فَاسْتَبْشُرُوا بَيْعِكُمُ اللَّذِي بَايَعْتُم بِه التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنَ وَمَن أَوْفَى بِعَهْدَه مِنَ اللَّه فَاسْتَبْشُرُوا بَيْعِكُمُ اللَّذِي بَايَعْتُم بِه وَذَٰلِكَ هُو الْفَوزُ الْعَظِيم ) . فالسياق فَيها سياق تصحية بالنفس في سبيل الله ... ولزيادة في الحث جاء توكيد النتيجة (بأن لهم الجنة) ... وذلك هو الفوز العظيم ، باستخدام (ذلك) التي تدل على بعد مرتبة الشهيد والشهداء وعلوها، وتوكيدها بضمير الفصل (هو) لما في التضحية بالنفس من شق على النفس .

وهكذا نجد فى الآيتين السابقتين أن المؤمن والمؤمنة مطالب بعمل هذه الصفات وسواء أكان مما جاء فى آية / ٧٢، أم ما جاء فى الآية / ١١١ ؛ لأن ثمة بعض الناس (المؤمنون) قد يتكاسلون عن صفة من هذه الصفات، ومن ثم جاء المقابل لمن يقوم بهذه الصفات فى الآيتين وجاء

معه التوكيد لزيادة الحث والتمسك بها، وذلك بخلاف الآية (٨٩) من السورة ذاتها، (أعد الله لهم جنات تَجْرِي مِن تَحْتها الأَنهارُ خَالدينَ فِيها ذَلكَ الْفُورُ الْعَظِيمُ). وذلك لأن الآية السّابقة (لَكن الرّسُولُ وَالّذينَ آمَنُوا مَعهُ جَاهدُوا الْفُورُ الْعَظِيمُ) وذلك لأن الآية السّابقة (لَكن الرّسُولُ وَالّذينَ آمَنُوا مَعهُ جَاهدُوا بِأَمْوالهِمْ وَأَوْلَئكَ لَهُمُ الْحُفْلِحُونَ) آية / ٨٨ من السورة ذاتها، وبالتالي فإن التأكيد جاء في الآية / ٨٨، بضمير الفصل (هم)، وهكذا جاءت الآية / ٨٩، لا تحتاج إلى مؤكد، بناء على وجوده في الآية السابقة، وإنما جاء استخدام (ذلك) لمناسبة ذلك الفوز وعلو منزلته، وهكذا فإن عدم وجود ضمير الفصل بناء على مقتضى سياقى تحتمه السياقات المختلفة، وليس لإثباته أو تركه مرجح، كما ذهب اليعلاوي .

وفى الآية / ١٠٠ (والسَّابِقُونَ الأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصارِ وَالذين اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانَ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ وَأَعَدُّ لَهُمْ جَثَّاتَ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالدينَ فَيِهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) .

وفى آية / ٨٩ نجد... خالدين فيها، وفى آية / ١٠٠ (خَالدينَ فيها أَبدُ ...) وهكذا نجد مؤكدا آخر فيما أحسب – أبدا –، أى ليس باستخدام صمير الفصل فى هذه الآية، وإنما باستخدام مؤكد من نوع آخر – أبدا – وهكذا نجد فى كل آية سياق مختلف، وباختلاف السياق ربما يختلف المؤكد، ويختلف التركيب سواء بوجود (المؤكد) أم بعدم وجوده، حسيما يقتضى السياق.

ومن ثم نجد وجود الضمير فى النص لحيثية وعدم وجوده يتطلبه السياق، وهكذا نجد رأى اليعلاوى السابق يحتاج إلى إعادة نظر فى ضوء قرائن السياقات المختلفة .

ومن خلال ما سبق نتبين أن صمير الفصل يشير إلى عنصر إشارى سابق، سواء أكان داخل النص أم خارجه، أم كانت هذه الإشارة إشارة معجمية، أى إشارة إلى كلمة محددة، أو إشارة نصية، أى جزء من نص أو مقطع من الكلام .

ويمثل رأى لايونز السابق خلاصة القول - فيما أظن - فيما جاء عند الزمخشرى حول الوظيفة الأساسية؛ بمعنى أن هذه الدلالات الواردة عند الزمخشرى على سبيل المثال تنضوى جميعها تحت هذه الوظيفة، إذ تعمل كل دلالة منفردة - فى الواقع - من خلال مبدأ الترابط بين عناصر النص المختلفة، بداية بالبنى الصغرى - متمثلة فى الصرفيميات - وانتهاء بالوحدات الكبرى - النص - .

## المبحث الثاني

## البنية الدلالية والإحالية لضمير الش

يرى النحاة أن ضمير الشأن - وكذلك الزمخشرى - ضمير غائب، مبهم، مفرد، يصدر الجملة، يفسره ما يليه، يقصد به التعظيم والتفخيم، خلافا للفراء فإنه - عنده - يجوز أن يفسر بمفرد مؤول(١).

ويفسر الزمخشرى إبهام الضمير في قوله تعالى من سورة البقرة / ٨٥ (... وَهُو مُعَرَّمٌ عَلَكُمْ إِخْراَجُهُمْ ...) بقوله : هو ضمير الشأن، ويجوز أن يكون مبهما تفسيره (إخراجهم) (٢) ، وفي هذه الآية نرى الزمخشري يطبق شروط النحاة في تفسيره لهذا الضمير، إذ فسره بلاحق، وهو : (إخراجهم) الذي ورد عقب الضمير (هو)، وبالتالي فإنه مفسر بما يليه، وهذه هي الرؤية العامة لجمهور النحاة .

وفى قوله تعالى فى الآية / ٣٧ من سورة المؤمنين (إنْ هِيَ إلاَ حَيَاتُنَا الدُّنيَا نَمُوتُ وَنَحْياً وَمَا نَحْنُ بَمَبُعُوثِينَ)، قال الزمخشرى: هذا صمير لا يعلم ما يعلى به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله: إن الحياة إلا حياتنا الدنيا، ثم وضع (هى) موضع الحياة؛ لأن الخبر يدل عليها ويبينها، ومنه: هى النفس تحمل ما حملت، وهى العرب تقول ما شاءت، والمعنى: لا حياة إلا هذه الحياة ...(٣)؛ لأن الإجمال ثم التفصيل بعده بقصد التفخيم بذكر الشيء أولا مبهما ثم تفسيره بعد ذلك، فيكون شوق النفس إليه أشد وتطلعها

<sup>(</sup>١) ينظر : المفصل (ب) ص ٥٤، الرضى : الكافية في النحو ٢/ ٢٨، ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٢٣٤، السيوطى : همع الهوامع ١ / ٦٦ .

<sup>.</sup> NAY / T (Y)

<sup>(</sup>٣) عباس حسن : النحو الوافي ١ / ٢٥٩ .

إلى التفسير أقوى؛ فيكون شوق النفس إليه أشد وتطلعها إلى التفسير أقوى، فيكون إدراكه وفهمه أوضح بسبب ذكره مرتين، مجملا فمفصلا أو مبهما فمفسرا(١).

وبالتالى فإن هذا الضمير مبهم كما وصفه الجمهور، ولا يفسر إلا بما يليه، وهكذا ورد عند الزمخشرى فى النصين السابقين له، بيد أن المفارقة بين ضمير الفصل يحيل إلى سابق، أن ضمير الفصل يحيل إلى سابق، أى يمثل عنصرا إحاليا إلى سابق، أما ضمير الشأن فيمثل عنصرا إلى لاحق أو إلى متأخر، وبالتالى تمثل هذه مفارقة بين الإحالتين أو الضميرين:

وفى قوله تعالى فى سورة الفرقان ( إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرَّا وَمُقَامًا) آية / 77 ، قال الزمخشرى : وهذا الضمير فى (ساءت) فى حكم (بنست) وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا . وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم إن وجعلها خبرا لها (٢) . وفى هذا النمط القرآنى يمكن أن نستخلص أكثر من ملاحظة ذات أهمية بالنسبة لمعالجة هذا الضمير .

أولاً: نجد الضمير في (ساءت) يفسر بما يليه، أي أنه يمثل عنصرا إحاليا إلى متأخر، وتمثل هذه رؤية النحاة، بناء على أنه لا يفسر إلا بما يليه .

<sup>.</sup> Y9Y / T (1)

Heinz Vater: Einführung in die Textlinguistik, S. 109, 110. (7)

ثانياً: يشير الزمخشرى في هذا النص إلى دلالة أساسية لهذا النصمير (الربط)، وهذه الدلالة لا تقل أهمية عن الدلالة الأساسية، أعنى الوظيفة المباشرة – التفخيم والتعظيم – التي أشار إليها النحاة والزمخشرى، وإذا كان الزمخشرى قد أشار إلى وظيفة الربط بطريقة مباشرة في مواضع يسيرة ومقننة، فهذا من جهة يعني أن الزمخشرى يضيف بصريح القول وظيفة أخرى زيادة على ما جاء عند النحاة.

وبالتالى فإن هذه الرؤية القديمة تلتقى مع الحديثة، وتكمن المفارقة بينهما فيما أحسب أن الرؤية القديمة محددة ومقننة، والرؤية الحديثة موسعة، خاصة وأن ثمة كثيرا من الدراسات الأوربية قد أولت هذه الوظيفة - الربط - للضمير قدرا كبيرا من العناية والاهتمام بجانب الوظيفة التى أشار إليها النحاة .

ومن ثم فإن إحالة الضمير التى أشار إليها الزمخشرى، وقد ناقش الباحث جوانب منها أثناء مناقشة ضمير الفصل والتى سيشير إليها فى موضع لاحق من معالجة هذا الضمير وأثناء معالجة ضمير الإشارة فيما يلى، تمثل وظيفة أساسية وإن كانت بطريقة ضمنية .

بيد أن الزمخشرى فى مواطن كثيرة من تفسيره للقرآن الكريم يشير إلى عملية ربط الضمير عن طرق الإحالة سواء بالسابق أم باللاحق، وهذه الإحالة هى التى تعمل على ربط السابق باللاحق، أى تماسك بنية النص وترابط العناصر المكونة له. وإذا كان الزمخشرى قد صرح في مواضع يسيرة بوظيفة ضمير الشأن، أن الشيء إذا أبهم ثم فُسر أو وضع كان تفخيما لشأنه، فإنه في مواضع أخرى لم يشر إلى الوظيفة بطريق مباشر، وإنما يكتفى بأنه ضمير مبهم تفسره الجملة بعده، وبالتالى بناء على تلك الأنماط التى أشار فيها الزمخشرى إلى أنه مبهم يفسره بما يتلوه من جملة، أن الغرض منه أيضا التفخيم والتعظيم، قياسا على تلك الأنماط الأخرى، أخذا بمبدأ القياس اللغوى .

وأحاول الآن أناقش بعض تلك الأنماط التي أشار فيها الزمخشري إلى هذه الملمح، ففي قوله تعالى في / ٩٧ ( وَاقْتَرَبَ الْوَعُدُ الْحَقُ فَإِذَا هِي شَاحَصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...) نجده يشير إلى أن (هي) ضمير مبهم توضحه الأبصار وتفسره ... (١)، وفي قوله تعالى في الحج/ ٤٦ ( ... فإنّها لا تعمى الأبصار وكن تعمى القُلُوبُ التي في الصّدُور) يذهب الزمخشري إلى أن لا تعمى المُناور والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا ... ويجوز أن يكون مبهما يفسره (الأبصار) وفي تعمي ضمير راجع إليه ... (١) . وجاء في سورة الشعراء / ١٩٧ ( أولَمْ يكُن لَهُمْ آية أن يَعْلَمُهُ عُلَماء بني إسرائيل) ، قال الزمخشري : فقيل في (تكن) ضمير القصة و (آية أن يعلمه) جملة واقعة موقع الخبر، ويجوز على هذا أن يكون (لهم آية) جملة الشأن و (أن يعلمه) بدلا عن آية ... (١) .

ويلاحظ على هذه الأنماط التى عالج فيها الزمخشرى ضمير الشأن هنا أنه لم يشر إلى وظيفته التى أشار إليها النحاة والتى أشار إليها هو في مواضع أخرى من القرآن الكريم، وإنما اكتفى بأن هذا الضمير يعود إلى لاحق يفسره ويوضحه، كما جاء في آية كل من : الأنبياء والحج

<sup>. 11 / 1 (1)</sup> 

<sup>. 177 / 17 (1)</sup> 

<sup>. 177 / 7 (7)</sup> 

والشعراء، وهذه العودة إلى متأخر بالنسبة لصمير الشأن تمثل مجمل آراء النحاة بالنسبة لإحالة صمير الشأن إلى متأخر (لاحق) .

وتنكشف دلالة هذه الأنماط أكثر وذلك بمقارنتها في إطار الأنماط الأخرى التي يرى فيها الزمخشرى أن إضمار ما لم يسبق نكره فيه فخامة لشأن صاحبه كما في الأنماط التالية: ففي قوله تعالى (قُلْ مَن كَانَ عَدُواً لَجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلُهُ عَلَى قَلْبِكَ بإذْن الله) البقرة /٩٧، نجد الزمخشرى يعرض لوظيفة هذا الضمير بقوله: والضمير في (نزله) للقرآن، ونحو هذا بالإضمار، أعنى إضمار ما لم يسبق ذكره – فيه فخامة لشأن صاحبه، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل عليه، ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته (۱).

وفى نص الزمخشرى نجد الإحالة فى الصمير (نزله) يحيل إلى إحالة محددة - القرآن - إلا أن الإحالة هنا ليست إلى سابق محدد أو إلى لاحق محدد، وإنما هو مفهوم من السياق المقامى؛ لأن الكلام يدل عليه كما فى قوله تعالى فى البقرة / ١٤٦ ( الله ين آتينا هُمُ الْكتَابَ يَعْرفُونَهُ كَما يَعْرفُونَ أَبناء هُمْ ) قال الزمخشرى : وإن لم يسبق له ذكر؛ لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع، ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته علما معلوما بغير إعلام، وقيل الضمير للعلم أو للقرآن أو لتحويل القبلة ... (٢) .

ويتفق هذا النص السابق للزمخشرى فى البنية الدلالية، أعنى أن الضمير فيهما يدل على التفخيم، حسب ما ورد عند الزمخشرى، وتمثل هذه نقطة التقاء بين النصين، أما النقطة الثانية فيما يخص الإحالة، فى النص الأول واحدة ومحددة، أما النص الثانى فنجد الزمخشرى لم يجزم

<sup>(</sup>۱) ۱ (ب) / ۱۲۹ .

<sup>(</sup>۲) ۱ (ب) ۱ (۲)

بإحالة واحدة، وإنما ذكر إحالات ثلاث : العلم، القرآن، تحويل القبلة .

أما إحالة الضمير إلى العلم، فبالتالى نجد الضمير يحيل إلى سابق محدد فى ذات الآية (الكتاب) ويفسر هذا بما جاء فى قوله تعالى فى ذات السورة فى الآية : 188 ( وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكَتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُ...) ومن ثم فالذين أوتوا الكتاب، هم أصحاب العلم الذين أشار إليهم الزمخشرى، وبالتالى فإن الإشارة إلى متقدم، أما الإحالة إلى القرآن، فلا أرى لذلك وجها؛ بناء على أن الضمير يعود على الكتاب والمقصود به التوراة، كما ورد فى الإحالة الأولى، وكما ورد فى التفاسير أن الصحابة – رضى الله عنهم - جلسوا يوما يتدارسون القرآن، وكان كعب الأحبار حاضرا – وكان يهوديا – فلما بلغوا هذه الآية، قال كعب رضى الله عنه والله كنا نعرف ولا نشك فيه أكثر من أبناءنا؛ لأن صفاته موجودة أمامنا لا نشك فيها، أما أولادنا فيمكن أن تكون زوجاتنا قد خانتنا فيه، ونحن لا نعرف، فقام عمر فقبل رأسه، وهذه الرواية تعضد أن الضمير يعود على الكتاب – التوراة – في ذات الآية .

وريما تحتمل أن المقصود ما جاء في قوله تعالى (... مِنْ بعد مَا جَاءَكَ مِنَ الْعُلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ) البقرة / ١٤٥ ، وبالتالى فإن الإحالة إلى متأخر، بناء على أن الآية (١٤٥) من السورة، أي إلى متقدم في الآية (١٤٤) .

أما الإحالة الثالثة بتحويل القبلة، فإنها تحيل إلى متقدم، بيد أن الإحالة هنا تختلف عن الإحالة إلى (الكتاب) فكلاهما إلى متقدم، إلا أن الإحالة في الكتاب في ذات الآية، أما الإحالة في تحويل القبلة فإلى متقدم ليس في الآية، بل في الآية السابقة لها ومن ثم فالتصور للإحالة الأولى

أضيق فى الربط، فى حين أن تصور الإحالة الثانية أوسع فى ربط بقية النص . وهنا تكمن المفارقة بين الإحالتين.

والموضع الثالث الذي أشار فيه الزمخشري إلى وظيفة هذا الصمير في قوله تعالى من البقرة / ١٢٧ ( وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمِ) البقرة، قال الزمخشري: قلت : في إيهام القواعد وتبدينها بعد الإبهام ما ليس في إصافتها لما في الإيصاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين (١).

وفى هذه النصوص الثلاثة، نحد الزمخشرى يعرص الوظيفة الأساسية لضمير الشأن، بل يلاحظ أن الزمخشرى يؤكد هذه الوظيفة فى كل نص على حدة، وهذا ما يؤكد أن هذه وظيفة أساسية بالنسبة لهذا الضمير، بل هى الوحيدة التى ارتأها النحاة، وأكدها الزمخشرى فى كل نمط دلالة على أهميتها .

ونلاحظ على هذه الأنماط الثلاثة التى أشار فيها الزمخشرى إلى الوظيفة الأساسية – عند جمهور النحاة – لضمير الشأن (أن الإيضاح بعد الإبهام فيه تفخيم لشأن المبين) ولم يحدد الزمخشرى فى الأنماط الثلاثة ضميرا بعينه، وإنما جاءت عباراته فى الأنماط المختلفة : أن الإيضاح بعد الإبهام فيه تفخيم لشأن المبين، ومن ثم نراها رؤية عامة – بدليل ذكره الضمير – بمعنى أى ضمير، والمقصود به هنا ضمير الشأن الذى ينصب عليه الحديث فى هذا الموضع، إذا أبهم، ثم فسر أدى بالتالى الدلالة المقصودة منه، وبالتالى فإن الأنماط التى ذكر فيها الزمخشرى أن هذا الضمير تفسره وتوضحه تلك الجملة التى تليه، أى أن هذا الضمير

<sup>(</sup>۱) ۱ (ب) / ۱۸۸ . يشير الرمز (ب) إلى طبعة «الكشاف» الصادرة عن دار الكتاب اللبناني، ۱۹۸۳.

مبهم، ثم يوضح بما يلحقه من تركيب، أى أنه يفيد التفخيم والتعظيم، بطريقة ضمنية، وإن لم يشر إلى ذلك بصريح العبارة .

وريما كان عدم ذكر الزمخشرى لدلالة هذه الأنماط، بناء على أن دلالتها لوضوحها وظهورها لا تحتاج إلى ذكر، على أساس أنه قد أشار في أنماط أخرى إلى دلالة ضمير الشأن على وجه العموم (التفخيم) خاصة إذا أبهم ثم وضح .

كما يلاحظ على قول الله تعالى في الحج / ٤٦ (... فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصَّدُورِ) (٢) أن الزمخشرى قد لمح فيها - كما لمح في آيات أخرى - أن الضمير في الآية راجع إلى (تعمى) أي الضمير (فإنها) يمثل عنصرا رابطا بما يليه، أي بالخبر، ومن ثم يكون دوره واضحا في عملية الربط، والتي تعد فيما أظن وظيفة لا تقل أهمية عما ذكره النحاة .

وإذا كنا يمكن أن نستنتج من خلال ما سبق أن الزمخشرى لم يذكر دلالة ضمير الشأن في كل الأنماط بناء على وضوحها وظهورها، اكتفاء بأن ما جاء في مواضع أخرى يدل عليها تجنبا للتكرار، فإنه كذلك لم يشر إلى وظيفة الربط في كل الأنماط، وإنما اكتفى بذكر بعض الأنماط، وفي أكثر الأنماط لم يشر إلا لعملية إحالة الضمير إلى سابق أو إلى لاحق وبالتالي إلى محدد، ومن ثم تكون الإحالة نصية، وسأرجئ الحديث عنها للستفادة منها في موضعها .

وقد أحصى الباحث الأنماط التي أشار فيها الزمخشري إشارة صريحة إلى دلالة ضمير الشأن فوجدها تسعة أنماط، ورغم قلة الأنماط التي يظهرها هذا الإحصاء، إلا أنها تعكس رؤية حقيقية للزمخشري وتوضح ملمحا عاما لهذا الضمير، ومن خلال تلك الأنماط يتضح أنه قد أشار إلى وظيفتين اثنتين لضمير الشأن، وهي : التفخيم والتعظيم في (سبعة) أنماط، والربط في (نمطين) . والشيء الذي يجمع بين هذه الأنماط جميعها أن الزمخشري يرى في كل نمط دلالة على حدة، إلا أنه يؤكد عملية الربط، أعنى الإحالة في كل نمط، وبالتالي يمكن القول ضمنيا إنه كان دائما يذكر الدلالتين في وقت واحد، أي أن الربط وظيفة عامة تشترك فيها كافة الأنماط المتناولة .

ويرى الرمانى أن قوله تعالى (إنه أنا الله الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) النمل / 9، الله الهاء فى أنه عماد، ذكرت على شريطة التفسير، وكذلك (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل) وليست بضمير يرجع إلى مذكور متقدم، وإنما هى متقدمة على شريطة التفسير لتفخيم الكلام(١١).

وبالتالى فإن رؤية الرمانى - رغم كونه معتزليا - تختلف عن وجهة نظر الزمخشرى حول هذا الضمير من وجوه: أن الزمخشرى يعد (الهاء) ضميرا، بناء على رأيه السابق، والرمانى لا يعده ضميرا، بل إنه عماد، ويلاحظ أن الاختلاف هنا إنما هو اختلاف شكلى فى استخدام المصطلح ليس أكثر.

ويتفق الزمخشرى والرمانى فى كون هذا الضمير يحيل إلى لاحق، إلا أن هذا عند الزمخشرى ليس على إطلاقه؛ لأن ثمة بعض النصوص عنده تحيل إلى لاحق وإلى متقدم، كما سيأتى .

ومن ثم فإن هذه الرؤية تمثل مفارقة عن الرمانى وعن النحاة فى أن واحد، ومن هنا كذلك نجد الرماني يتفق مع النحاة والزمخشرى فى أن هذا الضمير يعود على لاحق، أو قُدَّم لإفادة التفخيم .

<sup>(</sup>١) الرماني : معانى الحروف ١٤٥ .

وبالتالى فإن هذا الضمير مبهم كما وصفه الجمهور، لا يفسر إلا بما يليه، وهكذا ورد عند الزمخشرى فى النصين السابقين له، بيد أن المفارقة بين ضمير الفصل وهذا الضمير يحيل إلى سابق، أى يمثل عنصرا إحاليا إلى سابق، أما ضمير الشأن، فيمثل عنصرا إحاليا إلى لاحق أو إلى متأخر، وبالتالى تمثل هذه مفارقة بين إحالة الضميرين.

وإذا كانت الإحالة تمثل مفارقة بينه وبين ضمير الفصل، فإن ثمة مفارقة أخرى بينه وبين الضمائر عامة: أنه لا يحتاج إلى رابط به، لا يعطف عليه ولا يؤكد، ولا يبدل منه، ولا يتقدم خبره عليه، ولا يفسر بمفرد (۱) ... . فإذا كانت المفارقة بينه وبين ضمير الفصل يمكن أن نطلق عليها مفارقة خاصة، فإن مخالفته عن الضمائر الأخرى تمثل مفارقة عامة، وتعد هذه المفارقة العامة شروطا تحتاج إلى اختبار مدى موافقتها ومواثمتها لما جاء عند الزمخشرى من خلال هذا المبحث .

وإذا كان النحاة اشترطوا أن يفسر ضمير الشأن بما يتلوه، فإن هذا ليس على إطلاقه وإنما لابد: أن تكون خبرية، فلا يفسر بالإنشائية، وأن يصرح بجزئيته، فلا يجوز حذف جزء منها، فإنه به لتأكيدها وتفخيم مدلولها، والحذف مناف لذلك(٢).

وتقودنا هذه الملاحظة الموجزة إلى الشروط المختصة به: أنه لا يقدم الخبر عليه لئلا يزول الإبهام المقصود منه، ولا يؤكد لأنه أشد إبهاما من المنكر، ولا تؤكد النكرات، ولا يجوز حنف هذا الضمير لعدم الدليل

<sup>(</sup>١) السيوطي : همع الهوامع ١ / ٦٧، وينظر ابن هشام : مغنى اللبيب ٢ / ١٠٣ .

<sup>(</sup>٢) السابق ١ / ٦٦ .

عليه، إذ الخبر مستقل ليس فيه ضمير رابط، ولا يحذف المبتدأ ولا غيره إلا مع القرينة الدالة عليه (١) .

وإذا كانت هذه الشروط قد عرضتها منذ قليل، فإن ما جاء عند الرضى أكثر تفصيلا مما جاء عند السيوطى، وبالتالى أردت أن أثبت ما جاء عند الرضى فى هذا الموضع.

وإذا كان الزمخشرى في آية كل من البقرة / ٥٥، والمؤمنين / ٣٧، يرى الزمخشرى: أن الضمير لا يفسر إلا بما يليه... في خلاصة رأيه، فإنه في قوله تعالى (... إنّه يَرَاكُمْ هُوَ وَقَصِيلُهُ مِنْ صَيْتُ لا تَروْنَهُمْ) الأعراف/٢٧، قال الزمخشرى: فإن قلت: علام عطف وقبيله؟ قلت: على الضمير في يراكم المؤكد هو، والضمير في أنه للشأن والحديث، وقرأ اليزيدى بالنصب، وفيه وجهان: أن يعطفه على اسم إن، وأن تكون الواو بمعنى (مع)، وإذا عطفه على اسم إن وهو الضمير في أنه كان راجعا إلى بيس (٢).

وتنضوى رؤية الزمخشرى فى عرضه لقراءة اليزيدى بالنصب أنه يرى فيها وجهين، وتهمنا الملاحظة الأخيرة من رأيه: الضمير فى أنه كان راجعا إلى الشيطان، إن عرض احتمالية التركيب لهذا الوجه أو وجوه أخرى تؤكد موافقته للاحتمالين معا، ويما أن الزمخشرى عرض للاحتمالين معا، فإن هذا يعنى أن الضمير يحيل إلى لاحق وإلى سابق، أى أن رؤيته قائمة على الموافقة، وليس الرفض، وبالتالى إلى عودة الضمير إلى (الشيطان).

 <sup>(</sup>١) الرضى : شرح الكافية في النحو ٢ / ٢٨ . وينظر أبو حيان الأندلسي : ارتشاف الصنرب
 ١ / ٤٨٥ ، السيوطى : همع الهوامع ١ / ٢٧ ، ابن هشام : مخنى اللبيب ٢ / ١٠٣ .
 (٢) ٢ / ٥٩ .

ومن هنا فإن إحالة الضمير ليست إلى متأخر، وإنما إلى متقدم؛ لأن الشيطان ورد ذكره في بداية الآية الكريمة ٢٧ من سورة الأعراف (يا بني آدمَ لا يَفْتنتُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبُويَكُم مِّنَ الْجَنَّة يَنزعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرُونَهُمْ.) وبالتالى فإن رؤية الزمخشرى تختلف عن رؤيته في الموضعين السابقين، هذا من جهة، ومن ناحية أخرى تفارق رؤية النحاة.

وينتقد ابن هشام رؤية الزمخشرى لأنه: ملازم للإفراد فلا يثنى ولا يجمع .... وإذا تقرر هذا علم أنه لا ينبغى الحمل على ؟عليه، إذا أمكن غيره، ومن ثم ضعف قول الزمخشرى في آية (إنّه يَراكُم هُو وَقَبِيلُهُ) إن اسم ضمير الشأن، والأولى كونه ضمير الشيطان، ويؤيده أنه قرى وقبيله بالنصب وضمير الشأن لا يعطف عليه (١) .، فالزمخشرى خرق رؤية النحاة لأنه يعالج منهج يختلف عن رؤية النحاة، أي يتقبل كل الأوجه ولا يقف عند واحد .

وفى قوله تعالى: (... وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْفَافلينَ) يوسف: ٣، قال الزمخشرى: والصمير فى (قبله) راجع إلى قوله (ما أُوحَيْناً)، والمعنى : وإن والشأن والحديث من قبل إيحائنا إليك من الغافلين، أى الجاهلين به...(٢).

ومرة أخرى نجد مخالفة تؤكد النمط السابق، وأن الضمير في (فَلْهِ) يحيل إلى (مَا أَوْحَيْنًا)، بمعنى أن ضمير الشأن أو القصة يحيل إلى متقدم،

<sup>(</sup>١) ابن هشام : مغنى اللبيب ٢ / ٩٥ .

<sup>.</sup> YEY / Y (Y)

إذا ما وردت ما أوحينا في بداية الآية ذاتها ( نَحْنُ نَقُصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْفَافِلِينَ) يوسف / ٣، الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْله لَمِنَ الْفَافِلِينَ) يوسف / ٣، ومن ثم فإن الضمير يمثل عنصرا إحاليا إلى متقدم، وليس إلى متأخر، كما ذهب جمهور النحاة : -

وبالتالي فإن هذه الرؤية تخرج على قيود (قيد) النحاة في أنه يشير إلى جملة متأخرة تفسره، وتمثل هذه المغارقة خاصية أساسية في معالجة الزمخشري لهذا الضمير، أو في معالجة الضمير على وجه العموم، إذ أتاح لهم المنهج التفسيري والمادة المتناولة أن يقدموا مناقشة حول هذا الضمير في مواضع مختلفة، تعدت جدود وقيود النحاة، كما هي الحال عند الزمخشري . ويشترط النحاة — وكذلك الزمخشري — أن بعود الضمير على شيء محدد، بمعنى أنه لابد أن يحيل إلى شيء محدد ومقصود، أي لو أننا قلنا : زيد أخوه قائم، لا يعد الضمير في (أخوه) ضمير الشأن؛ لأنه بحيل إلى (زيد) وإنما إلى أخيه، وفي قوله تعالى (قل هو الله أحمد ...) الصمد: ١، قال الزمخشرى: إن قوله (الله أحد) هو الشأن، كقولك: هو زيد منطلق، كأنه قبل: الشأن هذا، وهو أن الله واحد لا ثاني له... الذي هو عبارة عنه، وليس كذلك : زيد أبوه منطلق، فإن زيدا والجملة بدلان على معنيين مختلفين، فلايد مما يصل بينهما(١) . وبالتالي بجيزم الزمخشري برفضه عودة الضمير على غيره، فإذا عاد على شيء آخر فلا بعد من هذا الضمير أو من هذا القبيل .

<sup>.</sup> YEY / E (1)

وإذا كان الزمخشرى قد اشترط أنه لابد أن يعود على محدد فما معنى قوله: لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتله ... وفي ذلك خروج على قيد أرجبه البصريون - وهو كناية عن جملة - فليس ذلك المشار إليه من ضمير الشأن في شيء؛ لأن مفسر الشأن لابد أن يكون مصرحا بجزئيتها(۱). وبالتالى فإن الزمخشرى بقيده السابق ينتقد رأيه حول ضمير الشأن، كما نقضه من الإحالة .

ومن هنا فإن هذا الضمير يتفق مع بقية الضمائر في مواضع، ويختلف معها في أشياء أخرى، يتفق معها في الإحالة فقط عند جمهور النحاة، حيث يحيل ضمير الفصل إلى سابق أو إلى متقدم، ويحيل ضمير الشأن إلى لاحق أو متأخر عند جمهور النحاة.

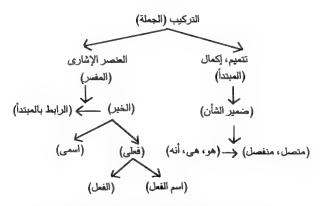
وقد أورد السيوطى عشرة أوجه يفارق فيها ضمير الشأن الضمائر الأخرى:

بأنه لا يحتاج إلى ظاهر يعود إليه بخلاف ضمير الغائب، فإنه لابد له من يعود عليه لفظا أو تقديرا، وأنه لا يعطف عليه ولا يؤكد ولا يبدل بخلاف غيره من الضمائر، وسر هذه الأوجه أنه يوضحه، والمقصود منه الإبهام، وأنه لا يجوز تقديم خبره عليه وغيره من الضمائر يجوز تقديم خبره عليه، وأنه لا يشترط عودة ضمير من الجملة إليه وغيره من الضمائر إذا كان خبره جملة لابد فيها من ضمير يعود إليه، وأنه لا يفسر المنمائر إذا كان خبره من الضمائر يفسر بالمفرد وأن الجملة بعده لها محل من الإعراب، وأنه لا يقوم الظاهر مقامه وغيره من الضمائر يجوز إقامة الظاهر مقامه، وأنه لا يكون إلا لغائب دون المتكلم والمخاطب لوجهين، الأول: أن المقصود بوصفه الإبهام والغائب هو المبهم؛ لأن المتكلم والمخاطب في نهاية

<sup>(</sup>١) السيوطى : همع الهوامع ١ / ٦٧ .

الإيضاح . الثاني : أنه في المعنى عبارة عن الغائب؛ لأنه عبارة عن الجملة التي بعده، وهي موضوعة للغيبة دون الخطاب والتكلم(١) .

وربما تتفق هذه الرؤية مع ما جاء عند النحاة، إلا أن ضمير الشأن عند الزمخشرى يعد عنصرا إحاليا ذا ضفيرتين، بمعنى أنه يحيل إلى متأخر، وتمثل هذه الرؤية رؤية الجمهور، والثانية تمثل وجهة نظر خاصة بالزمخشرى – وبالمفسرين – يخرج فيها الزمخشرى على قيد النحاة، ولم يقيد نفسه نتيجة إقامته منهج تفسيرى دلالى، أتاح له أن يقدم ملاحظات قيمة تعدت حدود قيود النحاة، ويمكن لو استغلت ووجدت من يطورها وينميها لأتاحت بحثى طيب.



شكل توضيحى رقم (٣) يوضح شكل الضمير الذى يا تي عليه ضمير الشاان والقصة وإحالته إلى سابق وإلى لاحق عند الزمخشرى

<sup>(</sup>١) السيوطى : الأشباه والنظائر في النحو ٢ / ١٦٥ .

ويلاحظ مبدئيا على نص الزمخشرى السابق فى عرضه لصمير الشأن أنه لم يعرض إلا للصفات التى تخص صمير الشأن ونماذج متنوعة تضمه، ولم يتناول الوظيفة الأساسية التى يقوم بها، وتكمن هنا مفارقة أخرى يمتاز بها صمير الفصل عن صمير الشأن، إذ عرض له وظيفتين فى المفصل، وضمير الشأن لم يعرض لوظائفه، وإنما جاءت فى مؤلفات أخرى، على أن النحاة يتفقون جميعا حول وظيفة أساسية لهذا الصمير.

وقد ارتضى الزمخشرى تسمية البصريين (الشأن والقصة والحديث) وابتعد عن تسمية الكوفيين (المجهول) ويعلل ابن يعيش لسبب التفرقة التى ارتضاها الكوفيون: لأنه لم يتقدمه ما يعود عليه (۱۱). وبالتالى فإن رؤية النحاة: بصريون وكوفيون، تتفق حول إعادته إلى لاحق، وتمثل هذه الرؤية العامة للنحاة العرب، بناء على هذا الأساس.

وتناول الزمخشرى المصطلح البصرى : ولم يعرض للمصطلح الكوفى في الكشاف، إلا أنه في المفصل قد عرض له، وهو كتاب نحوى .... ويناء على هذا فإن الزمخشرى يرتضى مصطلح البصريين، كما أنه يلاحظ أن المصطلح مستخدم في بيئة البلاغيين، حيث أشار إليه الجرجاني باسم ضمير القصة<sup>(۲)</sup>، وهذا يعكس أن هذا المصطلح كان متداولا في بيئة أخرى، ويعكس أيضا مدى التداخل والعلاقة القائمة بين الدراسة النحوية من جهة والدراسات البلاغية من جهة ثانية .

وقد أحصى الباحث الأنماط الواردة لهذا الضمير فجاءت كثيرة، إلا أن الأنماط التي أشار فيها إلى الدلالة مباشرة بلغت تسعة أنماط، وتعد هذه

<sup>(</sup>۱) ان بعث : شرح المفصل ( م) ١/ ٣٣٣ . ٢/ ٢٤١ /١ مه ١٠ ، ١/ ٢٤٢ / مه ١٩٠ ، ٢/ ٢٤٢ ، ٢٠ ، ٣٩٠ ( ٢٠ ) الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ١٠ ،

الأنماط قليلة وصنئيلة، إذا ما قورنت بالأنماط الواردة لصمير الفصل . وإذا كان النحاة والبلاغيون يرون أن وظيفة ضمير الشأن التفخيم والتعظيم (۱) فهل هذا ينطبق على الأنماط الواردة عند الزمخشرى ؟ وإذا كان الأمر كذلك، فعلى أى شيء يعول سبب الاختلاف ؟، هل لأن ثمة سياقات لغوية وغير لغوية لم تتحها سياقات الجملة المحددة وطبيعة الاختلاف المنهجي في المعالجة ؟وقد كشف المفسرون عنها ومن خلالها قدموا إشارات مستنيرة فاقت، كما نجد عند الزمخشرى، قيود النحاة ونظرتهم إلى النص القرآني بوجه خاص، على ما ستكشف عنه الدراسة، إصافة إلى ما سبق .

على أن ثمة ملاحظة فى هذا السياق، وهى أن الأنماط المستخلصة عند الزمخشرى لم تشر صراحة إلى الوظيفة الأساسية لهذا الصمير، وإنما جاءت وظيفته بطريقة مباشرة فى تسعة، وجاءت الإشارة ضمنية فى باقى الأنماط الأخرى، على أن هذه الأنماط التى أشار فيها الزمخشرى إلى وظيفة ضمير الشأن بطريقة مباشرة والأنماط التى جاء الحديث عنها غير مباشر، بمعنى أنه أشار إلى جزئية تخص هذا الضمير تعالج جزئيات تتضافر وتتكاتف فيما بينها لإيضاح الصورة الكلية لضمير الشأن، كما هى الحال بالنسبة لقضية الإحالة التى تعد ذات فعالية كبيرة؛ نظرا لما تقوم به من عملية الربط.

وتقودنا هذه الملاحظة إلى ملاحظة أخرى تتعلق بالأولى، أن هذه الأنماط ما دامت فيها تسعة أنماط - صراحة - على الوظيفتين الأساسية لضمير الشأن، وباقى الأنماط بشكل ضمنى، فإن هذا يعفينا مبدئيا فى هذا

<sup>(</sup>١) الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ٢٠٢، عباس حسن : النحو الوافي ١ / ٢٥٩ .

الموضع من عمل جدول إحصائى لهذه الأنماط ووظائفها، وتعفينا - كذلك - ملاحظة ورود هذه الأنماط فى الكشاف من إجراء رسم بيانى لإيضاح أهمية المصادر عند الزمخشرى بالنسبة لمعالجة ضمير الشأن، ومن ثم فإن الكشاف هو الذى ينفرد من بين سائر مؤلفاته بالمعالجة العملية لهذا الضمير، على أن الإطار النظرى ورد فى المفصل.

ومن هنا فإن وظيفتين اثنتين - التفخيم والتعظيم، الربط - حسب ما ورد عند الزمخشرى . وكذلك وظيفتين - التفخيم والتعظيم، التوكيد - حسب ما ورد عند الجرجاني، ومن ثم فإن هذا الضمير يختلف عن ضمير الفصل من عدة مواضع، يمكننا إجمال بعضها فيما يلى حسب معالجة الزمخشرى:

أولا: ضمير الفصل يحيل إلى متقدم (عنصر إشارى سابق)، أما ضمير الشأن، فإنه يحيل إلى جملة تالية محددة عند جمهور النحاة، ويضيف الزمخشرى زيادة على ما جاء عند النحاة بأنه يحيل إلى متقدم، وبالتالى تمثل هذه مفارقة بين النحاة من جهة والزمخشرى من جهة أخرى.

ثانيا: ضمير الفصل وردت له عند الزمخشرى وظائف مختلفة، وصلت ثمانى وظائف دلالية. أما ضمير الشأن فلم ترد له إلا دلالة عند جمهور النحاة، واثنتين عند الزمخشرى والجرجانى مع المفارقة بينهما فى هذه الوظائف.

<u>ثالثا:</u> ونخلص من رقم (١) إلى أن معالجة الزمخشرى لضمير الفصل كانت أكثر اتساعا من ضمير الشأن، وريما اختلاف طبيعة الصميرين هي التي فرضت المعالجة، أو أملت أن تكون المعالجة على هذا النحو.

كما يلاحظ أن الأنماط المستخلصة من مؤلفات الزمخشرى – الكشاف - لا تعالج وظائف بعينها بقدر ما تتضافر وتتكاتف فيما بينها لإيجاد نوع من الصفيرة المتشابكة من الوظائف نصيا، ومن ثم فإن الأنماط تعالج جزئيات تتشابك كل جزئية مع جزئية أخرى لتوضح من خلالها جوانب أخرى مختلفة ومتنوعة لهذا الضمير، وتعمل جمعيها بقدر مسار لإبراز السمات العامة وجوانبها المختلفة، ومن هنا تبدو المفارقة بين تناول هذه الجزئية بالمقارنة بمواضع أخرى من البحث .

كانت هذه تمثل ملاحظات عامة ومنتثرة، فإن ثمة معالجة لهذا الصمير ناقشها الزمخشرى عملياً أثناء تناوله القرآن الكريم بالتفسير، وتعد هذه الجزئية في هذا الموضع أساسية هنا، إذ ينصب في أساسها على الوظائف الدلالية لضمير الشأن.

وفى مناقشة الزمخشرى لضمير الفصل يعرض بالتحليل له فى قوله تعالى فى البقرة / ١٦٢ (خَالدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظُرُونَ العالى فى البقرة / ١٦٢ (خَالدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظُرُونَ ) قال الزمخشرى : (خَالدِينَ فيهَا) فى اللعنه، وقيل فى النار، إلا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلاً . وفى قوله تعالى (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْن وَمَا تَتُونُ فِي شَأْن وَمَا تَكُونُ فِي شَأْن وَمَا الله عَلَى الزمخشرى : (مِنهُ) لشأن؛ لأن تلأوة القرآن شأن من شأن رسول الله عَلى الله عَلى هو معظم شأنه أمل للتنزيل، فإنه قيل : وما تتلوا من التنزيل من قرآن ... والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل التوثيق .

ويرجع في الآية الأولى إلى شيئين مختلفين، الأول: اللعنة. الثانى: النار. أما الأول في إحالة ضمير الشأن هنا إلى (اللعنة) إذ يمثل عنصرا إحاليا إلى متقدم، بناء على رأى الزمخشرى الأول وقد وردت (اللعنة) في الآية/ ١٦١ من سورة البقرة (إنَّ الَّذِينَ كَفُرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ

لَعْنَةُ اللّه وَالْمَلائِكَة وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ )، ويالتالى فإن الإحالة إلى متقدم، خاصة وأن (اللعنة) واردة في الآية السابقة ١٦١، والآية التي ورد فيها ضمير الشأن هي (١٦٢) ومن هنا فإن ضمير الشأن يحيل إلى متقدم وليس إلى لاحق، ومن ثم فإن الزمخشرى يخرج على قيود النحاة في هذا الموضع.

أما الإحالة الثانية في هذه الآية، فإن ضمير الشأن (خالدين فيها) يحبل إلى النار، بناء على رأى الزمخشري الثاني، وبما أن ذكر (النار) لم يرد في هذا السياق، فإن الضمير هنا يحيل إلى عنصر خارج النص وهو عنصر معجمي، ويمكننا أن نستخلص الإحالة الثانية (النار) من السياق اللغوى والمقامي الذي تتحدث عنه الآيات، إذ الحديث عن الكفار الذين ماتوا على الشرك (عَلَيْهِمْ لَعْنةُ اللّه وَالْمَلائكَة وَالنَّاسِ أَجْمَعينَ...) ويما أن الكفر يرتبط عقابه في الآخرة بالجزاء (النار) فإن هؤلاء الكفار خالدين فيها (النار) لا محالة ... إذا فالإحالة الثانية إحالة تتيحها قرائن المقام، ويؤكد الإحالة الثانية ما جاء في الآية ذاتها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) وبالتالي فإن الإحالة إلى لاحق. بناء على أن العذاب - النار -الوارد في الآية وارد عقب ضمير الشأن، وهذه الإحالة كما جاءت في قوله تعالى ( كَلاَّ إِذَا بَلَغَت التَّرَاقيِّ...) القيامة : ٢٦ ، يرى الزمخشرى: أن الضمير يعود للنفس وإن لم يجر ذكرها؛ لأن الكلام دال عليه كقول حاتم: أما وى ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر(١) وبالتالي إذا كان السياق بدل عليها وبخصصها فلا ضبر خاصة إذا كانت معروفة، كما هي الحال في الأنماط السابقة وبيت حاتم، كذلك يمكن القول بأن الزمخشري أفاد من رؤية النحاة لوظيفة هذا الضمير،

<sup>(</sup>١) ٤ (ب) / ٦٦٣ .

الإضمار قصدا لتفخيم شأنها وتهويلا لها، وواضح أن هذه الرؤية نحوية خالصة، هذا من ناحية الوظيفة، أما من جهة الإحالة فإنه يحيل إحالتين مختلفتين، الأولى: إحالة معجمية إلى متقدم محدد – اللعنة – . الثانية: وهي مستخلصة من السياق المقامي، ويمكن القول فيها زيادة على ما سبق بأنها إحالة ذهنية، أو نصية جاء نكرها في موضع آخر من القرآن، وبالتالي فإن الإحالة ليست إلى عنصر معجمي كما في الإحالة الأولى، وإنما إلى عنصر إشاري يكمن في النص في موضع آخر منه، حيث إن المفسرين ينطلقون من منطلق معالجة القرآن الكريم كله كوحدة واحدة، باعتباره نصا واحدا، وبالتالي فإن ذكر مكان الخلود في القرآن جاء في موضعين، إما الجنة، وإما النار، وبما أن الآية تتحدث عن عذاب الكفار والمقامي، وبالتالي فإن الإحالتين اللتين يراهما الزمخشري ممكنتان من الرجهة الدلالية، ومن منطلق علم اللغة النصي .

ويعلل الزمخشرى بأن الإضمار فى الآية الكريمة: تفخيما لشأنها وتهويلا، وريما تمثل هذه الرؤية عند النحاة وظيفة أساسية أو عامة تنطبق على صمير الشأن؛ لأنه يستشف من كلام الزمخشرى الصمير أو الصمائر عامة، ويحدد السياق هذه الوظيفة بشكل أساسى، ففى قوله تعالى (فَلَمَّا جَاءَهَا نُوديَ أَن بُورِكَ مَن في النَّارِ وَمَن حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّه رَبِ الْعَالَمِينَ. يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَمَن حُولَهَا وَسُبْحَانَ اللَّه رَبِ الْعَالَمِينَ. يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدِّسِ طُولى... (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدِّسِ طُولى... إِنِّي أَنَا اللَّه لَا إِلَهُ إِلَّا اللَّه لَا إِلَهُ الْأَنْ اللَّه لَا إِلَهُ الْمَا نُودِي مِن شَاطِي الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَة الْمُبَارِكَة مِن الشَّجَرة المُقالِم الله الله لَا إِلَهُ إِلَّهُ الْمَالِمِينَ ...) الآية / ٣٠، ٣١، وجاءت الآيتان :

الثانية والثالثة بلفظ ضمير المتكلم، وفي النمط الأول جاء بضمير الشأن ( إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ويستفاد التفخيم في هذه الآية من السياق الوارد في الآية، أو من الجزء الأول من الآية الكريمة ( فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن في النَّارِ وَمَنْ حَوَلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ) مما يناسب الوظيفة الدلالية التي ارتأها النحاة لصمير الشأن والقصة .

أما في النمط الثانى الذي عرض له الزمخشرى، فيحيل ضمير الشأن فيه إلى: رسول الله من أو إلى التنزيل... وبالتالى فإن الإحالة الأولى تمثل إحالة إلى عنصر يقع خارج النص القرآنى، بمعنى أن وجوده ليس كائنا داخل النص، ومن هنا فإن الإحالة في هذا الموضع إحالة ذهنية، أى تدرك به، كما في الإحالة الثانية في النمط الأول، إلا أن المفارقة بينهما أن الأولى تحيل إلى عنصر إشارى ليس داخل النص، وإنما إحالة إلى موضع آخر من النص القرآني، أما الإحالة هنا، فهي إحالة ذهنية، يمكن أن نطلق عليها الإحالة الذهنية الخالصة . أما الإحالة الثانية التي يراها الزمخشرى، فإنه – الضمير – يحيل إلى متأخر، وتمثل هذه رؤية طبيعية تتمشى وتتوافق مع رؤية النحاة .

وبالتالى تتضع من خلال معالجة الزمخشرى لهذين النمطين والأنماط التى جاءت أثناء الملاحظات الأولية حول المعالجة الزمخشرية لهذا الموضوع، يعالج كل نمط بطريقة يختلف اختلافا كليا أو جزئيا عن النمط الآخر ويمكن أن تمثل هذه الطريقة ملمحا مهما، إذ تعكس معالجة الأنماط كافة رؤية واضحة حول الضمير واختلاف المعالجة تفرضه فيما أزعم طبيعة التفسير التى تحتاج إلى مراعاة الظروف المقامية واللغوية على السواء لاستخلاص الذى يحتاج الدلالة، وبالتالى فإن كل نمط يختلف سياقه عن الآخر، أن يتكيف المفسر مع هذه الاختلافات المختلفة للوصول إلى مغزى التركيب وهدفه.

وإذا كان الزمخشرى فى الآية الأولى يعلل أسباب الإصمار، ويعكس بالتالى من جهة أخرى نظرة الوظيفة التى يمكن أن تكون أساسية، فإنه فى الآية الثانية لضمير الشأن: والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل، وتتفق رؤية الزمخشرى هنا ورؤية جمهور النحاة.

غير أنه ينبغى أن يوضع فى الاعتبار أن الزمخشرى إذ يرى أن وظيفة ضمير الشأن التفخيم والتعظيم، خاصة إذا كانت الإحالة إلى عنصر إشارى متأخر، وبالتالى تظهر هذه الملاحظة مفارقة أخرى لدى معالجته لهذا الصمير، لكن فى حالة اعتباره عنصرا إحاليا إلى متقدم، ولم نر إشارة لدى الزمخشرى إلى وظيفة فى هذا الموضع.

وريما تبصرنا الوظائف الدلالية في الآيات السابقة أنه في الأولى يعرض لوظيفة ضمير الشأن المتفق عليه لدى جمهور النحاة، ومن ثم فإن الأولى تمثل وظيفة خاصة، وبما أن الأولى وظيفة خاصة، وبما أن الأولى وظيفة عامة للضمير، فيمكن أن تنطبق على ضمير الشأن المحيل إلى سابق، وهذا مستفاد من الدلالة في الآية الأولى .

وإذا كان الزمخشرى من خلال ما سبق لم يشر إلا إلى وظيفتين اثنين، فإن الجرجانى قد أضاف عنصرا وظيفيا آخر – التوكيد – بجانب الدلالة الأساسية – التفخيم والتعظيم – وبالتالى يمثل الجرجانى اتجاها يختلف مع اتجاه النحاة من حيث الوسائل والأدوات المستخدمة لكلا الرجلين .

وفى الحقيقة أن هذا المنهج ليس اختلافا بين منهج الجرجانى والنحاة، بقدر ما هو اختلاف حول منهج البلاغيين والمفسرين من جهة وبين اتجاه النحاة من ناحية أخرى، ويمثل الجرجاني رؤية أوضح وأعمق من حيث التناول والمعالجة ممثلا فيما أظن المنهج البلاغي التفسيري للنص، ومن هنا فإن ضمير الشأن له وظيفتان، إذ يعالجون النص القرآني أو النص عموما كوحدة واحدة، بعكس منهج النحاة الذي يعالج جملا منعزلة حينا ومصطنعة في أحايين أخرى، أدى بهم إلى رفض كثير من الاستعمالات اللغوية؛ لأنهم ريطوا أنفسهم بالوقوف ليس عند حدود النص، وإنما عند حدود الجملة .

ومن ثم فإن إضافة الجرجانى عنصرا وظيفيا آخر، لم يشر له الزمخشرى، وبالتالى تتفق رؤية الزمخشرى والنحاة من ناحية الوظيفة التفخيم والتعظيم - بالنسبة لضمير الشأن، على أن ثمة اختلافات أخرى من حيث التناول، أشار إليها الباحث في موضعها، وتقترب إلى حد ما من معالجة الجرجاني في الوسائل المستخدمة والطرق المسلوكة، إلا أن الفارق بين رؤية الرجلين تكمن في الوظائف الدلالية لضمير الشأن عندهما إلا أن العدد واحد .

وعلى الرغم من هذا الاختلاف من ناحية الوظائف لهذا الضمير، فإن هذه الوظائف يمكن إجمالها وإدماجها تحت مسميين دلاليين: التوكيد والتفخيم، أو توكيد التفخيم، الربط، ويمثل الزمخشرى الاتجاه الاعتزالي باعتباره معتزليا، وتقربه هذه الرؤية من دراسة البلاغيين العرب، والقاسم المشترك الذي يجمع الطرفين هو أن كلا منهما يناقش قضايا تتعلق بالإعجاز اللغوى للقرآن الكريم.

ومن هنا فإن الباحث يتناول ما جاء عند الزركشى - ممثلاً لآراء البلاغيين - حول مناقشة الضمير، وبالتالى تبدو بوضوح المقاربات والمفارقات الدلالية من جهة؛ وليكون هذا إيضاحا للقضية عند الزمخشرى من ناحية أخرى، يقول الزركشى: ضمير البيان المذكر والقصة المؤنث، ويقدمونه قبل الجملة؛ نظرا ادلالته على تعظيم الأمر فى نفسه والإطناب فيه، ومن ثم قيل له: الشأن والقصة، وعاداتهم أنهم إذا أرادوا ذكر جملة قد يقدمون قبلها ضميرا يكون كناية عن تلك الجملة، وتكون الجملة خبرا عنه ومفسرة له، ويفعلون ذلك في مواضع التفخيم، والغرض أن يتطلع السامع الكشف عنه وطلب تفسيره(١).

ويكشف نص الزركشى بوضوح القاسم المشترك بين بيئات الدرس اللغوى متمثلة في : بيئة النحاة ، بيئة البلاغيين ، بيئة المفسرين ، وأن هناك خيطا مشتركا تلتقى فيه البيئات المختلفة ، خاصة وأن المادة المعالجة تدور حول قضايا الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم ، ومن خلال معالجة هؤلاء جميعا والزمخشرى لضمير الشأن يكشف ما يلى :

إن معالجة النحاة ويمثلها الزمخشرى فى المفصل، تمثل رؤية محددة ومقننة، لا تسمح فى كثير من الأحيان بتغليب عناصر تتفاعل وتتضافر لإيضاح جوانب أخرى من هذا الضمير - مثلا - وتمثل رؤية النحاة ملمحا موجزا ومختصرا، ومن هنا فإن البلاغيين كانوا أكثر نفاذا عندما نظروا إلى التراكيب المتشابهة فى مواضع مختلفة، ومن ثم أتاحت لهم هذه النظرة والمقارنة إلى أن يستخلصوا نتائج صائبة فى كثير من المواضع، بيد أن المفسرين كانوا أكثر إلماحا فيما أظن، وربما نكون طبيعة المادة المعالجة هى التي أتاحت لهم هذا، خاصة فى تعرضهم لكل نمط على حدة، ومعالجة هذا النمط فى إطار القرائن المتاحة له، على أن كل هذا فى إطار وحدة النص القرآنى - كما ذكرت منذ قليل - ومن ثم

<sup>(</sup>١) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٢ / ٤١٠ .

أتاحت أهم هذه النظرة أن يقدموا نظرات تمثل - فيما يبدو - كل جزئية معلما مهما في معالجة جزئية من جزئياته في هذا الإطار .

ويتناول الزركشى فى نصه السابق جزئية لم يعرض لها الزمخشرى ولا ابن يعيش، على الرغم من كونها على قدر من الأهمية، وهى تسمية ضمير الشأن والقصة بين المحتوى الوظيفى له، هى فى ذاتها دلالة على التعظيم والتفخيم، ونجد إضافة أخرى لهذا الضمير، الإيجاز، وهذه صفات أشرت إليها سابقا، حيث تمثل وظيفة عامة للضمائر كافة، بمعنى أنها وظيفة أساسية، على الرغم من اعتبارها وظيفة عامة، وريما لم يتناول هذه الجزئية كما لم يعرض لها النحاة كذلك، وأشار إليها الزركشى ممثلا لرأى البلاغيين، ومن هنا نرى الزمخشرى يقترب من النحاة فى هذه الجزئية.

وبالتالى فإن جملة رؤية الباحثين فى الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم لوظائف ضمير الشأن أو القصة هى : التفخيم والتعظيم، التوكيد، الإيجاز، الربط عن طريق الإحالة إلى لاحق - حسب رؤية النحاة - وإلى السابق واللاحق كما جاء عند الزمخشرى .

ومن هنا فإن الزمخشرى لم يشر إلا إلى وظيفة واحدة - التفخيم والتعظيم - من الوظائف التى يقدمها ضمير الشأن، وإذا كانت هذه الوظيفة أساسية فلأنها جاءت فى البيئات المختلفة، وبالتالى فإنهم جميعا يتفقون عليها، ومن ثم تمثل وظيفة أساسية، أما الوظائف الأخرى الثلاث، فإنه يمكن القول إن بعضها أشاروا له وبعضها يكتشف من خلال السياق.

وبالتالى فإن الوظائف السابقة كالتالى: التفخيم والتعظيم، وهى الوظيفة الأساسية، ويأتى التوكيد كوظيفة جانبية لدى الجرجاني، وهي

تعد من وجهة نظر الباحث ثانوية بالمقارنة بالأولى، أما الوظيفة الثالثة – الإيجاز – والرابعة – الربط – فإنهما يمثلان وظائف عامة، يشترك فيها صمير الشأن مع الضمائر الأخرى .

غير أن ابن يعيش قد أشار عند حديثه عن هذا الضمير: وتكون الجملة خبرا عن ذلك الصمير وتفسيرا (١) ، والمقارنة واضحة بين نص الزركشي السابق وبين الجزئيات المعالجة هنا عند الزمخشري، ويتضح من خلالها مدى التشابه والاختلاف القائم في هذا النص، وبملاحظة بسيطة يعد نص الزركشي موجزا وجامعا، أو جامعا مانعا، حيث عالج فيه الجزئيات المتعلقة بضمير الشأن.

ويلاحظ على نص الزركشى رؤية مخالفة فى نهايته تحتاج إلى نظر عما جاء فى أوله، ففى أول النص: يطلق عليه ضمير البيان والقصة، وهو بهذا يخالف مصطلح الجمهور، وبهذا تخالف تسميته تسمية الزمخشرى التى ارتضاها، ثم نجد الزركشى بعد ذلك يعدل فى النص ذاته، ويكشف عن العلاقة القائمة بين المعنى الوظيفى للضمير ومصطلح الجمهور الذى عدل عنه، ولم يذكره فى نصه ويشعر إلا للتوضيح، مع أن المصطلح الذى ارتضاه الزركشى - البيان - لأن ضمير الشأن تليه الجملة المفسرة والمبينة له، أى البيان، وهذا المصطلح غير متداول فى بيئة النحاة ولا فى بيئة المفسرين، بيد أنه مستخدم فى بيئة البلاغيين، ومن المستخدم ندى الجمهور؛ لأنه الأكثر تداولا وألفة، والآخر يعد فى مرتبة ثانية بالنسبة للمصطلح الأول، ومن جهة أخرى تكمن مفارقة ثانية عند الزركشى عنه عند الزمخشرى من حيث التسمية المرتضاة بالنسبة للمصطلح .

على أية حال فإن العلوى قد جمع القضايا المتعلقة بهذا الضمير، جاء في الطراز: إن ضمير الشأن والقصة على اختلاف أحواله، إنما يراد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها، وتحصيل البلاغة فيه من إضماره أولا وتفسيره ثانيا: لأن الشيء إذا كان مبهما، فالنفوس متطلعة إلى فهمه، ولها تشوق إليه(١).

وتنضوى رؤية العلوى على مقاربة دلالية واضحة من خلال مناقشة رؤية الزمخشرى لضمير الشأن، ومن هنا يمكن القول إن هذه الرؤية فى هذا النص تمثل إيجازا، وتمثل صورة عامة لكل القضايا المتنوعة المتناولة فى هذا الموضع من البحث، ومن هنا يكمن أثر الزمخشرى فيمن جاء بعده من البلاغيين، وكما ستكشف عنه الدراسة فى مواضع متفرقة من هذه الدراسة، خاصة العلوى والزركشى وأصحاب الشروح والحواشى.

ومن هنا فإن السياقات القرآنية، ربما تملى على هذا الضمير دلالة لازمة غالبا بإشاراته إلى ذاته العلية أو أفعاله الخاصة، ولكن السياقات القرآنية تقدم دلالات مختلفة قد لا تتفق مع قيد النحاة، ومن هنا فإن الأنماط الواردة لضمير الشأن عند الزمخشرى يشير أغلبها إما إلى إحالة داخل النص وإما إلى إحالة ذهنية، أى أن وجودها يرتكز ليس على وجودها في موضع آخر في النص وجودها في ذات الموضع، وإنما على وجودها في موضع آخر في النص القرآني أو على كونها معروفة من السياق، كذلك يحيل إلى عنصر إشارى متأخر أو لاحق، وأما ما يختلف فيه الزمخشرى عن الجمهور هي أنه جعل ضمير الشأن يحيل إلى متقدم عليه، ومن ثم فإن إحالته مزدوجة

<sup>(</sup>۱) العلوى : الطراز ٢ / ١٤٢، الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ١٠٢، الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤١٠، الرضى : الكافية في النحو ١ / ٧٦ .

عند الزمخشرى، بمعنى أنه يحيل إلى متأخر (لاحق) كما يمثل عنصرا إحاليا إلى عنصر إشارى (مفسر) متقدم، وتختلف هذه الرؤية مع رؤية الجمهور، وكذلك مع الباحثين في الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم.

وإذا كان ضمير الشأن يمثل عنصرا إحاليا إلى متقدم وإلى متأخر، فإن هذه الرؤية تختلف مع رؤية النحاة الذين يتفقون حول إحالته إلى لاحق، ولم يقل به أحد من الباحثين في الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم، وبالتالى تختلف مع دراسة حديثة أكدت ما ذهب إليه جمهور الدارسين في الإعجاز القرآني بقوله: ولا خلاف أن الإحالة في بنية ضمير الشأن هي إحالة إلى متأخر لاحق، ولكن يلاحظ أنها تتضمن الإحالة إلى عنصر إشارى خارج النص القرآني، وهو الذات العلية، حين لا يذكر صراحة في الجملة المفسرة التالية(۱).

وبالتالى فإن هذه الرؤية لم تقدم جديدا زيادة على ما قدمه، أضف إلى أن ملاحظته حول الإحالة إلى عنصر إشارى خارج النص، ليس فى كل الحالات، كما أن هذا النوع لم يرد عند الزمخشرى فى إشارته إلى الذات العلية، ولكن ثمة إحالات ليس من الموضع ذاته، وإنما إحالة إلى موضع آخر من القرآن.

وثمة قضية موجزة أود أن أشير إليها قبل أن أنهى معالجة القضايا المتعلقة بضمير الشأن، إشارة الزمخشرى المتكررة إلى حذف ضمير الشأن، فغى مواضع مختلفة من القرآن الكريم نرى الزمخشرى يشير إلى حذف الضمير دون أن يذكر أسباب هذا الحذف كما فى قوله تعالى (... أن الحمد لله رب العالمين...) قال الزمخشرى : على أن الضمير للشأن حذف كما حذف فى قول الأعشى ميمون بن قيس :

<sup>(</sup>١) د . سعيد حسن بحيرى : من أشكال الربط في القرآن الكريم، ص ١٧٥ .

فى فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يخسفى وينتسعل(١) وفى موضع آخر يرى الزمخشرى أن ضمير الشأن قد حذف كما فى قول الباعث بن صريم اليشكرى:

فيوما توافينا بوجه مقسم كأن ظبية تعطوا إلى وارق السلم<sup>(١)</sup>

ولم يشر الزمخشرى فى هذه الأنماط إلى الهدف الذى أدى إلى حذف الضمير لأن هذا الحذف لابد أن يكون مسببا، غير أنه فى قوله تعالى (كأن لم يدعنا) قال الزمخشرى: فخفف وحذف ضمير الشأن كما فى قول الشاعر:

## ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان<sup>(٣)</sup>

وبالتالى فإن الزمخشرى يكشف فى نصه الأخير عن مغزى وهدف هذا الحذف، ومن ثم فإنه بناء على هذا يمكن اعتبار أن هذه الدلالة يمكن تعميمها على باقى الأنماط الأخرى التى لم يذكر فيها الزمخشرى مغزى ذلك الحذف، وربما كان عدم ذكر الزمخشرى لذلك المغزى فى تلك الأنماط بناء على ذكرها فى مواضع أخرى وشهرتها .

ومن ثم فإن صمير الشأن عند الزمخشري يحيل إلى ما يلى :

١ - يحيل إلى لاحق، أى يمثل عنصرا إحاليا إلى لاحق، وهو غالبا ما يكون نصا أو جزءا أو مقطعا من النص، أى هو الخبر، أو يحيل إلى لاحق ليس كائنا في النص، وإنما يستشف من النص، وهي تمثل إحالة معنوبة.

<sup>(</sup>۱) ۲ (ب) ۲ (۲۳ .

<sup>.</sup> YA7 / £ (Y)

<sup>-</sup> TTT / Y (T)

- ٢ يحيل إلى سابق، أى يمثل عنصرا إحاليا إلى سابق، سواء أكان داخل
   النص مباشرة، أى يسبقه مباشرة كما جاء فى معالجة الزمخشرى،
   أم إحالة إلى سابق ليس كاثنا فى النص وإنما سابق فى موضع آخر
   من النص القرآنى .
- تمثل وظيفة: التفخيم والتعظيم، الوظيفة الأساسية التى اتفق عليها
   جميع النحاة والبلاغيين والمفسرين، وتعد هى الوظيفة المباشرة،
   بالإضافة إلى وظائف دلالية أخرى كالربط الذى أشار إليه الزمخشرى أثناء تناوله للضمير بشكل عام.

وإذا كانت هذه هى أهم القضايا الأساسية التى أشار إليها الزمخشرى بالمناقشة والمعالجة، فإن ثمة بعض المناقشات المنتثرة المتعلقة بضمير الشأن، قد أشار إليها فى سياقات مصادره، غير أن هذه المناقشات فى مجملها لا تمثل أهمية بالنسبة للشكل العام لضمير الشأن المعالج هنا أو لا تمثل فى واقعها محورا رئيسيا، يؤثر بشكل أو بآخر على مناقشة القضايا المنتثرة المتعلقة بضمير الشأن كما تناولها الزمخشرى، وبما أنها قضايا جزئية أو ثانوية ليس لها علاقة من قريب أو من بعيد بموضوع الدلالة والتركيب، فإن الباحث قد ارتأى أن غض الطرف عنها لا يؤدى إلى خلل بالمجمل العام لضمير الشأن المناقش فى هذا الموضع.

#### المبحث الثالث

## البنية الدلالية والإحالية لضمير الإشارة

يشترك ضمير الإشارة والضمائر الأخرى فى أنه: مبهم، يحتاج إلى مفسر لاحق يوضحه، وبالتالى فإنه لا يمكن أن يقوم بوظيفته منفردا، أى لا يمكن أن يعمل إلا من خلال وجوده فى نص أو على الأقل داخل تركيب؛ ليتسنى له أن يوجد ما يوضحه ويزيل إبهامه.

وأحسب أن ضمائر الإشارة تتكون من بعض الصرفيمات المتشابهة تتميز فيما بينها من خلال تغيير في صدرها أو في عجزها، كما هي الحال بالنسبة لضمير الإشارة المذكر (هذا) المفرد المذكر القريب، و (هذه) للمفرد المؤنث القريب، ونحو: (ذلك) للمفرد المؤنث البعيد، و الاختلافات القائمة بين هذه الضمائر في الصرفيمات فقط، ففي المذكر والمؤنث القريب في الصوت الأخير، الألف في (هذا) والهاء في (هذه)، وفي البعيد في الصوت الأول، الذال المذكر، والتاء للمؤنث بالنسبة للبعيد، و (هم) لجماعة الذكور، و (هن) لجماعة الإناث - وهذا التغيير على قدر من الأهمية، إذ بناء عليه تتحدد وظيفة وهوية كل ضمير على حدة.

وريما تشير تسميته (إشارة) إلى إبهامه واحتياجه إلى مفسر يوضحه (مشار إليه) ومن خلال هذا التوضيح والإحالة، يعمل على ريط أطراف النص المتباعدة من خلال العودة إلى سابق أو إلى لاحق، وهكذا تتحقق العلاقة بين ضمير الإشارة والضمائر الأخرى، وقد أشار الزمخشرى إلى هذه الملاحظة في معرض تفسيره لقوله تعالى (هَلْ مِن شُرَكَائكُم مَن يَفْعَلُ من شَيْء سُبْحَانُه وَتَعَالَىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ ...) الروم / ٤٠ : أن (ذلكم)

هى التى ربطت الجملة بالمبتدأ(١) .

وبدون هذا الربط (ذلكم) يحدث ما يسمى بخال يصيب بناء النص أو التركيب من حيث الفهم، بناء على عدم ترابط وتماسك أجزائه؛ نتيجة لافتقاده الرابط (الضمير)، ومن ثم فإنه يقوم بدور مهم، لا يقل أهمية عن تلك الوظائف الدلالية التى أشار إليها الزمخشرى، على الرغم من قلة الأنماط التى تعرض فيها للإشارة المباشرة لهذه الوظيفة التى تمثل وظيفة عامة تنطبق على سائر الضمائر، كما أشار الزمخشرى إلى التبادل الموقعى الذى يمكن أن يتم بين ضمير الإشارة والضمائر الأخرى، ففي معرض تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة (لاَ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوانٌ بين معرض آية / ٦٨، قال الزمخشرى : ... وقد يجرى الصمير مجرى اسم الإشارة في هذا...(٢) . وفي أثناء تفسير الزمخشرى لهذه الآية استشهد بقول رؤية بن العجاج:

فيسها خطوط من سوادٍ ويلق كسانه في الجلد توليع البسهق

وقول طرفة بن العبد :

ألا يا هذا الزاجرى أحضر الوغى وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدى(٣)

وأظن أن الزمخشرى قد قصد بذلك استخدام الهاء فى (كأنه) بدلا من استعمال (كأن ذلك) للإيجاز مثلا، ومن ثم أعفى من استخدام ضمير الإشارة المقدر، كما جاء فى آية البقرة السابقة، وكذلك كما حدث التبادل فى بيت طرفة بين ضمير الإشارة (هذا) فى صدر البيت وضمير الفصل (أنت) فى عجز البيت، ويؤكد هذا ما جاء فى البقرة/ ٨٥ (ثم أنتم هؤلاء

<sup>(</sup>۱) (ب) ۲ / ۲۸۲ .

<sup>(</sup>٢) ١/ ١٤٩ نكت الأعراب ... ورقة ٩ .

<sup>(</sup>٣) السابق : الموضع ذاته .

تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقى منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان...)(١) .

ولى ملاحظة على نص الزمخشرى على أساس أن (هؤلاء) إشارة إلى الجمع القريب، أما إضافة اللام فتعنى البعيد، فهؤلاء هنا للإشارة إلى القريب، بيد أن الزمخشرى قال : ثم أنتم هؤلاء استبعدوا لما أسند إليهم . وهذا يتنافى مع دلالة القرب التى تشير إليها (هؤلاء) وقد لمح الزمخشرى هذا المعنى من خلال نصمه، حينما أشار بأن : ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون، وهذا يعنى أنها للقريب .

ومن ثم فإن للزمخشرى رأيين حول دلالة ضمير الإشارة (هؤلاء): الاستبعاد، القرب، ويمكن التوفيق بين الدلالتين اللتين أشار إليهما، بأن معنى الاستبعاد الذى أشار إليه ليس من دلالة ضمير الإشارة بقدر استفادته من السياق الموجود: قتل النفس، وإخراج بعض الناس بغير حق فى مقابل الآية ٨٤ (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون) وهكذا نجد ضمير الإشارة يعقد الصلة بين أحداث متقدمة وأخرى لاحقة للربط والمقارنة، أما إشارته الثانية فهى مأخوذة من معناها اللغوى.

وكنت أحسب أن هذا البعد ناتج من استخدام (ثم) فى السياق، غير أن هذا يزول حينما نجد أن (هؤلاء) تفسر بمعنى ذلك التى تدل على البعد، وقد لحظ البيضاوى ذلك المعنى وفسره بعملية التبادل الموقعى الذى يمكن أن يحدث بين الضمائر، يقول: وأنتم مبتدأ، وهؤلاء خبره على معنى: أنتم بعد ذلك هؤلاء (الناقصون)، كقولك: أنت الرجل الذى فعل، كذا تدل على تغير الصفة منزلة تغير الذات ().

<sup>.</sup> Yoo /1 (1)

<sup>(</sup>٢) البيضاوى : تفسير البيضاوى المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٧٣ .

وبالتالى فإنه يمكن أن يحدث التبادل الموقعى بينهما؛ نتيجة للتشابه في ظروف عودة كل منهما سواء إلى سابق أم إلى لاحق، التى تعمل على ربط النص .

وتعد هذه الوظيفة وظيفة عامة تشترك فيها سائر الضمائر على وجه العموم، ويوضح هوقمان (Ute Hoffmann) ذلك بقوله: إن ضمائر الإشارة ما هي إلا بعض الصرفيميات التي يمكن من خلالها ربط أجزاء الكلام والمحافظة عليه من هذه الناحية – الربط – ويحدد ويعين البحث في ضمائر الإشارة البحث في الضمائر الشخصية في أن كلاً منهما يوضح ترتيب الاختلافات في قاعدة الضمائر ويحافظ ويبقى على الربط القائم في النصر!!).

وهكذا يتحقق من خلال هذا النص العلاقة التى تجمع بين الضمير المبهم (الإشارة) والضمائر الأخرى، وإذا كان هذا النص قد أوضح القاسم المشترك الذى يجمع بين هذا الضمير والضمائر الأخرى، فإن ابن يعيش يوضح الفارق بين ضمير الإشارة والضمائر الأخرى بقوله: إن المضمر فى الخائب يُبين بما قبله، وهو المظهر الذى يعود عليه المضمر، نحو قولك: زيد مررت به، والمبهم الذى هو اسم الإشارة يفسر بما بعده، وهو اسم الجنس، كقولك : هذا الرجل والثوب(٢).

ويوضح نص ابن يعش الصفة المشتركة - أيضا - التى تجمع بين ضمير الإشارة والضمائر الأخرى، وهى الإحالة، أى أن كليهما يحيل، بيد أن تمثيل ابن يعيش السابق يشير إلى أنه مثل بضمير الفصل الذى يشير

John Lyons: Semantik, Band 2, S. 258.

Ute, Hoffmann: Untersuchung zur Topologie im Mittelfeld: Pronominale und (1) Nominale Satzglieder, S. 164.

وينظر

<sup>(</sup>٢) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١/ ٩٨١ .

إلى عنصر إشارى سابق، حسب رؤية جمهور النحاة، ولم يشر إلى ضمير الشأن الذي يحيل إلى لاحق (متأخر) حسب الرؤية العامة للنحاة أيضا .

فإذا كان ضمير الفصل يشير إلى متقدم، فإن ضمير الإشارة يشير إلى لاحق حسب ما جاء عند ابن يعيش . ويوضح التفتازاني مفارقة بين ضمير الإشارة والضمائر الأخرى : وذلك أن ضمير الإشارة إشارة إلى الذات بملاحظة تلك الصفات، كأنه قيل : ذلك المشار إليه المتميز بتلك الصفات بخلاف مجرد الضمير العائد إلى ما يشار إليه، فإنه كناية عن ذات الموصوف، وإن كان مع الصفات ذهنا ... ولهذا كان في إياك نعبد بالعدول إلى الخطاب المشعر بالتمييز ما لم يكن في إياه (١).

ومن ثم فإن نص التفتازانى يلفت النظر إلى أن إحالة ضمير الإشارة إحالة ذهنية محددة، أى يشير إلى شىء محدد، بخلاف الضمائر الأخرى التى تحيل من خلال الكناية .

ويلفت الباحث النظر مبدئيا وبصورة أولية إلى أن تناول الزمخشرى لضمير الإشارة لم يكن في المفصل بالقدر الذي عالج به وظيفة ضميري : الفصل والشأن، وإنما جاءت إشارته مختصرة في المفصل عموما، أي أنها نحوية، وجاء إيضاحه لها في مواضع أخرى من مؤلفاته .

ولعل اللافت للنظر في معالجة الزمخشري لضمائر الإشارة أنه أشار إلى عدة وظائف دلالية متنوعة يحيل إليها، على الرغم من أن إشارته جاءت في عمومها موجزة، غير أنه يمكن القول إنها تمثل في عمومها رؤية عامة، تغطى فيما أحسب قدرا كبيرا من القضايا المتعلقة بهذا الضمير.

<sup>(</sup>١) التفتازاني : حاشية سعد الدين التفتازاني على الكشاف ورقة ٢٦ .

وقد جاء هذا الإيضاح والتفصيل للقضايا المتعلقة بضمير الإشارة في الكشاف، وتكرر بعض منها في نكت الأعراب، وبالتالي فإن هذه الميزة للكشاف تكسبه أهمية بالغة في معالجة هذه الجزئية من هذا البحث، وكذلك يعني هذا أن مصادر الزمخشري الأخرى لم تعرض لهذه الجزئية، وتعفينا في الواقع هذه النتيجة من إجراء رسم بياني لبيان أهمية المصادر التي عالجت ضمير الإشارة، كما أعفانا هذا في مواضع خاصة بالنسبة لضميري: الفصل، والشأن والقصة.

وإذا كانت هذه الوظائف والمناقشة السابقة تمثل رؤية عامة، بمعنى أنها تحتاج إلى اختبار مدى فعاليتها فيما جاء عند الزمخشرى فى مناقشة القضايا المتعلقة بهذا الضمير، وبالتالى يتضح هل أفاد الزمخشرى مما جاء عند أسلافه، وهل أضاف أم أن معالجته جاءت ترديدا لما سبق ؟.

وأنتقل بعد ذلك لمناقشة وظائف البنية الدلالية والإحالية لضمير الإشارة، وهذه الجزئية فيما أظن بؤرة القضية في تناول العناصر التي يحيل إليها ضمير الإشارة، وحسب الإحصاء المستخلص، فإن الوظائف الدلالية لضمير الإشارة بلغت تسع دلالات على النحو التالى: التعظيم والتفخيم، الكمال والبعد، الوصف والتفصيل، التوكيد، الإعلام، الإيجاز، الاختصاص، الاستحضار، الوجوب، ويمكن أن أضع هذه الدلالات في الشكل التالى لإيضاح عددها ونسبها ومواضع ورودها في مصادر الزمخشرى على النحو التالى:

ملاحظات	النسب	المصادر		عدد التردد	الدلالات	م
		نكت الأعراب	الكشاف			·
	79, 7	-	٧	٧	التعظيم	١
بلغ عدد أنماط					والتفخيم	
ضمائر الإشارة	۲۰,۸	_	٨	٥	الكمال	٧
(۲٤) نمطا،					والبعد	
منها ثلاثة أبيات شعرية	۲۰,۸	<del>-</del>	0	٥	الوصف	٣
ابیات سعری					والتوكيد	
	۸,۳	-	۲	۲	التوكيد	٤
	٤, ٢	-	١	١	الإعلام	٥
	٤, ٢	١	١	١	الإيجاز	٦
	٤, ٢	١	١	١	الاختصاص	٧
	٤, ٢	-	١	١	الاستحضار	٨
	٤, ٢	-	١	١	الوجوب	٩

شكل توشيحى رقم (١) بدلالات ضمير الإشارة وانماطه ونسبه كما جاءت في معالجة الزمخشري

ويلاحظ على الشكل رقم (1) أن مجموع الأنماط المعالجة عند الزمخشرى بلغت أربعة وعشرين نمطاء وبالتالى فإن هذه الإحصائية تمثل قدرا متقاربا إلى حدما مع الأنماط التى عالجت ضمير الفصل من الأنماط بالنسبة لضمير الإشارة، كما سيأتى توضيحه . وإذا كانت الوظيفة الدلالية رقم (١) تعد أساسية بناء على إحصاء الشكل (١)، فإن هذا يجعلها أساسية بالنسبة للدلالات الأخرى، وقد جاءت الأنماط جميعها في الكشاف ولم يتكرر منها شيء في نكت الأعراب، وبناء على هذا فإن الكشاف هو المصدر الوحيد الذي حوى معالجة الدلالة رقم (١) من الشكل (١).

ثم جاءت دلالة كل من: الكمال والبعد، الوصف والتفصيل في المرحلة الثانية، ممثلا كل منهما في خمسة أنماط، وبالتالي تمثلان مرحلة قائمة بذاتها من حيث الأنماط والأهمية، وجاء التوكيد في نمطين اثنين، ثم جاءت الوظائف الدلالية الأخرى بنمط لكل دلالة على حده، ومن ثم فإن هذه الدلالات الست الأخيرة جميعا في مرتبة ثالثة، أو تمثل مرحلة أخرى، وبناء على هذا فإن دلالات ضمير الإشارة عند الزمخشري يمكن تقسيمها إلى مراحل ثلاث، المرحلة الأولى: وتضم الدلالة (١). المرحلة الثانية: تضم الدلالة (١). المرحلة الثالثة: تضم الدلالات الباقية من الشكل (١).

وثمة ملاحظة أخرى في هذا الشأن، وهي أنه إذا كانت الدلالات الخمس الأولى جاءت في (الكشاف) ولم يتكرر شيء منها في نكت الأعراب... فإن الدلالة رقم (٦)، (٧) قد تكرر نمطيهما في نكت الأعراب، وبالتالي فإن هذين النمطين يمثلان مفارقة عن الأنماط الأخرى من جهة التكرار، كما أن الكشاف ونكت الأعراب يتساويان في النسبة والأهمية في هذا الموضع.

وإذا كان الزمخشرى قد أشار إلى هذه الوظائف لضمير الإشارة، فإن وظيفة أخرى أشار إليها، وأكدها إربن : ( Johannes Erben ) : أن

ضمير الإشارة يؤكد، غير أن توكيده يختلف حسب السياق، فقد يؤكد المفرد الذي يحيل إليه، وبالتالي يجعله واضحا ومحددا... ومن خلال هذا يدرك المرء أن لهما ارتباطا وعلاقة معا تؤكد الأداة (١).

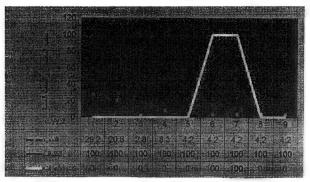
وإذا كان الزمخشرى قد أشار إلى هذه الوظيفة، فإنها يمكن أن تمثل وظيفة عامة من جهة، أى يمكن أن تنطبق على الضمائر كافة هذا من جهة، ومن ناحية أخرى فإن هذه الرؤية تؤكد رؤية ليقائدوقسكى: جهة، ومن ناحية أخرى فإن هذه الرؤية تؤكد رؤية اليقائدوقسكى: (Th. Lewandowski) السابقة التي عرضت لها في بداية التوطئة عن الضمائر بشكل عام، وهكذا تتحقق وظيفة الإشارة – التوكيد – على وجه الخصوص باعتباره يشير مباشرة ويحدد المشار إليه (العنصر الإشارى) المفسر، ومن خلال هذا التحديد يؤكد المحتوى من خلال هذه الإشارة، وهذه سمة تميزه عن بقية الضمائر كما جاء عند التفتازاني في النص السابق.

وإذا كانت الدلالات السابقة لا تمثل نسبا متساوية، فإن هذا في الواقع يعنى أنها ليست سواء من حيث الأهمية، ويوضح ذلك الشكل (٢) من هذا المبحث .

وإذا كانت الدلالة رقم (1) تمثل مرحلة قائمة بذاتها، فإن الدلالات (٢)، (٣) تمثلان قسما آخر والدلالات الأخيرة قسما ثالثا، ويلاحظ من خلال الشكل رقم (٢) أن ثمة فارقا في النسبة بين الدلالة (1) من جهة، والدلالة (٢)، (٣) أو القسم الأول والقسم الثاني، فإذا كانت الدلالات الأخيرة تمثل مقارية في النسب التي تفضي إلى الأهمية، فإنهم يمثلون

Johanne, Erben : Abriss der Deutschen Grammatik, S. 209 . (۱) ينظر كل من : (۱) Hans, Heringer und Andre: Einführung in die Praktische Semantik, S. 110

### رؤية الزمخشري المتقاربة حول هذه الدلالات من جهة ثانية .



شكل توضيحى رقم (٣) بنسب دلالات ضمير الإشارة عند الزمخشرى كما ورد فى الشكل (١) من هذا الموضع

وإذا كان (الكشاف) يمثل من ناحية الإحصاء ١٠٠ ٪ من عدد الأنماط الواردة أربعة وعشرين نمطأ، فإن كتاب نكت الأعراب يمثل نمطين متكررين في الكشاف في الدلالتين: (٦)، (٧)، أي أن ما تكرر من الكشاف في أنماط ضمير الإشارة يمثل ٨٣٪ مما جاء في الكشاف من أنماط، ويوضح هذا الشكل (٣) من هذا المبحث.

ويتصنح من خلال الشكل رقم (١) تساوى النسب فى الدلالات الخمس الأخيرة، إلا أن الدلالتين (٦)، (٧) يتكرر فيهما نمطان فى نكت الأعراب، وهكذا تمثل هذه الملاحظة مخالفة بينهما وبين الدلالات الأخرى التى تنتمى إلى ذات المجموعة.

ويتصح من خلال الأشكال (١)، (٢)، (٣) السابقة أن الوظائف

الدلالية لضمير الإشارة ليست سواء، من حيث ترتيب أجزائها، فقد جاءت الإحالة والإشارة إلى أمر عظيم وجلل في سياقات مختلفة أكثر من الأنماط الدلالية الأخرى، فهل لهذا دلالته ؟ وهذا ما تجاول المناقشة أن تكشف النقاب عنه، وعلى الرغم من أن الأنماط المستخلصة – بناء على الإحصاء – بالمقارنة بأنماط ضمير القصل تكاد تكون متقارية، فإن تنوع هذه الوظائف الدلالية، يعطى المعالجة – رغم قلة الأنماط – شمولية من ناحية التناول.

والذى يدعم هذه الملاحظة أن الأنماط المستخلصة من مؤلفات الزمخشرى فى معالجة ضمير الإشارة أربعة وعشرون نمطا، جاءت الإحالة فيها فى سبعة أنماط إلى أمر عظيم، ويدعم هذا دراسة حديثة تؤكد فى مجملها هذه النتيجة المستقاة من هذا الإحصاء (من أشكال الربط فى القرآن الكريم)، ولا شك أن هذه الملاحظات المجملة تحتاج إلى نوع من التفسير والتحليل فى ضوء هذه النظرة الموجزة.

فالإشارة إلى أمر عظيم وحدث جلل كما في قوله تعالى في سورة القصص آية : ٨٣ ( تلك الدَّارُ الآخِرةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُواً في الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) وفي سورة الأعراف ( يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ لَا فَسِادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) وفي سورة الأعراف ( يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ لَللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَرِيشًا ولِبَاسُ التَقْوَىٰ ذَلِكَ حَيْرٌ ذَلكَ مَنْ آيَاتِ اللَّهُ لَعَلَّهُمْ يَذَكُرُونَ ) آية ٢٦ :، وفي الآية : ٣ من سورة يونس (ذَلكُمُ اللَّهُ رَبُكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَلْفُدَ تَذَكُرُونَ ) وفي الشعراء : ١٥٨ ( فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيةً وَمَا كَانَ أَكْرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) .

وتمثل هذه الآيات رؤية واضحة عند الزمخشرى في الإحالة إلى أمر عظيم وجلل كبير، ويحتاج هذا العرض لهذه الأنماط المعالجة عند الزمخشرى إلى نوع من التفصيل لجوانبها في إطار الإحالة إلى متقدم (سابق) أو إلى متأخر (لاحق) على النحو التالى:

فغى آية القصص (تلك الدَّارُ الآخرةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلا فَسادًا وَالْعَاقِبَةُ للمُتَّقِينَ)، قال الزمخشرى: تعظيم لها وتفخيم لشأنها، يعنى الذي سمعتُ بذكرها وبلغك وصفها(١).

ومن ثم فإن الإحالة تتجه في بنية ضمير الإشارة (تلك) إلى الشيء المهم والمركز عليه (الدار الآخرة)، وهو أمر عظيم، يحتاج إلى أن كل إنسان لابد أن يعمل ويضعه نصب عينيه لماذا ؟ لأنها الحياة الباقية، وهي خير وأبقي، كما جاء وصفها في القرآن الكريم، ولما أراد الله أن يشير إليها استخدم الضمير الإشاري (تلك) لما فيها من نعيم مقيم : ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما ورد في الحديث عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما ورد في الحديث الدار الآخرة) وجاء الوصف بهذا؛ لأن الإنسان يبقى خالدا فيها، وهي عند الزمخشري بأن التفخيم ليس من ضمير الإشارة وحده، وإنما ينضاف عند الزمخشري بأن التفخيم ليس من ضمير الإشارة وحده، وإنما ينضاف إليه أداة التعريف (أل) الواردة في البدل (الدار) والصفة (الآخرة)، إذ لو كانت : تلك دار آخره، لكان ثمة اختلاف في الدلالة، إضافة إلى ما جاء في وصفها في مواضع مختلفة من القرآن الكريم والحديث الشريف تحبيبا في وترغيبا للعمل من أجل دخولها .

على أن ثمة شيئا آخر هنا بالنسبة للإحالة إذ نجده إلى عنصر إشارى (مفسر) وليس إلى متقدم أو إلى متأخر، وإنما إحالة داخل النص القرآنى، أى إلى مواضع منتثرة من القرآن الكريم، على أساس أن القرآن والسنة يفصل ويوضح كل منهما الآخر، فإن ما أجمل في موضع من القرآن تناولته السنة بالتفصيل، وبالتالى فإن هذا الضمير (مبهم) تفسره الإحالة سواء كانت معجمية (كلمة مفردة) أو جزء من نص، بمعنى أنه عنصر ذو طابع خاص، إذ إحالته ليست إلى نص ذاته.

<sup>.</sup> IA+ / T (I)

# عنصر إشارى • إحالة إلى متقدم • عنصر إحالى (لاحق) • ضمير الإشارة

خارج نطاق السورة

أما في آية الأعراف ( يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِنَاسًا يُوارِي سُوءَاتكُمْ وَرِيشُا وَلَهَاسُ التَّقُوىٰ ذَلكَ حَيْرٌ ذَلكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكُرُونَ ) ، قال الزمخشري : ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى، أو أن يكون إشارة إلى اللباس الموارى للسوءة ؛ لأن مواراة السوءة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة (١) .

ويختلف هذا النمط الإحالى عن سابقه من حيث الإحالة، إذ يحيل نمط القصص إلى خارج نطاق السورة، أى إلى موضع آخر من النص القرآنى، أما عنصر الإحالة هنا فإنه يمثل عنصرا إشاريا إلى متقدم، داخل القرآنى، أما عنصر الإحالة هنا فإنه يمثل عنصرا إشاريا إلى متقدم، داخل على ما جاء عند الزمخشرى يحيل إلى الآية (٢٢)، أى إلى متقدم من السورة ذاتها ( فَدَلاهُمَا بعُرُور فَلَمًا ذَاقًا الشَّجَرَة بَدَتُ لَهُمَا سُوءاتهُما وطَفقا يغضفان عَليهما من ورق الجَنَّة ...)، ومن هنا فإن عنصر الإحالة (ذلك) يشير إلى هذا الأمر العظيم، وهو ظهور السوءة، أو العورة التى كان الشيطان عاملا فعالا في إظهارها، ولذا جاء التعبير بضمير الإشارة (ذلك) الذي يدل أو يشير إلى جلل الأمر وعظمته، وفي الوقت ذاته يشير إلى أن الناس الزينة (الدنيا) المادى، ومن هنا فإن إحالة ضمير الإشارة هنا إلى الناس الزينة (الدنيا) المادى، ومن هنا فإن إحالة ضمير الإشارة هنا إلى عضرى إشارة متقدمين داخل نطاق السورة: -

الأول: الإحالة إلى ظهور السوءة أو العورة، وهي تمثل إحالة معجمية.

الثاني: الإحالة إلى عظمة لباس التقوى وتفضيله على اللباس المادى، وهي إحالة معجمية أيضا.

<sup>. 01</sup> LOA / Y (1)

غير أن الإحالة في الأول إحالة إلى متقدم داخل نطاق السورة، أما الثانية فهى متقدمة وداخل نطاق السورة، بل وداخل نطاق الآية كذلك . وبالتالى فإن إحالته هذا ذات شقين، ويمثل هذا النمط القرآنى نمطا فريدا في الأنماط الإحالية لضمير الإشارة كافة، إذ المعتاد أن الإحالة إلى شيء بعينه يفسر المبهم (ضمير الإشارة) ويوضحه، إلا أنه هنا جاء ليحيل إلى موضعين .

وينبه الباحث هنا أنه حينما يمثل ضمير الإشارة إحالة إلى أكثر من موضع، فإن هذا لا يمنع أنه في كلتا الحالتين يحدد المشار إليه، ويرجح السياق هاتين الإحالتين، إذ ليس ثمة تعارض بينهما، وبالتالى فإن كل واحدة منهما توضح جانبا وتظهر جزئية، وتكشف النقاب عن علاقات داخل إطار النص، ومن هنا يمكننا أن نتصوره على النحو التالى:

وجاء النمط الثالث من سورة يونس ( ذَلكُمُ اللهُ رَبُكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكُرُونَ) ومن ثم فإن هذا الضمير (الإشارة) يمثل عنصرا إحاليا كذلك إلى متقدم عليه، غير أن هذه الإحالة داخل الآية ذاتها، فبداية الآية (إِنَّ رَبِّكُمُ اللَّهُ اللَّذِي خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ فِي سَتَّةً أَيَّامٍ ثُمُّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْش يُدبَرُ الْمُر ما من شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْد إِذْنِه ...)، ومن ثم فإن ضمير الإشارة (ذلكم) المأمر ما معالجة هذا النمط في ضوء المخالفة بين الإحالة والمحيل إليه في موضع لاحق هذا – إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة، أي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ريكم (١).

ومن هنا فإن عنصر الإحالة الإشارى يحيل إلى متقدم، بيد أن إحالته إلى الشق الأول من بداية الآية الكريمة:

أما نمط سورة الشعراء ( فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيةً وَمَا كَانَ الْكَثْرُهُم مُوْمِنِينَ) والحديث قبل هذه الآية عن ناقة صالح عليه السلام ومعجزتها، وأن لعاقرها عذاباً أليماً، ومن هنا فإن ضمير إشارة (ذلك) يحيل إلى متقدم من هذه القصة، وبالتحديد إلى قوله تعالى ( وَلا تَمسُوها بسُوء فَاخُذَكُمُ عَذَابُ يَوْمُ عَظِيم فَعَقْرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادمِينَ) الآية : ١٥٧، ١٥٦ . ولما كنان القوم قد عقروها ( فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ )، وجاء التعبير بصيغة الماضى ( فَأَخَذُهُمُ ) للدلالة على تحقق ذلك الفعل، مضافا إليه القاء التي

<sup>. 141 / \* (1)</sup> 

تدل على التعقيب مع المسارعة، أى أنهم حين عقروا الناقة، أرسل الله سبحانه عليهم عذابه مباشرة، جزاء وفاقا، وعلى الرغم من هذا ( وما كَانَ أَكْثَرُهُم مُوْمَئِنَ) لذلك الأمر العظيم الذى جاءت الإحالة إليه بضمير الإشارة (ذلك) لمناسبة الحدث والمقام: -

ويلاحظ الباحث أن هذه الأنماط الأربعة المتناولة بالمعالجة هنا، جاءت جمعيها بـ (ذلك) في ثلاثة أنماط، سواء بالإفراد أم الجمع، وجاء النمط الرابع بضمير الإشارة أو الإحالة (تلك) على أن هذه الملاحظة تلفت النظر بمراجعة ما أورده النحاة .

بمعنى أن هذه الرؤية العملية يمكن إيضاحها فى ضوء قبود النحاة النظرية، وبالتالى يمكن اختبار مدى جدوى وفاعلية القيد النحوى فى مقابل الجانب العملى، بمعنى أن هذه الرؤية المستخلصة فى ضوء وجهة نظر الزمخشرى على وجه العموم يمكن إيضاحها فى ضوء شروط النحاة وقيودها النظرية .

وفى ضوء الرؤية السابقة لضمير الإشارة (ذلك) كانت فاعلية ونتيجة ذلك أن يعبر بها عن أمر عظيم، يقول ابن يعيش: فإذا قلت: لك أو إليك، فقد خاطبته باسمه كناية، وإذا قلت: ذلك أو ذلك، فقد خاطبته بغير اسمه، ولذلك لا يحسن أن يقال للمعظم من الناس هذا لك ولا إليك، ويحسن أن يقال : قد كان ذلك أو كذلك<sup>(١)</sup> .

ويشير الزمخشرى إلى الفرق بين: ذا، وذلك، ذلك، فقيل الأول للقريب، والثانى للمتوسط والثالث للبعيد(٢). وتحتاج رؤية الزمخشرى عرضا عمليا أو تفصيلياً، ونجد ذلك واضحا عدد ابن يعيش فى تفصيل: ذلك الاسم فيه ذا والكاف للخطاب، وزيدت اللام لتدل على بعد المشار إليه... فذا إشارة إلى القريب بتجردها من قرينه تدل على البعد، فكانت على بابها من إفادة المشار إليه؛ لأن حقيقة الإشارة الإيماء إلى حاضر، فإذا أرادوا الإشارة إلى متنح متباعد زادوا كاف الخطاب وجعلوه علاقة لتباعد المشار إليه، فقالوا: ذلك، فإن زاد بعد المشار أتوا باللام مع الكاف، فقالوا ذلك واستفيد باجتماعهما زيادة فى التباعد، لأن قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى(٣).

وتشير عبارة ابن يعيش: قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى، أن الإيجاز فى عناصر البنية التركيبية، يؤدى إلى نتيجة حتمية —— الإحالة إلى عنصر إشارى (قريب)، أى قصير قصر المادة المعجمية، ويمكن أن يكون رأى ابن يعيش هذا مفادا من أن (الذال) ذات مقطع قصير، تليها الألف ذات المقطع الطويل، ورغم كونها تنتهى بمقطع طويل (الألف)، إلا أن بنية المبنى لا تحوى عددا كبيرا من المقاطع، وهكذا تنتهى سريعا، وبالتالى فإن الإيجاز فى المبنى، يؤدى بالتالى إلى الإيجاز فى المعنى، أو قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى، بعبارة ابن يعيش.

<sup>(</sup>١) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٢٥٢ .

<sup>(</sup>Y) المفصل (ب) ص ٥٩ .

<sup>(</sup>٣) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٣٥٢ .

وكأن ثمة علاقة قائمة بين قلة الأصوات في (ذا) والإحالة إلى عنصر إشارى قريب، فقلة الأصوات (المبنى) تجعل (ذا) تحيل إلى عنصر إشارى قريب، وكأنه لقلة حرورفها ليس لها قوة بأن توصل إلى مسافة أبعد، أما الإحالة إلى بعيد (أو متنح بعبارة ابن يعيش) بإضافة (كاف) للدلالة على البعد في المكان، فإذا أرادوا الإشارة إلى أبعد أضافوا لاما: (ذلك)، فكل زيادة في المبنى تعطى زيادة في المعنى وبالتالى تظهر بوضوح دقة عبارة ابن يعيش (أن قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى).

ويلاحظ الباحث أن الأنماط المستخلصة هنا لضمير الإشارة تحيل جميعها إلى أمر عظيم وجليل، كما أن هذه الإحالة إلى هذا الأمر تعد هذه الوظيفة الإحالية الأساسية حسب الإحصاء الوارد عند الزمخشرى، وكذلك عند النحاة .

وإذا كان النحاة فيما سبق متمثلين فيما جاء عند ابن يعيش يرون أن صمير الإشارة يحيل ويشير إلى لاحق، فإن الزمخشرى لا يخالف هذه الرؤية، غير أنه يصنيف عنصرا آخر في الإحالة إلى لاحق، ويحيل عنده إلى سابق سواء أكان مباشرا، أي إحالة داخل الآية أو السورة، أم إحالة داخل النص القرآني عموما، أم إحالة ذهنية، وبالتالي فإن الزمخشري يخالف رؤية جمهور النحاة في إحالة ضمير الإشارة وهي إحالة ليست سلبية بقدر ما هي إيجابية، أعنى إضافته زيادة على ما جاء عند جمهور النحاة، وقد وضح بشكل كبير في الأنماط السابقة المعالجة.

وتبقى قضية أخرى فى هذا المقام، أن الإحالة إلى أمر عظيم، سواء كان متقدما أم لاحقا، أم خارج النص عند الزمخشرى، جاءت الأنماط جميعها بضمير الإشارة (ذلك) ومشتقاته، سواء بصيغة المفرد المذكر (ذلك) أو المونث (تلك) أو الجمع (ذلكم)، و (ذلك) هذه كما ذهب جمهور النحاة أنها تدل على بعد المشار إليه، والبعد هذا قد يعنى علوا فى المرتبة والمكان، كما فى قوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) البقرة / ۲، ومن ثم فإن استخدام هذه الصيغة (ذلك) لمناسبة السياقات المختلفة . أو بعدا فى الصلال، كما فى قوله تعالى (...ذلك هُو الصلال البعيد) إبراهيم / ۱۸، قال الزمخشرى : إشارة إلى بعد صلالهم عن طريق الحق والثواب (۱۰).

ومن ثم نرى أن البعد يتغير تبعاً للسياق، فعدما كان الحديث في آية البقرة السابقة عن الكتاب، بين الزمخشرى أن الإشارة إلى بعد الكتاب وعلو مرتبة، أما آية إبراهيم، فقد جاء ضمير الإشارة بعد وصف الله تعالى لأعمال الذين كفروا وتشبيهها بالرماد، أى لا شيء، ومن ثم عقب الله سبحانه بوصف هذا بأنه البعد الحقيقي في الضلال، ومن هنا نرى البعد يطوعه الزمخشرى حسبما يقتضى السياق.

وتقودنا ملاحظة استخدام (ذلكم) مع الإفراد، إلى قضية المطابقة بين عنصر الإحالة (ضمير الإشارة) وبين العنصر الإشارى (المفسر)، على أن ثمة أنماطا خرجت على قيود النحاة، وبالتالى خرجت على القياس والشيوع، ويرى أحد الباحثين: أن ضمير الإشارة قد أنتقل من خلال تلك الاستعمالات إلى الحرفية، وصار رابطا من الروابط التى تعقد الصلة بين أحداث متقدمة ونتيجة لاحقة، فإذا كان النظر إلى المخاطب أو المخاطبين الموجه إليهم الخطاب فتراعى المطابقة، وإذا كان التركيز على الخطاب ذاته فتتوارى تلك المطابقة ().

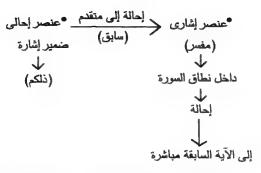
<sup>(</sup>۱) ۲ (ب)/ ۵٤۷ .

<sup>(</sup>٢) د . سعيد حسن بحيرى : من أشكال الربط في القرآن الكريم من ١٩٣٠ .

وإذا كانت هذه نتيجة، فاست داريا على أى أساس أقام رؤيته هذه؟ وعلى الرغم من أنه قال إنه سيدرس أنماط هذه الرؤية فيما يلى لم يقدم شيئا مما وعد به، وإنما ذكر مجمل آراء النحاة في العلاقة بين المشير (ضمير الإشارة) والمشار إليه (العنصر الإشاري المفسر) في الاستعمالات القياسية على حد قوله(١)، كما يلاحظ الباحث أن الأنماط التي تقع فيها المخالفة بين عنصر الإحالة (ضمير الإشارة) وبين عنصر الإشارة (المفسر) لها حالتان:

الأولى: إما أن تكون مفسرة ومقارنة، أو ما يمكن أن نطلق عليه عنصرا رابطا مثل (بل)، بمعنى أنه عندما يأتى ذكر (النار) - مثلا - يكون التعبير بـ (ذلكم) ويعرض بعدها إلى ذكر الجنة وتفضيلها على يكون التعبير بـ (ذلكم) ويعرض بعدها إلى ذكر الجنة وتفضيلها على المعنصر الإشارى (المفسر)، ومن ثم مقابلة في المعنى بين ما قبل (ذلكم) وما بعده، ومن هنا نرى أن ما بعده توضيحا وتفسيرا وتفصيلا، ففي قوله تعالى في سورة آل عمران ( قُلْ أَوْنَبُكُم بِخَيْر مِن ذَلكُم للدين اتّقوا عد ربهم جنات تجري من تحبها الأنهار خالدين فيها وأزواج مُطهرة ورضوان من الله والله والله بمصير بالمباد) آية / ١٥، ويعد ضمير الإشارة هنا عنصرا رابطا (حرفيا)، بمعنى أنه يربط بين الأحداث المتقدمة عليه في الآية ( ١٤) ( زُين للنّاس بمعنى أنه يربط بين الأحداث المتقدمة عليه في الآية ( ١٤) ( زُين للنّاس حُبُّ الشّهوات من النّصاء والنّين والقنّاطير المُقتطرة من اللّهب والفضة والْخيل وأحداث لاحقة له في الآية ( ١٥) ، ومن هنا يمثل ضمير الإشارة (ذلكم) وأحداث لاحقة له في الآية ( ١٥) ، ومن هنا يمثل ضمير الإشارة (ذلكم) عنصرا إحاليا إلى متقدم من هذه الآية ( ١٤) :

<sup>(</sup>١) ينظر: السابق ص ١٩٣.



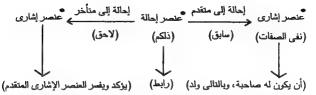
بيد أنه يلاحظ عدم المطابقة بين ضمير الإشارة (ذلكم) والعنصر الإشارى في الآية المتقدمة عليه مباشرة ، والقياس يوجب الإحالة باستخدام ضمير الإشارة (ذلك) للعناصر التفسيرية من لذات الدنيا المختلفة والمتفاوتة لماذا ؟ لأنه في الآية ذاتها، جاءت الإحالة إليها بالإ أن التعبير القرآني ما لبث أن عدل عن (ذلك) إلى (ذلكم) في الآية اللاحقة (١٥) وهذا في رأى النحاة خروج على القياس والشيوع، بيد أن ضمير الإشارة هنا ينتقل إلى كونه عنصرا إحاليا حرفيا، بمعنى أنه يعقد صلة أو مقارنة بين أحداث متقدمة وأخرى لاحقة، مفضلا في غالب الأحيان اللاحق على السابق، أو ما بعد عنصر الإحالة على ما قبله، ومن ثم يمكن القول: بأن (ذلكم) تشبه هنا عنصر الربط الحرفي (بل) إذ تعقد الصلة بين أحداث جملتين مختلفتين دلاليا، يذكر الأولى، ثم ما يلبث أن يعرض عنها إلى رأى آخر مقابل، أي نفى ما قبلها عما بعدها باستخدام (بل) .

ففي الآية (١٥) وعقب عنصر الإحالة (ذلكم) يدور الحديث عن

تقرى الله والجنات التى تجرى من تحتها الأنهار والأزواج المطهرة ورضا الله، هذا عن الآخرة فى مقابل ما جاء فى الآية (١٤) من لذات الحياة الدنيا ومتاعها الفانى، وهكذا يعقد عنصر الإحالة (ذلكم) صلة أو مقارنة بين شيئين متقابلين : -

(مجموعة من الأحداث والأفعال والصفات) (مجموعة من الأحداث والأفعال والصفات) (متاع الحياة الدنيا المفانى المشار إليها في الآية) (متاع الحياة الآخرة الباقي)

وفي سورة الأنعام: ١٠٢: ١٠٣: ( ذَلكُمُ اللهُ رَبُكُمْ لا إِلهَ إِلاَ هُو خَالِقُ كُلِّ شَيْء فَاعْبُدُوهُ وَهُو عَلَىٰ كُلَّ شَيْء وَكِيلٌ لا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُو يَدْرِكُ الأَبْصَارُ وَهُو اللَّهِ السَابِقة لها مباشرة اللطيفُ الْخَيِرُ) إحالة (ذَلكُمُ) إلى الذات العلية في الآية السابقة لها مباشرة آية / ١٠١ ( بَدِيعُ السَّمُواتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَهُ صَاحِبةٌ وَخَلَق كُلُ شَيْء وَهُو بِكُلِ شَيْء عَلِيمٌ) نجد في الآية / ١٠١ ، يؤكد معنى ويفصل ما كُلُ شَيْء وَهُو بَكُلِ شَيْء وَكِيلٌ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُو يَدْرِكُ الأَبْصَارُ هَدُو يَدْرِكُ الأَبْصَارُ وَهُو اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا رَضْ وَانَهُ سِبِحانه ليس له ولد وليس له صاحبة، وخلق كل شيء وهو بكل شيء وانه السيعات تؤكد المعنى في الآية الأولى، والمعنى وإن كانت هذ والي المعانى والد، والتركيز هنا على عليم، فهذه الصفات تؤكد المعنى في الآية الأولى، والمعنى وان كانت هذ صفائه، فكيف تكون له صاحبة أو يكون له ولد، والتركيز هنا على المخاطب - الذات العلية - ورغم ذلك لم تراع المطابقة كما ذكر الباحث.



ويتكرر هذا أيضا في الأعراف ١٤١ ( وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِنْ آلِ فرعُونَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلكُم بَلاءٌ مَن يَسُومُونكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلكُم بَلاءٌ مَن رَبّكُمْ عَظِيمٌ ) غير أنه يختلف عن سابقه في أنه لا يعقد مقارنة بين أحداث المتقدمة سابقة وأخرى لاحقة، بقدر ما يكون عنصرا رابطا للأحداث المتقدمة عليه فيما يلحقه، وهكذا يمثل هذا النمط مفارقة من ناحية التفسير، ففي الآية الكريمة نجد وصفا لما فعله فرعون وقومه في بني إسرائيل من إذاقتهم أنواع شتى من العذاب: من قتل الأبناء، واستحياء النساء، ولما كان هذا كله أمراً عظيماً وجللاً لما يُفعل بهم، جاء التعبير بـ (ذلك) المناسبة، غير أنه عدل إلى (ذلكم) في محاولة لوصف هذه الأعمال التي فعلت في بني إسرائيل: بلاء من ربكم عظيم. وهكذا يتحقق مع عدم المطابقة شيء لا يتحقق بدونها: -

وهكذا نجد المناسبة بين استخدام (ذلكم) للدلالة على شناعة هذه الأفعال، وأنها عمل غير صالح، وبين الوصف التالى لـ (ذلكم) بأنه: بلاء من ربكم عظيم، وهكذا يتحقق الانسجام بين استخدام الأداة - ضمير الإشارة - وبين الأفعال التى قام بها فرعون فى بنى إسرائيل من التقتيل واستحياء النساء ... الخ، والوصف التالى لضمير الإشارة (ذلكم) بأنها أعمال عظيمة . وهكذا تتحقق العلاقة بين ضمير الإحالة والسياق والموضوع(١).

وفي سورة فصلت : ٢٣ ( وَذَلَكُمْ ظَنُكُمُ اللّذِي ظَننتُم بِرَبِكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَنُكُمُ اللّذِي ظَننتُم بِرَبِكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصَبَحْتُم مَنَ الْخَاسِرِينَ)، جاءت الإشارة بـ (ذلكم) إلى ما في هذه الآية السابقة مباشرة (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتُرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ مَمْ وَلَكُن ظَنتَمْ أَنَّ اللّهَ لا يَعْلَمُ كَثيرًا مَمًا تَعْمَلُونَ) الآية / ٢٢ من ذات السورة، وكان قياس النحاة أن تأتى الإحالة بضمير الإشارة (ذلك) بدلا من (ذلكم)، ولكني أحسب أن التعبير القرآني عدل إلى استخدام صيغة (ذلكم)؛ لإرادة توكيد ما جاء في آية (٢٢)، بمعني ما كنتم تتوقعون أن تشهد عليكم سائر أعضائكم، وهذا الظن كان بريكم كذلك، فأراد أن يؤكد ويفسر المعنى في الآية (٢٢) بما جاء عقب ضمير الإشارة (ذلكم):

Max, Miller: Kontext und Sprachliche Referenz auf Objekte, S. 110: 115. (1)

على أن ثمة ملاحظة فى هذا السياق فى القرآن الكريم أنه حين نتوارى المطابقة بين عنصر الإحالة – ضمير الإشارة – وبين العنصر الإشارى المفسر لهذا الضمير، أن ضمير الإشارة يأتى بعده ما يفسره ويوضح ما قبله ويؤكده ... بمعنى أن عنصر الإحالة لا يشير إلى متقدم أو لاحق فقط، وإنما يشير إلى الاثنين معا فى آن واحد، وبالتالى يمثل رابطا بين الإحالة إلى متقدم وإلى لاحق /متأخر، وهكذا تحقق عدم المطابقة إضافية زيادة سمة لا تقدمها الأنماط القياسية .

وإذا كانت كل التراكيب التى تأتى فيها (ذلك) ومشتقاتها، تشترك فى إشارتها إلى أمر عظيم، فإنها فى الواقع تختلف من حيث وضع المشار إليه: خارج النص فى الموضع السابق عليه، فى موضع آخر نطاق السورة، أو يشير إلى لاحق، أم لا؟... وبالتالى تختلف الأنماط بالنسبة لموضع العنصر المشار إليه أو المفسر، غير أنها جميعا تتفق فى وظيفتها فى الإحالة إلى حدث كبير وجلل .

وإذا كان ضمير الإشارة (ذلك) يحيل إلى أمر عظيم وجليل، فإن ضمير الإشارة (هذا) يحقق هذه الوظيفة، ففي آية : ٩ من سورة الإسراء ضمير الإشارة (هذا) يحقق هذه الوظيفة، ففي آية : ٩ من سورة الإسراء (إنَّ مَذَا الْقُرْآن يَهُدِي لِلِّي هِيَ أَقُومُ ) الإحالة هذا إلى لاحق، هذا لاحق القرآن، ومن هذا فإن هذا النمط يختلف عن الأنماط السالفة للزمخشري في أن ضمير الإشارة كان يحيل إلى أمر عظيم سابق (متقدم)، وجاءت الأنماط الأخرى في المخالفة بين ضمير الإشارة والعنصر الذي يشير إليه، في أن ضمير الإشارة يمثل عنصرا رابطا بين أحداث متقدمة وأخرى لاحقة عن طريق التركيز على هذه الصفات الواردة قبل ضمير الإشارة إلى ما يليه، والإحالة إلى متأخر، كما في هود آية / ٢٧(إنَّ هَذَا

لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) الإشارة إلى متقدم سابق في ذات الآية، وهو نبأ البشارة بالحمل : (قَالَتُ يَا وَيَلَنَيْ أَالِدُ وَأَنا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنْ هَذَا لَشَيَّ عَجِيبٌ).

وبالتالى فإن الإحالة إلى متقدم داخل نطاق السورة، بل داخل نطاق الآية، وسواء كانت الإشارة إلى لاحق أم إلى متقدم، فإنه يحقق هذه الوظيفة كما في قوله تعالى (هذه جَهنّمُ ألّي يُكذّبُ بِها المُجُرمُونَ) الرحمن/٤٢، هذه الوظيفة التي قال عنها بات (G. Bhatt): بأن هذا التحديد الدلالي للضمائر من المحتمل أن تكمل وتتمم المعانى مع بعضها البعض، وهي قابلة نوعا ما أن تحمل هذا الاستخدام (١١).

وبالتالى فإن الإحالة سواء إلى متقدم أم إلى متأخر لا تسبب عائقا في القيام بهذه الوظيفة التي هي منوطة به، الربط عن طريق الإشارة إلى ذلك الحدث الجلل، وبالتالى يمكن القول إن الضمائر مهما اختلفت نوعية الإحالة تظل وظيفتها العامة ثابتة، كما ثبت ذلك عند الزمخشرى(٢).

ولا يبتعد عن هذا ما قاله (برونميلير): (K. Braunmüller)) إن القواعد المرجعية تعمل على الإيضاح للسامع من خلال المتكلم نفسه مع تعبيرات جديدة في النص ذاته، وهو يعمل على ربط العلاقة الكائنة وضبطها بين المتكلم والآخرين<sup>(۱)</sup>.

ويعرض أحد الباحثين من خلال التبادل الموقعي بين (هذه) و

C. Bhatt: Die Syntaktische Struktur Nominalphrase im Deutsch, S. 155. (۱) معالحة الباحث لضمائد الفصل، والشأن والإشارة التي يتناه لها بالمنافشة في

 <sup>(</sup>٢) من خلال معالجة الباحث لضمائر الفصل والشأن والإشارة التي يتناولها بالمناقشة في هذا الموضع.

K. Braunmüller: Referenz Pronominalisierung, zu den Deiktika und Proformen (\*\*) des Deuschen S. 58.

(تلك) ويرى فى ذلك خروجا لما قعد له النحاة، ويعرض أنماطا متماثلة لكلا الضميرين فى القرآن الكريم(١).

على أن هذه الملاحظة التى أشار إليها الباحث للتبادل الموقعى بين (ذلك) و (هذا، هذه) هي في الواقع مأخوذة من رؤية النحاة، حيث عرض لها أبو حيان الأندلسي، وقد ردها إلى صاحبها، ابن مالك، ويرى أن هذه الرؤية هي مذهب الجرجاني وطائفة معه، بيد أن السهيلي خالفهم في ذلك وأبطل حججهم(١)، ولم يشر الباحث إلى أصل الفكرة.

بيد أن هذا وإن كانت تجيزه بعض السياقات، فإنه غير جائز على وجه العموم، بمعنى أن ثمة فارقا بين (ذلك) وبين (هذا، هذه) أى أن (ذلك) وظيفتها الأساسية الإشارة إلى حدث جلل، وذلك بخلاف: هذا، هذه، فإنهما يقومان بالوظيفة لكن فى ظل شروط بعينها تتحقق بتحقق عدد من القرائن تتكاتف فيما بينها لإيضاح المعنى العام، ولا أدل على ذلك إن: هذا، هذه، فى سياقات كثيرة لا تحقق هذه الوظيفة.

ف (هذا، هذه) في الآيات السابقة نجد السياقات تستدعى هذا الأمر الإشارة إلى أمر عظيم وحدث جليل - ففي آية هود نجد الأمر غير عادى، أي حدث كبير يستدعى هذه الوظيفة الدلالية لمناسبة السياق والمقام، وفي آية الرحمن كذلك تهويلا لها ولشأنها، ومن هنا جاء وصف حالهم في الآية التالية لها (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَبِيمَ آن) الرحمن / ٤٤، تعظيما لها ولحالها، وكذلك في آية / ٢١ من سورة الحشر ( لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبْلِ لَمْ أَيْتَهُ عَشْية الله...) تعظيما لشأن القرآن القرآن

<sup>(</sup>١) د . سعيد حسن بحيرى : من أشكال الربط في القرآن الكريم ص ١٩٩

<sup>(</sup>٢) أبو حيان الأندلسي : ارتشاف الضرب ١ / ٥١٠ .

وتفخيما له، وهكذا تتضافر السياقات اللغوية وغير اللغوية لإيضاح هذا المعنى وإبرازه، وبالتالى فإن (هذا، هذه) الواردة فى السياقات لا تتوفر فيها هذه الشروط وبالتالى لا تقدم هذه الوظيفة .

على أية حال فإن الإشارة إلى حدث جلل ليس على إطلاقه مع: هذا، هذه، أى أن وظيفته الأساسية هى الإحالة إلى القريب، وهى مأخوذة من (ذا، ذه) ينضاف إليها (ها) التنبيه، و (ذا) للإشارة، والمراد تنبه أيها المخاطب لمن أشير إليه (١٠) . ومعنى هذا أنه يريد أن ينبهك إلى المشار إليه وعظمة الأمر بالنسبة لضمير الإشارة (ذلك)، ومن هنا تتضح نقاط الالتقاء بينهما، وتعد هذه سمة مشتركة بين الضميرين معا.

وفى آية / ٣٢ من سورة يوسف (فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتَنِي فِيه)، قال الزمخشرى: ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به، وربئا بحاله واستبعادا لمحله (٢)، فرأينه وأكبرنه، بصيغة البعيد ؟ فيقال: بأن استعمال صيغة البعيد عوضا عن (هذا) يؤكد جمال يوسف وعفته، أي بعد مناله.

ويرى فى هذا السياق محمد اليعلاوى أن هذا يمكن أن يرد على هذا التأويل بأن التعظيم حاصل بد أى بتصريف حرف الخطاب، فلو أراد القائل أن يحافظ على الإشارة القريبة - ويوسف كان أمامهن - مع تعظيم شأن يوسف، لوجب عليه أن يقول (فذاكن) الذى لمتنى فيه (٢٠) .

غير أن الباحث يختلف مع رأى اليعلاوي السابق وذلك من نواح

<sup>(</sup>١) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١/ ٣٥٣ .

<sup>(</sup>۲) ۲ (ب)/ ۲۲3 .

<sup>(</sup>٣) محمد اليعلاوي : ملاحظات على لغة القرآن ص ٦٣ .

منها: أن التعظيم حاصل من استخدام ضمير إشارة (ذلكن) في الآية وليس من حرف الخطاب، ويدلك على ذلك استخدام (ذلك) للبعيد عند جمهور النحاة، ومن هنا انتقل المعنى الحسى إلى البعد المعنوى، الذي يتناسب ومقام يوسف عليه السلام، وهذا ما أشار إليه الزمخشرى في الموضع ذاته: ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن... وربئا بحاله واستبعادا لمحله (١).

الشيء الآخر وهو يؤكد الرأى الأول بأن الله عز وجل قد أشار في الآية / ٣١ من السورة ذاتها، أي قبل الآية السابقة والموضوع يتعلق بيوسف عليه السلام أيضنا ( فَلَمًا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْدَتْ لَهُنَّ مُتَكَا وَآتَتْ كُلُّ وَاحدة مَنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتَ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمًا رَأَيْهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَعْنَ الْدِيهُنَّ وَقَلْنَ حَاشَ لِلهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكَ كَرِيمٌ) فاستخدم (هذا) في سياق الآية يؤدي معنى (ذلك) رغم كون الموقف ليس عاديا، إلا أنها تؤدى الدلالة المطلوبة، وفي الآية التالية لهما ما كان (هذا، ذلك) يؤديان المعنى ويتبادلان العوقع كما جاء عند جمهور النحاة، جاءت الآية التالية باستخدام (ذلك) وإضافة حرف الخطاب وذلك لأن المقام مقام خطاب نسوة، وليس للتعظيم كما ذهب اليعلاوي، وهكذا نجد التبادل بين (هذا)، ذلك) في الدلالة، إصافة إلى السياقات المختلفة .

كما أن التبادل الذى حدث فى الآيتين يمكن أن يكون نوعا من التنويع فى الأسلوب والبلاغة، ما دام لا يؤثر على الدلالة المبتغاة من الآية الكريمة.

وبالتالى لا أرى وجها لما ذهب إليه اليعلاوي من : أن التمييز بين

<sup>(</sup>۱) ۲ (ب) / ۲۲۱ .

القريب والبعيد لم يكن خاضعا لقاعدة راسخة، وكذلك التعظيم والتفخيم، فقد رأينا حرية التصرف في شأنهما وكذلك تعدد السامعين والمخاطبين (١).

كيف يطلق على هذا وهو أمام نص قرآنى ؟ أى أن نصوصه محكمة، بمعنى أن الاستقراء القرآنى يجيز التبادل الموقعى، خاصة بين هذين الحرفين : هذا، ذلك، غير أن الذى غاب عن ذهن اليعلاوى أنه أرجع كل شيء إلى السياق اللغوى دون أن تكون ثمة عناصر أخرى غير لغوية متممة للمعنى كالسياق الثقافى والدينى والتاريخى ... وهكذا نجد هذه العناصر لا تقل أهمية عن العنصر اللغوى، ومن ثم نجد خطورة الاعتماد على السياق اللغوى في كثير من الأحيان، إذ نجد أنماطا قرآنية لا تنكشف دلالتها إلا بإتاحة الفرصة أمام سياقات متنوعة .

ويشرح الطبرى ذلك في قوله تعالى (ذَلكَ الْكَتَابُ لا رَيْبُ فِيهِ)
البقرة / ٢ ، التبادل الموقعي بين هذا ؟ و (هذا) لا شك إشارة إلى حاضر
يجوز أن يكون (ذلك) بمعنى هذا ؟ و (هذا) لا شك إشارة إلى حاضر
ومعاين، و (ذلك) إلى غائب غير حاضر ولا معاين ؟ قيل : جاز ذلك لأن
كل ما يقتضي قرب تقتضيه من الأخبار، فهو وإن صار بمعنى الحاضر
فكالحاضر عند المخاطب، وذلك كالرجل يحدث الرجل الحديث، فيقول
السامع : إن ذلك والله كما قلت، وهو والله كما ذكرت، فيخبر عنه مرة
بمعنى الغائب، إذا كان قد تقضى ومضى، ومرة بمعنى الحاضر لقرب
جوابه من كلام مخبره، كأنه غير منقض، فكذلك (ذلك) في قوله تعالى
( ... ذلك الكتاب) ... ولذلك حسن وضع ذلك في مكان هذا؛ لأنه أشير

<sup>(</sup>١) اليملاوي : ملاحظات على لغة القرآن ص ٦٣ .

إلى الخبر عما تضمنه قوله تعالى (آلم) من المعنى بعد تقضى الخبر عنه (آلم) فصار لقرب الخبر عنه من تقضيه كالحاضر المشار إليه، فأخبر عنه بذلك لانقضائه، ومصير الخبر كالخبر عن الغائب ...(١).

وتأتى الإشارة إلى أمر عظيم (هذا، هذه) مرة مع (أن) وتارة أخرى بدون (إن)، ولم يؤثر على أداء الوظيفة، وبالتالى يمكن القول إن (هذا، هذه) أو إن وحدها أو التركيب وموضوع الكلام... الغ من عناصر كلها ينبنى بعضها على بعض ويتضافر لإيضاح المعنى الأساسى والوظيفة الرئيسية، وليس عنصرا وإحدا وحده كافيا - كما ذهب الباحث - وهو في محاولته هذه يحاول أن يتخطى قيود النحاة، صحيح أن ثمة أنماطا، بيد أن هذا مرهون بسياقات وعناصر متشابكة حينا ومتداخلة أحيانا، تؤدى في نهاية الأمر جميعا إلى القيام بهذه الوظيفة.

وأشير في هذا الموضع - إضافة إلى ما ذكره الزمخشرى - إلى بعض الأنماط التي تؤكد الرؤية العامة التي جاءت عند النحاة لتمثل ملمحا عاما في القرآن الكريم، ففي سورة البقرة / ٨٥ ( ... فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ مَلَحَا عاما في القرآن الكريم، ففي سورة البقرة / ٥٥ ( ... فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنكُمْ إِلاَّ خَزْيٌ فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا ويَوْمَ القيَامَة يُردُونَ إِلَىٰ أَشَدَ الْعَدَابِ وَمَا الله فَي بداية الآية بغفل عَمَا تعمَّلُون) جاءت الإشارة إلى عدد من الأحداث في بداية الآية (قتل النفس، إخراج البعض من ديارهم، افتداء الأسرى) ولما كانت هذه أحداثا عظيمة؛ لأنها بغير حق، كان ذلك أمرا عظيما عند الله جزاءه (خزى في الحياة الدنيا)، أما يوم القيامة فمآله إلى (أشد العذاب)، وجاء التعبير في الآية باستخدام صورة القصر (ما + إلا) للدلالة على توكيد نتيجة فعل ذلك العمل الشنيع الذي تحيل إليه (ذلك)، وبالتالي فإن ضمير نتيجة فعل ذلك العمل الشنيع الذي تحيل إليه (ذلك)، وبالتالي فإن ضمير

<sup>(</sup>١) الطبرى : جامع البيان في تفسير القرآن المجلد الأول ١ / ٢٢٥، ٢٢٦ .

الإشارة (ذلك) يمثل عنصرا رابطا بما تقدم عليه من أحداث وبما يليه من أحداث كنتيجة لفعل الأحداث الأولى، ويمكن تصور ذلك على النحو التالى:

وفى سورة فصلت / ٢٨ ( ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللّهِ النّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللّهِ النّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)، وفى هذه الآية تحيل (ذلك) إلى عدد من الأحداث قبلها، وهى أمور عظيمة فعلها الكفار كعدم سماع القرآن، واللغو فيه، ونتيجة لذلك (فَلَنديقَنَّ اللّهِينَ كَفُرُوا عَذَابًا شَديدُ وَلَنجُهُمْ أَسُواً اللّهِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) / ٢٧ من السورة ذاتها، ولما كان الكفر هكذا كانت نتيجة السالفة هى الأمور العظيمة، كانت الإحالة بـ (ذلك) طبيعى، وذلك لأنهم (أعداء الله لهم فيها دار الخلد) لقاء ما قدموا، وهكذا يتحقق دائما مع (ذلك) إحالة إلى أمر عظيم وجليل، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر.

ويخرج ضمير الإشارة إلى الدلالة على (الكمال والبعد) كما جاء فى قوله تعالى (ذلك الكتاب لا ربب فيه) البقرة / ٢، قال الزمخشرى .... ومعناه ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل، كأن ما عداه من الكتب فى مقابلته ناقص، وأنه يستأهل أن يسمى كتابا، كما تقول هو الرجل، أى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون من مرضيات الخصال(١). ويرى أبو حيان

<sup>. 19 / 1 (1)</sup> 

الأندلسى: أن هذا النمط من باب عظمة المشار إليه أو المشير<sup>(١)</sup>، وبالتالى يأخذ برأى النحاة في باب (ذلك).

وتدل (ذلك) في هذا النمط - كما جاء عند الزمخشري - وبالتالي فإن وظيفتها تختلف عن وظائف (ذلك)، وهي الإشارة إلى حدث جال، بيد أن الباحث يختلف مع رؤية الزمخشري حول وظيفة (ذلك) هنا، ويذهب إلى أن الكمال المفاد في هذا السياق ليس من ضمير الإشارة (ذلك)، بقدر ما هو من (أل) الموجودة في بداية (كتاب)، بمعني لو أن إنسانا قال: هذا هو كتاب؛ لأدى التركيب وظيفة الكمال، أي أن هذا الكتاب هو الكامل، وما عداه ناقص، رغم وجود (ذلك) في التركيب، بخلاف هذا هو كتاب، فلا يؤدي المعني، ويدعم هذه الرؤية أكثر أن ورود بخلاف هذا هو كتاب، فلا يؤدي المعني، ويدعم هذه الرؤية أكثر أن ورود (ذلك) في أنماط ليس فيها (أل) لا تؤدي هذه الوظيفة، ففي قوله تعالى في المائدة (ذلك كَفَّارةُ أَيْمَانِكُمْ إذَا حَلَقْتُمْ) / ٨٩ . وفي الكهف/٢٠ ( ذلك جزاؤهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفُرُوا وَاتُخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً) ولم يقل أحد من التراكيب بؤدي وظيفة الكمال.

وذلك بخلاف الضمائر العامة: ضمير الغصل، ضمير الشأن، ضمير الإشارة، بالإضافة إلى الاسم (ضمير + أل + اسم) يعطى معنى الكمال، هذا هو الرجل، أى الكامل فى الرجولية، وهذا هو الشاعر، كأن ما عداه ليس بشاعر... وهذا ينطبق على باقى الضمائر، ومنه فى القرآن الكريم فى قوله تعالى ( ذَلِكَ الْفَصْلُ مِنَ الله وَكَفَىٰ بِالله عَليمًا) النساء: ٧٠، وفى سورة التوبة كذلك ( ... ذَلِكَ الدّينُ الْقَيّمُ فَلا تَظْلُمُوا فيهنَ أَنفُسكُمْ وَقَاتِلُوا

<sup>(</sup>١) أبو حيان الأندلسي : ارتشاف المضرب ١ / ٣٣ .

الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) آية : ٣٦.

وفي ذات السورة / ٦٣ ( أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنْهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَمَ خَالداً فِيهَا ذَلكَ الْخَزْيُ الْعَظِيمُ) ولا يختلف الأمر مع ضمير الغيبة (الفصل) كما في قوله تعالى (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُ وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهُ لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُ وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ هَذَا لَهُو اللَّهَ لَهُوزُ الْعَظِيمُ ) الصافات : ٦٠ وفي آية / ١٠٦ من السورة ذاتها (إِنَّ هَذَا لَهُو الْبَحَيْرُ الْمُبَينُ) ولا شك أن الدلالة واضحة، وتعد هذه سمة عامة في التعبير القرآني دائما الذي يدل على الكمال في مقابل النقصان .

وكذلك في الجاثية / ١١ (هَذَا هُدَى وَالَّذِينَ كَفُرُوا بِآيَاتِ رَبَهِمْ لَهُمْ عذابٌ مِّن رَجْز أَلِيمٌ ) قال الزمخشرى : إشارة إلى القرآن الكريم، يدل عليه قوله تعالى (وَالَّذِينَ كَفُرُوا بِآيَاتِ رَبَهِمْ)؛ لأن آيات ربهم هي القرآن، أي هذا القرآن كامل في الهداية، كما تقول : زيد رجل، تريد كامل في الرجولية، وأيما رجل...(١) .

والسياق كما فى آية البقرة السابقة يدعم رأى الزمخشرى، إذ المراد فى كليهما (القرآن)، وهو الكتاب الكامل الشامل: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وفى قوله تعالى (مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها).

كما أن الزمخشرى أشار إلى أن ضعير الإشارة يدل على الوصف والتفصيل كما فى قوله تعالى ( ذَلكَ بانَهُمْ آمَنُوا ثُمُ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ) المنافقون/ ٣، قالَ الزَمخشرى : (ذَلكَ ) إشارة إلى قوله (سَاءَ ما كَانُوا يَعْمُلُونَ ) أى إلى الآية السابقة ... أو إلى ما وصف من حالهم

<sup>.</sup> YAY / £ (1)

فى النفاق والكذب والاستهجان بالإيمان<sup>(۱)</sup>، أى إلى ما تقدم فى الآية الأولى من السورة، وفى قوله تعالى الرعد / ٥، ذهب الزمخشرى إلى أن فى الإشارة وصف لحال الكافرين<sup>(۱)</sup>. وتعد هذه إشارة موجزة تحتاج إلى نوع من التحليل على النحو التالى:



ومن ثم نرى ضمير الإشارة يمثل عنصرا رابطا، إذ نجد ضمير الإشارة (أولئك) في آية الرعد يعقد صلة بين أحداث متقدمة وأحداث لاحقة، ويمكن الجمع بينهما بعلاقة المقابلة، إذ نجد في الآية الأولى الحديث عن الكتاب، وأنه من عند الله ورغم ذلك أكثر الناس لا يؤمنون به، ومن ثم نرى الله سبحانه يسوق الآيات البينات التي تدل دلالة واضحة على أنه من عند الله: رفع السماء بغير عمد، وتسخير الشمس والقمر، كما أنه مد الأرض وجعل فيها جبالا كما جعل فيها أنهارا، وأخرج من هذه الأرض ثمرا مختلفا ألوانه وطعمه ... الخ .

وبالتالى فإن هذه الدلائل والآيات الواضحة كفيلة بأن تجعل من كان له قلب سليم يؤمن ويوقن يقيناً ما بعده يقين في أن الله هو الذي

<sup>(</sup>١) (ب) ٤ / ٣٩٥ .

<sup>(</sup>٢) ينظر : (ب) ٢ / ٥١٣ .

أنزل الكتاب، وأنه هو الذى خلق كل شيء، وبما أن كفار مكة لم يؤمنوا فجاء وصفهم بـ ( أولئك الأنين كفروا بربهم و أولئك الأغلال في أعناقهم)، وقد أكد الحق هذا الوصف مرة أخرى في سياق الآية ذاتها باستخدام العطف (الواو) وتكرير ضمير الإشارة، وفي كل مرة يذكر صفة من صفاتهم، وفي الصفة الأخيرة : وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . نجد الله قبل أن ينهى هذه الآية يستخدم مؤكدا آخر: ضمير الفصل (هم)، وهكذا نجد أنه يريد أن يؤكد أن الذين يرون آياته واضحة ولا يؤمنون يستحقون هذه الصفات، بل (هم أصحاب النارهم فيها خالدون).

وهكذا نجد ضمير الإشارة يعقد صلة بين صفات متقدمة وأخرى لاحقة، والعلاقة القائمة بينهما علاقة المقابلة، ومن خلال هذه الصلة بين السابق واللاحق نجد عملية الربط التي يقوم بها الضمير بشكل عام، كما يلاحظ أن عقب ضمير الإشارة جاءت صفات الذين كفروا في مقابل آبات الله البينات.

وفي الآية / ٤ من الأنفال (أُولَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِهِمْ وَمَغْفِرةٌ وَرِزَقٌ كَرِيمٌ) نجد الزمخشرى : يرى أُنَهم الكاملون في الإيمان من صفتهم كيت وكيت ().

ومن هنا نرى الزمخشرى لم يشر إلى أن صفة الكمال من أى بنية لغوية اكتسبت، أمن ضمير الإشارة (أولئك)؟ أمن ضمير الفصل (هم)؟ أم من (أل) الكائنة فى المؤمنين؟، أم ن كلمة (حقاً)؟، وبالتركيز على السياق اللغوى للآية نجدها تتشابه إلى حد بعيد مع آية الرعد السابقة من حيث إن كلاً من ضمير الإشارة فى الآيتين يتعلق بوصف، غير أنه فى

<sup>. 117 / (1)</sup> 

آية الرعد جاء الوصف عقب ضمير الإشارة (أولئك) وفي آية الأنفال جاء الوصف قبل ضمير الإشارة (أولئك)، وهكذا نجد ضمير الإشارة – خاصة أولئك – يرتبط ارتباطا مباشرا بعملية الوصف حسبما جاء في القرآن الكريم .

وفى آية الأنفال نجد قبل ضمير الإشارة (أولئك) يأتى عقد ذكر صفات المؤمنين، ثم يشير الله باستخدام ضمير الإشارة (أولئك) للإشارة إلى صفات المؤمنين، ويؤكد هذا باستخدام ضمير الفصل (هم) والتعريف (أل) و(حقا) فى الآية الكريمة، ومن ثم قال الزمخشرى إنهم الكاملون، بناء على الوصف الذى جاء لهم فى الآيات السابقة .

ويدل على (الإعلام)، كما جاء في ص/١٣ (وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوط وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةَ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ) إشارة إلى (قَرْمُ نُوحِ وَعَادٌ وَفَرْعَوْنُ ذُو الْأُوتَادُ ) آية / ١٢، وهكذا نجد إشارة إلى الآية السابقة والآية ذاتها، قال الزمخشرى: قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعلوا المهزوم منهم هم وأنهم هم الذين وجد منهم التكذيب (١).

كما يشير إلى الحضور كما فى سورة (ص) فى قوله (ومَا يَنظُرُ هَوُلاءِ إلاَّ صَيْحةُ وَاحِدةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقَ) آية/ ١٥، (هؤلاء) هنا ضمير إشارة للجمع، وهو فى هذا السياق يشير إلى ما جاء فى الآيات السابقة عليه ، وهو يدل على الحضور .

ويَخْرِج إلى (الاختصار) كما في الآية / ٦٨ من البقرة (قَالَ إنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرَ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ)، قال الزمخشرى: فإن قلت: كيف جاز أن يشار بذلك إلى مؤنث وإنما هو

<sup>.</sup> TIA / T(1)

للإشارة إلى واحد مذكر ؟ قلت : جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام ... كما تقول الرجل نعم ما فعلت، وقد ذكر لك أفعالا للاختصار في الكلام ... كما تقول الرجل نعم ما فعلت، وقد ذكر لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة (()، ويدل أيضا (ضمير الإشارة) على الاختصاص كما في قوله تعالى في سورة الكهف (قال هَذَا فراق بيني وبَينك سَأنَبئك بيناويل مَا لَمْ تَستَطِع عُلَيْه صَبْراً) آية / ٧٨، قال الزمخشرى : فأشار إليه فجعله مبتداً، وأخبر عنه كما تقول : هذا أخوك، فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ، ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث، أي هذا الاعتراض سبب الفراق (()).

ومن ثم نرى الزمخشرى يجعل ضمير الإشارة عضوا أساسيا فى الجملة (عمدة)، ومن هنا تختلف وظيفته إذا كان عنصرا مؤكدا مثلا، فاعتباره عمدة (مبتدأ بتعبير الزمخشرى) يتوافق مع وظيفة الاختصاص، وبالتالى يكون له محل من الإعراب، أما عدم اعتباره أساسيا، أى ليس له محل من الإعراب، وفى هذه الحالة تكون وظيفة التوكيد التى يؤديها هذا الضمير أرجح من الوظيفة الأولى .

وأنتقل بعد ذلك إلى معالجة ضمير الإشارة في إطار مقارنته بأنماط إحالية وغير إحالية (كالضمير والاسم والفعل والإبهام)، ويشير النحاة إلى أنه مبهم، أى يفتقر إلى مفسر أو موضح، وبالتالى يشترك مع الضمائر في هذه الجزئية... الخ، وتتيح له هذه العناصر المختلفة اشتراكه مع أكثر من نرح، وبالتالى تزيده فاعلية وقوة بمتاز بها عن غيره.

ويربط النحاة بين صمير الإشارة والإبهام، يقول ابن يعيش: ويقال

<sup>(</sup>١) ١ / ١٤٩، تكت الأعراب ورقة ٩ .

<sup>(</sup>٢) ٢/ ٢٠٠، نكت الأعراب... ورقة ١٣٦ .

لهذه الأسماء مبهمات؛ لأنها تشير إلى مبهمات كل ما بضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء فتلتبس على المخاطب، فلم يدر أيها تشير، فكانت مبهمة لذلك<sup>(۱)</sup>، وهكذا يرتبط ضمير الإشارة بالضمير العائد (الإحالة) في أنه يحيل إلى مرجع قد يكون سابقا وقد يكون لاحقا؛ لأن كليهما مفتقد بنفسه إلى غيره (عنصر إشارى مفسر) وبالتالى فإنه لا يؤدى دلالة بنفسه لهذا الافتقار – الإبهام – .

ويشترك ضمير الإشارة مع الحرف كذلك، ويعزو ابن يعيش ذلك إلى أنه: إنما كانت مبنية لتضمنها معنى حرف الإشارة، وذلك أن الإشارة معنى، والموضوع لإفادة المعانى إنما هى الحروف، فلما استفيد من هذه الأسماء الإشارة، علم أن للإشارة حرفا تضمنه هذا الاسم، وإن لم ينطق به، فبنى كما تبنى من، كم ونحوهما(١).

ويشترك ضمير الإشارة مع الضمائر الأخرى: وذلك لأنك تشير به إلى ما بحضرتك ما دام حاضرا، فإذا غاب زال عنه ذلك الاسم والأسماء موضوعة للزوم مسمياتها، ولما كان هذا غير لازم لما وضع له صار بمنزلة المضمر وجب بناء المبهم<sup>(۱)</sup>.

ويزعم الباحث أن ضمير الإشارة يشترك مع الضمير (الضمائر) من حيث البناء، أى أنه بناء لفظى، أو اشتراك شكلى... وثمة اشتراك آخر مع الضمير من حيث الإحالة، إذ كل منهما مفتقر إلى غيره – كما ذكرت منذ قليل – لأن كليهما مبهم، أى يحتاج إلى عنصر إشارى (مفسر)، وفى القاسم المشترك بين ضمير الإشارة أن: ذا اسم منفصل قائم بنفسه قد

<sup>(</sup>١) ابن يعيش: شرح المفصل (ب) ١ / ٣٣٣.

<sup>(</sup>۲) ابن بعیش : شرح المفصل (ب) ۱ / ۳۳٤ .

<sup>(</sup>٣) السابق : الموضع ذاته .

غلب عليه أحكام الأسماء الظاهرة نحو وصفه والوصف به وتثنيته وتحقيره فلما غلب عليه شبه الأسماء المتمكنة حكم عليه بأنه ثلاثى كالأسماء المتمكنة<sup>(۱)</sup>. ويهذه المشاركة لضمير الإشارة للعناصر اللغوية المختلفة، يمثل عنصرا متميزا فاعلا، كالاسم والفعل والحرف والضمير، وتتبح له هذه الخصائص صفات وميزات معينة يمكن أن يؤدى من خلالها وظائف بعينها، ويمكن أن نتصور ذلك على النحو التالى:

تبدو بوضوح السمات والخصائص المشتركة بين ضمير الإشارة والعناصر اللغوية الأخرى، ويمكننا أن نوجز نقاط الالتقاء بين ضمير الإشارة وهذه العناصر فيما يلى:



 ۱ – يرتبط ضمير الإشارة بالضمائر من حيث البناء، وفي افتقار كل منهما إلى غيره، وكذلك من حيث الإبهام، أى افتقار ضمير الإشارة إلى موضح (مفسر).

ومن الفرق بين المضمر والمبهم أن المضمر في الغائب يبين بما قبله، وهو الظاهر الذي يعود عليه المضمر، نحو قولك: زيد مررت به،

<sup>(</sup>١) السابق : الموضع ذاته .

والمبهم الذى هو بعده يفسره بما بعده، وهو اسم الجنس كقولك: هذا الرجل والثوب ونحوه، وقد مضى الكلام على أسماء الإشارة بما فيه كفاية والمعنى بالإبهام وقوعها على كل شيء من حيوان وجماد وغيرهما ولا تختص بمسمى دون مسمى، هذا معنى الإبهام فيها؛ لأن المراد به التنكير(۱).

وتفريق ابن يعيش فى المفارقة بين المضمر والمبهم فيه ملمح ومقارية فى أن كليهما يحيل، بيد أن إحالة الضمير إلى متقدم (سابق)، وإحالة المبهم إلى متأخر (لاحق) وتحتاج هذه الرؤية إلى إعادة نظر فى ضوء ما جاء عند الزمخشرى، إذ يحيل الضمير عنده إلى سابق وإلى لاحق، ومن ثم تمثل رؤيته مخالفة لما جاء عند جمهور النحاة، واتضح ذلك من خلال معالجة الضمائر المعالجة فى هذا الموضع: ضمير الإشارة.

- ٢ -- يشترك ضمير الإشارة مع الحرف من حيث البناء، وفي افتقار
   كليهما إلى موضح، بيد أن افتقار ضمير الإشارة قد يكون سابقا أو
   لاحقا، أما افتقار الحرف فإلى ما يليه؛ لأنه لا يؤدي وظيفة إلا به .
- ٣ تقوم العلاقة بين ضمير الإشارة والضمائر الأخرى من حيث الوصف والتحقير والتثنية لكل منها .
- ٤ ثمة علاقة قائمة بين ضمير الإشارة والفعل -- الأمر، المضارع فى
   بعض حالاته -- من حيث البناء لكل منهما، ويلاحظ أن التشابه
   شكلى فى حد ذاته تنبه إليه النحاة .

<sup>(</sup>١) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٩٨١ ، ٩٨٢ .

وثمة ملاحظة أود أن أشير إليها هنا، وريما تختلف مع رؤية الزمخشري ورأي بعض الباحثين فيها، ففي قوله تعالى (أُولَيكَ عَلَىٰ هُدَى مَن رَبْهِمْ وَأُولَيكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) البقرة / ٥، قال الزمخشري : إن ضمير الإشارة يفيد توكيد استحقاق المبتدأ للخبر، إذا تقدمه تعديد صفات المبتدأ كل صفة منه ترشحه لاستحقاق هذا الخبر(١).

وريما ينتقد رأى الزمخشرى هنا بأن تعليقه على هذه الآية ذاتها بأن التوكيد المفاد، إنما هو فى الواقع من ضمير الفصل (هم)، وليس من ضمير الإشارة (أولئك)، كما أضاف الزمخشرى وظائف دلالية أخرى لضمير الفصل فى هذا السياق، أشرت إليها فى موضعها .

وإذا كان الزمخشرى استنتج هذه الملاحظة فريما استخلصها من نتيجة مفادها أنه حاول أن يستخلص الآيات الواردة في النص القرآني، وتحمل (وَأُولَكِ هُمُ المُفْلِحُونَ)، وحاول أن يستخلص الصفات التي تجمع بينها، فوجدها تكررت في القرآن مرات ثلاث، ففي البقرة/ ٥١. لقمان (٥)، آل عمران (١٠٤).

وفى كل هذه الأنماط يأتى الحديث فيها عن المؤمنين وفى كل يذكر صفة من صفاتهم، ومن خلال هذه الأنماط تعطى صورة كلية لخصال المؤمنين، ويؤكد ما أذهب إليه من أن الزمخشرى كان يقارن بين الأنماط القرآنية المتشابهة من حيث البناء، محللا ومفسرا شيئين، الأولى: ما جاء فى تحليل الزمخشرى فى الكشاف ونكت الأعراب من مناقشة مثل ما نحن بصدده . الثانى: جاءت مقارنته بين أنماط قرآنية متشابهة إلى حد بعيد، غير أن ثمة فروقا دلالية تميز كل منهما عن الآخر، وجاء

<sup>(</sup>١) ينظر : ١ / ٢٥ .

ذلك فى كتابه : الدر الدائر المنتخب فى كنايات واستعارات وتشبيهات العرب $^{(1)}$  .

ومن هنا يمكن القول بأن ضمير الإشارة يفيد الاختصاص، أى أولئك الذين هذه صفتهم، أى الاختصاص، والتوكيد مفاد من ضمير الفصل، كما ذكرت لا من ضمائر الإشارة المختلفة.

على آية حال، فإن هذا لا يمنع من أداء ضمير الإشارة لوظيفة التوكيد، ومن هنا فإن هذه الرؤية تؤكد ما ذهب إليه إرين : (Erben) من أنه يفيد التوكيد، ومن ثم فإنه ليست هناك مفارقة بين الرؤية القديمة ممثلة في رؤية (إربن)، ومن ثم نجد اللقاء الفكري كائنا .

ومن ثم فإن ضمير الإشارة حسب رؤية الزمخشرى يمثل عنصرا رابطا على النحو التالى:

- ١ يكون كحرف التعليل، بمعنى أن اللاحق نتيجة للسابق .
  - ٢ يكون ما بعده تفسيرا لما قبله وتوضيحا له .
    - ٣ ما بعده يكون وصفا لما قبله .
- ٤ يقوم بدور العنصر الرابط الذي يعمل على تماسك بني النص من خلال الإحالة .

وتعد هذه النقاط خلاصة رؤية الزمخشرى حول التراكيب التى تخص ضمير الإشارة، وتمثل هذه النقاط ملاحظات عامة .

 إطار تأنيث الصمير وتذكيره، فإن الزمخشرى يرى أن السياق أو الرؤية الفردية في تفسيره القرآن بالتذكير أو التأنيث، ومن هنا فإن قوله تعالى في سورة فاطر / ٢ (مَا يَفْتَح اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَة فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلا مُرْسِلُ لَهُ مِن بَعْدِه وَهُو الْعَزِيزُ الْعَكِيمُ)، قال الزمخشرى : فإن قلت : لَم أنت مُرسل لَهُ من بَعْدِه وَهُو الْعَزِيزُ الْعَكِيمُ)، قال الزمخشرى : فإن قلت : لَم أنت أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه؛ ولأن الأول فسر بالرحمة فحسن، أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه؛ ولأن الأول فسر بالرحمة فحسن، إتباع الصمير التفسير، ولم يفسر الثاني، فترك أصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها؛ فإن قلت : لابد للثاني من تفسير فما تفسيره ؟، قلت : يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول، ولكنه ترك لدلالته عليه، وأن يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته، وإنما فسر الأول دون الثاني مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته، وإنما فسر الأول دون الثاني

وتمثل عودة الصمير في حد ذاته مشكلة عويصة، إذ تحتاج إلى معرفة على من يعود؟ وهل هي إحالة معجمية أو إحالة نصية إلى جزء من نص؟ وهل الإحالة داخل النص أو إلى خارجه؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، تمثل المطابقة بين المضمر والمشار إليه أهمية خاصة في الانسجام والتناسق القائم بين السابق أو اللاحق (العنصر المفسر) وبين عنصر الإحالة، فإذا كان عنصر الإحالة مذكراً، فلابد أن يحيل إلى عنصر إشارى يطابقه في النوع والتذكير... إلخ، ليحدث ما يسمى بالانسجام النام بين عناصر النص .

غير أن ثمة عناصر إحالية، تحيل في كثير من الأحيان إلى عناصر إشارية ليست بينهما هذه المطابقة، ومن ثم فلابد من البحث في الواقع

<sup>. 174 / 1 (1)</sup> 

عن البديل أو المعنى الذى يمكن أن يحمله أو يؤديه هذا اللفظ المشار إليه (العنصر الإشاري)، وبالتالى لابد أن يحمل على معنى آخر، كما جاء فى آية فاطر، فالضمير يحيل مرتين، فى المرة الأولى يحيل إلى (فلا ممسك لها) فالضمير (لها) يعود على الرحمة، وبالتالى لا يمثل آية إشكالية، أما الإحالة الثانية (وما يُمسِكُ فَلا مُرسِلَ لَهُ)، وبالتالى فإن ثمة عدم مطابقة بين الإحالة والمحيل إليه (المفسر) ومن هنا نجد الزمخشرى يحاول أن يفسر ذلك بعدة تفسيرات:

- إنه قرئ فى بعض القراءات بـ: فلا مرسل لها، وبالتالى يحصل التوازن والتكافؤ بين عناصر النص، من حيث تأنيث عنصر الإحالة لها والعنصر الإشارى المفسر الرحمة .
- يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول، غير أنه ترك لدلالة الأول عليه لوضوحه وظهوره....

ويشير إلى ملاحظة لماذا فسر الأول: فلا ممسك لها، فلا مرسل له يقول: لدلالته على أن رحمته سبقت غضبه.

وتمثل هذه الملاحظة ملاحظة عامة في سائر معالجة الضمائر، يمكن أن تنطبق على أية ضمير، وعلى أية حال فإن الضمير يحدث نوعا من التوازن والتكافؤ والانسجام بين عناصر النص من خلال الإحالة التي تعمل على ربط بنى النص وتراكيبه من خلال العودة إلى سابق أو إلى لاحق.

ومن هنا يمكن القول بأن الزمخشرى قد عالج كلا من ضمير: الفصل، الشأن، الإشارة، إلا أن معالجته لهذه الضمائر لم تأت بنسب متساوية، وإنما عالج الزمخشرى ضمير الفصل وضمير الإشارة بنسب

تكاد تكون متقاربة إلى حد ما، إذ جاء ضمير الفصل بواحد وثلاثين نمطا في المرتبة الأولى من حيث معالجة الضمائر، ويأتى ضمير الإشارة بأربعة وعشرين نمطا في المرتبة الثانية . ثم يأتى ضمير الشأن بنسعة أنماط في المرتبة الثالثة، وتعد هذه الضمائر الثلاثة هي أهم الضمائر التي نالت عناية من الزمخشري .

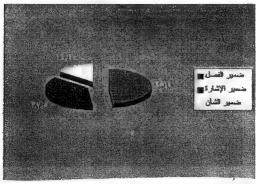
وعلى الرغم أن الأنماط المستخاصة أو المعالجة هنا تكاد تكون ضئيلة ومحدودة، فإن الزمخشرى قدم من خلالها صورة تكاد تكون لوحة متكاملة أبعادها، بحيث يمكن القول إن الزمخشرى عالج جوانب مختلفة من القضايا المتعلقة بهذا الضمير أو ذاك، وبالتالى فإن رؤيته في معالجة هذه الضمائر الثلاثة تمثل محورا مهما في رؤيته، لما قدمه من خلالها من رؤية خاصة، أشرت إليها في موضعها، وكذلك بالنسبة لهذه الدراسة.

ملاحظات	النسب	عدد التردد	الضمائر	٩
مجموع الأنماط (٦٤) نمطا	٤٨, ٤	۳۱	الفصل	١
, ,	۳۷,0	75	الإشارة	۲
	18,1	٩	الشأن	٣

شكل توضيحي رقم (٣) يوضح ترتيب الضمائر التي عالجها الزمخشري ونسبها

ومن خلال الجدول (٣) نجد أن ضمير الفصل قد نال اهتماما كبيرا من الزمخشرى، يليه الإشارة ثم الشأن، ويوضح الباحث النسب الواردة فى الشكل (٣) والشكل (٤) من هذا المبحث .

وإذا كان يمكن القول بأن هذه الضمائر الثلاثة قد نالت عناية خاصة - بناء على الإحصاء والنسب السابقة - من الزمخشرى، فإن هذه الأهمية تجعلنا نقول بأن الضمائر لا تمثل مرحلة واحدة في معالجته لها، فإذا كانت نسب ضمير كل من : الغصل والإشارة تكاد تكون متقاربة بناء على الإحصاء والنسب، وذلك بالمقارنة بأنماط ضمير الشأن الواردة هنا، وبالتالى يمكن أن تمثل مرحلة واحدة، والقسم الآخر يمثله : ضمير الشأن، غير أنه يلاحظ أن ضمير الإشارة وضمير الشأن رغم كونهما في مرحلتين مختلفتين إلا أن أنماطهما ٦٠ / / معا، أي ما يقارب نسب ضمير الفصل وهذا يفضى بنا إلى أنهما يمثلان إلى حد ما ذلك القدر الذي ناله ضمير الفصل منفرداً، ويؤكد هذه الرؤية أنهما يمثلان نسبة واحدة تكاد نكون متقاربة بالمقارنة بنسبة ضمير الشأن .



سَكَل توضيحي رقم (٤) بنسب الضمائر التي عالجها الزمخشري

وثمة قضايا أخرى تخص الضمائر عامة وهى قضية عودة الضمير، وهى قضية نالت حيزاً مرموقاً من الزمخشرى، إذ خلاصة الأنماط التي أشار فيها إلى عودة الضمير يمكن جعلها على النحو التالى:

- انماط أشار فيها الزمخشرى إلى عودة الضمير على متقدم (سابق)
   وهذا يمكن أن نفرعه إلى ما يلى حسب رؤية الزمخشرى:
  - (أ) إحالة إلى متقدم داخل ذات الآية .
  - (ب) إحالة إلى متقدم داخل نطاق السورة .
- ۲ أنماط أشار فيها الزمخشرى إلى عودة الضمير إلى لاحق (متأخر)
   وينبثق عنه ما يلى :
  - (أ) إحالة إلى متأخر داخل ذات الآية .
  - (ب) إحالة إلى متأخر داخل نطاق السورة .
- ٣ إحالة إلى شىء معروف، وبالتالى لم يذكر؛ لأن السياق يدل عليه،
   وبالتالى تمثل هذه إحالة ذهنية .
  - ٤ إحالة إلى متقدم وإلى لاحق في آن واحد:
    - (أ) داخل الآية .
    - (ب) داخل السورة .
  - إحالة إلى شيء محدد سواء كان سابقا أم لاحقا على النحو التالى :
    - (أ) إلى قصة أو حدث .
    - (ب) إلى كلمة محددة (إحالة معجمية) .
- سواء إلى سابق داخل النص أو داخل الآية أو داخل نطاق السورة

وبالتالى تمثل عودة الضمير هنا على سابق (متقدم) داخل نطاق السورة أو داخل الآية، ومن هنا يمثل عودة الضمير على لاحق (متأخر)، ويمكن أن يحيل الضمير إلى موضع آخر من القرآن الكريم ذكر في ومضع آخر.

وتعكس هذه الملاحظة لإحالة الضمائر كما وردت عند الزمخشرى ملاحظة أخيرة ومهمة فى هذا السياق، أن الضمائر جميعها تعمل على ربط عناصر النص السابقة باللاحقة عن طريق الإحالة، سواء أكانت الإحالة داخل النص (محدد) أم خارجه (إحالة ذهنية) وهذا العنصر الإشارى هو الذى يفسر الضمير (المبهم) والذى يحتاج إلى ما يوضحه، وبدون هذه الإحالة، فإن هذا الضمير يظل معناه مطمورا (مبهما) ويحتاج إلى ما يعود عليه ويوضحه، وبالتالى فإنه ناقص الدلالة بذاته، أو أن دلالته ناقصة، أى أنه عاجز عن أن يقوم بدوره منفردا، وبالتالى يحتاج إلى عناصر تركيبية يعمل ويقوم بدوره من خلالها – الربط – إذ أن دوره هذا فى أنه يحيل سواء أكان إلى سابق أم لاحق فإنه يحقق بهذا ربطا محكما وتوازنا من خلال تشابك الوحدات المكونة لبنية النص، وهو بدوره معمل على إيجاد توازن وتناسق بين عناصر النص.

## تخفيف عين الكلمات الثلاثية دراسة صوتية من خلال القراءات القرآنية

د. قبارى محمد شحاته قسم اللغه العربية- كلية الالسن جامعة عين شمس

## بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة:

الحمد شه رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فإن القراءات القرآنية تعد ميداناً خصباً لإقامة العديد مسن الدراسسات اللغوية، بل يمكن الاستعانة بها في التأريخ للكثير من الظواهر اللغويسة التسي تدرس دراسة تاريخية، وكذلك تمدنا بأمثلة كثيرة لعدد من الظسواهر اللغويسة الشائعة في تراثنا العربية، والتي توصف بالشذوذ لمخالفتها القواعد العامة.

ومن هنا تأتى هذه الدراسة التى نحاول من خلالها إلقاء الضوء على ظاهرة لغوية تدخل في إطار علم الأصوات، وهى ظاهرة تخفيف عيين الكلمات الثلاثية بحذف حركتها، وهذه الظاهرة موجودة في تراثثا العربي جنباً إلى جنب مع ظاهرة الإبقاء على حركة العين في هذه الكلمات دون حذف، الأولى تنسب إلى القبائل البدوية من شرقي الجزيرة العربية كتميم وبكر وربيعة وأسد، والثانية تنسب إلى قبائل الحجاز الحضرية.

حاولت في هذه الدراسة إثبات وجودها في التراث العربي وموقدف اللغدويين منها، ثم حاولت البحث عنها في القراءات القرآنية، ورصدت الأمثلة الكثيدرة الدالة عليها، وهذا ما يؤكد شيوعها في لغة العرب. والمنهج الذى اتبعته في هذه الدراسة هو المنهج الوصفى الذى يعنسى بوصف الظاهرة المدروسة، ومحاولة تفسيرها. وكان منهجى فى دراسة هدذه الظاهرة في القراءات القرآنية على النحو التالى:

١ - عرضت الأبنية المختلفة التى بنيت عليها الكلمات الثلاثية (أسماء وأفعال) التى خففت عينها بحذف حركتها، وهذه الأبنية ستة ، رتبتها صوتياً هكذا، فَعل (فى الأسماء والأفعال) ثم فعل (فى الأسماء فقط) ثم فعل (فى المسماء والأفعال) ثم فعل وفعل (فى الأسماء فقط) وأخيراً فعل (فى الماضي المبنى للمجهول).

٢- صدرت كل بناء من الأبنية السابقة بموقف اللغويين العرب منه ، من حيث سبب التخفيف ، ثم عرضت ما عثرت عليه من أمثلة مخففة من القراءات القرآنية، رتبتها على حروف المعجم ، مع بيان القراء الذين قرأوا بذلك.

٣ - في نهاية البحث عرضت تفسيراً حديثاً لها ، بعد عسرض جميسع
 الأبنية السابقة والأمثلة عليها.

٤- أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي خرجت بهسا، كما
 ذكرت قائمة بالمراجع التي اعتمدت عليها في الدراسة.

والله من وراء القصد وهو نعم المولى وتعم النصير.

## ١: الدراسية:

يشيع في تراثنا اللغوى ظاهرة تخفيف عين الكلمات الثلاثية بحـنف
حركتها، وهذه الظاهرة الصوتية ظاهرة لهجية تنسب إلى القبائل الشرقية فــى
الجزيرة العربية كتميم وبكر. وقد أشار إلى نلك سيبويه، يقول في: "هذا بساب
ما يسكن استخفافاً وهو في الأصل متحرك، وذلك قولهم في فخذ فَخذ ، وفــى
كَبد كَبْدُ، وفي عَضد : عَضد ، وفي الرّجل: رَجلٌ ، وفي كَرُمَ الرجل: كَــرمْ ،
وفي علم : علم . وهي لفة بكر بن وائل وأناس كثير من بني تميم.

وقالوا في مَثّل : "لم يُحْرَمُ من فُصندَ له" وقال أبو النجم: لو عُصنرَ منه البانُ والمسلكُ انعصرَ .

يريد: عُصر" (١)

ويفهم من كلام سيبويه السابق ما يأتى:

۱ – هذه الظاهرة تتسب إلى بكر بن واثل وأناس كثير من تميم، وهى منسوبة كما سنرى عند عرضنا لأمثلة من القراءات القرآنية إلى أسد وقيس وربيعة كذلك.

٢- التخفيف ورد في الكلمات التى على أوزان: فَعِل، وفَعُـــل ، فــــي
 الأسماء والأفعال، وفي المبنى للمجهول من الماضى على وزن فُعل.

وسنرى فيما بعد أن هناك كلمات خففت على أبنية أخرى، هي: فِعلٌ ، وفُكلٌ ، وفَعَلٌ .

كما ننبه كذلك إلى أنه فى القراءات القرآنية ورد الحذف في أشياء حملت على بعض الأوزان السابقة، وتتمثل فى حذف حركة الإعمراب في عند الأسماء والأفعال، وكذلك حذف حركة الهاء فى الضميرين: هُوَ وهيى عند

<sup>(</sup>١) الكتاب ١١٣/٤ - ١١٤ والظر كذلك الخصياص ١/٥٧.

سبقهما ببعض حروف العطف كالواو والفاء وثم . وهذا مـن بـاب إجــراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة واحدة.

وهذا التخفيف الذى حدث فى العربية حدث ما يشبهه فى العبرية فسى علمة لله من التحفيف الذى حدث فى العبرية فسى كلمة لله في nefes عيث صارت لله الناق فيها بالفتحة القصيرة بدلاً من الكسرة الممالة الطويلة، وبقيت هذه الكلمة بلا تخفيسف فسى الأكادية. (۱)

وفيما يلى استعراض الكلمات المخففة الواردة على الأبنية السابقة مـن خلال القراءات القرآنية:

١:١: فَعَلَ

ويكون هذا التخفيف في الأسماء كقولهم فَخَذَّ وكَبَدَّ في : فَخِذِ وكبِد ، وفي الأفعال كقولهم عَلْمَ في عَلِمَ. وعن سبب التخفيف يقول سميبويه. "وإنما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقال "(١).

ويتابع الرضى كلام سيبويه السابق بقوله: "فسكنوه لأن السكون أخسف من الفتح، فيكون الانتقال من الفتح إلى أخف منه" (")

ومما ورد في القراءات القرآنية مخففاً ما يأتي:

١:١:أ: من الأسماء

١- قراءة (حَرِمٌ) من قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنْهُــمْ
 لاَ يَرْجِعُونَ ﴾ الأنبياء ٩٥/٢١ حيث قرأ عكرمة (حَرَمُ) بكسر الراء والتــوين.

<sup>(</sup>۱) التطور النحوى ۱۸.

<sup>(</sup>٢) الكتاب ٤/٤١١.

<sup>(</sup>٣) شرح الشاقية ٢/١ ع.

وقرأ قتادة ومطر الوراق ومحبوب عن أبى عمرو، وايسن عيساس، ومعساذ القارئ، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجونى (حَرْمٌ) (١) على لغة بنى تميم. (٦).

٢- (قطران) من قوله تعالى (سَرَابِيلُهُم مِّن قَطْرَانِ } إبراهيم ١١٠٥ قرأ عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وعيمى بسن عمر، والأعمش (قطران) تخفيف (قطران) وهي قراءة الجماعة. (٣)

٣- (نَحسات) من قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ تُحسَات} فصلت ١٦/٤١ قرأ (نَحْسات) بتخفيف الحاء: نافع وابن كثير وأبسو عمرو ويعقوب والنخعى وعيسى بن عمر والحسن. (١)

٤ - (نَظرة) من قولة تعالى { فَنَظرة إلى مَيْسَرة } البقرة ٢٨٠/٢ قرأ (فَنَظْرة) بسكون الظاء: أبو رجاء ومجاهد والحسن والضُحاك وقتادة والوليد ابن مسلم عن ابن عامر، وهي لغة تميمية. (\*)

(حَلَمَة) من قولة تعالى: "{ تَعَالُوا اللَّهِ كَلَمَة سَسَواء} آل عمران ١٤/٣ قرأ (كَلْمَة) بسكون اللام أبو السمال. (١)

" - (نَكِداً) من قوله تعالى " { وَالسَّدْي خَبُسْتَ لاَ يَضْرُجُ إِلاَّ تَكِسدًا}
 الأعراف ٥٨/٧ قرأ (نَكْداً) بسكون الكاف: ابن مصرف (") وابسن محيصن ومجاهد وقتادة والبزى بخلاف عنه (")

<sup>(</sup>١) البحر المحيط ٢١٣/٦ ومعجم القراءات ٢/٦٥.

<sup>(</sup>٢) المحسب ٢/٦٦ والبحر ٢/٣١٣.

<sup>(</sup>٣) البحر ٥/٨٢٤ ومعجم القراءات ٢٢/٥٠.

<sup>(</sup>٤) معجم القراءات ٨/ ٢٧٠ وكتاب التذكرة في القراءات ٢٧٠/٢ وحجة القراءات ٣٣٠.

<sup>(</sup>٥) البحر ٢/١٥٣ ومعجم القراءات ١/٨٠١ وراجع كذلك مختصر في شواذ القرآن ٢٤.

<sup>(</sup>١) البحر ٢/١/١ ومعهم القراءات ١٢/١ ٥٠

<sup>(</sup>٧) البحر ٢٢٢/٤ ومختصر في شواد القرآن ٥٠.

<sup>(</sup>٨) معجم القراءات ٨١/٣ - ٨٦.

١:١: ب: من الأفعال

۱-(أرِنا) من قوله تعالى: { وَأَرِنَا مَنَاهِ كُنّا } البقرة ١٢٨/٢ قـرأ (أرّنا) بسكون الراء: ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن محيصن (١) واليزيدى وشجاع وقتادة والسَّدِّي وروح ورويس والسوسى. (١)

٢- (تَعينها) من قوله تعالى: { وتَعينها أَذُنْ وَاعينة } الحاقة ١٢/٦٩ قرأ (تغينها) بسكون العين: طلحة بن مصرف، وأبو عمرو فرواية هارون وخارجة عنه، وقنبل برواية أبى ربيعة، وابن كثير في روايتي القواس والحلوائي عنه، وطلحة وحميد والأعرج والقواس عن حمزة عن خلف. (١)

٣٣ (لعلمة) من قوله تعالى: {لَعَلَمةُ النَّذِينَ يَمنَتَنبِطُونَةُ} النساء ٨٣/٤
 قرأ (لعلْمة) بسكون اللام أبو السمال، وتسكين اللام مطرد في لغة تميم. (١)

٤ - (نَعِمَ) من قوله تعالى: { فَنَعْمَ عُقْبَى الدَّالِ} الرعد ٢٤/١٣ قرأ ابن يعمر ويحي بن وثاب (فنعَمَ) وهذا هو الأصل، وقرأ ابن وثاب كذلك (فنعَمَ) بسكون العين والتخفيف لغة تميم. (°)

(وَسِع) من قوله تعالى: (وَسِع كُرْسِيَّة الصَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} البقرة ٢٥٥/٢ قُرِئ (وَسَع) بسكون السين. (١)

 <sup>(</sup>١) الإتحاف ١٩٣ ومعهم القراءات ١٩٤/١ وراجع كذلك التيسير ٦٥ وكتلب التذكرة في
 القراءات ٣٢٢/٢.

<sup>(</sup>٢) معجم القراءات ١٩٤/١.

<sup>(</sup>٣) السابق ١٠/٥٥-٥٦.

<sup>(</sup>٤) البحر ٣١٩/٣ ومعجم القراوات ١١٩/٢

<sup>(\*)</sup> راجع في ذلك: المحتسب ١/٣٥٦ واليحر ٥/٣٧٧ - ٣٧٨ ومعهم القراءات ٤١٣/٤.

<sup>(</sup>١) البحر ٢٨٩/٢ ومعجم القراءات ٢٦٢/١.

### ملاحظتان:

١- ورد في القراءات القرآنية إنباع حركة الفاء لحركة العسين فسى بعض الأسماء، ثم خففت العين بحذف حركتها فَعِلُ ﴾ فعللُ ﴿ وهذا التفريع (من فَعِلِ إلى فعلٍ) لا يكون إلا في حلقى للعين، كما حدث فسي نعسم وبنس، الأصل فيهما: نَعِمَ وبنسَ، ثم أتبع بنوتميم حركة الفاء لحركسة العلين، فصارا: تعمَ وبنسَ. (١)

وقد ساق سيبويه عدة أمثلة على فِعِل الحلقى العسين، مشل : شبِهِدُ ، ولِعبُ، وضحِكُ ، ووضمُ، ومحِك .

وذكر سيبويه أن الفاء أتبعت العين ولم يحدث العكس "كراهبة أن يلتبس فَعِلُ ، فقرمها الكسر ههنا وكان يلتبس فَعِل ، فقرمها الكسر ههنا وكان أقرب الأشياء إلى الفتح، وكانت من الحروف التى تقع الفتحة قبلها لما ذكرت لك، فكسرت ما قبلها حيث لزمها الكسر، وكان ذلك أخف عليهم حيث كانت الكسرة تشبه الألف ، فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما أنهم إذا أدغموا فإنما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد". (")

ومفهوم هذا الإتباع- كما ذكر سيبويه - يعود إلى سببين: أولهما: كراهية التباس فَعِل بفَعل لو أتبعت العين للفاء، والثانى أنهم أتبعوا الفاء للعسين من باب التخفيف، إذ الانتقال من الفتحة إلى الكسرة فيه ثقل ، وليكون العمل من وجه واحد، حيث يعمل اللسان في جهة واحدة هنا.

<sup>(</sup>١) اللهجات العربية في التراث ٢٣٨.

<sup>(</sup>٢) الكتاب ١٠٨/٤.

ومن خلال تتبعى لما ورد مخففاً فى القراءات القرآنية من فعسل بعد إتباع فائه لعينه (فعل) وجدت أنه ورد فى حلقى العين وغيسره، فمن حلقى العين وجدت الكلمة التالية:

ا – (لَمْبَا) من قوله تعالى: {اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواْ وَلَعْبَا} المائدة ٥/٧٥ وراً وَلَعْبًا} المائدة وله تعالى: {اتْخَذُوهَا هُزُواْ وَلَمْبًا} المائدة ٥/٨٥ فقراً بعضهم (لِعْبُها) مثل: فَخذ و فَخْذ، وكَلْمة وكلْمة. (ا) الأصل: لَعْبًا > لِعْبًا > لِعْبًا.

ومن غير حلقي العين ورد ما يأتي:

٢- (قَطِران) من قوله تعالى: {مَسَرَابِيلُهُم مَّسَن قَطِرَانٍ} إيسراهيم
 ١٠/٥ قرأ عيسى بن عمر والأعمسش (قِطْران)(١). الأصسل: قَطِران >
 قطران > قطران.

٣- (كَلْمَة) من قولة تعالى: {مُصنَدَّقًا بِكَلْمَة مَّسنَ اللَّهِ} آل عمران
 ٣٩/٣ ومن قوله تعالى: {تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَة منوَاء} آل عمران
 ٣٩/٣ ومن قوله تعالى: {تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَة منوَاء} آل عمران
 ١٤/٣ عمران
 ٢٤/٣ عمران

٤ - (نجس) من قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} التوبة ٢٨/٩ قرأ أبو حيوة والحسن بن عمران ونُبيِّح وأبو واقد والجراح وابن قطيب (نجسٌ) على تقدير حذف الموصوف، أي: جنسٌ نَجِس، وهو اسم فاعل من نَجِس، فخفوه بعد الإتباع(٤). وقراءة (نجسٌ) للضحاك(٩).

<sup>(</sup>١) مختصر شواذ القرآن ٣٩ ومعجم القراءات ٢٩٩/٢.

<sup>(</sup>٢) معجم القراءات ٤/٢٢٥

<sup>(</sup>٣) مختصر في شواذ القرآن ٢٧ والبحر ٢٧/١٤ ومعجم القراءات ٤٨٩/١.

<sup>(</sup>٤) البحر ٤/١٤ ومعجم القراءات ٣ /٣٦٦

<sup>(</sup>٥) معجم القراءات ٣٦٦/٣.

كما ورد هذا التخفيف بعد إنباع حركة الفاء لحركة العين في الفعلــين نعم وبنس في القراءات القرآنية:

- (فنعم) من قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرَكُمْ فَيْعُمَ عَقْبَى السَدَّارِ﴾ الرعد ٢٤/٦٣ الأصل (فنعم) وهي قراءة ابن يعمر وابن وثاب أللهم أتبعت حركة النون لحركة العين، فصارت (فنعم) وهي قراءة ابن وثاب في هذه الآية وفي ص ٣٨ / ٣٠-٤٤ تعمّ الْعَبَدُ إِنّهُ أَوّابٍ " (١). ثم خففت العين بحذف حركتها، فصارت (فنعم) وهي قراءة الجمهور والأكثر استعمالاً. (١)

وبنس مثل نعم في التحولات السابقة، ولم أعثر على قراءات لها أي في أصلها (بنس ) ثم (بنس) بعد الإنباع ، ثم (بنس) بتخفيف الهمزة.

٢ - يحمل على ما سبق فى تخفيف العين بحذف حركتها المتصل من كلمتين، ولشدة أتصالهما صارا كالكلمة الواحدة، ويتمثل ذلك فى الضمير (هى) بكسر الهاء المسبوق بحرفى العطف الواو والفاء وكلاهما مصرك بالفتحة، وباتصالهما بالضمير يصبحان كالكلمة الواحدة ويكونان على زنة فَعلى (وَهمَى - فَهَى).

والواو والقاء حرفان لا يستقلان بمفردهما من ناحية المعنى، ولابد من التصالهما بما بعدهما، فباتصالهما بهى أشبها في اللفظ ما جاء من الكلمات المفردة على زنة فعل.

وقرأ بتسكين الهاء من (وَهِيَ- فَهِيَ) أبو عمرو والكسائى وأبو جعفــر وقالون والحسن واليزيدى، فصارتا (وَهَيَ – فَهْيَ) ومن أمثلة ذلك:

<sup>(</sup>١) البحره /٣٧٧ ومعجم القراءات ١٣/٤

<sup>(</sup>٢) مختصر في شواذ القرآن ٧١.

 <sup>(</sup>٣) البحر ٣٨٧/٥ ومعهم القراءات ٤١٤/٤ يرى ابن جنى فى المحتسب ٣٥٦/١ – ٣٥٧
 أن الحرف الثاني أسكن ونقلت حركته إلى الأول. والصواب ما ذكرنا.

أ- (وَهِيَ) قال تعالى: {وَهِيَ ظَالِمَةٌ} هود ١٠٢/١١ قرأوا: وَهْمَى (١) وقوله تعالى: \* { وَهِيَ خُلُويَةٌ عَلَى عُرُولُمْهَا} الكهف ٢٢/١٨ قرأوا :وَهْيَ (١) وقوله تعالى: {وَهِيَ تُقُورُ} الملك ٢٤/١٧ قرأوا: وَهْيَ (١)

ب- (فَهِيَ) قال تعالى: {فَهِيَ كَالْحَجَارَةِ} البقرة ٧٤/٧ قرأوا (فَهَىَ) (1) وقوله تعالى: {فَهِيَ إِلَى الأَلْقَانِ فَهُم مُقْمَحُونَ} يس ٨٣٦ فقرأوا: فَهْمَ (١) وقوله تعالى: {فَهِي يَوْمَنَذِ وَاهِيَةٌ} الحاقة ١٦/٦٩ فقرأوا: فَهْمَ (١) ٧:١: فعلُ

هذا البناء يتبع من الناحية الصوتية البناء السابق (قَعِل) وجساء عسن طريق إتباع حركة الفاء لحركة العين (مماثلة رجعية Regressive) فَعَسلٌ ﴾ فعلً.

والكلمات التى وردت مخففة على هذا البناء أصلها أن تكون عليه، وليس أصلها (فَعلِ) السابق كما ذكرنا فى الملاحظة السابقة، وتخفيف الثانى من هذا البناء لا يكون إلا فى الأسماء، كقولهم فى إيل : إيلٌ.

وعن سبب التخفيف يقول سيبويه: "وكذلك الكسرتان تكرهان عند هو لاء (١٠) كما تكره الياءان في مواضع، وإنما الكسرة من الياء، فكرهوا الكسرتين كما تكره الياءان، وذلك في قولك في إيل: إيل". (١)

<sup>(</sup>۱) معجم القراءات ۱۳۹/٤

<sup>(</sup>٢) السابق ٥/٢٢

 <sup>(</sup>٣) السابق ١٠/٧ وراجع كذلك ١/٢١٩ و ٤/٠٠ و ٧/٢٠٠.

<sup>(</sup>٤) السابق ١٢٩/١.

<sup>(</sup>٥) السابق ٧/ ٢٦١

<sup>(</sup>٦) السابق ١٠/١٠

<sup>(</sup>٧) يقصد بنى تميم ويكر بن واتل كما ذكرنا في كلامه بداية هذا البحث.

<sup>(</sup>٨) الكتاب ٤ /١١٥

ومما ورد مخففاً من الأسماء على هذا البناء في القــراءات القرآنيـــة اسمان، هما:

1- قراءة (الحبك) من قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الْحَبُك} الــذاريات 
٧٥١ قرأ (الحبِك) أبو مالك الغفارى والحسن بخلاف عنه، ورويت عن أبــى 
عمرو، وأبو رزين، وعمر بن الخطاب، وهو اسم مفــرد لا جمــع لــه، لأن 
(فعل) ليس من أبنية الجموع، مثل : إيل وإطل، وقرأ أبــو مالــك الغفــارى 
والحسن كذلك وأبو حيوة (الحبك) بتخفيف الباء، مثل إيل في إيل. (١)

٢- (السَّجِلَ) من قوله تعالى: ﴿ لَيُومَ نَطْوِي العَسْمَاء كَطَسَى السَّجِلِ الْكُتُبِ ﴾ الأنبياء ٢١/٤٠١ قرأ (السَّجَلِ) بكسر السين وإسكان الجسيم وتخفيف الله : الحسن وعيسى بن عمر وأبو زيد عن أبى عمرو. (٢)

ويلاحظ أنه مع التخفيف بحذف حركة الجيم خففت اللام ولم تبق على أصلها بالنشقيل، لأنها لوظلت مشقلة لالتقى ساكنان: الجيم والله الأولى، وهذا ممتع.

## ملاحظة:

جاء فى القراءات القرآنية تشبيه المنفصل من كلمتين بالمتصل مسن كلمة واحدة، فخفف ثانية بحنف حركته مثله، وذلك فى حذف حركة الإعراب من كلمة (بارتكم) فى قوله تعالى: { فَتُوبُواْ إِلَى بَارتكُمْ} البقرة ٢/٤٠ .

 <sup>(</sup>۱) معجم القراءات ۱۲۶/۹ وراجع كذلك المحتسب ۲۸۱/۳ - ۲۸۷ ومختصر في شواذ القرآن ۱۶۰ والقارئ فيهما هو الحسن والإتحاف ۲۱۰ والقارئان فيه هما الحسن وأبو عمرو.

 <sup>(</sup>۲) مختصر في شواذ القرآن ٩٠ ومعهم القراءات ١٤/١ وراجع كذلك البحر ٢١٧/٦ والإنحاف ٩٣٠.

فقرأ (باربِّكم) بإسكان الهمزة (حرف الإعراب): أبو عمرو فيما نقله عنه السوسى واليزيدى وعبد الوارث، وذلك إجراء للمنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة، فكما جاز التسكين في (إيل) جاز في (باربِّكم) (١) وهذا التسكين لغة بني أسد وتميم وبعض نجد طلباً للتخفيف. (١)

١: ٣ : فَعُل

ويكون تخفيف العين فيما جاء على فَعَل فى الأسماء والأفعال، فمن الأسماء ما ذكره سيبويه من قبل، من قولهم فى عَضند والرَّجُسلِ: عَضند ، والرَّجَلُ. ومن الأفعال قولهم فى كَرُمُ الرجل: كَرْمُ. (١)

وعن سبب هذا التخفيف يرى الرضى أنهم كرهوا الانتقال من الأخف، أى الفتح إلى الأثقل منه وهو الضم، وهذا فى الثلاثي المجرد المبنى على الحفة، فسكنوه لأن السكون أخف من الفتح، فيكون الانتقال من الفتح إلى أخف منه (<sup>1)</sup> وهو نفس السبب الذى ذكره سيبويه من قبل عن تخفيف مما ورد على (فَعل) وفيما يلي عرض ما ورد مخففاً فى الأسماء والأفعال من خال القراءات القرآنية.

 <sup>(</sup>۱) الإتحاف ۱۷۸ وحجة القراءات ۹۷ وكتاب التذكرة في القراءات ۳۱۳ - ۳۱۴ والتوسيو.
 ۲۳ والتشر ۲۱۲/۲ - ۳۱۳ ومعهم القراءات ۱۰۰/۱ - ۱۰۱.

<sup>(</sup>٢) الانتحاف ١٧٨ ومعجم القراءات ١٠١/١.

<sup>(</sup>٣) الكتاب ١١٣/٤.

<sup>(</sup>٤) شرح الشافية ٢/١ ٤.

# ١: ٣: أ: في الأسماء

١- (رَجْلِ) من قوله تعالى: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجْبًا أَنْ أَوْهَيْنَا إِلَى رَجُسلِ مَنْهُمْ} يونس ٢/١٠ قرأ رؤبة (رَجْل) بسكون الجيم وهي لغة تميمية يسكنون فَعْلاً. (١)

وكذلك (رَجُل) في غافر ٤٠ /٢٨ فسكن الجيم عيسى بن عمر، وعبد الوارث وعبيد بن عقيل وحمزة بن القاسم عن أبي عمرو، والأعمش. (٢) وفي الزخرف ٣١/٤٣ كذلك دون تحديد اسم القراء. (٢)

۲- (السّبَعُ) من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكُلَ السّبُعُ إِلاَّ مَا نَكَيْ تُمْ المائسة المائسة قرأ (السّبْع) الحسن، والفياض بن غزوان وطلحة بن سليمان وأبو حيدوة وابن قطيب وهارون وعبد الوارث وعصمة وخارجة كلهم عن أبسى عمسرو، والمعلى عن عاصم، وأبو بكر (أحد راويي عاصم) وابن كثير فسي روايسة بعضهم. وهي لغة لأهل نجد. (1)

٣- (الستّفُ) من قوله تعالى: {فَخَرُ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوقِهِم} النحل ٢٦/١٦ قرأ الجمهور (السّقْفُ) وهو تخفيف من (السّقَفُ) وهي قرآءة فرقة من القراء، وقد يكون لغة في (السّقف) وقد كثر استخدام السّقف مخففاً كما قسالوا في الرّجُل: رَجَل، وهي لغة تميم. (٥)

<sup>(</sup>١) البحر ١٢٦/ ومعجم القراءات ٢٩٠/٢

<sup>(</sup>٢) معهم القراءات ٢١٧/٨ وراجع كذلك مختصر في شواذ القرآن ١٣٣ القارئ أبو عمرو.

<sup>(</sup>٣) معجم القراءات ٨/٨٣٣.

<sup>(</sup>٤) السابق ٢/٥/٢ وراجع كذلك البحر ٣/٨٣ ومختصر في شواذ القرآن ٣٧.

<sup>(</sup>٥) البحر ٥/١٧٤ ومعجم القراءات ١١٤/٤.

٤- (عَضَدًا) من قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّفِذَ الْمُصْلِلَينَ عَضَدًا}
 الكهف ١١/١٥ قرأ (عَضَدًا) عيسى بن عمر والأعرج وأحمد بن موسى عنن أبى عمرو، تخفيف العين من (عَضَدًا) وهي لغة تميم ويكر. (١)

وكذا (عَضَنك) من قوله تعالى: (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيدَكَ) القصص ص ٣٥/٢٨ فقرأ الحسن (عَضنك).(٢)

(المثلات) من قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثْلَاتُ﴾ الرعد
 ١/١٣ قرأ (المثلات) بتخفيف الثاء: عيسى الثقفي وطلحة بن سليمان. (٦)

١ : ٣ : ب في الأفعال

١- (حَسُنَ) من قوله تعالى: (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِوقًا} النساء ١٩/٤ قـرأ
 (حَسْنَ) بتخفيف السين: أبو السَمال العدوى ، وهي لغة تعيم. (<sup>1)</sup>

٢- (رَحُبَتُ) من قوله تعالى: {وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتُ}
 التوبة ٢٥/٩. قرأ (رَحْبَتُ) بتخفيف الحاء: زيد بن على ، وهى لغة تميم كما قالوا فى ظَرَفَ: ظَرَفَ (°)

٣- (كَبْرَتْ) من قوله تعالى: {كَبْرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} الكهف ١/٥ قُرىَ (كَبْرَتْ) بتخفيف الباء، وهي لغة تميم. (١)

 <sup>(</sup>١) معجم القراءات ٩٣٩/٠ وفي البحر ١٣٠/١ ومختصر في شوالا القرآن ٨٤ القارئ هو عيسي فقط.

<sup>(</sup>٢) المحتسب ٢/٢ ١٥ ومعهم القراءات ٢/١٤ - ٥٠

<sup>(</sup>٣) المحتسب ٣٠٣/١ ومعجم القراءات ٢٨٦/٤.

<sup>(</sup>٤) البحر ٢٠١/٣ ومعجم القراءات ٢٠٣/١.

<sup>(</sup>٥) البحر ٤٠/٤ ومعجم القراءات ٣٦٤/٣ وكذا في التوية ١١٨/٩ راجع البحر ٥/٢٤.

<sup>(</sup>١) البحر ١/٥١ ومعهم القراءات ٥/١٠١.

### ملاحظتان:

١ – ورد فى القراءات القرآنية إتباع حركة الفاء لحركة العين، وهذا من باب المماثلة الرجعية Regressive ثم خففت العين بحذف حركتها، استثقالاً للضمتين المتتابعتين فَعَلَّ ﴾ فَعَلَّ ﴾ فَعَلَّ.

وذلك فى كلمة (عَضَدُدًا) من قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِدَ الْمُضِلِينَ عَضْدًا} الكهف ١/١٨٥ قرأ هارون عن أبى عمرو وشيبة وخارجة والخفاف والحسن وأبو زيد والأعرج وابن عامر (عُضْدًا) وهى لغة بنى أسد وبعض تهامة(١).

وقرأ (عُضْدًا) بتخفيف الضاد الحسن وعكرمة، وهي لغة تميم (٢).

والأمر كذلك فى (عَضْنَك) من قوله تعالى: {مَنَشُدُ عَضْدُكَ بِأَخْدِكَ} القصص ٢٥/٢٨ حيث قرأ زيد بن على والحسن (عُضْدَك) وقسراً العسسن (عُضْدَك) (٢٠).

وقد عزاها أبو حيان إلى لغة بعض قيس، وهو يشير بذلك إلى (حُسنَ) من قوله تعالى: {وَحَسنَ أُولَئكَ رَفِيقًا} النساء ١٩/٤ فيقول بعد ذكر قراءة (حَسنَ) التى ذكرناها من قبلُ ويجوز (حُسنَ) بسكون السين وضم الحاء على تقدير نقل حركة السين إليها، وهي لغة بعض بنى قيس".(١)

فواضح هذا أن (حُسن) لغة وليست قراءة، وهذا ما ذكره ابن خالويسه (حُسنَ لغة) (\*) كما أشار إلى أن حركة السين (الضمة) نقلت إلى الحساء بعسد

<sup>(</sup>١) البحر ٢/٠/١ ومعجم القراءات ٢٣٩/٠.

<sup>(</sup>٢) معجم القراءات ٥/٢٣٩.

<sup>(</sup>٣) معجم القراءات ٧/٥٤ ولمجتسب ٢/١٥٢.

<sup>(</sup>١) البحر ٣٠١/٣.

<sup>(</sup>٥) مختصر في شواذ القرآن ٣٣.

تسكينها بحذف حركتها، وأرى أن الصواب ما ذكرته من قبل، من مماثلة حركة المسين تخفيفاً: حركة المسين تخفيفاً: حَسُنَ > حُسُنَ > حُسُنَ > حُسُنَ .

وقد أشار الرضى إلى أن نقل حركة العين إلى الفاء جاز عن بعض العرب في (فَعَل) الدال على التعجب، فيقال فيه على التخفيف (فُعَلَ) قال الأخطل:

فقلت اقتلوها عنكُمُ بمزاجها وحُبَّ بها مقتولةً حين تُقتلُ فقوله حُبَّ دلالة على نقله إلى معنى التعجب (١)

وأصل حُبُّ: حَبَبَ بفتح العين، ثم حول إلى فَعل بضم العين الإرادة المدح والتعجب، فصار (حَبُبُ) ثم نقلت حركة العين إلى الفاء بعد حذف حركتها فصار (حُبُّ) والأخطل من تغلب، وتغلب وبكر ابنا وائل من ربيعة، وهذا دليل على أن هذا التخفيف بعد النقل ليس في تميم وحدها. (٢)

۲- يحمل على فَعل فى تخفيف العين بحنف حركتها نوعان من الكلمات فى القراءات القرآنية، أولهما: الضمير (هو) الممسوق ببعض حروف العطف ولام الابتداء، وثانيهما: حرف الإعراب. وهذان النوعان من باب إجراء المنفصل من كلمة واحدة.

وفيما يلى عرض أمثلة على ذلك.

أ- الضمير (هو) المسبوق ببعض حروف العطف ولام الابتداء

<sup>(</sup>١) شرح الشافية ٢/١ – ٤٣.

<sup>(</sup>٢) اللهجات العربية في التراث ٢٤١.

 الواو+ هو (وَهُوَ) من قوله تعالى: {وَهُوَ بِكُلِّ شَمْيْءِ عَلَسْهِم} البقسرة ٢٩/٢. فقرأ (وَهُوَ) بتسكين الهاء نافع وأبو عمرو والكسسائي وقسالون وأبسو جعفر والحسن واليزيدى، والإسكان لغة نجد(١).

وكذا من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ} البقرة ٢/٨٥ فقرأ بتسكين الهاء ﴿وَهُو) أبو عمرو والكسائي وقالون وأبو جعفر (٣). وهذا كثير في القرآن الكريم(٣).

 الفاء+هو (فَهُوَ) من قوله تعالى: فَهُو خُورُلُكُمْ البقرة ٢٧١/٢. قرأ بتسكين الهاء (فَهُوَ) نافع وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر وقسالون والحسسن والهزيدي()).

وكذا من قوله تعالى: {فَهُوَ الْمُهَنَّدِي} الأعراف ١٧٨/٧ فقرأ بالتسكين أبو عمرو والكسائي وقالون(<sup>6</sup>).

وهذا كثير في القرآن الكريم <sup>(١).</sup>

ـ ثم+هو (ثُمُ هُوَ) من قوله تعالى: {ثُمُ هُوَ يَوْمَ الْقَيِامَةِ مِنَ الْمُحْضَسَرِينَ} القصص ٨٢/٢٦ قرأ (ثُمُ هُوَ)يتسكين الهاء من هو: قسالون والكسائى وأبسو جعفر بخلف عنه، ونافع يخلف عنه. والتسكين لفة نجد (٧).

<sup>(</sup>١) معجم القراوات ٧٢/١.

<sup>(1)</sup> معجم العراوات 1/1 (2) السابق 1/031.

<sup>(</sup>۳) راجع على سبيل المثال: معجم القراءات ١٥٢/١ - ١٧٨ - ٢٠٢ - ٢٧٩ - ٢٩٩ - ٢٩٩ - ٢٩٩ - ٢٩٩ - ٢٩٩ - ٢٩٩ - ٢٩٩ - ١٥٣ و ٢١٠ - ١٩٤١ - ١٩٤٤ و ٢١٤ - ١٩٠٥ - ١٥٠

<sup>(</sup>٤) معهم القراءات ١/٣٩٥

<sup>(</sup>٥) السابق ١٢١/٣.

<sup>(1)</sup> راجع على سييل المثال معجم القراوات ٢٠٨١/ - ٣٩٩ و ٢٧٧٧ - ١٠٥٠ و ٥/٠٠٠ و ١٠٨٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠ و

<sup>(</sup>٧) معجم القراءات ٢٣/٧ -- ١٤ والاتحاف ٢٣٧

\_لام الابتداء + هو (لَهُو) من قوله تعللى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصَ الْحَقَ } أَلُ عمر الابتداء + هو (لَهُو) من قوله تعللى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصَ الْحَقَ } أَل عمر الا/٣٢٥ قرأ (لَهُو) بتسكين الهاء: نافع وأبو عمرو والكسائي وقاون وأبو جعفر (١) وكذا من قوله تعالى: {ولَكُن صَبَرَكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } النحل ١٢٣/١٦. فقرأ بتسكين الهاء (لَهُو) القرآء السابقون دون أبي جعفر (١) وذلك كثير في القرآن الكريم (١)

ويلاحظ فيما سبق أن سبب التخفيف يعود إلى اعتبار أن حروف العطف ولام الابتداء لا يمكن لها الانفصال عما يليها، فأصبحت لشدة اتصالها بها بمثابة الكلمة الواحدة التي على زنة فعل، من هنا جاز التخفيف، وهذا ينطبق كذلك على الضمير هي الذي ذكرناه من قبل في وزن فعل. يقول ابسن جني:" ووجه هذا أن هذه الأحرف لما كن على حرف واحد وضَعفنن عن انفصالها وكان ما بعدها على حرفين، الأول منهما مضموم أو مكسور أشبهت في اللفظ ما كان على فعل ... فخفف أوائل هذه كما يخفف ثواني هذه، فصارت (وَهُو) كعَضد، وصار (وَهُو) كعَضد" (ا)

ويرى أن (ثم) لا تعامل معاملة الحروف السابقة - الواو والفاء واللام -لأن (ثم) هنا منفصلة يمكن الوقوف عليها، فلا تخلط بما بعدها وتصير معه كالكلمة الواحدة كما حدث مع الأحرف الثلاثة السابقة. (°)

<sup>(</sup>۱) معجم القراءات ۱۱/۱ ه

<sup>(</sup>٢) السابق ٤/٤٠٧.

 <sup>(</sup>٣) راجع على سبيل المثال معجم القراءات ٢/٧ - ١٤٠ - ٤

<sup>(</sup>٤) الخصائص ٢/٩٢٦-٣٣٠ وانظر كذلك شرح الشافية ١/٥١ وفقه اللغات السامية ٧٩.

<sup>(</sup>ه) الخصائص ۲۳۰/۲.

وبناء على ما سبق عُدُّ من باب الشدود تسكين الهاء من هو المسبوقة بالفعل (يُمِلُّ فَقَ البَتْرة ٢/٢٨٢ فقرأ (يُملُّ هُو) البترة ٢/٢٨٢ فقرأ (يُملُّ هُو) بسكون الهاء: أبو جعفر بخلاف عنه، وقتيبة عن الكسائي، وأبو عون عن الحلواني عن قالون.(١)

وسبب الشدود في تلك القراءة أن الفعل (يُمِلُ) يمكن الوقوف عليه، أي يستقل في المعنى عن الضمير (هو) وهي أشد من قراءة من قرا (ثُمُ هُوَ يسوم القيامة) السابق لأن ثم للعطف ، وأنها لا يوقف عليها فيتم المعنسى ، وقسراءة تسكين الهاء في (يُملُ هُوَ) من باب الحمل على (وَهُوَ – فَهُوَ – لَهُوَ). (١)

- حرف الاعراب + ضمير النصب المتصل.

جاء فى القراءات القرآنية حمل حرف الإعرب مع ضمير النصب المتصل به على الكلمة الواحدة التي على زنة (فَعُل) في تخفيف حيرف الإعراب بحذف حركته وهى الضمة، لأنه مع الحرف الذي قبله والذي بعيده على زنة (فَعُل) وهذا من باب إجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة واحدة، من ذلك:

٢ – (نَذَرُهُم) من قوله تعالى: {ونَذَرُهُمْ فِي طُغْيَاتِهِمْ يَعْمَهُونَ} الأنعام الما قرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة وسلام ويعقوب وعبد الله بن زيد والأعمش والهمذانى • (ويذرهم) بالياء وتسكين الراء على التخفيف. (١٠).

<sup>(</sup>۱) كتاب التذكرة في القراءات ٣٤٤/٢ والإتحاف ٣١٣ والنشر ٣٣٦/٢ ومعجم القراءات ١/١٠/١.

<sup>(</sup>۲) البحر ۲/۱۱/۳.

<sup>(</sup>٣) معجم القراءات ٢٢٢/١

<sup>(</sup>٤) المحتسب ٢٧٧١ وراجع كذلك معجم القراءات ٢/١٢٥ والأتحاف ٢٧١.

٣- (پنفَمهُم) من قوله تعالى: {فَلَمْ بِكُ بِهَفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ} غافر ١٥/٤٠
 قرأ الوليد بن مسلم عن ابن عامر (بنفَعهُم) بسكون العين على التخفيف. (١)
 ١: ٤ : فُعلٌ

ولا يكون هذا البناء إلا في الأسماء، مثل: الرسل والطنّب والعند ، فيقال عند تخفيف العين فيها: الرسل، والطنّب، والعنّق. يقـول سـيبويه عـن سبب التخفيف: " وإذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء يخفقون أيضاً، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنما الضمتان من الواوين، فكما تكره السواوان كـذلك تكره الضمتان لأن الضمة من الواو. وذلك قولك: الرسل، والطنّب، والعنّـق، تربد: الرسل، والطنّب، والعنّق. (۱)

وإذا كان الحرف الثانى واوا مضمومة كان التخفيف أشد، نحو: نُورِ، وعُون، وقُول، فتصير : نُور وعُون ، وقُول : لأنهم إذا سكنوا في غير السواو كالرُّسُل والكُتُب كراهية الضمة فإن حاجتهم إلى التسكين عند وجود السواو والضمة أشد لتقلهما. (٢)

ويلاحظ هنا أن تخفيف نُورُ وعُونُ وقُولُ مر بما يأتى

١ - حذفت الواو لوقوعها بين حركتين متماثلتين

٢- أدمجت الحركتان في حركة واحدة هي الضمة الطويلة

ن - و - ر - ن / ع - و - ن - ن / ق - و - ل - ن > ن - × - ر - ن / ق - و - ل - ن > ن - × - ر - ن / ع - - ر - ن / ع - - ر - ن / ع - - ر - ن / ع - - ن - ن / ق - - ل - ن > ن - - ر - ن / ع - - ن - ن / ق - - ل - ن - ن / ق - - ل - ن - ن / ق - - ل - ن - ن / ق - - ل - ن - ن / ق - - ل - ن - ن / ق - - ل - ن - ن / ق - - ل - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن / ق - - ن - ن / ق - - ن / ق

<sup>(</sup>۱) معهم القراءات ۲۰۷/۸

<sup>(</sup>٢) الكتاب ٤/١١٤.

<sup>(</sup>٣) المتصف ١/٣٣٦.

وبالنظر إلى القراءات القرآنية يلاحظ أن الأسماء التى وردت مخففة على هذا البناء كثيرة سأعرضها مرتبة على حروف المعجم، وذلك على النحو التالى:

١ – (الأَذُنَ) من قوله تعالى: ﴿وَالْأَثُنَ بِالْأُثْنِ} المائدة ٥/٥٤. قرأ نافع:
 (والأُذُنَ بالأُذْنِ) بالإسكان معرفاً ومنكراً حيث وقع. (١)

. ٢٠ (بالأُفْقِ) من قوله تعالى: ﴿وَهُو بِالأَقْقِ الْأَعْلَى} النجم ٧/٥٣ قُرِئَ (بالأَفْق) بسكون الفاء. (٢)

٣- (أُكُلِ) من قوله تعالى: (ذُوَاتَنَى أَكُلِ خَمْطُ} سبأ ١٦/٢٤.

قرأ (أكْلِ) بتسكين الكاف: نافع وابن كثير وابن محيصن. وكذلك فعلوا في:

- (الأكل) الرعد ١٤/١٣ قرأوا (الأكل)

(أكله) الأنعام ١٤١/٦ قراوا (أكله) (١)

- (أُكُلُّها) من قوله تعالى: {فَآتَتُ أَكُلُهَا ضِعْفَيْنِ} البقرة ٢٦٥/٢

قرأ (أُكلَها) بتسكين الكاف: نافع وابن كثير وأبو عمرو خاصة في أكلها حبـث وقع، وابن محيصن واليزيدي والحسن(<sup>1).</sup>

<sup>(</sup>۱) راجع: الإقتاع ۲۴/۲ وحجة القراءات ۳۷۷ وكتاب للتذكرة في القراءات ۳۸۷/۲ والتيسير ۸۲ والإتحاف ۱۰۳ والنشر ۲۱۳/۲ ومعهم القراءات ۲۸۰/۲ وقدوريت منكرة في لقمان ۷/۳۱ والحافة ۲۲/۱۹.

<sup>(</sup>٢) مختصر في شواذ القرآن ١٤٧ ومعهم القراءات ١٧٧/٩.

<sup>(</sup>٣) كتلب التذكرة في القراءات ٢/٠٥٠ والتيسير ١٤٦ ومعجم القراءات ٢٩/٢ و ١٤٦٣ و ٣٨٣/٢

<sup>(</sup>٤) كتاب التذكرة فى القراءات ٢/٠٧ وحجة القراءات ١٤٦ والتوسير ٧٠ والإتحاف ١٨٠٠ والنشر ٢١٣/٢ ومعجم القراءات ٢٨٥/١ ووردت الكلمة كذلك فى الرحد ٣١/١٣ وإبراهيم ٤/١٤ والكيف ٣٣/١٨.

٤- (بالبُخُلِ) في قراءة من قوله تعالى: {وَيَأْمُرُونَ النَّاسِ بِالبُخُلِ} النساء ٣٧/٤ والحديد ٢٤/٥٧ قرأ عيسى بن عمر والحسن وزيد بسن علسى (بالبُخُلِ) بضم الخاء مثل (عُنق) وهي لغة أسد، ولغة الحجاز كسذلك فسإنهم يسشقلون ويخففون، وقرأ بالتسكين (بالبُخْلِ) ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم، وهي لغة تميم والحجاز. (١)

٥- (البُدُنَ) في قراءة من قوله تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ} اللَّهِ} اللَّهِ} اللَّهِ} اللَّهِ} الحج ٢٦/٢٦ قراءة ضم الباء (البُدُن) للحسن وعيسى بن عمر وأبر جعفر ونافع في رواية وابن أبي إسحاق وشيبة، وقراءة التسكين (البُدُن) قراءة الجمهور. (١)

٣- (بشرًا) في قراءة من قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَشْرًا لَهُ مَا يَدْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} الأعراف ٧/٧٥ قراءة ضم الشين (بُشُرًا) لابسن عباس والسُّلَمِيِّ وابن أبي عبلة وحفص عن عاصم، وقراءة التسكين (بشرًا) لعاصم والسلمي وعلى بن طالب وابن خُثَيْم وابن حنلم. (٦)

٧- (ثَلْثًا - الثَّلْث) من قوله تعالى: ﴿فَلَهُنَّ ثُلْقًا مَسا تَسْرَكَ .. فَلَأَمْسِهِ الثُّلْث} النُّلث الثُّلث عَلَم المَلْث الثُّلث عَلم المَلْث عَلم المَل علم المَل الثُّلث عَلم المَل المُلْث عَلم المَل المُلْث عَلم المَل المَل المَل المُل المَل المَلْق المَل المَل المَل المَلْم المَل المَل

<sup>(</sup>١) معجم القراءات ٢٩/٢ و ٣٤٦/٩.

<sup>(</sup>٢) السابق ١١٤/٦ وراجع كذلك مختصر في شواذ القرآن ٩٧ والإتحاف ٣٩٨.

 <sup>(</sup>٣) معهم القراءات ٧١/٣ وراجع في قراءة التسكين الإقتاع ١٤٧/٢ والنشر ٢٦٩/٢ ٧٧ وحجة القراءات ٢٨٦.

<sup>(</sup>٤) مختصر في شواذ القرآن ٣١ ومعجم القراءات ٢٦/٢ - ٢٩.

- (تُلْثُهُ) من قوله تعالى: {وَثُلْثُهُ وَطَائِقَةٌ مَنَ السَّدْبِينَ مَعَسَك} المزمل ٢٠/٧٢ قرأ بالتسكين (ثُلُثُه) ابن كثير. (١)
- (تُلْقَى) من قوله تعالى: {النّى مِن تُلُقّي اللّيلِ وَتَصِيفَة} المزمل 
  ٢٠/٧٢ قرأ بالتسكين (تُلْقَى) الحسن وشيبة وأبو حيوة وابسن المسميفع وابسن 
  المجاهد عن قنبل والحلوانى عن هشام بن عمار عن ابن عامر ونافع فسى 
  رواية. (٢)
- ٨- (نُمُرُه) في قراءة من قوله تعالى: {انظُرُواْ إلِسِي ثَمَسِهِ} الأنعام ١٩٩٦ قرأ بضم الثاء والميم (ثُمُرة) جمع ثَمَرَة: ابن وثاب ومجاهد وحمسزة والكسائى وخلف والأعمش، وقرأ بتسكين الميم (ثُمْرِه) الأعمش. (") وكذلك في يس ٣٥/٣٦ "يَاْكُلُوا مِنْ ثُمَرِهِ". (١)

٩- (الثّمٰنُ) من قوله تعالى: ﴿ فَلَهُنْ الثّمٰنُ مِمَّا تَرِكْتُم ﴾ النساء ١٢/٤
 قرأ بتسكين الميم (الثّمْنُ) الأعرج والحسن ونعيم بن ميسرة. (٥)

١٠ (جُدُرٍ) من قوله تعالى: {لاَ يُقَساتِلُونَكُمْ جَمِيقَا إِلاَّ فِسِي قُرْى مُحْصَنَة أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ} الحشر ١٤/٥٩ قرأ بتسكين الدال (جُدْر) أبو رجاء

<sup>(</sup>١) مختصر في شواذ القرآن ١٦٤ والإتحاف ١٨٦ و ٢١٥ ومعهم القراءات ١/١٠١٠.

<sup>(</sup>٢) معجم القراءات ١٥٠/١٠ والقارئ هو هشام في التيسير ١٧٥ والنشر ٢١٧/٢.

<sup>(</sup>٣) الاتحاف ٧٠٠ ومعجم القراءات ٧/٢ ٥ - ٥٠٣ وراجع كذَّك التيمبير ٨٧ والنشر ٢١٠/٢ والإثقام ٢٤١/٢.

<sup>(</sup>٤) معجم القراءات ٢٨٣/٧ -٤٨٤ وراجع حجة القراءات ٩٨٠.

<sup>(</sup>٥) مختصر في شواذ القرآن ٣١ ومعجم القراءات ٣٠/٢

والحسن وابن وثاب والأعمش والسلمى وأبو حيوة ورويت عــن ابــن كثيــر وعاصم فى رواية وعلى بن أبى طالب وعكرمة والحسن. (١)

١١ - (الجُرْزِ) من قوله تعالى: {أُولَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَسَاءِ إِلَى الْجُرْزِ).
 الْأَرْضِ الْجُرُزُ} السجدة ٢٧/٣٧ قُرِئَ بتسكين الراء (الجُرْز).

۱۰۹/ (جُرُف) من قوله تعالى: (عَلَى شَفَا جُرُف هَسَار) التوبة ۱۰۹/۹ قرأ بتسكين الراء (جُرُف) حمزة وابن عامر وأبو بكر عُسن عاصم وخلسف ويحيى وحماد وابن ذكوان وهشام برواية الطوانى والحسن والأعمش. (۲)

۱۳ - (جُزُءًا) في قراءة من قوله تعالى: ﴿ أَمُّمُ اجْعَلْ عَلَى كُلُّ جَبَلِ مَنْهُنَ جُرْءًا﴾ البقرة ٢/ ٢٠ ومن قوله تعالى: ﴿ لَكُلُّ بَابٍ مَنْهُمْ جُزْءٌ مُقْسُومٌ} الحجر ٥ / ٤٤ قرأ بضم الزاى في الموضعين (جُزُءًا - جُزْءً) أبو بكر عسن عاصم وابو جعفر والمفضل في الموضع الأول وأبو بكر عن عاصم وابن وثاب فسي الثانى. أما قراءة تسكين الزاى (جُزْءًا - جُزْءُ) فهي قراءة الجمهور ، وهي لغة تميم وأسد، والأولى لغة الحجازيين. (١)

١٤ (الجُمُعَة) من قوله تعالى: { إِذَا تُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْم الْجُمُعَةِ} الجمعة ٩/٦٢ قرأ بتسكين الميم (الجُمُعَة) ابن الزبير وأبو حيوة وابسن عبلة وزيد بن على والأعمش والمطوعى والسلمى وأبو عمرو فـــى روايــة عبـــد

 <sup>(</sup>۱) معجم القراءات ٣٩٩/٩ ورنجح كذلك الإتحاف ٣٨ه ومختصر في شواذ القرآن ١٠٥ والمحتسب ٢١٦/٧.

<sup>(</sup>٢) البحر ٧/٠٠٠ ومعجم القراءات ٧/٨٧٠.

 <sup>(</sup>٣) راجع: الإشاع ٢/٩٩، وحجة القراءات ٣٧٤ وكتاب التذكرة في القراءات ٢/٤٤٤ والإنحاف ٢٠٧ والنشر ٢٠١٧ ومعجم القراءات ٣/٢٠٥٠.

<sup>(1)</sup> معهم القراءات ٧/١/١ و ٣/٨٠٥ وراجع كذلك: الإلقاع ١١١/٣ وكتاب التسذكرة فسى القراءات ٣٣٩/٢ وحهسة القسراءات ١٤٥ والتيمسير ٧٠ والإنصاف ١٨٥ والتشسر ٢١٦/٢.

الوارث عنه، وأبو رجاء وعكرمة والزهرى وابن أبى ليلى وأبسو بكسر عسن عاصم وابن صالح وابن حرب كلاهما عن حمزة . وقيل هي لغة عقيل. (١)

١٥ - (جُنبًا) من قوله تعالى: ﴿وَلاَ جُنْهُما إِلاَّ عَمَايِرِي سَمِيلِ حَتَّمَ تَغْتَسِلُواْ} النساء ٤٣/٤ قرأ بالتسكين (جُنباً) فرقة. (١)

١٦ - (جُنُب) من قوله تعالى: (قَبَصُرَتْ بِهِ عَــن جُنُــب) القصــص
 ١١/٢٨ قرأ بتسكين النون (جُنْب) الحسن. (٣)

١٧ - (الحُجُرات) من قوله تعالى: { إِنِنَّ السَّدِينَ يَنَادُونَكَ مِسن وَرَاءَ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقَلُونَ} الحجرات ٤/٤٩ قرأ بتسكين الجيم (الحُجْراتِ) أبو رزين وسعيد بن المسيب وابن أبى عبلة. (١)

١٨ - (حُرُمٌ) من قوله تعالى: {غَيْرَ مُحلِّى الصَّيْدِ وَٱلْتُمْ حُرُمٌ} المائدة
 ١/٥ قرأ بتسكين الراء (حُرْمُ) الحسن ويحيى بن وثاب وإيــراهيم النخعــى ،
 وهى لغة تميمية كما يقولون في كُتُبٍ: كُتُب، وفي رُسُــلِ : رُسُــلُ. (")وكـــذا
 (حُرُماً) (") في المائدة (٩٦/٥.

١٩ - (حُرُمات) من قوله تعالى : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْسِرٌ
 لَـهُ الحج ٢٠/٢٢ قرأ بتسكين الراء (حُرْمات) عباس وعَدِى الأزرق كلهم عن أبى عمرو. (٧)

<sup>(</sup>١) معجم القراءات ١/٠٦، وراجع كذلك مختصر في شواذ القرآن ١٥٧ والإتحاف ٢٥٠.

<sup>(</sup>٢) معهم القراءات ٢/٧٧.

<sup>(</sup>٣) اليمر ١٠٣/٧ ومعج القراءات ١٠٩٧.

 <sup>(</sup>٤) مغتصر في شوال القرآن ١٤٤ ومعهم القراءات ٧٧/٩ – ٧٨.
 (٥) المعتسب ٢٠٥/١ ومختصر في شوال القرآن ٢١٦/٢ ومعهم القراءات ٢١٦/٢.

<sup>(</sup>١) معهم القراءات ٣٤٤/٢.

<sup>(</sup>۷) السابق ۱۰۸/۱.

٢٠ (حُسناً) في قراءة من قولة تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسناً} البقرة ٢٨/٢ قرأ بضم السين (حُسناً) عطاء بن أبي رياح وعيسى بن عمر، وقدراءة الجماعة بتسكينها (حُسناً).(١)

٢١ - (حَتُباً) من قوله تعالى: {أَوْ أَمْضِي حُقُبًا} الكهف ٦٠/١٨ قسراً بتسكين الحاء (حَتُباً) الحسن والضحاك والأعمش وأبو رزين وأبو مجلز وقتادة والجحدرى وابن يعمر. (٢)

٢٢ -- (الحَلُم) من قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَمْ يَبِلَّقُوا الْحَلُم مِسْلَكُم} النسور ٥٨/٢٤ قرأ بتسكين اللام (الحَلْم) أبو عمرو برواية عبد السوارث ويسونس والمطوعي وابن عمر. (٣)وكذا في النور ٤٣/٢٤.

٢٣ – (حُمْرٌ) من قوله تعالى: (كَأَتَّهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنَقِرَةً} المدثر ٤٧/٠٥ قرأ بتسكين الميم (حُمْرٌ) الأعمش. (1)

٤٢- (خُشُبُ) من قوله تعالى: {كَأَتُهُمْ خُشُبٌ مُعنَدَةٌ} المنافقون ٤/٦٣ قرأ بتسكين الشين (حُشْبٌ) البراء بن عازب والأعمش وقنبل والمفضل عن عاصم والكسائي وابن كثير وأبو عمرو واليزيدي وعبد الوارث. (\*)

 <sup>(</sup>١) البحر ٣٠١/١ وكتاب التفكرة في القراءات ٣١٦/٢ والنشر ٢١٨/٢ ومختصر في شواذ القرآن ١٥ ومعجم القراءات ٢٠٤١.

<sup>(</sup>٢) معجم القراءات ٥/٣٥٣ وراجع كذلك البحر ٢/٢٧١ ومختصر في شواد القرآن ٨٤.

 <sup>(</sup>٣) معجم القراءات ٢٩٩/١ و ٣٠٢ وراجع كذلك البحر ٢/٣٣٤ والإنحاف ٤١٣ ومختصر في شواذ القرآن ٢٠٠٤.

<sup>(</sup>٤) معجم القراءات ١٧٣/١٠

 <sup>(</sup>٥) السابق ٢٩/٩ وراجع كذلك الإقداع ٧٨٧/٢ والتيسير ١٧١ والإتحاف ١٨٦ و ٣٤٠ وانتشر ٢١١٧٢.

٢٥ (خُلُقُ) من قوله تعالى: {إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُــقُ الْسَاوُلِينَ} الشــعراء
 ١٣٧/٢٦. قرأ بتسكين اللام (خُلُق) أبو قلابة والأصمعى عن نافع وابن عباس
 وعكرمة والحجدرى. (١)

77- (خُمْسَة) من قوله تعالى: { أَلَانُ لِلَّهِ خُمْسَةُ وَلِلْرُسُسُولِ} الأنفال 1/4 قرأ بتسكين الميم (خُمُسَةُ) الحسن وعبد الوارث وخارجة واللولوى كلهم عن أبى عمرو. (7)

٢٧ - (دُبُرَهُ) من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُولِنَّهِمْ يَوْمَئِدَ دُبُسِرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا
لَقْتَالِ ﴾ الأنفال ١٦/٨ قرأ بتسكين الباء (دُبْرَهُ) الحسن وهي لفة تمسيم وأسد وعامة قيس (٢)

٢٨ – (نَسُرُ) من قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ القمر ١٣/٥٤ أورئ بتسكين السين (نُسْرٍ). (٤)

٢٩ - (ربُط) في قراءة من قوله تعالى: ﴿ وَمِن رَبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُو اللّهِ وَعَدُوكُم ﴾ الانفال ١٩/ ٦ قرأ (ربُط) جمع رباط مثل كتاب وكتُسب: الحسن وأبو حيوة وعمرو بن دينار، وقرأ بتسكين الباء (ربُط) الحسن وأبسو حيوة ايضاً. (٥)

<sup>(</sup>١) معجم القراءات ٦/٥٤ وراجع كذلك مختصر في شواذ القرأن ١٠٩

<sup>(</sup>٢) معجم القراءات ٢٩٥/٣.

<sup>(</sup>٣) البحر ٤٧٠/٤ والإنحاف ٢٩٧ ومعجم القراءات ٣/٧٣٠.

<sup>(</sup>١) معجم القراءات ٢٢٢/٩

 <sup>(</sup>٥) البحر ٤٠٧/٥ ومعهم القراءات ٣١٩/٣ وراجع كذلك: مختصر في شوالا القرآن ٥٥ و الاتحاف ٢٩٩.

٣٠- (الرابع) من قولة تعالى: (فَلَكُمُ الرَبْعُ مِمًا تَركَتُمَ} النساء ١٢/٤
 قرأ بتسكين الباء (الرابعُ) الأعرج والحسن ونعيم بن ميسرة. (١)

٣٦- (زُبُراً) من قوله تعالى: (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا) المؤمنون ٥٣/٢٣ قرأ بتسكين الباء (زُبُراً) عبد الوهاب، عن أبى عمرو وابن الجوزاء وابن السميفع. (١)

٣٢ – (سُبُلُنا) من قوله تعالى: ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلُنَا} إبراهيم ١٢/١٤ قــراً بتسكين الباء (سُبُلُنا) أبو عمرو واليزيدى والحســن<sup>(٣)</sup> وكــذا فـــى العنكبــوت ٩٣/٢٩.

٣٣- (السُّحُتِ) في قراءه، من قوله تعالى: {أَكَالُونَ لِلسُّحْتِ} المائسة ٥/ ٤٢ قرأ بضم الحاء (السُّحُتِ) ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر وسهل ويعقوب، وقرأ بتسكينها (السُّحْت) نافع وابن عامر وعاصم وحمسزة وخلف والأعمش. (1)

٣٤ - (السُدُسُ) من قوله تعالى: (لِكُلُّ وَاحدِ مِنْهُمَا السُدُسُ .... فَلَأَمُهِ السُدُسُ .... فَلَأَمُهِ السُدُسُ) النساء ١١/٤ قرأ بتسكين الدال (السُدُسُ) الحسن ونعيم بسن ميسرة والأعرج وأبو رجاء العطاردى، وهي لغة تعسيم وربيعة. (٥) وكذا النساء 17/٤.

<sup>(</sup>١) مختصر في شواذ القرآن ٣١ ومعجم القراءات ٢٠/٣.

<sup>(</sup>٢) معجم القراءات ١٨٣/١.

<sup>(</sup>٣) السابق ٢١٢/٤ وراجع كذلك : الإتحاف ٣٤١ - ٣٤٢ والتشر ٢/٢١٦.

<sup>(1)</sup> معجم القراءات ۲۷۰/۱ وراجع كذلك: الإقتاع ۲۳۴/۲ وكتاب التذكرة في القراءات ۲۸۲/۲ وحجة القراءات ۲۰۳، والتيسير ۸۲ والإنحاف ۳۰۳ والنشر ۲۱۲/۲.

<sup>(</sup>٥) معجم القراءات ٢٨/٢ وراجع مفتصر في شواذ القرآن ٣١.

٣٥- (سَتُفَا) من قوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يِكَفُــرُ مِسَالرُحْمَنِ لِبُيُسوتِهِمْ
سُقُفًا مِّن فَضَيَّةٍ} الزخرف ٣٣/٤٣. قرأ بتسكين القاف (سُــقَفاً): أبــو رجــاء
ومجاهد جمع سُتُف، كرَهن ورهن ورهن ورهن. (١)

٣٦- (سُلُفاً) في قراءة ، من قوله تعالى: {فَجَعَلْنَساهُمْ مَسَلَفًا وَمَسَثَلًا لِلْآخِرِينَ} الزخرف٣١/٥٦ قرأ بضم المبين والسلام (سُلَفًا) ، أبو عبد الله وأصحابه وسعيد بن عياض والأعمش ويحي بن وثاب وطلحة والأعرج وخلف وحمزة والكسائى وعبد الله بن مسعود وأصحابه وحميد بن قيس، جمع سليف كرغيف ورُغُف، أوسلَف كاسد وأسد. وقرأ بضم السين وسكون السلام (سُلفاً) أبو رجاء ومجاهد، وهي لغة تعيم. (٢)

٣٧- (شَغُل) من قوله تعالى: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَسِومَ فِسِي شُسَقُلٍ فَكَهُونَ} يس ٣٧- (شُغُل) الفين (شُغْل) الفي وابن كثير وأبو عمرو وروح عن يعقوب وعياش وابن محيص واليزيدي والحسن وابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وطلحة وخالد بن إياس. (٣)

٣٨- (صُحُف) من قوله تعالى: {أَمْ لَمْ يُنَبَّأُ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَسَى} النجم ٣٢/٥٣ قُرِئَ بتسكين الحاء (صُحْف). (أ)

(الصُّحْفُ) من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصَّحْفُ نَشْرَتُ ﴾ التكوير ١٠/٨١ قرأ بسكون الحاء (الصُّحْفُ) الخفاف والرؤاسي والهمذاني كلهم عسن أبسي عمرو وطلحة بن مصرف. (٥)

<sup>(</sup>۱) معجم القراءات ۸/۳۷۰.

 <sup>(</sup>۲) السابق ۸۸۷/۸ – ۸۸۸ وراجع كذلك الإقتاع ۲۰۱/۷ وحجة القراءات ۲۰۱ والتيسير
 ۱۰۹ والإتحاف ۲۹۱ والتصر ۲۰۱۲.

<sup>(</sup>٣) معجم القراءات ٧/٧ ٥٠ - ٥٠٣ وراجع كثلك الإتحاف ١٨٦.

<sup>(</sup>٤) معجم القراءات ١٩٧/٩.

<sup>(</sup>٥) السابق ١٠/٥٣٠.

- (الصَّدُف) من قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصَّدُف الأُولَى} الأعلى الأعلى المُحلى الأعلى ١٨/٨٧ قرأ بالتسكين (الصَّدُف) الأعمش، وهارون وعصمة كلاهما عن أبى عمرو، وهي لغة تميم. (١)
- ٣٩- (ظُفُرٍ) من قوله تعالى: { حَرَّمُنَا كُلُّ ذِي ظُفُرٍ} الأنعام ١٤٦/٦ قرأ بتسكين الفاء (ظُفْرٍ) أَبِيَ والحسن والأعرج والأعمش. (٢)
- ٤ (عُرِبًا) من قوله تعالى: {عُرِيًا أَثْرَائِسا} الواقعسة ٣٧/٥٦ قراً بتسكين الراء (عُربًا) حمزة وشجاع وعباس والأصمعى عسن أبسى عمرو، وخارجة وكروم وأبو خليد عن نافع، وحماد ويحيي عن أبي بكر وأبان عسن عاصم، وإسماعيل وخلف والأعمش. وهي لغة تميم وبكر ونجد. (٦)
- ١٤ (عُرَفاً) في قراءة من قوله تعالى: ﴿ وَالْمُرْمَالَاتِ عُرْفًا } المرسلات ١/٧٧ قرأ بضم الراء (عُرُفاً) الدسن وعيسى بن عمر، وهي لغة المجازيين، وسكنها (عُرقاً) الجمهور، وهي لغة تميم وأسد وقيس. (١)
- ٤٢ (عُسُراً) في قراءة، من قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تُرْهِقْتِي مِسِنْ أَمْسِرِي عُسْرًا} الكهف ١٣/١٨ قرأ بضم السين (عُسُراً) أبو جعفر وعيسى بن عمسر ويحي بن وثاب وأبو عمرو، وهي لغة الحجازيين، وقرأ بتسكينها (عُسْراً) الجمهور، وهي لغة تميم وأسد وعامة قيس. (°)

<sup>(</sup>۱) السابق ۲۹۲/۱۰.

 <sup>(</sup>٢) البحر ٤/٥٤٥ ومعجم القراءات ٥٧٨/٢-٥٧٩ وراجع كذلك مختصر في شواذ القرآن
 ٧٤ والإتحاف٧٧٧.

 <sup>(</sup>٣) معهم انقراءات ٢٠١/٩ وراجع كذلك الإفقاع ٢٠٠/٧ والتوسير ١٦٨ والإتحاف ١٨٦ و ٣٠٠ والنشر ٢١١٧.

<sup>(</sup>٤) معجم القراءات ١٠/٥٣٠ وراجع كذلك الإتحاف ٢٧٥.

<sup>(</sup>٥) مختصر في شواذ القرآن ٨٤ واليحر ١٤١/١ ومعهم القراءات ٥٢٦٦٠.

٤٣ - (عَتَباً) في قراءة ، من قوله تعالى: {هُوَ خَيْرٌ ثُوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا} الكهف ١٤٨ - ٤٤ قرأ بضم القاف (عَتَباً) ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائى وأبو جعفر ويعقوب، وقرأ بتسكينها (عَقْباً) عاصم وحمـــزة وخلـــف والحسن والأعمش ويحي بن وثاب. (١)

١٦/١٠ (عُمُراً) من قوله تعالى: (فَقَدَ لَبِثْتُ قِيكُمْ عُمُرًا} يسونس ١٦/١٠ قرأ بتسكين الميم (عُمْراً) الأعمش والحسن، والخفاف وعبيد واللؤلوى كلهم عن أبي عمرو. (٢)

وقراً أبو عمرو بالتسكين كذلك في الحج ٢٢/٥ (العُمُر) ومعه نافع (٢) وفي الشعراء ١١/٢٦ (عُمُرِكَ) (٤) وفي غافر ١١/٣٥ (عُمُرِه) ومعه هنسا يعقوب والمطوعي والحسن وابن سيرين والأعرج. (أ)

20 - (عُنُدِه) من قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ إِنْمَنَانِ ٱلْزَمْنَاهُ طَآلِرَهُ فِي عُنُفِسِهِ} الإسراء ١٣/١٧ قرأ بتسكين النون (عُنْقِهِ) أحمد بن موسى واللؤلؤى عن أبى عمرو. (١)

23 - (غُلْفُ) في قراءة من قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا عُلَفَ البقرة البقرة من الله (غُلْفُ) ابن عباس وابن هرمسز وابسن ٨٨/٢ والنساء ١٥٥/٤ قرأ بضم اللام (غُلْفُ) ابن عباس وابن هرمسز وابسن محيصن واللؤلؤي عن أبي عمرو وسعيد بن جبير والحسن البصري وعمسرو

 <sup>(</sup>۱) الاتحاف ۳۲۷ والنشر ۳۱۲/۲ ومعجم القراءات ۳۲۲/۰ - ۳۲۷ وراجع كذلك الإقتاع ۲/۰۲ وحجة القراءات ۶۱۹.

<sup>(</sup>٢) معهم القراءات ١٥/٣ وراجع كذلك البحر ١٣٧/٠.

<sup>(</sup>٣) البحر ٣٢٨/١ ومختصر في شواذ القرآن ٩٦ وحجة القراءات ٨٣/١.

<sup>(</sup>٤) مختصر في شواذ القرآن ١٠٧ ومعهم القراءات ١٠٦/١

<sup>(</sup>٥) معجم القراءات ٧/٨١٤

<sup>(</sup>١) مختصر في شوادُ القرآن ٧٩ ومعهم القراءات ٢٦/٥ وراجع كذلك البحر ١٤/٦

ابن عبيد والفضل الرقاشى وابن أبى إسحاق والأعمش، جمع غلاف. وقـــراءة التسكين (غُلْفً) للجمهور<sup>(1)</sup>.

٤٧ – (فُرُشِ) من قوله تعالى: {مُتَكنينَ عَلَى فُرْشٍ} السرحمن ٥٤/٥٥ ومن قوله تعالى: " (وَفَرُشِ مَرْفُوعَةٍ} الواقعة ٣٤/٥٦. قــرأ بتسكين السراء (فُرشِ) أبو حيوة (١٠).

٤٨ – (فُرُطاً) من قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ الكهف ٢٨/١٨ قرأ
 بتسكين الراء (فُرُّطاً) مَسْلَمَةُ بن محارب والأعشى والحسن. (٦)

٩٩ – (قُبُلاً) من قوله تعالى: ﴿ وَحَشَرَتَا عَلَيْهِمْ كُنَّ شَيْءٍ قُسَبُلاً} الأنعام ١١١/٦ ومن قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْتَيْهُمْ الْعَقْلَابُ قُبُلاً} الكهف ١١١/٥٥ قرأ بتسكين الباء (قُبُلاً) الحسن وأبو رجاء وأبو حيوة. (١)

٥٠ (قُبْل) من قوله تعالى: {إن كَانَ قَميصُهُ قُدٌ مِن قُبُسلِ فَصَدَقَتَ}
 يوسف ٢٦/١٢ قرأ بتسكين الباء (قُبْل) الحسن ومحبوب عن أبي عمرو. وهي
 لغة الحجاز وأسد. (٥)

٥١ – (القُدُسِ) من قوله تعالى: ﴿وَأَلِيْدَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} البقرة ٨٧/٢
 وكذا في المائدة ٥٠/١ والنحل ٢١٠٢/١.

قرأ بتسكين الدال (القُنس) مجاهد وابن كثير وابن محيصن. (١)

 <sup>(</sup>۱) معجم القراءات ۱۱۴۹/۱ و ۱۹۳/۲ وراجع كثلك البحر ۱۹/۱ ومختصر في شواف القرآن ۱۰.

<sup>(</sup>٢) مختصر في شواذ القرآن ١٥٢ ومعهم القراءات ٢٧٥/١ و ٣٠٠٠

<sup>(</sup>٣) معجم القراءات ٥/١٩٥

<sup>(</sup>٤) السابق ٢٧/٧ و و /٢٤٤ - ٢٤٥ وراجع كذلك البحر ٢٠٨/٤ ومختصر في شواذ القرآن ٨٤.

<sup>(</sup>٥) البحر ٥/٢٩ ومعهم القراءات ٤٣٢/٤ وراجع كذلك مختصر في شواد القرآن ٦٧.

 <sup>(</sup>٦) البحر ١٤٦/١ و معجم القراءات ١٤٨/١ و ١٤٤/٧ و ١٨٧ وراجع الإشحاف ١٨٤ والنشر ٢١٦/٢.

٢٥- (الكُتُبُ) من قوله تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السُمَاء كَطَسَيِّ السَّجِلُّ الْكُتُبُ} الأنبياء (١/١٠ قرأ بتسكين التاء (الكُتْبُ) الأعمش. (١/١)

٥٣ - (كَفُواً) من قوله تعالى: (وَلَمْ بِكُن لَّهُ كُفُــوًا أَحَـــة الإخـــلاص ١٠٤ قرأ بتنسكين الفاء (كُفُواً) حمزة ويعقوب وخلف. (٢)

١٩٨/٣ (نُزُلاً) من قوله تعالى: {تُزُلاً مَنْ عند الله} آل عمران ١٩٨/٣ وأر بتسكين الزاى (نُزلاً) الحسن والنخعى ومَشْلَمَةُ بَسِن محسارب والأعمسش والمطوعي. (٦)

وقرأ كذلك بالتسكين أبو عمرو بخلاف عنه وأبو حيوة (نُزُلاً).  $^{(1)}$  فسى الكهف  $^{(2)}$  -  $^{(9)}$  الكهف  $^{(9)}$ 

٥٥-(نُسُك) من قوله تعالى: {فَقَوْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَسَدَقَةً أَوْ نَعُسُك} البقرة ٢٩٦/٢ قرأ بتسكين السين (نُسَك) الحسن، والزهرات والسُسلَمى ونعْسِمٌ وابن أبى حماد والجعضى، كلهم عن عاصم. (1)

 وبالتسكين كذا في (نُمنكي) الأنعام ١٦٢/٦ للحسن وأبــي حيــوة والمئلَمي. (<sup>٧)</sup>

<sup>(</sup>١) البحر ٢١٧/١ ومعهم القراءات ٢٠/١

<sup>(</sup>۲) الإنجاف ۱۸۱ والنشر ۲۱٦/۲

 <sup>(</sup>٣) البحر ١٠٤/٣ ومعهم القراءات ١٠١/١ وراجع كذلك مختصر في شواف القرآن ٣٠ والاحقاف ٢٣٠

<sup>(</sup>٤) مختصر في شواف القرآن ١٨٠ والبحر ٢/٧١ ومعهم القراءات ١٦٠٠ و ٣١٠.

<sup>(</sup>٥) البحر ٧/٥٧٤ ومعهم القراءات ٨٤/٨

<sup>(</sup>٦) معهم القراءات ٢٩٩/١ وراجع كفلك: مختصر في شواد القرآن ١٩ والبحر ٨٤/٢.

<sup>(</sup>٧) البحر ٢٦٢/٤ ومعهم القراءات ٢٠١/٢ وراجع كذلك مختصر في شواف القرآن ٤٧.

٣/٥ (النُّصَنَبِ) من قوله تعالى: {وَمَا ثُبِحَ عَلَى النُّصْنَبِ} المائدة ٣/٥ قرأ بتسكين الصاد (النُّصْنَبِ) طلحة بن مصرف، وابن كثير في رواية. (١)
 ٥٧ - أذُك أَلُ في قوامة ، من قوله تعالى: ﴿الْقَدْ حَدَّمَتَ شُمِّنَا أَنْكُ الْ

٧٥ - (نُكُراً) في قراءة ، من قوله تعالى: {لَّقَدَ جِنْتَ شَسَيًّا نُكْسَرًا}
 الكهف ٢٤/١٨ وفتى الكهف ٨٧/١٨ كذلك " فيعذبه عذاباً نكراً".

قرأ بضم النون والكاف (نُكُراً) نافع من رواية ابن جمّاز ، وكذا قالون ونصر عن الأصمعى عن نافع، وأبو بكر عن عاصم، وابن عامر، وابن ذكوان، وأبو جعفر، ويعقوب، وسهل، وشيبة، وحماد، وطلحة. وهم لغسة الحجاز بين.

وقرأ بتسكين الكاف (نُكْراً) ابن كثير وأبو عمرو وإسماعيل عن نسافع وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم وخلف وهشام . وهى لغة تمسيم وأسسد وقيس. (٢)

- (نُكُر) من قوله تعالى: (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْء نُكُرٍ) القمر ٤ /٦٥ قرأ بتسكين الكاف (نُكر) الحسن وابن كثير وشبل وابن مسعود وابن محيصن، وقراءة الضم للجمهور. (٢)

٥٨ ( هُزُواً) من قوله تعالى: {قَالُواْ أَتَتَخَفْنَا هُــزُواً} البقرة ٢٧/٢ قر بتسكين الزاى مع الهمز (هُزْءاً) حمزة وإسماعيل وخلف فى اختياره ويعقــونــ: والمطوعى والقزاز عن عبد الوارث والمفضل ونافع برواية إسماعيل. (²)

<sup>(</sup>١) البحر ٣٩/٣ ومختصر في شواذ القرآن ٣٧ و معجم القراءات ٣٢٦/٢.

 <sup>(</sup>۲) معیم القراءات ۹/۲۲–۲۱۹ وراجع کذلك كتاب التذكرة في القراءات ۱۳/۲ و والإقتاع ۱۱/۲ و صحبة القراءات ۲۶ و والتيسير ۱۱۸ و الإنحاف ۱۸۲.

 <sup>(</sup>٣) معجم القراءات ٢١٨/٩ وراجع كذلك الإلقاع ٢٧٧/٢ والتيسير ٢٦١ والإتحاف ١٨٦ والنشر ٢١٦/٢.

 <sup>(</sup>٤) معجم القراءات ١٣١/١ وراجع كذلك كتاب التذكرة في القراءات ١٩٥٣ والتيسير ٦٣ والإتحاف ١٨١.

### ملاحظة:

يحمل على ما سبق فى تسكين الحرف الثانى تخفيفاً حرف الإعــراب من الفعل المضارع فى حالة الرفع وقبله حرف مضموم وبعده ضمير نصــب متصل من حرفين أوله مضموم (كُمْ - هُنْ الله عنه من عرف واحــد هــو ضمير الغائب. وهذا من إجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة واحدة، فكلاهما على زنة (فُعُل) وفيما يلى عرض الأمثلة الدالة على ذلك.

١ - (بِأَكُلُهُنَّ) - (كُلُهُنَّ) من قوله تعالى: {إِنِّي أَرَى سَنِعَ بَقَرَات سِمَانِ يَأْكُنُهُنَّ سَنِعً بَقَرَات سِمَانٍ يَأْكُنُهُنَّ سَنِعً عَجَافً } يوسف ٢ / ٤٣/١ قرآ ابن محيصن بسكون اللام حُرف الإعراب (يأكُلُهُنَّ). (٢)

٢ - (يأمُرُكَمُ ) - (مُرُكُمُ ) وهذا في سبعة مواضع في القرأن الكريم، هي:

- {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْيَحُواْ يَقَرَةً} البقرة ٢٧/٢.
  - (بِنْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَاتُكُمْ} البقرة ٩٣/٢.
- {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ} البقرة ٢٦٩/٢.
- ﴿الشَّيْطَانُ يَعدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُركُم بِالْفَحْشَاء﴾ البقرة ٢٦٨/٢
- { وَلاَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَتَّعْدُواْ الْمُلاَكِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابَا أَيَامُرُكُم بِالْكُفْرِ بَالْكُفْرِ بَعْدُ إِذْ أَنتُم مُسْتِمُونَ} آل عمران ٨٠/٣.
  - {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} النساء ١٥٨/٤.

<sup>(</sup>١) معجم القراءات ٢/٢٦ وراجع كذلك: الإتحاف ١٨١ و ٢٥٤ والنشر ٢/ ٢١٥–٢١٦.

<sup>(</sup>٢) معجم القراءات ٢٦٩/٤.

٣-(يأمُرُهُمُ) - (مُرَهُمُ) من قوله تعالى: {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنَهَاهُمْ
 عَن الْمُنكَرَ} الأعراف ٧/٧٥.

٤- (تأمُرُهُمْ) - (مُرُهُمْ) من قوله تعالى: {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَــذَا}
 الطور ٣٢/٥٢

قرأ بتسكين الراء حرف الإعراب فيما سبق أبو عمرو فيما نقلم السوسي عنه وكذا ابن محيصن (يأمر كُم - يأمر هُم - تأمر هُم الله (١)

٥- (نحشُرُهُ) - (شُرُهُ) من قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقَيَامَةَ أَعْمَى} طه ١٢٤/٢٠ قرأ بتسكين الراء فرقة منهم أبان بن تغلب (نحشُرهُ) والتسكين إما تخفيفاً لتوالى الحركات، وإما مجزوم عطفاً على موضع جواب الشرط وهو قوله تعالى: "قَإِنَّ لَهُ معيشة "صَنْحَى "١)

٦- (ينصرُ كُمْ) - (صرر كمْ) في موضعين ، هما:

- {فَمَن ذَا الَّذِي يَنَصُرُكُم مِّن يَعْده} آل عمران ١٦١/٣.

- {أَمْنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنَصُرُكُم مّــن دُونِ السرّحْمَنِ} الملــك
 ٢٠/٦٧.

قرأ أبو عمرو بسكون الراء حرف الإعراب تخفيفاً (ينصرُ كُمُ). <sup>(٣)</sup>

<sup>(</sup>۱) راجع قیما سبق: کتاب التذکرة فی القراءات ۱۳۱۳– ۳۱۶ والإقتاع ۹۸/۲ و وحجة القراءات ۹۷ والتیسیر ۱۳ والإنحاف ۱۸۷ والتشر ۲۲۲۷ ومعهم القراءات ۱۳۰/۱ - ۱۵۴ – ۲۳۱ – ۳۳۰ – ۳۱۰- و ۲۹۲۲ و ۱۸۱/۳ و ۱۸۱/۳ -۱۱۳۴.

<sup>(</sup>٢) المحتسب ٢/١٠ ومعجم القراءات ٥/٠٠.

<sup>(</sup>٣) حجة القراءات ٩٧ والإتحاف ٥٥١ ومعهم القراءات ١١١/١ و ١٤/١٠.

ولا يكون هذا البناء إلا في الأسماء، وسيبويه لا يرى تخفيف العين في هذا البناء لأن العين مفتوحة، والفتح أخف من الكسر والضم، يقول: "وأساما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يسكنون منه، لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر، كما أن الألف أخف من الواو والياء ...وذلك نحدو: جَمَلِ وحَمَلِ، ونحو ذلك "()

ويرى الكوفيون أن ما ورد على فَعَل مفتوح العين وساكنها وكانست العين حرف حلق أن الفتح أصل والتسكين فرع عليه، وذلك لمناسبة حسرف الحلق للفتح، نحو: البُحْرِ والبُحْرِ، والشَّعْرِ والشَّعْرِ السَّعْرِ، أما البصريون فيرون أنهما لغتان، وليس التسكين تخفيفاً من الفتح كما رأى الكوفيون. (٢)

وبمطالعة القراءات القرآنية وجدت أن تسكين العين في الأسماء التي على زنة فَعَل التخفيف ظاهرة شائعة سواء كانت العين حرف حلق أو غيره، وهذا يؤكد على أن تخفيف العين جائز. وفيما يلي عرض الأمثلة التي عثرت عليها مرتبة على حروف المعجم.

البَعَثُ) في قراءة، من قوله تعالى: {إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ الْبَعْثِ الْحسن، إِن أَبِسَى الحسن، وَلَا يَعْتُ العَيْن (البَعْثِ) الحسن بن أبسى الحسن، وقراءة الجماعة بتسكين العين تخفيفاً (البَعْث) على رأى الكوفيين. (٣)

٢- (ثَمْرٌ) من قوله تعالى: (وكَانَ لَهُ ثَمَـــرٌ) الكهــف ٣٤/١٨. قــرأ بتسكين الميم (ثَمْرُ) أبو رجاء في رواية. (<sup>1)</sup>

<sup>(</sup>١) الكتاب ٤/١٥.

<sup>(</sup>٢) شرح الشافية ٧/١ والبحر ٣٢٧/٦ ومعهم القراءات ٧٩/١.

<sup>(</sup>٣) البحر ٢/٧٧ ومعهم القراءات ٢/٩٧.

<sup>(</sup>٤) البحر ١١٩/٩ ومعجم القراءات ٢٠٧/٠.

٣ - (ثَمَرَاتُ) من قوله تعالى: (يُجْنَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) القصــص
 ٥٧/٢٨ قرئ بتسكين الميم تخفيفا (ثَمْرَاتُ). (١)

٤ - (الجَمَلُ) من قوله تعالى: (حتَّى يَلِجَ الْجَمَــلُ فِـــى ســـمُ الْخيــاطِ)
 الأعراف ٧/٠٤ قرأ بتسكين الميم ١ الجَمَلُ) المتوكل وأبــو الجــوزاء وأبــو السمَّال. (٢)

(خَطَأ) من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَنًا وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَنًا وَمَا تَسَكين الطاء (خَطًا) عبيد بن عمير. (٢)

٦- (دَأباً) من قوله تعالى: (قَالَ تَزَرَعُونَ سَنْغَ سَنِينَ دَأْبُها} يوسف ١٧/١٤ قرا بتسكين المهزة (دَأباً) ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب، مع ملاحظة أن أبسا عمرو يبدل الهمزة ألقاً في الوصل. (٤)

٧- (رَغُباً - رَهُباً) من قول له تعالى: ﴿وَيَسدْعُونَنَا رَغُباً وَرَهَباً عَرَهَبِسا} الأنبياء ١٩٠/ ٩٠ . قرأ بتسكين الغين والهاء (رَغْباً - رَهْباً) ابن وثاب والأعمسش ووهيب بن عمرو والنحوى وهارون وأبو معمر والأصمعى واللؤلؤى ويونس وأبو زيد، وأبو عمرو في رواية هارون وحسين عنه. (٥)

<sup>(</sup>١) البحر ١٢١/٧ ومعهم القراءات ١٠/٧.

<sup>(</sup>٢) معجم القراءات ٢٨/٣ ورلجع المحتسب ٢٤٩/١.

<sup>(</sup>٣) معجم القراءات القراءات ٢٩/٢.

 <sup>(</sup>٤) السابق ۲۷۷/۶ وراجع كذلك: الإقتاع ۲۷۱/۲ وكتاب التذكرة في القراءات ۲۷/۲؛
 وحجة الفراءات ۳۵۹ والتيسير ۱۰۳ والإتحاف ۳۳۲ والتشر ۲۹۰/۲.

<sup>(</sup>٥) مختصر في شواذ القرآن ٩٠ ومعهم القراءات ٢/١٥.

 ٨- (رَغَدا) من قوله تعالى: " (وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شَـِئْتُما) ٣٥/٢
 وكذا فى البقرة ٢/٨٥ (فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شَنِتُمْ رَغَـداً) قَـراً بتسكين الغـين (رَغْداً) إبراهيم النخعى ويحي بن وثاب وهى لغة تميم (١)

٩- (السَّلَمَ) من قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذِ المسلَمَ} النحل ٨٧/١٦
 ٨٧/١٦ قرأ بتسكين اللام (السَّلَمَ) أبو عمرو. (١)

١٠ (شَجَرَ) من قوله تعالى: ﴿ رُحُكُمُوكَ فِيمَا شَسَجَرَ بَيْسَنَهُمْ } النساء ١٥/٤ قرأ بتسكين الجيم (شُجْرَ) أبو السُمُال. (٢)

١١ - (عَمَد) من قوله تعالى: (في عَمَد مُمَدَّدَةٍ) الهمرة ١٩/١٠ قرراً بتسكين الميم (عَدْ) الأعرج وهارون عن أبي عمرو وعيسى بن عمر وابسن محارب وابن الصباح عن حمزة. (١)

١٢ - (قَتَرٌ) من قوله تعالى: (وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذَلْةٌ) يونس
 ٢٦/١٠ قرأ بتسكين التاء (قَتْرُ) الحسن وأبو رجاء وعيسى بن عمر والأعمش والمطوعى وعباس عن أبى عمرو وقتادة. (٥)

١٣ - (قَتْرَةٌ) من قوله تعالى: (تَرْهَقُهَا قُتَسرَةٌ) عبس ١١/٨٠ قـرأ بتسكين التاء (قَتْرَةٌ) أبو عبلة. (١)

١٤ - (قَدْرِه) في قراءة من قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدْرُوا اللَّهَ حَقَ قَدْرِهِ ﴾ الأنعام ١٦٦ قرأ بفتح الدال (قَدْرِه) الحسن وعيسى الثقفي وأبو نوفــل وأبــو عيسى الثقفي وأبو نوفــل وأبــو حيوة، وقرأ بتسكينها الجماعة (قَدْره). (٧)

<sup>(</sup>١) البحر ٢٠٩/١ ومعجم القراءات ١/١٨.

<sup>(</sup>٢) البحر ٥/١٠ ومعجم القراءات ٢٧٦/٤.

<sup>(</sup>٣) البحر ٣/٧٧ ومعجم القراءات ٢٩٧/.

<sup>(</sup>٤) مختصر في شواذ القرآن ١٨٠ ومعجم القراءات ١٨٠٠٠٠

<sup>(</sup>٥) البحر ٥/٩٤ ومعجم القراءات ٣٢/٣ - ٣٣٠.

<sup>(</sup>۱) معجم القراءات ۱۰/۱۰ ۳۱.

<sup>(</sup>٧) السابق ٢/٨٣.

١٥ - (كَبَد) من قوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} البلد ١٩٠٠ قُرِئَ بتسكين الباء (كَبْد). (١)

۱۶ – (لَهَب) من قوله تعالى: (تَبُّتُ يَدَا أَبِي لَهَب وَتَبُّ} المسد ١/١١ قرأ بتسكين الهاء (لَهُب) ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وحُمُود. (٢)

١٧- (نَجَسَ) من قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُعْمْرِكُونَ نَجَسٌ} التوبـــة ٢٨/٩ قُرِئَ بتسكين الجيم (نَجَسٌ). (٢)

١٨ - (نَهَراً) من قوله تعالى: (وَقَجْرْتًا خُلاَلَهُمَا نَهَرًا} الكهف ٣٣/١٨
 قرأ بتسكين الهاء (نَهْراً) أبو السَّمَّالُ والفياض بن غزوان وطلحة بن سسليمان وأبو العالية وأبوعمران. (1)

١٩ - (نَهَر) من قوله تعالى: (إِنْ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّات وَنَهَرٍ) القسر \$ ٥٤/٥. قرأ بتسكين الهاء (نَهْرٍ) الأعرج ومجاهد وحميد وأبو السَّمَال والنياض ابن غزوان وطلحة بن مصرف في اختياره. (٥) وأبو نهيك واليماني وأبو مجاز. (١)

<sup>(</sup>١) السابق ١٠/٨٣٤.

 <sup>(</sup>۲) معجم القراءات ۲۲۸/۱۰ وراجع كذلك: الإنقاع ۸۱۴/۲ وكتاب التذكرة في القراءات ۷۷°/۲ والتيسير ۱۸۳ والإتحاف ۲۰۱ والنشر ۷۵/۲.

<sup>(</sup>٣) مختصر في شواذ القرآن ٥٧ ومعهم القراءات ٣٦٦/٣.

<sup>(</sup>٤) البحر ١٩٩١ ومعهم القراءات ٥/١٠٠.

<sup>(</sup>٥) معجم القراءات ٢٤٣/٩.

<sup>(</sup>١) مختصر في شواذ القرآن ١٤٩.

ولا يكون هذا البناء إلا في الماضي المبنى للمجهول، حيث يُضم أوله ويكسر ما قبل آخره، وفي هذا البناء تخفف العين بحذف حركتها وهذا مطرد عند تميم وبكر بن واثل وتغلب، ومن الشواهد على ذلك.

- قول أبى النجم:

لو عُصر منه البان انعصر.

والأصل: عُصرِرَ ثم خفف بحذف الكسرة من الصاد، قصار: عُصنرَ

- قولهم في المَثِّل: لم يحرم من فصند له.

أى فُصدَ، فحذفت حركة الصاد تخفيفاً، فصار: فُصندَ. (١)

- قول القطامي:

ونُفُخُوا في مدائنهم قطاروا.

أى نُفِخوا، فخفف بحذف حركة الفاء، فصار: نُفَّخوا

- قول معبد بن قرط العبدى في هجاء أمه:

تلتهم الوسقَ مشدوداً أشظَّته كأنما وجْهُهَا قد سُفْعَ بالنارِ.

أى سُفِعَ، فخفف بحذف حركته فصار: سُفْعَ.

وأبو النجم صاحب البيت الأول من بكر بن واثل مسن بنسى عجسل، والقطامى هو عمير بن شيم من بنى تغلب، وعلى هذا يكون هذا التخفيف مسن فُعلَ إلى فُعلَ فى بكر بن واثل، وفى تغلب الذى هو أخو بكر، كما يطرد هسذا عند تميم أيضاً. (٢)

<sup>(</sup>١) الكتاب ١١٤/٤ وشرح الشافية ٢/١١ واللهجات العربية في التراث ٢٤٣.

<sup>(</sup>٢) اللهجات العربية في التراث ٢٤٤.

ويرى سيبوبه أن باعث هذه القبائل على التخفيف يرجع إلى شقل الكسرة بعد الضمة يقول: "وكرهوا في عُصرَ الكسرة بعد الضمة، كما يكرهون الواو مع الياء في مواضع، ومع هذا أنه بناء ليس من كلامهم إلا في هذا الموضع من الفعل، فكرهوا أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستشقال. (1)

وفيما يلي عرض ما عثرت عليه في القراءات القرآنية دليلاً على هذا التخفيف.

١ - (قُضيَ) من قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ البقرة ٢١٠/٢ عُزى إلى يعقوب تسكين الضاد تخفيفاً (قُضنَيَ). (٢)

٢- (كُفِرَ) من قوله تعالى: (تَجْرِي بِأَخْيِنْنَا جَزَاء لِمَّسَن كَانَ كُفِسَ)
 القمر ١٤/٥٤ قرأ بتسكين الفاء (كُفْرَ) مسلمة بن محارب. (٦)

٣- (لُعِنُوا) من قوله تعالى: {وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ} المائدة ٥/٤٣ وكذا في النور ٤٢/٢٤ (لُعنُوا في الدُنْيَا وَالآخرة) .

قرأ بتسكين العين (لُعَنُوا) أبو السَّمال.ويحسن هذه القراءة أنها كســرة بين ضمنين، فحسن التخفيف. (<sup>1)</sup>

#### -- تعقيب

من خلال عرضنا السابق لظاهرة تخفيف عين الكلمات الثلاثية بحذف حركتها نرى أن السبب في التخفيف في كل ما سبق لايعـود إلـي كراهيـة الضمة أو الكسرة بعد الفتحة، أو إلى كراهية الضمتين أو الكسرتين كما نكـر

<sup>(</sup>۱) الكتاب 1/11.

<sup>(</sup>٢) معجم القراءات ٢١٠/٢

<sup>(</sup>٣) مختصر في شواذ القرآن ١٤٨ ومعهم القراءات ٩/٢٢٤.

<sup>(</sup>٤) معهم القراءات ٢١٢/٢ و ٢/٢٤٦.

القدماء من علمائنا، وإنما يعود إلى ظاهرة النبر، ومن الواضح فيما سببق أن الكلمات الثلاثية عبارة عن ثلاثة مقاطع من نوع القصير المفتوح، أى المكون من صامت + حركة قصيرة (ص ح / CV) ومن القواعد المقررة في النبرأنه يقع على المقطع الثالث من الكلمة حيث نعد المقاطع من آخر الكلمة ، إذا كانت المقاطع الثلاثة من النوع السابق (ص ح). يقول الدكتور إسراهيم أنيس:

"أما فى الفعل الماضى الثلاثى، مثل: كَتَبَ وفَسرِحَ وصنسعُبَ، فالنبر يكون على المقطع الثالث حين نعد المقاطع من آخر الكلمة". (١)

ويقول الدكتور عبد الفتاح إبراهيم: "وإذا كانت المقاطع الثلاثة الأخيرة من نوع المقاطع القصيرة CV فإن النبر يقع على المقطع الثالث ابتداء مسن الآخر: قــــ / ــــل - مـــكذ / بــــ / ـــــ / ـــــ (٢)

ويقول بروكلمان :" في اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعاً طويلاً فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل فإن النبر يقع على المقطع الأول منها. (٢)

وبناء على ما سبق يمكن أن نقول إن سبب حنف حركة المقطع الثانى يعود إلى أن هذا المقطع وقع بعد المقطع المنبور مباشرة، وبعد حدنف هدفه الحركة يتحول المقطع المنبور إلى مقطع مغلق (ص ح ص/ cvc) بعدأن كان مفتوحاً (ص ح / cvc) وهذا ما تؤثره القبائل البدوية في نطقها الذي يتسم

<sup>(</sup>١) الأصوات اللغوية ١٧٢.

<sup>(</sup>٢) مدخل في الصوتيات ١٦٧.

<sup>(</sup>٣) فقة اللغات السامية ٥٠٠.

بالسرعة، الأمر الذي يؤدى في النهاية إلى الاقتصاد في الجهد، يقول غالب فاضل المطلبي بعد أن ذكر علل القدماء في سبب التخفيف التي أوردناها من قبل "غير أنني أرى أن هذه ليست بالعلة الوحيدة التخفيف عند تميم، ذلك أن مسألة التخفيف ليست إلا أحد وجوه ظاهرة كبيرة في لهجة تميم، تلك الظاهرة هي النظام المقطعي ، كما أنه يؤدى دوراً بارزاً في سرعة النطق التي كانست إحدى صفات لهجة تميم، ومما يوضح أهمية التخفيف أيضاً أن التميميين قد بالغوا فيه حتى أنهم غلبوه على حركة الإعراب كما في قراءة أبسى عمرو بالغوا فيه حتى أنهم غلبوه على حركة الإعراب كما في قراءة أبسى عمرو إيلى المقاطع المغلقة، فتقول في كَبِد، كَبْدً... الخ ، وإلى الضغط (النبر) فسي مكان بعينه. (١)

ويقول الدكتور أحمد علم الدين الجندى "إن ظاهرة حــنف الحركــات تتلاءم وتميم البدوية، حيث إنهم يميلون إلى السرعة فى النطق الذى ينتهى إلى الاقتصاد فى الجهد العصلى، ولاثنك أن حنف الحركات فيه تيسير واقتصــاد، وهو ما يهدف إليه البدوى- بعكس الحجاز المتحضرة التى تهدف إلى إعطـاء كل صوت حقه من الوضوح والبيان" (٢)

<sup>(</sup>۱) لهجة تميم ۱۵۱.

<sup>(</sup>٢) اللهجان العربية في التراث ٢٤٦.

#### ٢: الخاتمة

من خلال عرضنا السابق لمادة البحث يمكن أن نخلص إلى أهم النتائج التالية:

١ – ظاهرة تخفيف عين الكلمات الثلاثية التي تشيع في تراثنا العربسي وفي القراءات القرآنية ظاهرة لهجية تُعزى إلى القبائل الشرقية فـــى الجزيــرة العربية كتميم وبكر وأسد وقيس وربيعة.

٢ – ورد التخفيف في القراءات القرآنية على ستة أينية، هـــى: فُعـــل وفَعل في الأسماء فقط، وفُعل فـــى الماضى المبنى للمجهول.

"" تُرتب الأبنية السابقة صوتياً هكذا: فَعَل ثم فِعسل حيست تماثلت حركة الفاء مع حركة العين (مماثلة رجعية) ثم فَعَل، ثم فَعَل حيست تماثلت حركة الفاء كذلك مع حركة العين (مماثلة رجعية) ثم فَعَل، حيث تماثلت حركة العين مع حركة الفاء (مماثلة تقدمية) وأخيراً فُعِلَ صسيغة الماضسى المبنسى للمجهول من الثلاثي.

٤- يُحمل على صيغتى فَعل وفْعُل فسى تخفيف الحرف الثانى الضميرين (هي وهو) المسبوقين ببعض حروف العطف (كالواو والغاء وشم) الضمير (هي) محمول على صيغة فَعل (وَ / فَ / ثَمَ + هِيَ) والضمير (هـو) محمول على صيغة فَعل (وَ / فَ / ثَمَ + هُوَ).

وهذا من باب إجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل مس كلمسة واحدة. وكذلك أيضاً يُحمل على صيغتى فَعَل وفُعَل في تخفيف الحرف الثاني حرف الإعراب في حالة الرفع، حيث تحذف حركته، مثل (يسنفَعُهُمُ) حيث تخفف العين حرف الإعراب بحذف حركتها (الضمة) لأن العين المضمومة مع الفاء المفتوحة والضمير بعدها (قَمُهُم) مثل فَعَل، فيصير الفعل بعد التخفيف (ينفعهُمُ) وكذلك أيضاً (ياكُلُهُنُّ) تخفف اللام حرف الإعراب بحدثف حركتها

(الضمة) لأن اللام المضمومة مع الكاف المضمومة قبلها والحرف الذي بعدها (كُلُهُنُّ) مثل فُعَل، فيصير الفعل بعد التخفيف (يأكُلُهُنُّ)

٥- يرى البصريون وعلى رأسهم سيبويه أن ما جاء من الكامات الثلاثية على زنة (فَعَلُ) لا يجوز تخفيف عينه ، لأن الفتحة أخف من الكسرة والضمة، يقصد فى أوزان: فعل، وفعل، وفعل، وفعل، بينما يسري الكوفيون جواز ذلك. وبالرجوع للقراءات القرآنية تبين شيوع ظاهرة تخفيف العين فيما جاء من الأسماء على هذا البناء.

٣ – يمكن إرجاع سبب تخفيف الحرف الثانى مسن الكلمسات بحسنف حركته إلى وقوع هذا الحرف بعد المقطع المنبور مباشرة، حيث يلاحظ أن النبر يقع على المقطع الثالث من الكلمسات الثلاثية ذات المقسطع القصيرة المفتوحة (ص ح / cv) عندما نعد المقاطع من آخر الكلمة، وعلى هذا تكون العين مع حركتها هي المقطع التالي للمقطع المنبور مباشرة، وبتخفيف العسين يتحول المقطع الأول إلى مقطع مفلق (ص ح ص / cv) بعد أن كان مفتوحاً (ص ح ر / cv) وهذا ما تؤثره القبائل البدوية، لأنه يوفر الجهد العصلي في النطق ويتواءم مع السرعة في النطق التي تتسم بها لغة البدوي.

٧- أكثر الصيغ المخففة عينها بحذف حركتها في القراءات القرآنيسة صيغة (فُطلٌ) ولعل ذلك - كما ذكر سيبويه - يعود إلى كراهية الضمتين كما تكره الواوان، لأن الضمة من الواو. ثم تأتى بعد ذلك باقي الصيغ: فَعل وفَعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل.

۸- أكثر من قرأ بتخفيف العين من القراء: أبو عمرو بــن العـــلاء وعيسى بن عمر، والحسن ، والأعمش، وأبو حيوة ، وابن السمَّال، شــم يـــاتى بعد ذلك على قلة قراء آخرون: كابن كثير، وعاصم، وابن عـــامر، وأبــو جعفـــر والكسائى ..... الخ.

#### ٣: مراجع البحث

- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات (الأربعة) عشر، للدمياطي الشهير بالبناء (شهاب الدين محمد بن عبد الغنى) – وضع الحواشى الشيخ أنس مهرة – دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان ١٩٩٨.
- \* الأصوات اللغوية، للدكتور إبراهيم أنيس- مكتبة الأنجلو المصرية--القاهرة ١٩٩٠.
- التطور النحوى للغة العربية محاضرات ألقاها المستشرق الألماني/ برجشتراسر في الجامعة المصرية عام ١٩٢٩ - خرجها الدكتور/ رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٩٧.
- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلس (محمد بن يوسف) تحقيق / عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض وآخرين - دار الكتب العلمية- بيروت / لبنان ١٩٩٣.
- حجة القراءات ، لابن زنجلة (أبى زرعة عبد الرحمن بن محمد) تحقيق
   سعيد الأفغاني مؤسسة الرسالة بيروت / لبنان ۱۹۹۷.
- الخصائص، لأبى الفتح عثمان بن جنى تحقيق محمد على النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٦.
- شرح شافية ابن الحاجب، لرضى الدين الاستراباذى (محمد بن الحسن) –
   تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محيى الدين عبد الحميد –
   دار الفكر العربي بيروت/ لبنان ١٩٧٥.
- فقه اللغات السامية ، للمستشرق الألماني / كـــارل بروكلمـــان ترجمـــة الدكتور رمضان عبد التواب – جامعة الرياض/ السعودية ١٩٧٧ .

- الكتاب "كتاب سيبويه" (أبي بشر عمرو بن قنبر) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض ۱۹۸۳.
- كتاب الإقناع في القراءات السبع، لابن البائش (أبي جعفر أحمد بن على بن أحمد بن خلف الأنصاري) تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش جامعة أم القرى مركز إحياء التراث الإسلامي ٢٠٠١.
- \* كتاب التذكرة فى القراءات، لابن غلبون (أبى الحمسن طهر بن عبد المنعم) تحقيق الدكتور عبد الفتاح بحيرى إبراهيم الزهراء للإعلام العربى القاهرة 1991.
- كتاب التيسير في القراءات السبع، للداني (أبي عمرو عثمان بــن ســعيد) تصحيح/ أوتو برتزل- دار الكتب العلمية- بيروت / لبنان ١٩٩٦.
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، لغالب فاضل المطلبي دار الحريــة الطباعة بغداد / العراق ١٩٧٨.
- اللهجات العربية في التراث ، للدكتور أحمد علم الدين الجندي- السدار العربية للكتاب- ليبيا وتونس ١٩٨٣.
- \* المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبسى الفستح عثمان بن جنى تحقيق/ على النجدى ناصف والدكتور عبد العليم النجسار والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي- المجلس الأعلى للشئون الإسلمية- مصر ١٩٩٩.
- \* مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع ، لابن خالويــه (أبــى عبــد الله الحسين بن أحمد بن حمدان) تصحيح / برجشتر اسر مكتبـــة المتنبـــى القاهرة د. ت.

- مدخل في الصوتيات ، للدكتور عبد الفتاح لير اهيم دار الجنوب للنشر تونس د.ت.
- معجم القراءات، للدكتور عبد اللطيف الخطيب دار سعد الدين دمشق/ سوريا ۲۰۰۲.
- المنصف، شرح الإمام أبى الفتح عثمان بن جنى لكتاب التصريف للإمام أبى عثمان المازنى – تحقيق / إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين – وزارة المعارف العمومية – القاهرة ١٩٥٤.
- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (أبي الخير محمد بسن محمد الدمشقي) - تصحيح/ على محمد الضباع - دار الكتاب العربي - بيروت / لبنان -- د.ت.

#### علم الدلالة

ترجمة د. عبدالكريم محمد حسن جبل قسم اللغة العربية كلية الآداب ــ جامعة طنطا كلية الطوم الإنسانية والاجتماعية

#### مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيننا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وجده أبي الأنبياء إبراهيم، وبعد... فهذه ترجمة للفصل السادس من كتاب:

اللغة المعاصر: مقدمة)، وعنوان هذا الفصل هو Semantics (علم اللغة المعاصر: مقدمة)، وعنوان هذا الفصل هو Semantics (علم الدلالة)، ومؤلفه هو «وليم أوجرادي» William O'Grady. ويعالج هذا الفصل على نحو مجتزئ جمهرة قضايا «علم الدلالة»، مثل: طبيعة المعنى، واتجاهات معالجته (الإشاري الذهني السمات الدلالية)، والعلاقات الدلالية بين الكلمات (ترادف اشتراك تضاد...)، وكذلك بين الجمل (إعادة سبك استلزام تناقض)، وعلاقة البنية التركيبية بتفسير معاني الجمل، من خلال دراسة ثلاث ظواهر تتعلق بذلك: تمثيل الغموض التركيبي، وتعيين الأدوار المحورية لمكونات الجمل، وتفسير الضمائر المنعكسة.

كما يعرض هذا الفصلُ لبعض العوامل الأخرى التي لها دور في نفسير معاني الجمل، كـ «التداولية» Pragmatics، والأحداث الكلامية . Speech Acts ويعرض الفصل أخيرًا - للعلاقة بين اللغة والمعنى والفكر، مركزًا في هذا الصدد على افتراض «سابير» و «ورف» Sapir - Whorf Hypothesis

وأما فصول الكتاب الأخرى وعددها أربعة عشر فصلاً فتعرض لخصائص اللغة، وأصواتها (مفردةً ومركبةً)، وبنية الكلمات، وكذا الجمل. كما تعرض لعلم اللغة التاريخي، وتصنيف اللغات، وعلاقة اللغة بالمخ البشري، واكتساب اللغة...الخ.

وقد قام على تحرير هذا الكتاب، وتأليف جمهرة فصوله ثلاثة باحثين هم: «وليم أوجرادى» William O'Grady، و «مايكل دبروفولسكي» Michael Dobrovolsky ــ وهما يعملان بجامعة Calgray ــ وهمارك أرونوف» mark Aronoff، ويعمل بــ State ــ وسمارك الرونوف» University of New Yourk at Stony Brook

وقد طُبع الكتاب في St. Martin's Press بــ «نيويورك»، سنة ١٩٨٩م، وأعيد طبعه في سنة ١٩٩٦م.

...هذا، وقد حرّصت في ترجمتي لهذا الفصل على جملة من الضوابط، منها:

إيراد معظم الأمثلة التطبيقية بنصمها الإتجليزي، ثم شفّعها
 بترجمتها العربية؛ تعميمًا للنفع، وتتكبّأ لما قد يُجرّه الاجتزاء

- بالترجمة العربية -أحياناً- من عدم تمثيل الظاهرة التي سيقت من أجلها الأمثلة الإنجليزية تمثيلاً رقيقاً.
- نِكْر أمثلة من العربية، لبعض الظواهر التي عرض لها
   المؤلف، ومثل لها بأمثلة من الإنجليزية فقط، كظواهر الترادف والاشتراك اللفظي (بنوعيه)، والغموض التركيبي...الخ.
- لختيار ترجمات عربية بعينها في متن الترجمة للمصطلحات الإنجليزية، مع التنويه -في الهامش- ببعض
   الترجمات العربية الأخرى لها.
- التعریف الموجز ببعض المصطلحات التي لم يُعرّف بها المؤلف، بسبب من سبق التعریف بها في فصل او فصول سابقة بالكتاب. كما عرّفت كذلك تعریفاً موجزاً ببعض «الأعلام» و «اللغات» الواردة بهذا الفصل.

وبالجملة، فإن كل هوامش هذه الترجمة هي من جهد المترجم؛ فلم يُحتَج إلى النص على نلك إلى جوار أيّ منها.

... وبعد، فلا شك فيما يفيده الاطلاعُ على جهود «الآخرين» في دراستهم للغاتهم، لاسيما إذا صاحب ذلك فهمّ عميق لخصائص العربية: بنيةً، وتراكيبَ، ودلالات الفاظ...

والله الموفق.

# 7-(۱) علم الدلالة Semantics (علم دراسة المعنى)

لقد قيل بحق: إن في كل «شيء» معاني لا تكاد تنضب!

توماس كار لايل (۲) Thomas Carlyle

كان التركيز حتى هذه النقطة من الكتاب موجّها نحو دراسة الجانب «الشكلي» للمنطوقات اللغوية utterances: قوالبها الصوتية، وأبنيتها الصرفية، وتراكيبها النحوية. بيد أنه كي تُتجز اللغة وظيفتها التراصلية، فإن هذه «المنطوقات» ينبغي كذلك أن تتقل «معنى» أو «رسالة».

إن هذا الفصل معنى بـ «علم الدلالة» Semantics: علم دراسة المعنى في اللغة الإنسانية. وسوف نسبر -في هذا الصدد- أربع قضايا رئيسية:

الأولى: طبيعة المعنى.

 <sup>(</sup>١) يشير الرقم (٦) إلى رقم هذا الفصل من الكتاب. وسوف يتكرر هذا الرقم مع مباحث هذا الفصل التي ستأخد ــ بدورها ــ أرقاماً فرعية، على ما سيتضح بعد.

<sup>(</sup>۲) «توماس كارلايل» (۱۷۹۰-۱۸۸۱م) مؤرخ وفيلسوف وناقد احتماعي اسكتلندي شهير. من أعماله: Frensh Revolution (الثورة الفرنسية)، و..On Heroes (الأبطال). ينظر: 5, pp. 670-672 ينظر:

الثانية: إسهام البنية التركيبية في «تفسير» معانى الجمل. الثالثة: دور العوامل التي لا صلة بها بـ «قواعد» اللغة، في فهم معاني المنطوقات اللغوية.

الرابعة: ما قد يكون للغة من تأثير على «الفكر».

# ١-١- المعنى

شُغل المفكرون بـ «النظر» في طبيعة المعنى، قبل وقت طويل من ظهور «علم اللغة» بوصفه فرعاً معرفياً مستقلاً. وظل هذا الموضوع المُشْكِل -لآلاف من السنين- محوراً رئيسيًا للدرس في مجال «الفلسفة»، كما صار -حديثاً- من الموضوعات المهمة في «علم النفس» كذلك. وقد أسهم في البحث الدلالي رهطٌ من العلماء ذوو مشاربَ شتّى: بدءاً من «أفلاطون» و «أرسطو»، في اليونان القديم، إلى «برتراندرسل» (۱) Bertrand Russel، في القرن العشرين.

وهدفنا، في هذا الجزء من الكتاب، هو أن ندرس -على نحو جِدِّ عام- ما جلاه هذا البحثُ الدلالي بشأن كلٌّ من: معاني الكلمات، ومعاني الجمل، في اللغة الإنسانية.

<sup>(</sup>۱) «برتراند آرئر رسل» (۱۸۷۲-۱۹۷۰) فیلسوف وعالم ریاضیات وناشط سیاسی بریطانی شهیر. أسهم فی تطویر «المنطق الریاضی»، وحصل علی حائزة «نوبل» للأدب فی سنة . ۱۹۵۰م. من أعماله: The Principles of Mathematics (مبادئ الریاضیات). ینظر: . . The Encyclopedia Americana vol. 23, pp. 874-875.

#### معنى الكلمة

إن «المعجم» هو المستودع الرئيسي المعنى؛ فهو الذي يوفر المعلومات المتعلقة بمعاني المفردات، تلك المعاني التي نتصل بدورها- اتصالا وثيقا بد «تفسير» معاني الجمل. ونحن لا نعلم إلا النذر اليسير عن «طبيعة» معنى الكلمة، وعن الكيفية التي ينبغي أن يُمثّل بها. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الأمر جدير بأن نعرض ولو على نحو مختصر - لأبرز وجهات النظر المتعلقة به، وأن نعرض -كذلك- المشكلات التي تعترض كلاً من وجهات النظر هذه.

# المشار إليه (= المدلول) (۱) Referent

حاول أحد الاتجاهات المشهورة، في مجال البحث الدلالي، أن يسوّي بين معنى الكلمة، من جهة، والموجودات entities التي تشير البيها تلك الكلمة (= مدلولاتها)، من جهة أخرى. ووَفْقاً لهذا «الاتجاه»، فإن «معنى» كلمة «كلب» يتطابق مع جمهرة الموجودات التي اصطفتها تلك الكلمة، في العالم الواقعي (= جنس الكلاب).

وعلى الرغم من أن هذا «الاتجاه» لا ينطوي -في جوهره-على ما يجعله احتمالاً مستبعدا، فإنه يجابه اعتراضات جنية لا خلاف

 <sup>(</sup>١) من الترجمات الأخرى لمصطلح referent: المسمّى، والمحال إليه، والمرجع، والمُرحَم إليه، والمقصود (ينظر: معجم المطلحات اللغوية ص٤٤٢).

عليها. فمن ذلك: أن ثمة مشكلةً في الكلمات التي مثل: أحاديّ القرن unicorn، والنتين dragon، أي: نلك الكلمات التي لا وجود لمدلولاتها في العالم الواقعي، ومع ذلك، فإنها بمنأى عن أن توصف بأنها «عديمة المعنى».

كما تبرز – في هذا الصدد كذلك – مشكلةٌ من ضرب آخر، أعنى تلك التي تتعلق بعبارات مثل «رئيس وزراء بريطانيا» و «زعيم حزب المحافظين» –وكلاهما يشير (على الأقل في سنة ١٩٨٩م) إلى «مرجريت تاتشر» Margret Thatcher ... فعلى الرغم من أنه يمكن أن يكون لهاتين العبارتين مدلولٌ واحد referent فإننا لا نستطيع الزعم بأن لهما معنى واحداً. ولن يستطيع أحد البرهنة على أن عبارة «رئيس وزراء بريطانيا العظمى» يمكن أن تعرّف على أنها «زعيم حزب المحافظين»، أو العكس.

# Extension and Intension الماصدَق والمفهوم

إن استحالة مساواة معنى الكلمة بما تشير إليه (=مدلولاتها)، قد قاد إلى التفريق بين مصطلحي «الماصدَق» extension و «المفهوم» intension: ففي حين يقصد بـ «الما صدَق» الكلمة ما – مجموعة موجودات بعينها، تدل عليها تلك الكلمة، في عالمنا هذا. فإن المقصود بـ «مفهوم» هذه الكلمة، هو معناها الجواني، أي

المكونات الذهنية concepts التي يستدعيها هذا المفهوم. ودونك – في الجدول (١-٦) - أمثلةً للتفريق بين مفهومي هذين المصطلحين: الجدول (١-١)

الماصدَق في مقابل المفهوم

المقهوم	الماصكق	العبارة
رئيس حزم الأغلبية في «البرلمان»	«مارجریت تاتشر»	- رئيس وزراء بريطانيا العظمي
الفائزون ببطولة كرة «البايسبول»	فریق الـــ «دودجرز» بلوس انجیلوس (L.A.Dodgres)	– أبطال World Series لعام ۱۹۸۸م
المدينة التي تحتوي على مبنى الهيئة النشريعية	«ساکر امنتو» Sacramento	- عاصمة «كاليفورنيا»

وعلى ذلك، فإن «ماصدق» كلمة «امرأة» سيكون هو مجموعة موجودات بعينها (-النساء). في حين أن «مفهوم» هذه الكلمة سوف يتضمن «مكونات» مثل: «أنثى» و «إنسان». وكذلك فإن عبارة «رئيس وزراء بريطانيا العظمى» سوف يكون لها «ماصدق» واحد بعينه (مرجريت تأتشر)، ولكن مفهوم هذه العبارة سيكون هو «رئيس حزب الأغلبية في البرلمان».

إن التغريق بين «مفهوم» الكلمة و «ما صدقها» لا يمكننا من حل مشكلة المعنى، بيد أنه يتبح لنا أن نطرحها بطريقة جديدة: ما طبيعة المعنى الجواني للكلمة، أو مفهومها؟ لقد ذهبت إحدى وجهات النظر إلى أن معاني الكلمات (مفاهيمها) هي صورها الذهنية. ووجهة النظر هذه – كما هو واضح – تمثّل تطويراً للنظرية الإشارية الإشارية «صورة ذهنية» لد «أحادي القرن»، أو لد «التنين»، ولو لم يكن لهذه الكائنات وجود في عالمنا الواقعي.

بيد أن هذه «الرؤية» تجابه المُسف اعتراضات جديةً من نوع آخر. فمثلا: يصعب أن نتخيل صوراً ذهنية لكلمات مثل: النيتروجين - ١٠١٥ ا إذا - جدًا...الخ. وفضلا عن ذلك، فلا يبدو أن ثمة صورة ذهنية، لمعنى كلمة «كلب»، تتسع على نحو كاف من ناحية - لتشمل كلاب «الشيواو (۱) Chihuahuas، والكلاب النئبية الأيرلندية (۱) Irish (۱) برخال النئبية الأيرلندية (۱)

ينظر: The Encyclopedia Americana, vol.15, p.442

 <sup>(</sup>۱) كلاب «الشّيواو» هي أصفر سلالة كلاب في العالم، إذ يتراوح ارتفاعها بين (١٠-١٥مسم)،
 ووزلها بين (2/-2/ ٢ كحم)، وقد اكتسبت اسمها هذا من اسم إحدى ولايات المكسيك
 (Chihuahua) حيث عُرفت واشتهرت.

ينظر: The Encyclopedia Americana, vol. 6, p.449

ينظر: (۲) الكلب الذئبي الأيرلندي هو نوع من الكلاب عُرفت \_ أول ما عُرفت \_ في «أيرلندا»، وهي تعميز بكير حجمها؛ إذ يبلغ ارتفاعها نحواً من ٨٦سم، ووزها نحواً من ٥٤ كحم، وتستعمل في صيد التعالب والذئاب!

#### السمات الدلالية Semantic features

ما زال ثمة - بعد - اتجاة آخر في درس المعنى، نلكم هو الاتجاه الذي يحاول معادلة مفهوم الكلمة بمفهوم مجرد يتألف من مكونات صغرى، تُسمَّى «السمات الدلالية» Semantic features وتظهر فعالية هذا التحليل التكويني -على نحو خاص حين يصل إلى تمثيل عناصر التماثل والتباين بين الكلمات المتقاربة المعاني. والرسم التوضيحي (٦-١) يوضح هذا النوع من التحليل مطبقا على كلمات «الرجل» و «المرأة»، و «الولد» و «البنت»:

الرسم التوضيحي (٦-١)

(مجموع السمات الدلالية لكلمات: رجل – امرأة / ولد – بنت)

إن من الميزات الواضحة لهذا الاتجاه في درس المعنى، هو أنه يتبَح لنا أن نصنَف الموجودات إلى «طبقات» واضحة الحدود والمعالم، على نحو ما نصنع لدى الدراسة «الفونولوجية» للأصوات(١).

وعلى ذلك فإن كلمتي «رجل» و «ولد» يمكن أن يصنفا معا على أساس أنهما يشتركان في السمتين الدلاليتين: [+ إنسان + ذكر]، في حين يمكن وضع كلمتي «رجل» و «لمرأة» في «طبقة» تُعرَّف بالسمتين الدلاليتين الآتيتين: [+ إنسان + بالغ].

إن «التحليل التكويني» للمعنى يؤتي أفضل أُكلُه، حين يطبّق على كلمات تدل على صنوف ذات سمات مشتركة من الموجودات. وكما أوضحنا - توًا- فإن قَدْرًا قليلاً من السمات الدلالية، يتبح لنا أن

<sup>(</sup>١) يتم هذا النوع من الدراسة «الفونولوجية» بتحديد السمات الفارقة (أو المميزة) distinctive features بن الأصوات، كالجهر في مقابل الهمس، والانفحار في مقابل الاحتكاك... الخ، ثم بيان نصيب كل صوت من هذه السمات الصوتية. ويتم ذلك ــ غالبً ــ باستعمال علامة (+) للإشارة إلى اتصاف الصوت بالسمة الفارقة، وعلامة (-) للإشارة إلى عدم الاتصاف 14، وذلك كأن يقال في وصف أصوات التاء والدال والطاء (المعاصرة) ما يلي:

٠٠٠٠ الح	مقحم	انقحاري	<del>بح</del> هور .
	-	+	ات/ -
	-	+	+ /2/
	_	+	/ط/

وتتميز هذه السمات الصوتية الفارقة بدقة مفاهيمها، وقلة عددها. وسوف ينوّه المؤلف بذلك بعد أسطر قليلة. نمايز بين صنوف من الجنس البشري: رجال - نساء - أولاد - بنات.

وفي المقابل، يبدو أن هذه السمات الدلالية تفتقر إلى الانتظام في «طبقة» قليلة العدد، محددة المعالم، بخلاف السمات الفونولوجية التي لا تُعورها تلك القلة، ولا ذلك التحديد. كما أنه يصعب – في حالات كثيرة – أن «نحول» معاني الكلمات إلى مكونات صغرى: فهل نستطيع -مثلا – القول بأن معنى كلمة «أزرق» يتألف من السمة الدلالية [+ أزرق] ومن شيء آخر؟ وإذا أمكن ذلك، فما هو هذا الشيء الآخر؟ أليس هو الزرقة؟! فإن صبح ذلك، فإننا لمًا نُشقِّق بعدُ معنى كلمة «أزرق» إلى سمات دلالية صغرى، ولقد عدنا – إنن – إلى حيث بدأنا!!

وفي حالات أخرى، يكون ثمة شك في قيمة «الإضاءة» التي تقدمها «السمات الدلالية» لطبيعة المعنى، ذلك الذي يفترض أن هذه السمات تمثّله. فمثلاً: أية قيمة تتحقق في وصف معنى كلمة «كلب» بالسمتين المعقدتين [+ حيوان + الفصيلة الكلبية]... أية قيمة لذلك إذا لم يكن ثمة مزيد تحليل للمفهوم المندرج تحت سمة [+ الفصيلة الكلبية]؟ وبمثل ذلك، يمكن أن يُعترض على استعمال سمات مثل إنسان] و إذكر] لدى تعريف كلمتي «رجل» و «امراة».

#### العلاقات الدلالية بين الكلمات

على الرغم من الصعوبات المرتبطة بتحديد الطبيعة الدقيقة للمعنى، فإن من الممكن أن نعين عدداً من العلاقات الدلالية العالمية المهمة، تكون مناسبة لتحليل معنى الكلمة. ويأتي في مقدمة هذه العلاقات: علاقة الترادف، والتضاد، والاشتراك اللفظي (بنوعيه).

#### الترادف Synonymy

توصف الكلمات – أو العبارات – ذات المعاني المتطابقة بأنها «مترادفة» synonyms. وعلى الرغم من أن الترادف الحقيقي نادر الوجود في اللغة الإنسانية، فإن أزواج الكلمات الواردة في الجدول (٢-٦) تُمننا بأمثلة مقبولة للترادف التام، أو شبه الترادف synonymy:

الجدول ٦-٢ (بعض المترادفات الإنجليزية) <sup>(١)</sup>

_			
	youth	adolescent	(شاب)
•	automobile	car	(سيارة)
	remember	recall	(يتذكر)
	purchase	buy	(يشتري)
	big	large	(کبیر)

#### التضاد Antonymy

توصف الكلمات \_ أو العبارات \_ ذات المعاني المتقابلة بأنها «متضادة» Antonyms. ويعرض الجدول (٦-٣) أمثلة لأزواج من هذه الكلمات:

 <sup>(</sup>١) من أمثلة الألفاظ المترادفة ــ ترادفاً شبه تام ــ في العربية : (النجني والجيدة) ــ (الكيئر والصَّلف) ــ (العَفُو والصَّفْح) ــ (المريض والسَّقيم)... الح. [ينظر: الرَّمَاني: الأَلفاظ المترادفة المتقاربة المعنى ص٥٥، ٢٠، ٢٩، ٧٥ على التوالي].

الجدول ٦-٢

(بعض الكلمات الإنجليزية المتضادة)		
dark (مظلم)	light (مضئ)	
male (نکر)	female (اُنٹی)	
(ساخن)	(بارد) cold	
(فوق) up	down (تحت)	
in (داخل)	(خارج) out	
(یأتی) come	(يذهب) go	

# Polysemy and Homophony (بنوعيه للفظي النفظي النوعيه الاشتراك اللفظي

حين يكون للكلمة الواحدة معنيان الو أكثر وتكون العلاقة بين هذين المعنيين على قدر حولو جد ضئيل من الوضوح، فإننا تكون بإزاء نوع من «المشترك» أوجده التعدد في المعنى Polysemy (نظر: الجدول ٦-٤):

#### الجدول ٦-٤

# (أمثلة من الإنجليزية للمشترك الناتج عن تعدد المعنى) (١) - آلة (من حديد) لكي الملابس - نوع من - المعادن

- ملعب لكرة البالسبول (على - حجر كريم → شكل ماسة)

- لوح ورق - جزء من → - الشجرة

وأما كلمات المشترك الصوتي Homophones، فهي كلمات ذات صورة صوتية واحدة، بيد أن معانيها متباينة كل التباين (انظر: الجدول ٦-٥)

<sup>(</sup>١) من أمثلة ذلك في العربية: لفظ «العين»، بمعنى: حاسة البصر، ثم «العين» بمعنى: ينبوع الماء (تُشبه العين الباصرة في الاستدارة والصفاء)، وبمعنى: سيّد قومه (على التشبيه بأهمية العين الباصرة بين الحواس الأعرى)، وبمعنى الجاسوس (من باب تسمية الكل باسم الجزء)...الخ [انظر: تاج العروس (عين) ٣٥-٤٤٨ - ٤٤٨، وسليمان بن بنين الدَّقيقيّ: اتفاق المباني وافتراق المعاني ص١٥-١-١٢].

# (أمثلة من الإنجليزية للمشترك الصوتي) (١)

bat	<b>→</b> رض	- حيوان ثنييّ قار،	- إحدى أدوات رياضة
		ذو جناحين	البيسبول
bank	<u></u> -	مؤسسة تجارية لإقرا	- منحدر صخر <i>ي</i> صغير
		المال	عند حافة النهر
club		- مؤسسة اجتماعية	- سلاح غير حاد
			(الهراوة)
pen	<b>→</b>	- أداة للكتابة	- قفص صغير (لطير
			أو حيوان)

<sup>(</sup>۱) قريب من ذلك في العربية: بعض الكلمات المبدلة، أو المقلوبة قلباً مكانياً. إذ يحصل ... أحياناً ... أن تُشبه الكلمة في صورمًا المبدلة ... أو المقلوبة ... كلمة أخرى مستعملة في اللغة، ولها معنى مغاير لمعنى تلك المبدلة، فيصير لدينا ... في تحاية الأمر ... كلمة واحدة عمنين: أصلي وطارئ بالإبدال. فكلمة «الثروة» ... مثلاً ... ومعناها: كثرة المال، قد أبدلت ثاؤها فاء في بعض المهجات العربية، فطابقت ... بالمصادفة ... كلمة أخرى بمعنى مغاير، هي كلمة «الفروة»، بمعنى: جلَّدة الرأس. فصار لدينا ... أخيراً ... كلمة واحدة، هي الفروة، معنين متبايين: أحدهما معناها الأصلى (حلدة الرأس)، والثاني طارئ عليها بطريق الإبدال (كثرة المال).

<sup>[</sup>انظر: ابن السكيت: كتاب الإبدال ص١٢٧، ولسان العرب (فرا) ٣٤٠٧/٥ (ط. دار المعارف)].

وفي اللهجة المصرية المعاصرة تستعمل كلمة «أُمَرِّ» بمعنى: طَلَب أداء الشيء على نحو واحب (معناها الأصلي)، وبمعنى الكوكب المعروف (معناها الطارئ بإبدال القاف همزة).

ويُفترض – في مثل هذه الحالات– أننا بإزاء كلمتين مستقلتين تتطقان نطقا واحدا، لا أننا أمام كلمة واحدة، بمعنيين متقاربين.

إن الاشتراك اللفظي (بنوعيه) يفضى إلى ما يسمى بـ «الغموض المفرداتي» lexical ambiguity من حيث وجود معنيين لو أكثر المفردة الواحدة. وعلى ذلك، فإن جملة كالجملة (رقم1) تحتمل معنيين: الأول أن «ليز» Liz اشترت إحدى أدوات الكتابة، والثاني: أنها اشترت أفضاً صغيراً:

# 1- Liz bought a pen

ولا شك جعد في أن الغالب، لدى الكلام الفعلي، هو أن يوضت السياقُ المعنى المراد؛ ولذا يبعد أن يكون ثمة غموض في جملة كالجملة (رقم2) التالية(١٠):

# 2- He got a loan from the bank

(حصل على قرض من المصرف)

# العلاقات الدلالية التي تنتظم الجمل

إن للجمل - مثل الكلمات- معاني يمكن تحليلُها بالنظر إلى علاقة الجملة بالأخرى. وسوف ندرس هاهنا ثلاثاً من هذه العلاقات،

<sup>(</sup>١) كَلْلُكُ لا غَمُوضَ في للقصود من الـــ «عيون» في قوله تعالى: ﴿وَفَحَرَنَا الْأَرْضَ عِيوناً فَالتَّقَى المَاءُ على أمر قد قُدرٍ﴾ (سورة القمر ١٢/٥٤).

هي إعادة السُبَّك(ا paraphrase) والاستلزام entailment، والتناقض contradiction.

# إعادة السببك Paraphrase

توصف الجملتان المتطابقتان في المعنى، بأن كلاً منهما «إعادةُ سَبّكِ» للأخرى. وتجسد أزواجُ الجمل التالية أمثلة لعلاقة «إعادة السبك» التامة، أو شبه التامة:

- 3- a) The police chased the burglar. (طاريت الشرطةُ اللص)
  - b) The burglar was chased by the police.
     إطورد اللص (من قِبَل الشرطة)]
- 4- a) I gave the summons to Erin. (اعطيتُ أمرَ الاستدعاء «ارين)
  - b) I gave Erin the summons. (أعطيت «إرين» أمرَ الاستدعاء)
- 5- a) It is unfortunate that the schooner lost.

  (إن مما يؤسف له أن المركب الشراعي قد فُقد)
  - b) Unfortunately, the schooner lost.
     (للأسف... فقد المركب الشراعي)

<sup>(</sup>١) هذه هي ترجمة بجمع اللغة العربية لهذا المصطلح كما ذكر د. رمزي البعلبكي (ينظر: معحم المصطلحات اللغوية ص٣٨٥). والترجمات الأخرى التي أوردها له هي: مناقلة ـــ إعادة الصياغة ـــ تفسير نص..

6- a) The game will begin at 3:00 P.M. (سوف تبدأ المباراة في الثالثة بعد الظهر)

b) At 3:00 P.M., the game will begin.
 (في الثالثة بعد الظهر، سوف تبدأ المباراة)

فلا يخفى أن أزواج الجمل - تلك المذكورة توا - تتميز بأنها ذات معان حدّ متشابهة. وفي الحق: أن من المستحيل عقلا أن تصدّق أية جملة من أزواج الجمل تلك، دون أن تصدّق قرينتها كذلك. وعلى ذلك: إذا صدق أن الشرطة قد طاردت اللص، فلا بد أن يصدق - كذلك- أن اللص قد طورد (من قيل الشرطة). ويرى بعض اللغويين أنه إذا كنا بإزاء جملتين واجبتي التصديق معاً، أو واجبتي التكذيب معا، فإن ذلك لمما يبرهن على أن لهاتين الجملتين معنى واحدًا.

بيد أنه يجب النتبُه – من جانب آخر – إلى أننا قد نلحظ فروقًا دقيقةً في «محل التركيز» بين الجمل (a-b) في كل من أزواج الجمل السابقة: فمن الطبيعي – مثلا أن يتوجه فهمنا الجملة (3a) على أنها إخبار عما «صنعه رجال الشرطة»، والجملة(3b) على أنها إخبار عما «وقع للص». وبالمثل: يبدو أن الجملة (6a) أكثر تركيزا -من قرينتها (6b)- على «الموعد» الذي ستبدأ فيه المباراة. ويرى بعض اللغوبين -بعد- أن في احتفاظ اللغة بتراكيب متطابقة المعنى -كل التطابق- ضربًا من (الترف) غير الضروري؛ ولذلك فإن علاقة «إعادة السبك» التامة -في رأيهم- لا وجود لها.

# الاستلزام Entailment

علاقة «الاستلزام» هي تلك العلاقة التي تربط بين جملتين، حين يقتضي صدق إحداهما صدق الأخرى بالضرورة، وذلك كما هو الشأن في العلاقة بين أزواج الجمل السابقة (6-3). وقد تميزت علاقة «الاستلزام» المتحققة بين جملتي كل زوج من هذه الجمل بأنها «تبادلية»، بمعنى: أن صيدق أيً من جملتي كل زوج يستلزم صدق قرينتها.

وفي المقابل، توجد بعض الحالات التي تكون فيها علاقة «الاستلزام» علاقة غير تبادلية asymmetrical، وذلك على نحو ما توضع الأمثلة التالية:

7- a) The police wounded the burglar.

(جرح رجال الشرطة اللص)

b) The burglar is injured.

(جُرِح اللص)

8- a) The house is red.

(المنزل أحمر اللون)

b) The house is not white.
 (المنزل ليس أبيض اللون)

فالجملتان المُعَلَّمتان بــ (a) في كل من (7) و (8) تستلزمان الجملتين المقارنتين لهما والمعلمتين بــ (b): فإذا صنَق أن رجال الشرطة قد جرحوا اللص، فلابد أن يصدق كذلك أن اللص قد جُرح، بيد أن عكس ذلك لا يلزم: إذ يمكن أن يكون اللص قد جُرح، دون أن يكون لرجال الشرطة دور في ذلك. وبالمثل: إذا صنَدق أن المنزل أحمر اللون، فصدق كذلك أنه لا يمكن أن يكون أبيض اللون، بيد أن العكس لا يلزم كذلك: فإن علِمنا بأن المنزل ليس أبيض اللون، لا يمكن أن يُستنتج منه أنه يجب أن يكون أحمر اللون.

#### التناقض Contradiction

يحدث الحيانا- أن يستلزم صدق جملة ما استحالة جملة أخرى، وذلك كما هو الحال في المثال (9) الآتي:

9- a) Charles is a bachelor.

(تشارلز رجل عَزَب)

b) Charles is married.

(تشارلز رجل منزوج)

فإذا صَدَق وَصْفُ «تشارلز» بأنه «عزب»؛ فيستحيل -إنن-وصفُه بأنه «متزوج». فهذه العلاقة التي يجسَّدها زوج المثال السابق - وغيره - مما يكون فيه صدق جملة ما، مستلزمًا لكنب أخرى، هو ما الصطلح على تسميتها بعلاقة «التناقض».

لقد درسنا -في هذا الجزء - بعض المشكلات المهمة المتعلقة بتمثيل معنى الكلمة، كما درسنا بعض العلاقات والفروق الدلالية الأساسية التي تنتظم كلاً من الكلمات والجمل. والمهمة التي علينا أن نضطلع بها الآن، هي دراسة الكيفية التي يتمكن بها مستعملو لغة ما، من إنتاج -وفهم - ما هو تام الفائدة من «كلام» لغتهم. وعلى الرغم من أن كثيراً من جوانب هذا المجال معقد كل التعقيد، فإنه جدير بأن نقف عنده؛ لندرس - في صورة مبسطة - قليلا مما طرح بشأنه.

# ٢-٦ البنية التركيبية وعلاقتها بتفسير معاني الجمل

لا تقتصر أهمية ما قدمه علم القواعد من تمثيل شجري المتراكيب على تحديد بنية الجمل، بل إن لهذا التمثيل الشجري أهميته في تفسير معاني تلك الجمل كذلك. وسوف ندرس في هذا الجزء مدى صلة البنية التركيبية بتفسير معنى الجملة، وذلك من خلال ثلاث ظواهر نتعلق بهذا التفسير، وهي: تمثيل الغموض التركيبي، وتعيين الأدوار المحورية thematic roles، وتفسير الضمائر المنعكسة (تعيين مرجعيتها).

# الغموض التركيبي Structural Ambiguity

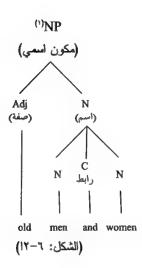
لقد لاحظنا في فصل علم التراكيب Syntax أن بعض الجمل تتسم بالغموض؛ لأن الكلمات المكونة لها يمكن أن تتركب في عبارات على أكثر من وجه، وهذا ما يسمى بـ «الغموض التركيبي». ولابد أن نفرق -هنا- بين هذا الغموض التركيبي، وضرب آخر من الغموض يُعرف بـ «الغموض المفرداتي» وضرب آخر من الغموض يُعرف بـ «الغموض المفرداتي» على إحدى كلمات المشترك اللفظي.

ويمكننا التمثيل للغموض التركيبي بعبارات مثل: old men حيث يمكننا النظر إلى old على أنه وصف لكل من men و women، أو على أنه وصف لكلمة men فقط. ويمكن لكل من هذين التفسيرين أو تلك القراءتين أن يرتبط بتركيب شجري منفصل، كما يُظهر الشكل (٢-٦):

old فالشكل (٣-٦) ينطبق على القراءة التي تجعل من old وصفاً لكلً من men و women. وقد تم توضيح ذلك بجعل الصفة قسيما للباب النحوي category) الذي ينتظم كلا من هذين الاسمين.

<sup>(</sup>١) ترجمة grammatical) category) بـ «باب نحوي» هي ترجمة د. رمزي بعلبكي (ينظر: معحم المصطلحات اللغوية ص٨٤، ٢١٧) وقال بشأته: «في النحو التوليدي، أي باب بُمثُل برمز خاص، من مثل S للحملة، و NP لشبه الجملة الاسمي، و V للفعل».

وفي مقابل ذلك نجد أن الصفة، في الشكل (٢-٢ب) تؤاخي الاسم men فقط، مجسدةً بذلك «القراءة» التي تجعل من old وصفا للاسم men فقط:



(١) تمثل رموز هذا الشكل مختصرات للمصطلحات الآتية:

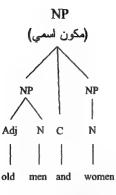
(مكون اسمى/ شبه جلة اسمى/ عبارة اسمية/ تعبيرة اسمية) NP = noun phrase

 $N = noum \quad (lower )$ 

Adj= Adjective (صفة)

(رابط/ أداة عطف/ أداة وصل...) C = Conjunction

ويطلن مصطلح noun phrase على «بحموعة من كلمتين أو أكثر وظيفتها النحوية كوظيفة الاسم، والكلمة المركزية فيها اسم؛ مثلا: The young man ... وقد تحل الكلمة الواحدة \_ كالاسم واسم العلم \_ علَّ شبه الجملة الاسمى، نحو me . ويطلق المصطلح في النحو التوليدي على حزء الجملة المفصف المسند إليه (Subject)، أي الجزء الذي يُشكّل الجملة مع شبه الجملة الفعلي [VP]» (معحم المصطلحات اللغوية ص ٣٤). ( ترجمة noun phrase بسي «مكون اسمي» هي ترجمي، والترجمات الأعرى هي نما ورد بالمعحم المذكور. وينظر في ترجمات مصطلح Conjanction المعجم نفسه ص ١٤).



(الشكل: ٦-٢ب)

وثمة نمط آخر اللغموض التركيبي يتمثل في جمل كالجملة رقم (10) الآتية:

10- Nicole saw the people with binoculars. (رأت «نيكول» الناس بمنظار)

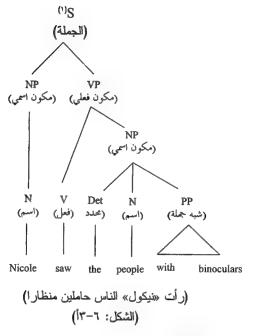
ففي أحد التفسيرين المحتملين لهذه الجملة، يكون الناس حدين رأتهم «نيكول» يحملون منظاراً، أي يكون شبه الجملة with binoculars مبيّنًا حال الناس (people). وأما على التفسير الثاني، فإن «نيكول» تكون قد رأت الناس مستعملة منظارا، أي يكون شبه الجملة متعلقا بفعل الرؤية (۱).

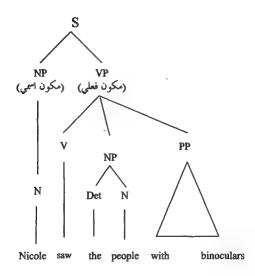
 <sup>(</sup>١) وقريب من ذلك قولنا: «ضربتُ زيداً ضاحكاً» فهي جملة تحتمل معنين: الأول: «ضربت زيداً وأنا أضحك»؛ فيكون الفاعل هو صاحب الحال، والثناني: «ضربت زيداً وهو يضحك»؛ فيكون المفعول به هو صاحب الحال.

<sup>[</sup>ينظر في هذا للثال وغيره مما يجسِّد صوراً متعددة للفموض: كتاب «العربية والغموض» للدكتور حلمي خليل. والمثال للذكور موجود في ص٢١٣ من الكتاب].

ويمكن تمثيل هاتين القراءتين على النحو المبين في الشكل (٣-٦):

ففي الشكل (٣-٦) يتركب شبه الجملة with binoculars
(بمنظار) مع الاسم (people) مجسداً القراءة الأولى لهذه الجملة.
وأما في الشكل (٣-٣ب) فنجد شبه الجملة مؤاخيًا للفعل saw
ومفعوله المباشر، وغير مرتبط -على أي نحو - بالاسم people:



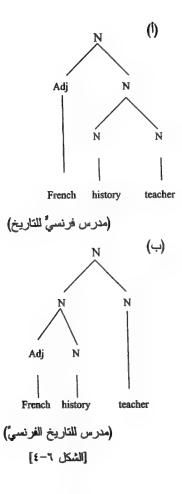


(رأت «نيكول» الناس مستعملة منظاراً) (الشكل ٦-٣ب)

وإذا أردتَ ــ بعد ــ مثالاً أخيراً على هذا النوع من الغموض التركيبي، فتأمل التركيب التالى:

(مدرس تاریخ فرنسي French history teacher

فهو: إما أن يدل على مدرس فرنسيّ الجنسية التاريخ، أو أن يدل على مدرس التاريخ الفرنسي. ويمكن التمثيل الهاتين القراعتين \_ على النرتيب \_ بالرسمين الشجريين الموضحين في الشكل (٦-١٤ / ٦-٤٠):



إن حالات الغموض التركيبي الثلاث، تلك التي سبق إيجازها توًّا، تشترك في أن التفسيرين المقدّمين لكل منها، يمكن أن يُغزوا إلى الاختلافات في البنية السطحية surface structure. وفي مقابل ذلك، يحدث أحياناً ألا يتأتّى الوصف الدقيق للغموض التركيبي إلا بدالنظر» إلى البنية العميقة deep structure، لا السطحية. ودونك بهذا الصدد ـ المثال التالي، فتأمّله:

#### 11- Who do you expect to play?

فغي إحدى القراءتين، يمكن أن تفسر الجملة (11) على أنها سؤال عمن سيكون منافسك (من الشخص الذي ستلعب ضدة). في حين أن القراءة الأخرى تسأل عمن سوف يلعب. وإذا كان من الصعب أن ننظر؛ فنرى، كيف يمكن لتركب عناصر الجملة في البنية السطحية أن يعكس هذين التفسيرين المختلفين، فإن اعتبار البني العميقة المناسبة لهذه الجملة يُمتنا ب «الإضاءة» المطلوبة: فالقراءة الأولى تتطابق مع البنية العميقة (12a)، حيث تبدو who مفعولاً مباشراً direct object وفي المقابل، فإن التفسير الثاني يرتبط بالبنية العميقة الموضحة في (12b)، حيث تكون who فاعلاً يرتبط بالبنية العميقة الموضحة في (12b)، حيث تكون who سوف تثمر الجملة رقم (11).

12- a) you expect to play who? (من نتوقع أن تُلاعب؟)

# b) you expect who to play (من نتوقع أنه سوف يلعب؟)

إن ما ثبت من ضرورة اعتبار «البنية العميقة»، لدى شرح ضروب معينة من الغموض، يقدم شاهداً إضافياً (شائقاً) يدعم وجهة النظر القائلة بأن ثمة مستويين ـ على الأقل ـ للبنية التركيبية: مستوى البنية السطحية، ومستوى البنية العميقة.

#### الأدوار المحورية Thematic Roles

يمثل تعيين «الأدوار» التي تؤديها مدلولات المكونات الاسمية (NP)، في «المشهد» الذي تصفه الجملة، مقوماً من مقومات التفسير الدلالي لهذه الجملة. ودونك ... بهذا الصدد ... الجملة البسيطة (13)، فتأمّلها:

 The senator sent the lobster from Maine to Nebraska.

( أرسل عضو مجلس الشيوخ «جراد البحر» من ولاية «مين» إلى ولاية «نيراسكا»).

إن من المستحيل فهم هذه الجملة، إذا لم ننظر إلى senator (عضو مجلس الشيوخ) على أنه الشخص المسئول عن ارسال شيء ما، وإلى the lobster (جراد البحر) على أنه الشيء المرسل... وهكذا. إن مصطلح الدور المحوري Thematic role \_ يُستعمل لوصف «الدور»الذي أو الدور الدلالي semantic role \_ يُستعمل المحدول (1-1) الحد ينهض به كائن معين، في حدث ما. ويُظهر الجدول (1-7) الحد

الأدنى من الأدوار المحورية التي يمكن تبيُّنها في معظم التحليلات اللغوية (يُلاحظ أن تعريفات هذه الأدوار قد بُسُطت إلى حدّ ما).

### الجدول (٦-٦) الأدوار المحورية

The senator sent the lobster from Maine to Nebraska the senator Agent: الكائن الذي يؤدي \_\_ (عضو مجلس (القائم بالفعل) عن عمد ــ حدثاً ما الشيوخ) (')Theme: الكائن الذي يتعرض the lobster (الواقع عليه لتغير ما في حالته أو (جراد البحر) الفعل) يتعرض للنقل Maine نقطة الابتداء في Source: (اسم ولاية (المصدر) حدث النقل أمريكية) Nebraska Goal: نقطة الإنتهاء في (اسم ولاية (الهدف) حبث النقل أخرى)

ينظر: [ Trask: A dictionary of grammatical terms in ] ينظر: [ linguistics, p. 278 معجم المصطلحات اللغوية ص٥٠٠].

<sup>(</sup>١) يلاحظ في هذا المثال \_ وغيره مما سيأتي \_ استعمال مصطلح Theme للدلالة على «من وقع عليه الفعل» \_ فعل التحريك أو النقل... الخ \_ ويوظف هذا المصطلح كذلك للتعبير عن وظيفة «المسند إليه»، فيكون قسيماً لمصطلح Rheme (المسند). ويكون هو وقسيمه هذا قريين \_ حينتذ \_ من المصطلحين: Topic (الموضوع)، و Comment (التعقيب).

وأشير \_ بعد \_ إلى أن المقصود بفكرة النقل \_ أو الانتقال \_ الله المقصود بفكرة النقل \_ أو الانتقال ، و \_ theme ، و «الموسد » goal ، و «الموسد على الحركة المادية الفعلية، بل تشمل فكرة النقل \_ كذلك \_ ضروب التبدلات الطارئة على «الملكية»، كما في الجملة (14)، أو على «المؤيّة»، كما في الجملة (15)،

14- Terry gave the skis to Mary (agent) (theme) (goal) (أعطت «تيري» الزُحَّاوقة لــ «ماري»)

15- The magician changed the handkerchief into a rabbit

وثمة أدوار محورية أخرى تكشف عنها التحليلات الدلالية، لدى وصف المكونات الاسمية للجمل. ومن ذلك: ما يمثله الجدول (٦-٧)، في وصف جُمَل كتلك التالية:

> 16- The astronomer saw the comet with a new telescope at the observatory

(رأى الفلكيُّ المننَّب؛ بمجهر جديد، داخل المرصد)

## الجدول (۲-۰۷) بعض الأدوار المحورية الأخرى

The astronomer saw the comet with a new telescope at the observatory

#### تعيين الأموار المحورية:

تشتمل المعاجم على «معلومات» تتعلَّق بنوع الأدوار المحورية المرتبطة بأفعال وحروف جر معينة: فالمدخل المعجمي

 <sup>(</sup>١) من الترجمات الأخرى لمصطلح experiencer: الواقع عليه، والمُعاني (ينظر: معحم المصطلحات اللغوية ص١٢٨).

(entry) الخاص بالفعل send (يرسل) ــ مثلاً ــ يشير إلى أن المكون الاسمي (NP) الواقع قبل هذا الفعل يجسد دور القائم بالفعل (agent)، وأن المكون الاسمي الواقع بعد هذا الفعل مباشرة يجسد دور الواقع عليه الفعل (theme)... وهكذا (كُتب الدور المحوري للمكون الاسمي الواقع قبل الفعل على يسار الشرطة، والدور الوظيفي للمكون الاسمي الواقع بعد الفعل على يمينها، حَسَبَ العرف المتبع في ذلك):

(يرسل) 17- send

 NP
 NP (from NP)
 (to NP)

 agent theme source goal

 (الهدف)
 (المصدر) (الواقع عليه الفعل)

ومثال ثان: يشتمل المدخلان المعجميان الفعلين see (يبصر) و receive (يتسلم) على المعلومات التالية:

18- see

 NP
 NP

 experiencer
 stimulus

 (المثير / المنبه)
 (المتأثّر / المجرب)

19- receive

NP - NP goal theme

(الواقع عليه الفعل) (الهدف)

ومثال ثالث: يشتمل المدخل المعجمي لـ near (قُرْب) على المعلومة التالية:

20- near

---- NP
location
(موقع)

إن الدور المحوري الذي يؤديه المكون الاسمي (NP) يتحدّد حَسَبَ الموقع الذي يحتلّه في البنية العميقة. ولننظر ــ بدءاً ــ في جملة كتلك المرقمة برقم (13) (أعيدت كتابتها هنا برقم 21)، وهي جملة تتميز بتطابق بنيتيها: العميقة والسطحية:

 The senator sent the lobster from Maine to Nebraska.

(أرسل عضو مجلس الشيوخ «جراد البحر» من ولاية «مين» إلى ولاية «نبراسكا»)

فها هنا: ترتبت المكونات الاسمية في البنية العميقة، بحيث يمكن قرانها بالأدوار المحورية التي سَبَقَ ذكرُها في المدخل المعجمي للفعل send (برقم17): كل مكون إزاء دوره المحوري بذات الترتيب تماماً.

وثمة حالة أخرى ــ بهذا الصدد ــ تلفت الانتباه، وتلكم هي الحالة التي تجسّدها الجملة (22)، حيث يقع المكون الاسمى ــ حاملاً

الدور المحوري الاستفهاميّ What \_ في بداية الجملة، بدلاً من وقوعه بعد الفعل، وهو الموقع \_ أعني الوقوع بعد الفعل \_ الذي يتطابق مع الدور المحوري المنكور في المدخل المعجمي الفعل send:

22- What will the senator send from Maine to Nebraska?

(ما الذي سيرسله عضو مجلس الشيوخ من ولاية «مين» إلى ولاية «نبر اسكا»؟)

ولحسن الحظ، فإن هذا التباين في «الترتيب» لا يمثل مشكلة، وذلك لأن المكون الاسمي (What) سيقع ــ في البنية العميقة ــ على يمين الفعل send، وهو موقعه الأصلي، لينهض بدوره المحوري، على نحو ما تُظهر ذلك الجملة (23)، حيث يقع What في موقع المفعول المباشر، قبل حصول ما يُسمَّى بحركة أدوات الاستفهام المبدوءة بــ (Wh Movement)

<sup>(</sup>۱) تجسد حركة أدوات الاستفهام المبدوءة بـ (wh-movement) wh إحد القوانين التحويلية التي تُعنى بما نظرية «العمل والربط» (Government and binding التحويلية التي تُعنى بما نظرية «العمل والربط» (GB=) theory أو المستفهام تلك من مواقعها الأصلية (في البنية المميقة أو التحتية) إلى موقع الصدارة (في البنية السطحية) تاركة أثراً (ذهنيًا) Trace (فائيًا) Trace الذي تحركت منه. وعلى ذلك، يمكن القول بأن جملة مثل: who did you hit

البنية العميقة: did you hit who

البنية السطحية: (who did you hit (t

وقد تأسس القول بحصول هذا «التحرك»، في مثالنا هذا، على أن الفعل hit (يكره) فعل متعدِّ يتطلب مفعولاً مباشراً تالياً وبحاوراً له (في البنية التحتية). فلما لم يكن هذا الشأن (في البنية السطيحة) بأن وقع هذا المفعول (who) سابقاً للفعل، لا تالياً له، انشرض أنه قد تحرّك عن موضعه هذا، بحسداً أحد العمليات التحويلية.

<sup>(</sup> ينظر: Riley,English Grammar, p. 209)

23- The senator will send what from Maine to Nebraska.

(عضو مجلس الشيوخ سيرسل «ماذا» من والاية «مين» إلى والاية «نبر اسكا») البنية العميقة والمعنى

كان لتبيُّن وثاقة صلة البنية العميقة، بنفسير الجملة، تأثيرٌ مهم وممتدّ على النظرية اللغوية، ومكّن من صياغة الافتراض التالي:

> 24- In sentences with the same deep structure, noun phrases will be associated with the same thematic roles.

(في الجمل ذات البنية العميقة الواحدة، يكون للمكونات الاسمية نفسُ الأدوار المحورية).

ولا تقتصر صحة هذا التعميم على الأسئلة المبدوءة بـ Wh فقط بل تصح ـ كذلك ـ على أزواج الجمل الأخرى التي تتقاسم بنيةً عميقة واحدة. ولنتأمل أزواج الجمل التالية:

25- a) Anton will throw the ball.

(«أنطون» سيقنف بالكرة)

b) Will Anton throw the ball?

(هل سيقنف «أنطون» بالكرة؟)

(القائم بالفعل) Anton = agent

the ball = theme (الواقع عليه الفعل)

26- a) The boxer knocked out the champion.

(صرع الملاكمُ خصمه البطل بالضربة القاضية)

b) The boxer knocked the champion out.

(صرع الملاكم خصمه البطل بالضربة القاضية)

the boxer = agent (القائم بالفعل)

the champion = (الواقع عليه الفعل) theme

27- a) Sandra received the book.

(تسلمت «ساندرا» الكتاب)

b) The book was received by Sandra.

[تُسُلِّم الكتاب (من قِبَل ساندرا)]

Sandra = goal (الهدف)

the book = theme (الواقع عليه الفعل)

إن ما تبين من وثافة صلة البنية العميقة بتعيين الأدوار المحورية، هو أمر مهم لسببين: الأول: أنه يظهر أن البني التركيبية لا تجسد الطريقة التي تنتظم بها الكلمات في عبارات فحسب، بل إن لها صلة وثيقة بالتفسير الدلالي كذلك. الثاني: أن ما ثبت من أن موقع المكون الاسمي (NP)، في البنية العميقة، يحدد دوره المحوري، هو شاهد إضافي يؤكد على وجود هذا المستوى التحتي البنية التركيبية.

وهذا \_ بدوره \_ يضيف دَعْماً للافتراض القاتل بحبتمية وجود نمطين \_ على الأقل \_ للقواعد التركيبية: قواعد بنية العبارة Phrase وهي التي تكون البنية العميقة، والقواعد التحويلية Transformations التي تنهض بتحويل تلك البنية العميقة إلى أخرى سطحية.

### تفسير الضمائر المنعكسة(١) ( = بيان مرجعيتها):

إن تفسير الضمائر المنعكسة ... مثل: himself (نفسه)، herself (نفسها)، themselves (انفسهم) ... يرفدنا بشاهد آخر على مدى وثاقة صلة البنية التركيبية ب... «علم الدلالة».

إن الضمائر المنعكسة تصنف على أنها نوع من المكونات الاسمية (NP)؛ وذلك أنها تقع في نفس المواقع التي تُخَصّص ـ عادة \_ لهذه المكونات. ودونك \_ مثلاً \_ الجملة (28)، ففيها يقع الضمير المنعكس himself (نفسه) في الموقع المخصص للمفعول المباشر:

28- Jim hurt himself

(جرح «جيم» نفسته)

 <sup>(</sup>١) الضمائر المنعكسة \_ في الإنجليزية \_ ضمائر تحميز بانتهاء كلٌّ منها باللاحقة self = \_ (للمفرد)، أو اللاحقة selves \_ (للمفرد)، أو اللاحقة selves \_ (للمفرد)، أو اللاحقة herself - himself - yourself - myself)
 النوع: خسة للمفرد (themselves \_ yourselves \_ ourselves) وثلاثة للحمع (themselves \_ yourselves \_ tleas).

Riley, English Grammar, p. 92.

وقد أفرد د. محمود نحلة للضمائر المنعكسة في العربية مبحثاً مستقلاً ضمن كتابه «آفاق حديدة في البحث اللغوي المعاصر» (ص٧٣١-٧٥٩)، حيث عرض لجهود نحاة العربية – وخاصة سيبونيه بي دراسة هذه الضمائر: متصلةً بأفعال القلوب (ظن هي ظنتتُني غنيًا....)، أو مسبوقة بكلمة «نفس» بي مع غير أفعال القلوب (ظلمتُ نفسي...)، وذلك في ضوء ما ورد من هذه الضمائر في القرآن الكريم في المقام الأول.

وحتى نُعيِّن المراد من أي ضمير منعكس، فمن الضروري أن نحدٌ \_ في مكان آخر من الجملة \_ المكوّن الاسمي الذي يجسًد ما يشير إليه ذلك الضمير ( = مرجعيته). ففي جملة، مثل الجملة (28)، نجد أن ما يشير إليه الضمير المنعكس himself قد تخصّص بالمكون الاسمي الذي يطلبه ضمير ما، في الجملة، بـ «مرجع» هذا الضمير its antecedent.

والآن، فلنتأمل الجملتين التاليتين:

29- a) [s Clare showed Alice a picture of herself]

(أرت «كلير» «أليس» صورةً لنفسها)

b) [s Clare said [s Alice took a picture of herself]]

(قالت «كلير»: إن «أليس» أخنت صورة لنفسها)

إن معظم أهل الإنجليزية سيجدون أن الجملة الأولى ملبسة؛ من حيث إن الضمير herself يمكن أن يرجع إلى «كلير»، أو إلى «أليس». وعلى ذلك فإن الصورة (picture) المذكورة في الجملة (29a) يمكن أن تكون لأيهما. وليس هكذا الشأن في الجملة (29b)؛ إذ لا يمكن أن تتوجّه مرجعية الضمير herself إلا إلى «أليس». وينبثق السبب في هذه المفارقة من المبدأ التالي:

30- The Same S requirement: A reflexive pronoun and its antecedent must occur in the same S.

(الضمير المنعكس ومرجعه يجب أن يقعا في نفس الجملة)

فغي (29a) يوجد مكونان اسميان (أعني: Clare) و يوجد مكونان اسميان (أعني: herself) و الجملة ذاتها كذلك. ووققًا للمبدأ (30) فإن أيًّا من نَينك المكونين الاسميين يمكن أن يكون مرجعًا لذلك الضمير المنعكس؛ ولذلك فإن الجملة (29a) جملة ملبسة. وأما في الجملة (29b) — في المقابل — فيقع مكون اسمي واحد (أعني: Alice) — مع الضمير المنعكس في نفس الجملة. وأما المكون الاسمي الآخر (أعني: Clare) فيقع خارج الجملة المحصورة بين قوسين مربعين، وهي الجملة التي يقع فيها الضمير المنعكس وظيفة مرجع هذا الضمير المنعكس.

إن ما سبق يُظهر لنا الدور الحاسم الذي تنهض به \_ أحيانًا \_ إحدى خصائص البنية التركيبية، في تفسير معاني الجمل، أعني خصيصة وجود «فواصل» بين الجمل الفرعية clause boundaries.

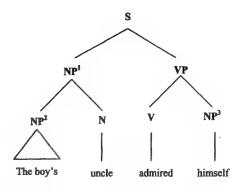
## منطلّبات التحكم المكونّي (=التحكم في المكونات) C-Command (المكونات) Requirement

ثمة خصيصة أخرى البنية التركيبية، تتميز بأنها أكثر تجريدًا، و تتدخل في تفسير الضمائر المنعكسة. وذلك في جمل كتلك المُعلّمة برقم (31)، وهي الجملة التي يمكن تمثيلها بالمخطط الشجري الموجود في الشكل (٦-٥)

# 31- The boy's uncle admired himself (أعجب عمُّ الولد بنفسه)

(۱) مصطلح C-Command هواختصار لـ C-Command عمني: التحكُم المكرِّني \_ أي: التحكُم في المكرِّنات \_ [ينظر في هذه الترجمة: د. مرتضي حواد باقر: مقلمة في نظرية القواعد التوليدية ص١٤٨]. ويمثل «التحكم المكوِّني» هذا أحد أهم عناصر (نظرية) العمل والربط Government and binding theory، تلك التي تمثل طورًا حديثًا للنظرية التحويلية، يتميز بتركيزه على دراسة العلاقات بين «مكونات» الحملة، من حيث غديد أي هذه المكونات يتحكم في الآخر (= goverment) من ناحية، وابها ــ من ناحية أخرى ــ يمكن أن يترابط (= chinding) حتى تفسَّر الجلملة تفسيرًا مقبولاً. والمقصود بــ «التحكم» هاهنا \_ إجمالاً ــ هو «تطلُّب الوجود»، يمعني أن وجود المكوِّنات المتحكَّمة فيها، فالفعل المؤلل (يكره) ــ مثلاً ــ يتحكَّم (ــ يتحكَّم وجود ملكوِّنات المتحكَّم فيها، فالفعل المؤلل (وحود هذا الفعل (المتعدي) ينتضى وجود مكون اسمى تال له، كما في قولنا: (governs ...)

[ينظر فيما سبق: Aitchison: Linguistics, pp. 192-196 وينظر ـــ من المصادر العربة التي بسطت القول في (نظرية) العمل والربط بعناصرها المتعددة ـــ : د. مرتضى باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ١٤٧٧-١٩٦٩].



(الشكل ٦-٥)

فعلى الرغم من وجود مكوتين اسميين مع الضمير المنعكس himself في نفس الجملة، فإن واحدًا فقط من هذين المكوتين الاسميين (أعني: The boy's uncle = عم الولد) يمكن أن يكون هو مرجع ذلك الضمير المنعكس. وعلى ذلك، فإن الشخص الذي أعجب بنفسه في الجملة (31) يجب أن يكون هو «عم الولد»، وليس «الولد».

و «المبدأ» الذي نحتاج إليه لتعزيز هذا التفسير السابق، يُغضني بنا إلى توظيف «فكرة» التحكم المكوّني C-Command، تلك التي تُعرّف كما يلي:

32- The NP x C-commands the NP y if every category dominating x also dominates y.

[ المكون الاسمى (X) يتحكم مكوّنيًا في المكوّن الاسمى (Y)، حين يكون كل باب نحويّ مسيطر على (Y) مسيطراً كذلك على (Y)].

وثمة تقييد ثان يتعلق بنفسير الضمائر المنعكسة، ذلكم هو ما تمت صياغتُه الآن على النحو التالى:

33- The C-Command Requirement: A reflexive pronoun must be c-commanded by its antecedent.

(الضمير المنعكس يجب أن يتم التحكم فيه مكوّنيًّا بواسطة مرجعه).

والآن، فلننظر: كيف ينطبق «المبدأ» السلبق على المكوتين الاسميين: the boy وthe boy's uncle، في تركيب كذلك المبيّن في الشكل (٦-٥).

إن ثمة بابًا نحويًا واحداً يسيطر على dominate المكون الاسمي The boy's uncle، أعني باب الجملة (S). ولما كان هذا الباب النحوي يسيطر حكذلك حامى الضمير المنعكس، فإن المكون

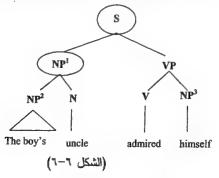
<sup>(</sup>١) ترجمة مصطلح dominationg أو domination بـ «سيطرة» هي ترجمة د. البعلبكي وذكر في التعريف به: «في التحو التوليدي، العلاقة النظمية بين العناصر اللغوية المختلفة كما تُظهرها العُملة nodes على الرسم المشعرة. فالعنصر المعتمد على عنصر آخر بحسب التحليل التركيبي، يكون تحت سيطرة ذلك العنصر، سواء أكانت السيطرة مباشرة أم غير مباشرة» (معجم المصطلحات اللغوية ص١٥٥).

والمقصود بـــ «المُقد» ـــ جمع عُقدة node ـــ هو النقطة التي يتشعّب عنها عناصر أخرى في الرسم الشجري، وإن كان بعض العقد لا يتشعّب (ينظر المصدر السابق ص٣٢٩).

وتكونَ السيطرةَ «مُباشَرة» حينَ لا توجد عُقَد تفصل بين العنصر المسيطر والعنصر المسيطَر عليه، و «غير مباشرة» حين توجد مثل تلك العُقد الفاصلة (ينظر المصدر السابق ص٢٠١، ٢٤٤).

الاسمي الأول (NP<sup>1</sup>) يتحكم مكونيًا في himself؛ وققًا لتعريفنا السابق؛ ويصح ً بالتالي \_ أن يشغل وظيفة مرجع ذلك الضمير. وكما رأينا توًا، فإن الجملة قد فُهمت في ضوء هذا التفسير.

والسؤال \_\_ بعد \_\_ هو: ما بال التفسيرات الأخرى غير المقبولة لهذه الجملة؟ إن المكون الاسمي الثاني The boy \_\_ في الشكل [ $P^-$ ] \_\_ بسيطر عليه بلبان نحويان، هما: الجملة( $P^-$ ] والمكون الاسمي الأول في التقريع الشجري ( $P^-$ ] ايلاحظ أن كلا منهما قد أحيط بدائرة في الشكل  $P^-$ ]. ولما كان الباب الأول منهما فقط (بلب الجملة =  $P^-$ ) هو الذي يسيطر على الضمير المنعكس، فإن المكون الاسمي الثاني في التقريع الشجري ( $P^-$ ) لا يتحكم مكونيًا في الضمير المنعكس himself ( $P^-$ )؛ ولذلك فلا يمكن أن يشغل وظيفة «مرجعه»، وتلك هي النتيجة المطلوبة.



 <sup>(</sup>١) وذلك لما سبق بيانه بشأن فكرة التحكم المكرّني، من أن تحكّم مكون اسمي في آخر يستلزم أن
 يكون كل باب نحوي مسيطر على الأول مسيطراً كذلك على الثاني.

### ٣-٦ عوامل أخرى ذات دور في تفسير معاتي الجمل

إن البنية التركيبية ليست إلا عاملاً ولحدًا، من جملة عوامل، تُسهم في تفسير معاني الجمل. فنحن حتى نستعمل اللغة استعمالاً يناسب مقتضى الحال حينبغي أن نتقف الكيفية التي «تتفاعل» بها «قواعد» اللغة، مع «أنساق» المعارف والمعتقدات الذائعة في المجتمع. ودونكم حالآن حامثلة متوعة لهذا الضرب من «التفاعل»:

#### Pragmatics التداولية

يطلق مصطلح «التداولية» عادة على حُزْمة «المعارف» ذات الدور المهم في تفسير معنى الجملة. وتشتمل حزمة المعارف هذه، على مخزون المعتقدات والأعراف التي لدى كل من المتكلم والمخاطب. كما تشتمل على استيعاب كلً منهما للسياق الذي تُستعمل فيه الجملة، وعلى معرفتهما ــ كذلك ــ بــ «الطرق» التي توظّف بها اللغة لــ «توصيل» المعلومات. والمتمثيل على ذلك، تأمل الجملتين التالنتنن:

34- a) The councilors refused the marchers a parade permit because they feared violence.

[رفض أعضاء المجلس (المسئولون) إعطاء تصريح للمتظاهرين بالمسير؛ لأنهم خشوا من أعمال العنف] b) The councilors refused the marchers a parade permit because they advocated violence.

[رفض أعضاء المجلس (المسئولون) إعطاء تصريح المتظاهرين بالمسير؛ لأنهم أيدوا أعمال العنف]

فالبنية التركيبية لهاتين الجملتين واحدة، فيما عدا الفعلين الواردين في الجزء الثاني منهما [Feared (خشوا) في الجملة الأولى مقابل advocated (أيدوا) في الثانية]. وعلى الرغم من ذلك، فثمة تباين في تعيين مرجعية الضمير they في كلنً: حيث يعتقد معظم الناس بأن مرجع هذا الضمير، في الجملة الأولى، ينبغي أن يتوجّه إلى councilors (أعضاء المجلس)، في حين ينبغي أن يتوجّه إلى marchers (المتظاهرين)، في الجملة الثانية.

وليس يبدو أن لهذا الترجيح الغالب لمرجعية الضمير صلة بـ «قواعد» اللغة، بل يبدو أنه «يعكس» ما وقر في «معتقدنا» بشأن بعض «الجماعات» داخل مجتمعاتنا، أعني ـ تخصيصنا ـ أنه يعكس ترجيحنا لأن يكون «أعضاء المجلس» (المسئولون) هم الفئة التي تخشى من حصول أعمال عنف، لا أن يكونوا الفئة المؤيدة له.

### مبدأ التعاون (في المحادثة) The Cooperative Principle

توظَّف المعرفة التداولية، في حالات كثيرة، توظيفًا دقيقًا، في بيان المراد من بعض الجمل.

هَبْ \_ مثلاً \_ أن رُبّان إحدى السفن، قد دوّن الملاحظة التالية، في سجل متابعة الأداء اليومي على السفينة: «لم يكن المساعد الأول للرُبّان مخمورًا هذه الليلة». فعلى الرغم من أن هذا «التقرير» statement لا يذكر شيئًا عن «حالة» مساعد الربّان هذا، في الليالي الأخرى، فإن قارئ هذه «الملاحظة» قد يستنتج منها أن لدى هذا المساعد مشكلة مع المنكر. ولم ينبثق هذا الاستنتاج من المعنى الحرفي لهذه الجملة، بل من «الطريقة» التي وُخلفت بها اللغة لـ «توصيل» المعلومة.

إن من المفترض \_ عادة \_ أن تكون الجمل التي نستعملها جملاً تامّة الفائدة، ومناسبة للمقام. وقد صار هذا جزءًا مما بات يُعرف ب «مبدأ التعاون» cooperative principle اللازم للمحادثة. وحين يبدو الكلام غير تأمّ الفائدة، أو غير مناسب للمقام، فإن السامع \_ أو القارئ \_ يفترض حينئذ أن عليه \_ أو عليها \_ أن يستنبط ما يرذ به هذا الكلام إلى حال «الإقادة» و «المناسبة».

وفي المثال الذي نحن بصدده، نتضمن عملية «الردّ» إلى حال «الإفادة» هذه، تناول هذا التقرير الذي يبدو تقريرًا غير ذي إفادة عن شخص ما (فمساعد الربّان لا يُتوقّع أن يكون مخموراً)، ثم استتباط فائدة ما منه (أعني: أن كون هذا الشخص في غير حال السكر، في ليلة ما، هو أمر نادر الحدوث).

ولم يتأسس هذا الاستنباط على معنى الجملة الأصلي، ولا على نسق تركيبها، بل تأسس على افتراض معين، ذلكم هو أن الربّان حين دون هذه الملاحظة في سجل السفينة اليومي حكان يريد أن يفيد «معلومة» بشأن هذا المساعد. إن مثل هذا «الاستنباط»، أعني ذلك الذي يتأسس على افتراض معين يتعلق بد «الكيفيات» التي «نتواصل» بها... مثل هذا الاستنباط هو ما بات يُعرَف في الاصطلاح باسم «الاستنباع الحواري»(۱).

### الافتراضات المسبقة Presuppositions

ثمة «مَجلَّى» آخر، يمكن لـ «معارف» المتكلم، أن تتجسد فيه، لدى «استعماله» اللغة. وهناك أمثلة مألوفة تساق للبرهنة على ذلك، منها:

<sup>(</sup>١) هذه هي ترجمة د. رمزي البعلبكي للمصطلح المذكور (ينظر: معجم المصطلحت اللغوية ص١٢٤). وترجمة د. أحمد المتوكل بــ «الاستلزام التخاطي» (ينظر بحثه: اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القدم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي ص١٧).

# 35- Have you stopped exercising regularly? (هل توقَّفتَ عن المران بشكل منتظم؟)

فاستعمال الفعل stop يقضي بأن لدى المتكلم «سابق معرفة» بأن المخاطب كان قد تعود على ممارسة بعض التمرينات ممارسة منتظمة. وفي المقابل، فإن مثل هذا «الافتراض» لا يتحصل من استعمال الفعل try (يجرب)، وذلك على نحو ما يظهر من الجملة (36) التالية:

36- Have you tried exercising regularly?
(هل جَربّتُ المران بشكل منتظم؟)

إن هذا «الافتراض» \_ أو تلك «المعرفة» \_ التي تتحصلً ضمنًا، بسبب استعمال كلمة معينة، أو تركيب معين، هو ما بات يُعرف في الاصطلاح ب «الافتراض المسبق» presupposition. وهاكم \_ بعد \_ زوجًا آخر من الأمثلة على هذا النوع من «الافتراض»:

37- a) George admitted that the team had lost.

[أقرّ «جورج» بأن الفريق قد هُزِم]

b) George said that the team had lost.

[قال «جورج» إن الفريق قد هُزم]

فاختيار الفعل admit (قرّ) في الجملة (37a) يدل على أن المتكلم «يفترض مسبقًا» صحة الزعم القائل بهزيمة الفريق. وفي المقابل، فإن هذا «الافتراض المسبق» لا يتحصل باستعمال الفعل say في الجملة (37b)؛ فالمتكلم في هذه الجملة إنما «ينقُل» تصريح «جورج» فحسب، أي: دون أن يُضمن نقله هذا ما يَشي بـ «موقفه» إذاء صحة هذا التصريح.

وثمة ــ بعد ــ نوع آخر من «الافتراضات المسبقة»، ذلك هو النوع الذي توضحه الجملة (38) التالية:

38- a) Abraham Lincoln was assassinated in 1865.

(اغتيل «ابراهام لنكولن» في سنة ١٨٦٥)

b) Abraham Lincoln was murdered in 1865.

ففي حين يتضمن استعمالُ الفعل assassinate (يغتال)، في الجملة (38a)، التنويه بأن «ليراهام لنكولن» كان شخصيةً سياسية شهيرة، فإن استعمال الفعل murder (يقتل عمدًا) لا يتضمن هذا التنويه.

### الأحداث الكلامية(١) (= الأحداث التي يصنعها الكلام) Speech Acts

ما زال هناك ... بعد ... مجموعة من العوامل التي يجب أن توضع في الاعتبار، لدى اصطناع تحليل دلاليًّ ما. ومما تتضمته تلك العوامل: نمط «الحدث» المصاحب لنطق جملة من الجمل. ووققًا لإحدى الأطروحات المهمة والمؤثرة في هذا الصدد(۱)، فإن ثمّة ثلاثة أنماط أساسية من الأحداث الكلامية، هي:

<sup>(</sup>۱) يترجم speech act \_\_ مفرداً \_\_ بترجمات أخرى، منها: العمل الكلامي، والفعل الكلامي، والفعل الكلامي، والفعل الكلامي، والفعل الكلامي، والفعل النطقي [ينظر: د. البعلبكي: معجم المصطلحات اللفوية ص15 ] وقد آثرتُ استعمال «الحدث» بدلاً من «الفعل»، لما قد يسبّبه استعمال هذا الأحير من التباس بينه بمعناه المراد هنا (الشيء المنحز) من جهة، ومعناه الآخر، كفصيل نحوي مقاسم للأسماء والحروف من جهة أحدى.

<sup>(</sup>٣) يقصد ... كما هو متعالم مشهور ... نظرية الأحداث الكلامية كاضراته الشهيرة المعنونة بـ للفيلسوف الإنجليزي «أوستن» Austin، كما حسدها محاضراته الشهيرة المعنونة بـ How to do things with words (كيف تنجز أشياء بواسطة الكلمات). وقد ترجها عبدالقادر قبنيني (أفريقيا الشرق ... الدار البيضاء ١٩٩١). ومن المصادر العربية التي عرضت لهذه النظرية بالتفصيل: آفاق حديدة في البحث اللغوي المعاصر للدكتور محمود نحلة، ونظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب لطالب هاشم الطبطبائي.

- الحدث القولي (١) Locutionary act، وهو المتمثل في «النطق» بجملة ما لها معنى معين .
- الحدث الغرضي (۱) illocutionary act «غرض» المتكلم، حين نطق بثلك الجملة (المدح ـ النقد \_ التحذير).
- الحدث التأثيري (perlocutionary act التأثير وهو يتضمن «الأثر» الذي حققه المتكلم فيمن يخاطبه، حين نطق بتلك الجملة.

هب \_ مثلاً \_ أن أحد المدرسين كان يعاني من مشكلة نتعلق بالحفاظ على النظام داخل قاعة الدرس؛ فنطق \_ دات يوم \_ بالجملة الآتية: «سأحجزكم داخل القاعة بعد انتهاء الدرس». إن هذا المدرس، حين نطق به الجملة، قد أنتج ثلاثة أحداث كلامية في آن واحد: أولها:

<sup>(</sup>١) يترجم locutionary act بترجمات أخرى، منها: الحدث التعبيري، والحدث الكلامي [ينظر: د. رمزي بعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية ص٣٩٣] والفعل اللفظي [ينظر: د. عمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٦٦] والفعل القولي [ينظر د. عبدالمجيد جحفة: مدخل إلى الدلالة الحديثة ص٣٠].

 <sup>(</sup>۲) يترجم illocutionary act بترجمات أخرى، منها: الحدث التحقيقي [ينظر: معجم المصطلحات اللغوية ص٢٦٦] والفعل الغرضي أو الإنجازي [ينظر: آفاق جديدة ص٢٦٦].

 <sup>(</sup>٣) يترجم perlocutionary act بترجمات أخرى، منها: الفعل التأثيري [ينظر: آفاق جديدة ص٦٨]، وفقل حقل الإنجاز [ينظر: مدخل إلى الدلالة ص٣٠].

الحدث القولي locutionary act (يتضمن النطق بجملة معناها: سأجعلكم تبقُون بالمدرسة، إلى وقت متأخر، عن الوقت المعتاد illocutionary act للانصراف). وثائيها: الحدث الغرضي perlocutionary act (إسكات الحذير)، وثالثها: الحدث التأثيري perlocutionary act الطلاب).

وليس ثمة ارتباط تلازمي بين أنماط بعينها من البنى التركيبية من جهة، والأحداث الكلامية من جهة أخرى، بحيث يقال إن الحدث الكلامي الفلاني، يرتبط بالبنية التركيبية الفلانية: فتحقيق «غرض» التحذير ـ مثلاً ـ يمكن أن يتجسّد في:

أ- جملة خبرية (تقرير أو بيان statement).

ب- جملة (تبدأ) بفعل أمر imperative.

a yes - no ) ج- سؤال تكون الإجابة عنه ب «نعم» أو «لا» (question).

ُ د- سؤال ببدأ بأداة استفهام أولها: Wh (۱) (a wh question).

وذلك كما يلى:

 <sup>(</sup>١) وذلك مثل: why - when -where - what وغيرها. ولا يجاب بـ «نعم» أو
 «لا» عن الأسئلة المصدّرة بأدوات الاستفهام تلك [ينظر: معمدم المصطلحات اللغوية ص.٥٣٦].

39- a) There is a bear behind you.

(هناك نُبُّ خلفك)

b) Run!

(اجر)

c) Did you know there is a bear behind you?

(هل تعلم أن هذاك نبًّا خلفك؟)

d) what is that bear doing in here?

(ماذا يفعل ذلك الدبُّ هنا؟)

وبالمثل، فإن حدثًا تأثيريًا يهدف إلى جعل شخص ما، يفتح النافذة (= التأثير المطلوب)، يمكن أن يتحقّق التعبير عنه بأنماط تركيبية متعددة، كما يلى:

40- a) I wish you'd open the window.

(أرجو أن تتفضل بفتح النافذة)

b) Open the window

(افتح النافذة)

c) Could you opent the window?

(هل يمكن أن تفتح النافذة؟)

d) It's awfully hot in here.

(إن حرارة الجو هاهنا لا تطاق)

وبسبب من القدرة «التأثيرية» المرتبطة بنطق الجمل السابقة، فإن ردّ الفعل المناسب، من جانب السامع، لابد أن يكون هو فتح النافذة. وعلى ذلك، فإن المتكلمين بالإنجليزية يعلمون أن الجملة (40c) لا يصبح أن تؤول على أنها مجرد سؤال يراد به تحصيلُ معلومة معينة. فإذا حدث أن أجاب شخص ما عن هذا السؤال بقوله: Yes, I could (نعم، يمكنني)، ثم اكتفى بتلك الإجابة، ولم يتحرك لفتح النافذة، فإن ذلك يكون من باب «المرزاح»،

وعلى الرغم من عدم وجود علاقة مباشرة بين بنية الجملة من جانب، والأحداث الكلامية من جانب، آخر، فإن هناك مجموعة محدودة من الأفعال، تتميز بأن استعمالها يفضي إلى زيادة وضوح «الغرض» المنشود من التلفظ بالجملة. ومن الأمثلة الشائعة لهذا النوع من الأفعال: promise (يَعِدُ)، و bet (يراهن)، و warn (يحذر)، و agree (يوافق). وذلك كما في الجمل الآتية:

41- a) I promise that I'll be there.

(أعد بأنني سأكون هناك)

b) I bet that the Yankees will lose [أراهن أن فريق «اليانكيز» (١) سوف يخسر (المباراة)]

<sup>(</sup>١) فريق الـــ «يانكيز» yankees مو أحد فرق رياضة كرة «البايسبول» بـــ «نيويورك».

c) I warn you that's not a good idea.

(أحذرك ... هذه ليست فكرة جيّدة)

d) I agree that you should do it.

(أوافق على أنك يجب أن تفعل نلك)

إن هذه الأفعال الموجودة في الجمل المرقمة برقم (41) تشير إلى نوع «الحدث الغرضي» المقترن بنطق كلِّ من هذه الجمل. وقد شمل ذلك: إحداث وعد»، وإحداث وتحذير»...الخ. وتُسمَّى هذه الأفعال و أمثالها بالأفعال الإنجازية (۱) Performatives عيث إن النطق بأيَّ منها يُنجِز في التو وحدثًا» مستهدفًا بعينه. وعلى ذلك، فحين أنطق بجملة: I promise that المعينه. وعلى ذلك، فحين أنطق بجملة: I 'I'll be there وعلى النو و المقابل، فإنني بذلك أصنع في التو حدثًا معينا، هو «الوعد». وفي المقابل، يختلف الأمر حين أنطق بجملة المحلة الأخيرة أنطق بجملة المحلة الأولى بمجرد تنبؤ، أو تحذير، أو ربما قد تكون بخلاف الأولى بمجرد تنبؤ، أو تحذير، أو ربما تهديد.

وحين يُستعمل فعل ما، لصنع حدث ما، فإن فاعلة يكون دائماً هو الشخص الأول: مفردًا (I)، أو مجموعًا (we). كما أنه يكون في صيغة الفعل المضارع. وتبقى ــ بعد ــ شروطً إضافية،

<sup>(</sup>١) يترجم المصطلح أيضًا بـ «الأفعال الأدائية». ينظر: د. محمود نحلة: آفاق حديدة ص٦٢.

تتعلق ببعض الأفعال الإنجازية الأخرى، كأن يكون الناطق بهذه الأفعال صاحب سلطة، أو مكانة اجتماعية خاصة، تمنحه حق النطق بها. فمثلا: القسيس، أو قاضي الصلح، هما فقط من يحق لهما التلفظ بالجملة الآتية: I pronounce you man and (أعلنكما زوجًا وزوجة). في حين أن القاضي وحده هو من يحق له التلفظ بجملة: I sentence you to five years (أحكم عليك بالمحبن لمدة خمس سنوات).

# Language, Meaning اللغة والمعنى والفكر and Thought

لقد سَبَرُنا ـ فيما سبق ـ «الطريقة» التي تُستعمل بها «مفردات» اللغة و «تراكيبها» للتعبير عن «المعنى». ومن الطبيعي \_ بعد \_ أن نتساءل عمّا قد يكون للغة من تأثير على «تشكيل»الطريقة التي «نفكر» بها.

فإذا كان القول بأن اللغة تيسر التفكير، وتيسر حل المشكلات، عن طريق تزويدنا بـ «وسيلة» تجسد الأفكار المعقدة... إذا كان القول بذلك هو افتراض نتقبله، بل لا نشك في معقوليته، فلقد جاوز الأمر ذلك إلى القول بأن الأنظمة اللغوية قد يكون لها تأثير جد جوهري على عملية الإدراك cognition. بل لقد افترض ـ فعلاً ـ أن اللغة المعيّنة ـ التي

يتكلمها شعب معين \_ «تُشكِّل» الطريقة التي «يفكّر» بها هذا الشعبُ من جهة، والطريقة التي «يُدرك» بها العالم، من جهة أخرى.

## الفتراض «سابير» و «وُرق» The Sapir – Whorf Hypothesis

لقد صار هذا الافتراض السابق ــ في اشهر مجاليه وأعظمها تأثيرًا ــ يعرف باسم «افتراض سابير وورف»، تنويها باللغويين اللذين عبرا عنه أوضح تعبير: إدوارد سابير (١) Benjamin Lee Whorf.

لقد كتب «سابير» ــ مثلاً ــ في سنة ١٩٢٩م: «إن البشر يخضعون ــ كل الخضوع ــ لرحمة اللغة المعينة التي غدت وسيلة التعبير في مجتمعهم... إن العالم الواقعي يتشكّل ــ إلى حدّ بعيد ــ في

<sup>(</sup>١) إدوارد سابير (١٨٨٤-١٩٣٩م) لغويّ وأنثروبولوجي أمريكي معروف. ولد في ألمانيا، ثم هاجر مع أسرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية في ١٨٨٩م، وحصل على الدكتوراه من حامعة كولومبيا في ١٩٠٩م. انصبت دراساته ــ في المقام الأول ــ على اللغات الهندية الأوربية. ومن أبرز أعماله: The study of (الملفة: مقدمة لدراسة الكلام)

<sup>(</sup>ينظر: The Encyclopedia Americana, vol. 24, p.253)

<sup>(</sup>۲)بنيامين لي وُرث (۱۸۹۷-۱۹۶۱م) لغوي أمريكي، من تلاميذ «إدوارد سابير»، اشتهر بالافتراض المذكور حول طبيعة العلاقة بين اللغة والفكر، كما اشتهر بدراساته في اللغة العبرية والملغة الهوبية Hopi Language

ينظر: The New Encyclopedia Britannica, vol. 12, p. 645.

ضوء الأعراف اللغوية language habits الشائعة لدى أهل اللغة، ودون وَعْي منهم بذلك».

ولقد تصرّمت سنون عدة، على مقولة «سابير»، تلك السابقة، ليأتي بعده «ورُرف» Whorf، فيجسد الفكرة نفسها، في صورة «الزعم» التالي:

«إننا نعاين الطبيعة (ندرك مكوناتها) عبر دروب خططتها لغتنا الأم. ونحن لا نكتشف ما نقوم بفرزه من عالم الظواهر the من ونحن لا نكتشف ما نقوم بفرزه من طبقات world of phenomena وأصناف types... لأن هذه المكونات، من الوضوح والتمايز، بحيث تكاد تحملق في وجه الناظر إليها. أقول: نحن لا نكتشف تلك المكونات، بل إن ما يحدث هو عكس ذلك تماماً: فالعالم هو الذي يُقدَّم لنا في تيار متتابع ومتجدد من الانطباعات (الذهنية). وهذا التيار يتوجّب تنظيمه بواسطة عقولنا، أو \_ بالأحرى \_ بواسطة الأنساق اللغوية الموجودة في عقولنا».

وثمة ظاهرتان لغويتان، يشيع الاستشهاد بهما، لدى دعم افتراض «سابير وورف» ذلك السابق:

الأولى: التباين في عدد المفردات اللغوية.

grammatical الثقابة: التنوع في نمط الثقابلات النحوية contrasts التي تشتمل عليها اللغة.

فأما الظاهرة الأولى، فيُمثل لها بما هو مقرر من احتواء لغة الإسكيمو على كلمات تتعلق بالثلج، أكثر من تلك التي تحتوي عليها اللغة الإنجليزية، في حين أن العربية أعظم ثراء في مجال المفردات الدالة على «الرمل». وتأسيمنا على ذلك، يُستتتج \_ أحيانًا \_ أن اللغة الإسكيمية واللغة العربية تسمحان للمتكلمين بهما بس «إدراك» ما بين أنواع الثلج والرمل من «فروق» حسيّة، في حين لا تسمح الإنجليزية للمتكلمين بها بـ «إدراك» مثل هذه الفروق.

وثمة تفسير آخر أكثر «معقولية» من ذلك السابق، وهو أن اللغة تتشكّل حسنبَ الحاجة؛ لتتكيّف مع مكوّنات البيئة: ثقافية كانت أم مادية. ووَفْقًا لهذه «الرؤية» البديلة، فإنه إذا احتوت لغةً ما، على قدر وفير من المفردات في مجال ما، فما ذلك إلا لأهمية الفروق الدقيقة التي تعبر عنها هذه المفردات، لدى الناطقين بتلك اللغة. بل إن من يتكلمون لغة لا تمتلك مثل هذا القدر الوفير من المفردات، في ذلك المجال، يستطيعون اصطناع قدر من «الفروق» المناسبة، إذا صار لهذه الفروق أهمية لديهم. ولعل هذا ما يفسّر لنا قدرة المتزحلقين على الجليد \_ مثلاً \_ على «التمييز» بين أنواع متباينة من «الثلج»، على الرغم من أن لغاتهم لم تفرد كلمات مستقلة لكل من هذه الأنواع. فهم يستطيعون \_ لدى الضرورة \_ أن يستثمروا «موارد» لغاتهم، لرصد هذه «الفروق»، وذلك بابتكار تعبيرات جديدة، مثل: الثلج المسحوق ·powder snow

ولننتقل ــ بعد ــ إلى «النّظَر» في الاختلافات اللغوية المتعلّقة بالتعبير عن التقابلات النحوية grammatical contrasts وهي الظاهرة التي ركّز عليها «ورُق» Whorf. لقد حاول «وُرق» أن يربط بين خلو اللغة الهُوبيّة Hopi ــ إحدى لغات الهنود الحمر في الجنوب الغربي الأمريكي ــ خلواً ملحوظاً، من صبغ تعكس التقابلات الزمنية، وبين الموقف الحضاري إزاء «الزمن» و «المستقبل»، لدى الهوبيين مقارنة بغيرهم.

فحسبما يعتقد «وُرُف»: لا يتألّف الزمن ـ لدى الرجل الهوبي ـ من تعاقب وحدات متمايزة، كالأيام، بل هو «شيء» واحد يتعاقب على نحو منتظم: ظهورًا واختفاء؛ فليس لدى الهوبيّ يومّ «جديد» ـ على زعم «وُرُف» ـ بل عودة ظهور اليوم نفسه فحسب! لقد اعتقد «وُرُف» أن هذا الموقف من «الزمن» قد انعكس في عقيدة الرجل الهوبي، بحيث صار يرى أن من الأفضل التعامل مع «المستقبل»، بالعمل في الوقت «الحالي»، ذلك الذي سيرجع بدوره باعتباره هو المستقبل.

ومرة أخرى، تثور اعتراضات لا حصر لها، ضبد رؤية «وُرْف»، تلك السابقة: فقد ثبت \_ بَدْأة ذي بَدْأ \_ أن «وُرْف» كان مخطئاً، حين اعتقد بخلق اللغة الهوبية من صيغ دالة على تتوعات الزمن؛ إذ ثَبَتَ \_ فعلاً \_ وجودُ هذه الصيغ الزمنية في تلك اللغة. وفضيلاً عن ذلك، فلو سلَّمنا ... جدلاً ... بأن اللغة الهوبيّة تخلو من صيغ تعبِّر عن «تتوعات» الزمن، أو سلَّمنا بأن تلك «التتوعات» تختلف ... كلَّ الاختلاف ... عن نظيراتها في اللغة الإنجليزية، فإنه يبعد أن يكون لذلك ارتباط حتميّ ب... «موقف» متكلمي تلك اللغة من «الزمن». فلا أحد يشك ... مثلاً ... في تبنّي عدد كبير من متكلمي الإنجليزية للفلسفة «الهوبيّة» في التعامل مع الزمن، كما لا يُشك ... كذلك ... في أن بعض الهوبيين لا يتبنّي تلك الفلسفة.

فإذا نحينا مشكلة «الزمن» في اللغة الهوبية جانبًا، فإن الربط بين كثير من الظواهر النحوية من جهة، والقدرة على صنع تقسيمات في عالمنا الواقعي من جهة أخرى، هو أمر يبدو \_ في معظم حالاته \_ بعيدًا عن منطق العقل: فاللغة الفناندية \_ مثلاً \_ لا تتضمن تقلبلات في الفصائل النحوية تعكس «التوع» في الجنس الطبيعي (نكر / أنثى)، فهل يسوغ \_ في ضوء ذلك \_ أن نقول بأن غياب التميز النحوي بين «هو» و «هي» يعوق قدرة «الفنانديين»على التمييز بين «الذكور» و «الإناث»؟! وكذلك: يصعب التصديق بأن الفرنسيين يعتقدون بأن بين «النساء» و «الخيم» و «القمصان» قدرًا من التشابه، لمجرد أن الألفاظ الدالة عليها (femmes, tentes, and chemises) تنتمي إلى نفس الفصيل النحوي (المؤنث).

## تجرية

ينظر:

أجريت عدة تجارب المتحقق من افتراض «سابير» و «وُرْف»، وذلك بالاستعانة بوسائل تجريبية. وكانت أشهر هذه التجارب، تلك التي أجريت عام ١٩٥٨م.

كان الهدف الرئيسي من هذه التجربة، هو تحديد تأثير اللغتين: الإنجليزية والنافاهية (١) Navaho على «الإدراك الحسي» perception لـ «اللون»، و «الحجم»، و «الشكل». ففي اللغة «النافاهية»، تتنوع صيغ الأفعال الدالة على معالجة الأعمال، وَفقًا لـ «شكل» الشيء موضع المعالجة: فالشيء الطويل المرن (ثعبان مثلاً) يتطلّب صيغة فعلية معينة (šánléh)، والشيء الطويل الصلّب (رمح مثلاً) يتطلّب صيغة فعلية أخرى (šántuh)، ثم هناك صيغة فعلية ثالثة (šánicos) للمادة المرنة المسطّحة. وحيث إن هذا التقسيم غير موجود في «قواعد» اللغة الإنجليزية، فقد ظُنَ أن سيكون تباين غير موجود في «قواعد» اللغة الإنجليزية، فقد ظُنَ أن سيكون تباين

<sup>(</sup>١) الـ «نافاهر» Navaho هي إحدى أشهر لغات عائلة اللغات «الأثاباسكانية» Athabaskan ــ إحدى عائلات اللغات الهندية الأمريكية ــ وتتشر الــ «نافاهو» في كل من Arizona و New Mexico ، ويتكلم بها نحو مائة وعشرين ألف نسمة.

Crystal: An Encyclopedic Dictionary of Language and Languages, p. 261.

في «تصنيف» الأشياء بين الأطفال الذين يتحدثون بهاتين اللغتين. وقد صُمِّت التجربة لاختبار هذه «الظَّنَة».

زُوِّد كلِّ من الأطفال المشاركين في التجربة بزوج من الأشياء (عصًا وقطعة حَبَّل)، ثم عُرِض عليهم شيء ثالث، وطُلب منهم أن يُخبروا مُجرِي التجربة: أيّ الزوجين (العصا أم قطعة الحبل) ألْيَق بالاقتران بهذا الشيء الثالث الجديد؟

وقد كان المتوقع أن تعكس استجاباتُ الأطفال المتحدثين بسد «النافاهيّة» ذلك التصنيف الذي يفرضه نظامُ الأقعال في لغتهم، أعنى أن تتأثّر هذه الاستجاباتُ بالتشابه في «الشكل»، دون «الحجم»، أو «اللون». ومع ذلك، فقد تبيّن أن استجابات الأطفال السبعة والأربعين البيض الناطقين بالإنجليزية للصوكانوا من ولاية بوسطن Boston كانت قريبة جدًّا من استجابات الأطفال التسعة والخمسين الناطقين باللغة «النافاهيّة»: لغتِهم الأصلية والوحيدة. فإذا سلَّمنا بالفروق النحوية بين اللغتين، فقد جاءت نتيجة هذه التجربة لإن للمخالفة لما كان متوقعًا، حَسَبَ افتراض «سابير» و «وُرثف».

لقد أدّى الإخفاق المتكرّر لما أجُري من محاولات تجريبية، للكشف عن وجود تأثيرات مطردة للغة على تشكيل العالم... أدّى إلى الانتقاص من مصداقية افتراض «سابير» و «ورُرف»، كأبلّغ ما يكون الانتقاص. بيد أن هذا الانتقاص لا يعني أن اللغة لا تمثّل الواقع، من

مناح مختلفة؛ فلا شك أن لها دوراً في ذلك، فمثلاً: تقرّق اللغة الفرنسية بين معرفة شخص ما (connaitre)، ومعرفة شيء ما (savoir)، وهي تقرقة لا يعرفها نظامُ «الفعل» في اللغة الإنجليزية. وفي المقابل، فإن اللغة الإنجليزية تشتمل في مجال «الضوء» على حَشْد من الأفعال، يجسد فروقًا جِدّ دقيقة لأشكال الضوء، مما لا نجده في اللغات الأخرى، ومن تلك الأفعال: glimmer (يومض)، وإنتوقج)، glimmer (يتلألاً).

وأما ما هو محل شك، فهو مدى صحة القول بأن هذه الاختلافات في الوصف اللغوي لـ «الواقع»، تعكس اختلافات أعمق في أنماط «الفكر»، أو «الإدراك الحسيّ».

## تلفييص

يُعنى علم الدلالة بدراسة قدر وافر من الظواهر اللغوية، منها: طبيعة المعنى، ودور البنية التركيبية في تفسير معاني الجمل، وتأثير «التداولية» pragmatics ومعارف المتكلم في فهم المنطوقات اللغوية. وعلى الرغم من استمرار وجود مشكلات عويصة في كل من هذه المجالات، فإن الدرس الدلالي قد نجح — في الأعوام الأخيرة — في تحديد أنماط «العلاقات» و «الآليات»، و «المبادئ» اللازمة لـ «فهم» اللغة. ومن نلك: فكرة «الماصدق» ومتطلبات التحكم المكوئي» -C دراسة معنى الكلمة، وفكرة «متطلبات التحكم المكوئي» -C

Command Requirement ادى تفسير الضمائر، وفكرة تعيين الدور المحوري Thematic role ادى تفسير معنى الجملة

# Sources المادر

تشتمل كثير من الكتب ــ تلخيصاً ومناقشة ــ على كثير من النظريات المتعلقة بطبيعة معنى الكلمة، وبالعلاقات الدلالية. ومن هذه الكتب الكتابان المنكوران أسفل (في القراءات المقترحة) لكل من «فودر» Fodor و «كمبسون» Kempson.

وأما مبدأ التعاون (في المحادثة)
Paul وأما مبدأ التعاون (في المحادثة)
Paul «بول جرايس» Principle في مقالته المهمة Logic and Conversation (علم المنطق Grice في كتاب Syntax and Semantics 3 (علم التركيب وعلم الدلالة ٣) الذي حرره كلٌ من «كول» P.cole ومورجان» New York: Academic Press, J.Morgan «مورجان».

وأما نظرية الحدث الكلامي Speech Act Theory فقد How to Do غرضت في كتاب «أوستن» J.Austin الشهير: Things with Words (كيف تتجز أشياء باستعمال الكلمات) (Oxford: Clarendon Press, 1962).

وأما نص «إدوارد سابير» Edward Sapir الوارد في مقال موضوع «اللغة والفكر» فقد تم اقتباسه من فقرة وردت في مقال «وُرنف» The Relation of Habitual Thought and « Whorf (علاقة أنماط الفكر والسلوك باللغة)، Behavior to Language Language, Thought and وهو المقال الذي أعيد نشره في كتاب Reality (اللغة والفكر والواقع) الذي حرره «كارول» J. Carroll (اللغة والفكر والواقع) الذي حرره «كارول» (Cambridge, Mass.: MIT Press, 1956)

وأما نص «ورُرْف»، فقد تم اقتباسه من مقاله Science and (العلم وعلم اللغة)، وهو المقال الذي أعيد نشره كذلك في كتاب «اللغة والفكر والواقع».

وأما تلك المحاولة التي نُفَنت التحقق \_ تجريبيًا \_ من صحة افتراض «سابير» و «وُرثف»، فقد ذُكرتُ في مقال مشترك لكل من J. Casagrande «كارول» J. Carroll و «كازاجراندي» J. Carroll ، بعنوان: The Function of Language Classification in Behavior (دور التصنيف اللغوي في السلوك) . وقد نُشر هذا المقال في كتاب Readings in Social Psychology (قراءات في علم النفس الاجتماعي) الذي حرره «ماكوبي» E. Maccoby وآخرون (York: Henry Holt, 1958).

# قراءات مقترهة:

- Fodor, Janet Dean. 1978. Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammar. Cambridge, Mass.: Harvard University Press.
- Hurford, James and Brendan Heasley. 1983.
   Semantics: A Coursebook. London: Cambridge University Press.
- Kempson, Ruth. 1977. Semantic Theory. London: Cambridge University Press.
- Lyons, John. 1977. Semantics. Vols. 1 and 2. London: Cambridge University Press.
- McCawley, James. 1981. Everything That Linguists Have Always Wanted to Know About Logic. Chicago: University of Chicago Press.

# مصادر وهواشي الترجمة

# ١ - المصادر العربية والمترجمة

## • د. أحمد المتوكل:

 اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي، ضمن كتاب مؤتمر «البحث اللساني والسيميائي»، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.

## • أوستين:

نظریة أفعال الكلام العامة (كیف نتجز الأشیاء بالكلام)،
 ترجمة عبدالقادر قینینی، أفریقیا للشرق ــ الدار البیضاء
 ۱۹۹۱م.

## • د. حلمي خليل:

العربية والغموض، دار المعرفة الجامعية \_ الإسكندرية ١٩٨٨م.

# الرُّماني (أبو الحسن علي بن عيمى):

الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، تحقيق د. فتح الله صالح المصري، دار الوفاء ... المنصورة ١٤٠٨هـ ...

## ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق):

 كتاب الإبدال، تحقيق د. حسين محمد شرف، مجمع اللغة العربية ١٣٩٨هــــ ١٩٧٨م.

## سليمان بن بنين الدفيقى:

اتفاق المباني وافتراق المعاني، تحقيق د. يحيى عبدالرؤوف
 جبر، دار عمّال ـ عمّان ١٤٠٥هـــ ١٩٨٥م.

## • طالب سيد هاشم الطبطبائي:

نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين
 والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت ١٩٩٤م.

## • د. مرتضى جواد باقر:

مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق ـ عمان
 ٢٠٠٢م.

## ٢- المصادر الأجنبية

### · Aitchison, Jean:

 Linguistics, Hodder & Stoughton, London, 1992.

## · Crystal, David:

 An Encyclopedic Dictionary of Language and Languages, Blackwell, Oxford, 1992.

#### Hartman R.R.K. and Storck F.C.

 Dictionary of Language and Linguistics, Applied Science Publishers LTD, London, 1976.

## · Riley, Kathryn and Parker, Frank:

- English Grammar, Allyn and Bacon, London, 1998.
- The Encyclopedia Americana (International Edition), Grolier incorporated, 1992.
- The New Encyclopedia Britannica, Encyclopedia Britannica, Inc., 2003.

#### • Trask R.L.:

 A Dictionary of Grammatical Terms in Linguistics, Routledge, London, 1993.

# مصطلح "المعنى" فى كتاب سيبوبه (دراسة فى ضوء علم المصطلح)

د. صبحی إبراهیم الفقی ۱٤۲۷هـ - ۲۰۰۳م

#### المقدمة

لقد اتجهت جل الأبحاث اللغوية؛ قديماً وحديثاً، صوب دراسة «المعنى»؛ وذلك لأهميته القصوى، ليس فى اللغة فحسب؛ بل فى كثير من مجالات الدراسة؛ في «المعنى» قمة الدراسات اللغوية من ناحية، والهدف من الكلام فى أى من المجالات هو توصيل «المعنى»؛ فهو مصطلح قديم جديد فى كثير فى اللغة وغيرها.

وقد انجه علم اللغة المعاصر نحو دراسة هذا الفرع اللغوى؛ ابتداء من بيان مفهومه، ومروراً بكيفية تحصيله، والتغيرات التي يمر بها عبر العصور، بالانتقال، أو التوسيع، أو التضييق، أو الرقى، أو الانحطاط... إلخ من القضايا المتصلة به مثل السياق بنوعيه.

لكن دراسة هذا المصطلح فى مصادر النحو العربى، على وجه الخصوص «الكتاب» لم تلق دراسة مستقلة عبر علم المصطلح على الرغم من أهميته القصوى كما أشرنا.

والنقطة الأخيرة تلقى الضوء على الفكرة التى سيدور حولها هذا البحث، فلن يتجه نحو دراسة «المعنى» بالصورة التى اتجهت نحوها جُل الدراسات اللغوية الغربية والعربية، لكن بدراسته عبر علم المصطلح "Terminology"، ما دلالته عند القدماء والمحدثين، ثم الدلالات التى حملها عند سيبويه.

والانجاه نحو تحديد المصطلحات له أهمية قصوى فى تحديد معالم المصطلح، وتحديد المجال الذى يستعمل فيه، ومن ثم استقرار العلم الذى يقع هذا المصطلح فيه، وكذا التخلص من حالة الاختلاف فى دلالة المصطلحات التى يشهدها كثير من مصطلحات علم اللغة.

ونظراً لكثرة الدراسات حول «المعنى» منذ القدم وحتى يومنا هذا، فان يخوض هذا البحث فى القضايا المتصلة بـ «المعنى» كما أشرنا، لكن التركيز سيكون على التنظير المختصر، ثم الدراسة التطبيقية، بمعنى إبراز دلالة المصطلح، لغة واصطلاحاً، ثم دلالته حديثاً، عربياً وغربياً، عبر بعض دراسات اللغويين المحدثين، ثم الدراسة التطبيقية فى «الكتاب» كما سيتضح من خطة البحث.

وغنى عن الذكر أن الدراسة الاصطلاحية، أو علم المصطلح فرع من علم اللغة التطبيقي(١)، Applied Linguistics، وهذا الجانب لا شك في حاجة المكتبة العربية.

وهذا المصطلح قد توفرت فيه كل العوامل التى تؤهله لأن يُسمى مصطلحاً، وذلك لكونه دالاً على مفاهيم محددة، وكونه مفرداً، ومتفقاً عليه نقريباً... إنح من العوامل أو شروط المصطلح(٢).

 <sup>(</sup>١) د. محمود فهمى حجازى: الأسس اللغوية لحم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت، ص ٣٤.

<sup>(</sup>٢) السابق، ص ٢٤ ـ ٢٨.

وليس الانجاه نحو علم المصطلح جديداً في ذاته، لكنه يمثل أهم مظاهر استقرار العلوم عامة، والعلوم اللغوية خاصة، ولهذا كثرت الدراسات التي تدور حول علم المصطلح بصور واضحة (٢).

وسوف تسير خطة الدراسة على النحو التالى:

<sup>(</sup>٣) بالبحث في شبكة المطرمات الدولية «الإنترنت» تبين أن عدد المواقع البحثية حول علم المصطلح اللغوى Linguistic Terminology هو ١٩٦٠، وعدد المواقع الذي تبسحت في Terminology هو ٤٨١٠٠٠٠ . تاريخ هذا الإحسمساء ٢٠٠٥/٥/٣١ .

## العنوان: مصطلح "المعنى" عند سيبويه بدراسة في ضوء علم المصطلح

المقدمة : وتدور حول الدراسات السابقة ، وأهمية هذا الموضوع ٠

المبحث الأول: مصطلح "المعنى" بين سيبويه وعلم اللغة الحديث ؛ وينقسم إلى: أولا: تعريف المصطلح:

أ- التعريف اللغوى • ب- التعريف الإصطلاحي •

ثانيا: مصطلح "المعنى" بين سيبويه وغيره:

أ \_ورود مصطلحي "المعني" و "الدلالية" عند سيبويه وبعض اللغوبين العرب ؟ مثل: المبرد وابن السراج وابن جنى والزمخشري وابن هشام • وكيفية تعامل سيبويه مع المصطلح •

ب \_ مصطلح "المعنى" عند المحدثين •

المبحث الثاني: مصطلح "المعنى" على المستوى النحوى:

١ - العمل النحوى •

٢ - التقدير النحوى ٠

٣ ـ مصطلح المعنى وأقسام الكلمة •

المبحث الثالث: مصطلح "المعنى" على المستوى الدلالي:

١ ــ التر ادف ٠

Y - 1444 :

أ- الدلالة الاجتماعية •

ب- الدلالة النحوية أو التركيبية •

المبحث الرابع: مصطلح "المعنى " على مستوى الأساليب •

- أهم المصادر والمراجع ·

فهرس النحث •

لقد أفرزت الدر اسات اللغوية القديمة والحديثة عددا كبير ا من الدر اسات العامة والخاصة على النحو التالي :

أولا : مصادر النحو العربي جميعها ؛ فلم تترقف مادتها على الموضوعات النحوية فقط ؛ بل اشتملت كذلك على قضايا كثيرة متصلة بـ"المعنى" ؛ وليس ادل على ذلك من اشتمال كتاب سيبويه (١٨٠هـ) على ذلك من اشتمال كتاب سيبويه (١٨٠هـ) على ز٢٤٢) موضعا لمصطلح " المعنى" ومشتقاته المتعددة ؛ غير المترادفات التي تدور في المجال الدلالي لهذا المصطلح ولم يتوقف الأمر عند سيبويه بل تعداه إلى من عاصره ، ومن جاء بعده ؛ وهذا أمر طبيعي ؛ لأن أغلب من جاء بعده دار في فلكه ؛ بالشرح ، والنقد ، والتبويب ، والترتيب ، والترتيب ، والبح أ ،

ثانيا: مصادر لغوية تخصصت بكاملها في بعض قضايا " المعنى" ؛ مثل: كتب (الأضداد في اللغة) لكل من: ابن الأنباري، و ابن السكيت، و أبي حاتم، و أبي الطيب اللغوي، و الأصمعي و وكتب (المشترك) ؛ مثل كتاب (ما اتفق لفظه و اختلف معناه) لأبي العميثل الأعرابي، وكتب الأشباه و النظائر ١٠٠٠ الخ و

ثالثا: أما الدر اسات الحديثة فالحديث عن "المعنى" فيها كثير جدا عن تلك الدر اسات القديمة ؛ على وجه الخصوص حينما عُدّ "المعنى" الوجه الثاني لعملة التحليل اللغوي: منظومة الشكل و المعنى؛ ومن ثم توجهت معظم الدر اسات اللغوية الحديثة تلقاء "المعنى" ؛ خاصة عند الحديث عن التحليل اللغوي ، أو كتب (مقدمة في علم اللغة) ° ٠

أما عن أهمية هذا البحث من بين هذا الكم الكبير من الدراسات حول المعنى ، فتكمن في أن معظم هذه الدراسات ، إن لم تكن كلها ، قد اتجهت نحو معالجة المعنى بوصفه العنصر المقابل للشكل ، أو من خلال القضايا المتصلة بالمعنى كما أشرنا مثل السياق وغيره ، لكن هذا البحث يتجه نحو سير هذا المصطلح بين المستويات

موضعاً عن (المشي) ؛ وذلك بالتاريخ السابق ناسه ،

<sup>\*</sup> ـ قطّر تفصيل الاحصاءات الواردة عن بعض التحويين قلدماء لمصطلحي "المطى" و"الدلالة" في الوزء الخاص بـ "مصطلح المشي بين سيوريه وغيره" ،

<sup>5</sup> ـ الظَّار على سبيل المثال:

ـ د «محمود السعران ؛ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دان المعارف ، مصر «الطيعة الأولى» ١٩٦٧ • ـ د «لحيد سفتان عمر ؛ علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر «الطيعة الثانية » ١٩٨٨ •

ـ مدخل إلى علم اللغة نقل من د • محمود قهمي هجازي و د • رمضان عبد التواب و د • حامي خابل ـ د • محمود سليمان ياقوت : قضايا التكدير القحوي بين القدماء والمحدثين

ـ د، فقير الداية : علم الدلالة العربي ؛ النظارية والتطبيق حراسة تاريقية ، تاصيلية ، نادية ، دار الفكر ، دمشق ، صورية ، الطبعة التحد . وه و د .

<sup>-</sup> أستوراني و و الكلمة في اللقة ، ترجمة د - كمال يشر ، مكتبة الشيف ، فقاهرة ، مصر ، ١٩٩٠ -- ماريوياي: أسس علم فلفة ، ترجمة د - لحد مختار عمر

<sup>-</sup> أن ال المرابع علم الدلالة إطار جديد ، ترجمة د ، صبري إبراهم السيد ، دار المعرفة الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ - ١٩٩٠ - Palmer .F. Semantics, Cambridge :Cambridge University Press. 1981

<sup>-</sup> John Lyons.Semantics. London:Cambridge University Press. 1977
- كذلك يوجد عبد ١٠٠٠ و ١٠٠٠ و١٠٠ تتيجة عن المسلمات "Semantics" التيجة عن التيجة عن المسلمات "Yerantics" ولا التيجة عن المسلمات "Meaning" ولله يتاريخ ١٢٠ - ١٠١ على الشبكة لقولية السطومات والإنترنت المسلمات "Meaning" ولما المسلمات المسلم

اللغوية الأخرى؛ خاصة (النحو) و (الدلالة) ، لكن على المستويين المعجمي والصرفي كان قليلا ، فقد اتضح أن هذا المصطلح سوف يحمل دلالات أخرى غير ما انققت عليه تلك الدر اسات السابقة ،

وكذلك تكمن الأهمية في أن علم المصطلح "Terminology" يُعد جديدا نسبيا أ بالقياس إلى قضايا علم اللغة الأخرى ؛ فقد اتجهت الدراسات الحديثة في الشروع في عمل ما يسمى بـ "بنك المصطلحات Term-banks" أ ؛ تلك التي تشبه الموسوعات العلمية ،

وهذا البحث يعد كذلك دعوة إلى محاولة البحث في مصطلحات اللغة ؛ وذلك من خلال الاستعمال الواقعي لها في كتب التراث ؛ وذلك للتأصيل لهذه المصطلحات في محاولة لإعداد ما يُسمى ببنك المصطلحات اللغوية في الكتب التراثية مقارنة بتلك المصطلحات في علم اللغة الحديث ه

ولعل السبب في اختيار (الكتاب) مجالاً للتطبيق ؛ ما احتله من قيمة لاتخفي عن كل ذي لب ؛ وكذلك لاشتماله على "مصطلحات النحو إلا أقلها"^، بل بعد أكثر الكتب التراثية ذكر! لمصطلح " المعنى" كما سيتضبح أ .

<sup>6-</sup> J.C.Sager, Apractical course in Terminology processing, Amsterdam, 1990.

<sup>7.</sup> D. Gibbon, R. Moore, R. Winski, landbook of Standards and Resources for spoken Language Systems, Mouton de Gruyter, Berlin, 1997

<sup>\*</sup> ـ د عبد الإله تبهان : الأسس الموضوعية لتضاة المصطلح في فلقد العربي أقلام ، مجلة القرات العربي ، الحاد الكلاب العرب ، تمشق ، صورية ، الحد ٥٠ ، المناة الخاصية عضرة ، أيريل ، ١٩٥٥ ،

نمشق ، سورية ، الحد ٥٩ ، السلة الفاسنة عشرة ، أيريل ، ١٩٩٥ ، \* ـ قد ورد هذا المصطلح بمشاللة في (٢٤٢٠) موضعا من الكتاب ،

#### المبحث الأول: مصطلح" المغنى" بين سيبويه و علم اللغة الحديث أو لا: " المعنى" لغة و اصطلاحا

ويتقق ابن منظور مع الرازي في هذه الدلالة اللغوية `` و ابن فارس كذلك يتقق مع هذين العالمين لكنه بضيف قائلا : " • • وقال : هذا معنى الكلام ، ومعنى الشعر ؛ أي: الذي يبرز من مكنون ما تضمنه اللغظا " ' أمغير أن الأزهري يبرى أن " المعنى والتفسير والتأويل واحد • • • ومعنى كل شيء • • • حاله التي يصمير إليها أصره " ' • ويضعيف الفيروز أبدي على ما سبق أن " عنوت الشيء : أبديته م • • • وعنو أن الكتاب : سمته ، كمعناه • • • • الله الكتاب : سمته ، كمعناه • • • • • الله عندوت الشيء : المدينة و المد

يتضبح مما سبق أن المعنى اللغوي لهذا المصطلح يدور حول عدة دلالات هي :

- الإخراج،
- الإظهار ·
  - I'l ko .
  - القصد •
- الحال التي يصير إليها
  - . ابداء الشيء ٠

فهل لهذا المعنى اللغوي علاقة بالمعنى الاصطلاحي؟

<sup>&</sup>lt;sup>10</sup> - الرازي: مختار الصحاح ، تجليق محبود غاطر ، مكتبة ليتان ، بيروث ، ١٩٩٥ ، ص١٩٩ -

ا ماردي: محمر المصحح ، تجميع محمود عصل ، مصب بين ، ايروت ، الدار على ، المارد . المارد . المارد . المارد . الم [[ - اين متطور : لمبان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ايتان ، الطيمة الأراني ، مادة (هذا) ، د-ت ،

<sup>11 -</sup> ابن قارس: مقلبيس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون ، دار إحياه الكلب العربية ، الأعادة ، 1971 - 1 12 - الأورى : تهذيب اللغة ، تحقيق عبد الحليم النجار ، على حسن الهلالي ، يعاوب عبد النبي ، الدار المصرية العامة الثاليف

<sup>&</sup>lt;sup>15</sup> - J.Richards, J.Pfatt and H. Weber . Longman Dictionary of Applied Linguistics . Longman . 1987 . p.172

<sup>&</sup>lt;sup>16</sup> - R.L. Trask. Key concepts in Language and Linguistics. Routledge . London .1999 . p.181 .

ويشير (ديفيد كريستال) إلى أن "موضوع المعنى الأساسي في سياق اللغة هو العوامل غير اللغوية ؛ مثل : التفكير ، والسياق ، والمعرفة ، والقصد 900إلخ"، او لاشك في أن التحديد الأخير يوحي بالخلط بين "المعنى" و"الدلالة" ؛ فعلم الدلالة يهذه القضايا التي أشار إليها كريستال ؛ وقد أفاض في الحديث عن علم الدلالة كثير ا في موسوعته دون التعرض لتعريف محدد للمعنى ؛ بل جعله مر ادفا لعلم الدلالة حينما أشار إلى مستويات التحليل اللغوي: الأصوات ، والتركيب ، والمعنى؛ أو الشكل والمعنى ؛ المعنى ، والمعنى؛

أما عن اللغويين العرب المحدثين ؟ فغي الوقت الذي نجد فيه المدكتور أحمد مختار عمر ، في كتابه (علم الدلالة) ، لم يذكر تعريفا لمصطلح "المعنى" ؟ نجد الدكتور فايز الداية لايذكر تعريفا مباشر اللمصطلح ؟ بل رأى تبعا لابن قتيبة أن " مجموعة الإبيات التي تعبر عن فكرة مكونة من جزئيات فإنها تتضوي جميعها تحت كلمة (المعنى) " ١٠ ويرى كذلك أن ربط الناقد لجزاء العبارات بالغرض أو الفكرة التي يدور عليها الكلام ؟ بدعوه ابن قتيبة مصطلح (المعنى) " ٢ ؛ بل يذكر أن " النقاد الملقو المصلح والمعنى على الفكرة العامة لنص شعري ، وما تتفرع البه من أفكار جزئية مكونة لها ، ويدل على ما يشتمل عليه بيت و احد من أفكار عدة أو فكرة واحدة فرة واحدة فرودة ولما تتشعب إليه من صفات

واضح من هذه الاقتباسات أن هناك عدم ذكر لمعنى المصطلح من ناهية ، وخلطا بين المعنى وعلم الدلالة من ناحية ثانية ، واتفاقا على أنه يمثل العوامل غير اللغوية ثالثا ، والفكرة العامة للنص رابعا ٠٠٠ الخ<sup>٢٢</sup> ، بل أشار بعضهم أن "المعنى من المفاهيم المعقدة" ٢٠

#### ثانيا : مصطلح "المعنى" بين سيبويه وغير ه

D. Crystal 0 A Dictionary of Linguistics and Phonetics .Oxford . UK 1986 . p.190
 D. Crystal 0 The Cambridge Encyclopedia of language . Cambridge . USA . pp.83,100

<sup>&</sup>lt;sup>19</sup> ـ د فقير قد اية : علم قدلالة للعربي التظرية والتطبيق بخراسة تقريفية ، تاسئيلية ، تقدية ، دار فلفكر ، دمشق ، سوريّة ، فطبعة فلفتية ، ١٩٩٦ ، ص٣٨ ،

<sup>&</sup>lt;sup>20</sup> ء آسابق ، 21 ء آسابق ، س ۱۹ ،

<sup>21 -</sup> باتشان في ان مشكلة تحد التعريفات يعد سبيا في اضطراب المصطلح ؛ وقد تحدث البعض عن هذه القشية (اضطراب المصطلح ) علمة ، تقطر حطى سبيل المثاني د ، شراشار حيد القادر : اضطراب المصطلح في الدراسات الأدبية والثامية ، مجلة الموقف النبيء ، المداد الكتاب العرب دعشق ، الحدد ۲۷۷ ، أيلول ۲۰۰۱ . و : د ، خالا يستدي : تحد المصطلح وتداخله ، مجلة التراث العربي ، المداد الكتاب العرب دعشق ، الحدد ۲۸ ، احداد مزيران ۲۰۰۵ . و : د . خالا يستدي :

#### ا- ورود المصطلح عند سيبويه وبعض اللغويين القدماء

ان المتأمل في "الكتاب" خاصة ، وبعض من جاء بعده من اللغويين ، البجد أنهم استعملوا مصطلح "المعنى" بصورة لافتة للانتباه ؛ بالمصطلح معرفة تارة ، ونكرة تارة أخرى ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذا المصطلح قديم من ناحية ، وأنه لم يكن بعيدا عن اتجاهات التحليل اللغوى قديما من ناحية أخرى ،

وقد لوحظ أن استعمالاته عند غير سيبويه - تقريبا - هي الاستعمالات نفسها ؟ وهذا أمر بدهي ؟ لأن جل هذه المصنفات اللغوية دارت في فلك سيبويه بصورة أو باخرى؛ وذلك لأن المصنفف الرائد في أي من العلوم ، في الغالب ، يمثل مركز دور ان كثير من الدراسات التي تأتى بعده ،

وقد قمت باستقراء مصطلح "المعنى" ومشنقاته ، بل مصطلح "الدلالة" كذلك ومشتقاته ، عند سيبويه وبعض ممن جاء بعده أناء وهذه المصنفات كالتالي:

- ۱ ـ الكتاب لسيبويه (۱۸۰ هـ)
- ٧- المقتضب المبرد (٢٨٥)
- ٣- الصول في النحو لابن السراج (٣١٦هـ)
  - ٤- الخصائص لابن جني (٣٩٢هـ)
    - ٥- المفصل للزمخشري (٥٣٨هـ)
  - ٦- مغنى اللبيب لابن هشام (٢١٧هـ)

وأسفر هذا الاستقراء عمايلين

i	المجموع	دلالتهما	دلالتها	دلالته	دلالة	الدلالة	معنى	المعنى	الاسم
-	727.			۲	77	١٨	1574	904	سيبويه
	£ 4 V			١	٣	۲	YEL	1.4.1	المبرد
	٤٣٠						771	199	ابن السراج
	809	1		Y	YY	٣.	١٧٨	171	ابن جني
	۱۷				Y	١	٤	15	الزمخشري
	٤١٧		١		7	٤	۲٠٦	711	ابن هشام

<sup>.</sup> \* ـ تم هذا الاستقراء عن طريق المحاسوب ؛ من خلال القرص المضاوط ( CD) ؛ يعنوان جمكنية الذمو العربي ، الإصدار الثقي ، مركز التراث للبرمجيف، المخاهرة ، ولتنافيد الإستقراء فرجع إلى:

<sup>-</sup> سيويه: الكتاب ، تحقيق الشيخ عبد السلام مارون، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى، دات ، - الميرد - الملتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشيءون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٩٩ ،

<sup>-</sup> منيرد : معتصب ، تحقيق محمد عبر تحقيق عصيبه ، تمجس توغير نصيحون ويتبحث معادره ، ١٠٠٠ . - ابن السراع: الأسول في التجر ، تحقيق د -عبد قمحسن القائلي ، موسسة لارسلة ، بيروت ، الطبقة أنثلثة ، ١٩٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م - ابن جاني : الخملص ، تخلق محمد على التجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، الطبعة أنثلثة ، ١٩٨٧ م

<sup>-</sup> الزمقشّري : الملصلّ ، تحقيقٌ د علي يوّسلدم ، مكتبةً الهلال ، ييروت ، الطبعةُ الأولى ، ١٩٩٣ . - اين الشام : مقتي الليب ، تحقيق مازن الديارك ومحمد على معدالة، دار اللكر ، ممثق ، سورية ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٥ .

فمصطلح "المعنى" أكثر ورودا عند سيبويه، وأقل ورودا عند الزمخشري، في حين أن مصطلح " الدلالة" أكثر ورودا عند ابن جني، وأقل ورودا عند ابن السراج ؛ حيث إنه لم يرد مطلقا عنده ، ويصفة عامة مصطلح " الدلالة" أقل ورودا في هذه المصنفات قياسا بمصطلح " المعنى" .

أما عن كيفية تعامل سيبويه مع مصطلح المعنى فتكمن – بإيجاز - في أنه لم يكتف بمعالجة المصطلح بوصفه الوجه المقابل لمصطلح الشكل ؛ كما عالجه علم اللغة الحديث ؛ بل تعدى ذلك النمط إلى استعماله على كل المستويات التحليلية :

- الصوتي٠
- الصرفي،
  - النحوي٠
  - الدلالي.

لكن الباحث ، من خلال استقراء استعمالات سيبويه لهذا المصطلع ، وجد أنه استعمله بصدورة أكثر في المستويين ( النصوي والدلالي) ، وقليلا جدا على المستويين (الصوتي والصرفي) ° ۲ ·

وليس المقصود هذا الربط بين المستويات عند سيبويه ، على الرغم من كونه قدم " أقدم صور التعبير عن المقابلة بين الشكل و المعنى " على حد تعبير د ، فايز الداية لقدم صور التعبير عن المجالات الدلالية التي استعمل فيها المصطلح ؛ على وجه الخصوص القضايا النحوية ، من ناحية ، و القضايا الدلالية من ناحية أخرى ؛ فقد الختلف معنى المصطلح من مستوى إلى أخر ؛ بل من قضية إلى أخرى في المستوى نفسه ؛ فقد جاء هذا المصطلح في المستوى النحوي بدلالا منها:

- التقدير النحوى ·
- العامل النحوى •
- أقسام الكلمة " الفعل- الاسم- الحرف" •

<sup>25</sup> ـ فلد استعمل المصطلح بمشي (التنكير ) أهيانا ١٩/٢ ، ٢٠ وأميل بمعنى قعول ١٩٧/٢؛ والقياس الصرائي ٢٤٨/٣. • • • إلغ

<sup>24 -</sup> د فايل الد فية: علم الدلالة العربي التظرية والتطبيق عرضة تاريقية ، تضباية ، تادية ، من ٢٢ .. ٣٠ ،

#### مصطلح "المعنى" عند المحدثين

لقد أشرنا في المبحث الخاص بالمعنى الإصطلاحي لهذا المصطلح إلى نظرة بعض الدر اسات الحديثة اتجاهه ؛ ففي الوقت الذي اتجه فيه سيبويه نحو استعمال المصطلح مرتبطا بعدد من المستويات اللغوية ، نجد المحدثين يعالجونه بوصفه المجال الذي يدرسه "علم الدلالة" ؛ إذ يعد أبسط تعريف له "هو علم در اسة المعنى" ، "٢٠

وكذلك اتجه علم اللغة نحو دراسة القضايا المتعلقة بالمعنى مثل:

- تغير المعنى ·
- توسيع المعنى •
- تضييق المعنى
  - انتقال المعنى
- سياق الحال •
   المحالات الدلالية
- الصلة بين المعنى و المستويات الأخرى ·
- · العلاقات الدلالية مثل الترادف والمشترك والاشتقاق والأصداد · · الخ ·

بل أصبح المعنى مجال اهتمام كثير من العلوم الأخرى غير اللغة ؛ مثل علم النفس ، وعلم الاجتماع ، والقلمفة ١٠٠ الغ و وهذا أمر طبيعي ؛ فالهدف من استعمال اللغة في المجال اللغوي، مجال المستويات التحليلية المختلفة ، وفي المجالات الأخرى المشار إليها غير اللغة، هو توصيل المعنى .

إذن ركز علم اللغة در اساته للمعنى على المحاور التالية:

- بوصفه المجال الأساسي لدر اسات علم الدلالة .
- بوصفه أحد المستويات التحليلية المعروفة •
- بوصفه الهدف من التحليل اللغوي بصفة عامة
  - بوصعه الوجه المقابل للشكل ،

وفي هذه المحاور اتفق علم اللغة مع سيبويه ، لكنه لختلف ... أي علم اللغة ... عن سيبويه في التقسيم إلى مستويات ، وتنظيم القضايا المتصلة بالمعنى ؛ كما أشرنا ، وجعله علما مستقلا بذاته من العلوم اللغوية ، وكذلك في معالجة المعنى بعيدا عن كونه مر الفا لبعض المصطلحات النحوية والدلالية ؛ كما سيتضمح في الدراسة التطبيقية ، و لاتريد الخوض في هذه المقارنة \* ٢٠ ما سيتضمح في الدراسة

<sup>&</sup>lt;sup>27</sup> - A.S.Hornby. Oxford advanced Learner, Dictionary . Oxford University press. Sixth edition . 2000, p.1209

<sup>&</sup>lt;sup>26</sup> . تكاميل العديث عن المطى عاد المحدثين يُرجع إلى المصادر التي تشردًا إليها سابقًا •

#### ثانيا: مصطلح "المعنى" على المستوى النحوى

#### ١- العمل النحوي

من أبرز القضايا التي دار حولها التأليف النحوي ؛ من قبل سيبويه ( ١٨٠هـ) حتى عهد قريب ؛ قضية "العامل النحوي" ؛ إذ من البدهي كون الأبواب النحوية معظمها ؛ إن لم تكن كلها تدور في فلك العامل والمعمول والعمل النحوي في النهاية ، سواء أكان العامل حرفيا ،أو فعليا ، أو اسميا ،

وفي هذا الإطار دارت أبحاث كثيرة تناقش القضايا المتعلقة بهذه القضية نظرية وتطبيقاً ، وبالقبول أحيانا وبالرفض أحياناً أخرى ، غير أن المجال لايسع لتقصيل ذلك هنا ٢٠٠

أما ما يخص هذا البحث؛ فقد استطاع الباحث الحصول على مواضع كثيــرة فــي "الكتـاب" استعمل فيها "سيبويه" مصطلح "المعنى " ، وأراد بــه : العمـل النحوي" " ،

من هذه المواضع قول سببويه" • • • ومع هذا أنك ترى الصفة تُجرى في معنى يُقعَلُ بعني هذا رَجلٌ ضارب ويدا وتُنصب كما ينصب الفعلُ" • • فالصفة المذكورة هنا يُراد بها اسم الفاعل ، والدليل ما ورد في المثال "ضارب" • وقد عمل هذا الاسم عَمَلَ الفعل بنصب المفعول "زيدا" • إذا مصطلح "معنى" هنا يعنى "العمل النحوي" •

وكذلك حينما يدخل حرف الجر الزائد ، يكون ما بعده مجرورا لفظا منصوبا محلاً؛ ومثال ذلك "وإذا قلت مررت بزيد وعمرا مررت به، نصبت وكان الوجة؛ لاتك بدأت بالفعل ولم تبتدئ اسما ثبنيه عليه ولكتك قلت فعلت ثم بنيت عليه المفعول وإن كان الفعل لا يُصبل إليه إلا بحرف الإضافة؛ فكأتك قلت بمررت زيدا، ولولا أنه كذلك ما كان وجة الكلام زيدا مررت به وقمت وعمرا مررت به ونحو ذلك قولك: خشتث بصحصدره فالصدر في موضع نصب وقد عَمِلت الباء، ومثله (قل كفي بيدا بينتي ويدنية عملت الباء عملت الباء عملت والموضع موضع نصب وفي معنسي النصب "؟ ؛ إي العمل النحوي هذا النصب تقديرا ؛ فدلالة المصطلح هذا "العمل النحوي" ؛ وهو النصب المقدر ،

-777-

<sup>.</sup> أوجع .. على سبيل المثال. الدراسات التالية حول "العامل": - د · عيده الرئجمي ؛ النّحو العربي والدرس الحديث ، و د · محمود سليمان يافوت ؛ فضايا التكثير النّحوي بين القدماء والمحدثين

<sup>20 - &</sup>quot;בני מלה לבנו להיב (כי) לדי בלה בדה" להיל לי אירה לדדור צדבר ציפור דעבר בתרים בתור עתרים בריטידיה. - דדו הידוד הידוד התריי התרי התרי בי הידוד ה - דדור הידוד ידור הידוד הי

ا <sup>11</sup> - سيويه الكتاب ، تحليق عد السُكَمْ محمد هارون، دارُ الْجيل ، بيروت، الطبعة الأولى،(د.ت) ، ١٠ / ٣٠ ، <sup>22</sup> - سورة الإسراء، أية ٩٠ ،

<sup>13 -</sup> فكتاب : ١/ ٩٣ -

ومن دلالة هذا المصطلح على "العمل النحوي" ؛ حمل اللازم على المتعدى ؛ بأن يعمل عمله ؛ فيقول سيبويه: " • • • ولو قلت مررثُ بعمرو وزيدا لكان عربيا فكيف هذا لاته فيلٌ و المجرورُ في موضع مفعول منصوب ومعناه أتبتُ ونحرُها تحمل الاسمُ إذا كان العاملُ الأولُ فعلا وكان المجرورُ في موضع المنصوب على فعلٍ لا ينقض المعنى ؛ كما قال جرير :

چيْنِي يمثل بني بَدْر لقومِهم أو مثلُ أَسْرَةِ مَنْظُور بن سَيَّار ،

ومثله قول العجاج

يَدُهَبُنَ فِي نَجْدِ وِغُورُ ا غائر ا

كأنه قال ويَسلكن غورًا غائرًا لأنّ معنى يَدْهَبْنَ فيه يسلكن "٢٤

فالأفعال (مررت، جنني، يذهبن) أفعال لازمة ، لكن حملها سيبويه على المتعدي؛ فحمل مررت على أتيت، وحمل يذهبن على يسلكن ، • وهكذا • ولذلك حينما يقول: معناه أتيت ؛ فإنه يعني: عمل عمله ؛ وذلك لأن المجرور في موضع مفعول منصوب؛ على حد تعبيره كذلك • فمصطلح المعنى هنا يقصد به "العمل النحوي"؛ وهو عمل اللازم عمل المتعدي • ومن الممكن حمل اللازم على المتعدي . ومن الممكن حمل اللازم على المتعدى . ومن الممكن حمل اللازم على المتعدى . ومن الممكن حمل اللازم على المتعدى .

وكذلك يأتي مصطلح "المعنى" وير الد به "العمل النحوي" الاسم الفاعل عمل أ الفعل كما ورد في النموذج الأول من هذا المبحث؛ وكما في قوله:" • • • لو قلت: هل زيد أنا ضاريه لكان جيدا في الكلام لأن ضاربا اسمّ وإن كان في معنى الفعل" <sup>" 7</sup> ؟ ؛ أي يعمل اسم الفاعل (ضارب) عمل الفعل؛ وذلك بنصب المفعول • مع ملاحظة استعمال سيبويه عمل اسم الفاعل عصـــل الفعل في هذا النص دون تفصيل •

لكنه ورد في نص آخر بالتفصيل لنوع الفعل الذي عمل اسم الفاعل عمله ؛ فأر اد بمصطلح "المعنى" إعمال اسم الفاعل عمل الفعل المضارع الدال على الحال ، وكذلك في حال دلالته على المستقبل، بل إعماله عمل الفعل الماضي أيضا، وذلك بقوله: " • • • وتقول هذا ضارب كما ترى فيجئ على معنى هذا يضرب وهو يَعمل في حال حديثك وتقول هذا ضارب فيجئ على معنى هذا سيَضرب وإذا قلت هذا الضارب فإنما تعرفه على معنى الذي ضرَب " " الصارب فإنما تعرفه على معنى الذي ضرَب " " الصارب فإنما تعرفه على معنى الذي ضرَب " المارب فاتما تعرفه على معنى الذي ضرَب " المارب فاتما لله على المارب فاتما لله المارب فاتما لله المارب فاتما لله على المارب فاتما لله المارب فاتمار لله المارب فاتما لله المارب فاتمارب فاتما لله المارب فاتمارب فاتما

<sup>&</sup>lt;sup>34</sup> - الكتاب، ١/ ١٤ -

<sup>&</sup>lt;sup>35</sup> ـ الكتاب ، 1/1 ، 1 ، 1

<sup>.</sup> - الكتاب ، أر ، ۱۳ ، ۱۳ ، ۱۳ و من هذه الدلالة لمصطلح المخي أوله:" وإنما جاز هذا الإضمار الأن مضي الحديث في قولك: هذا ضارب زيد بعذا شترية زيدا" ( ۱۷۷ ، فلسم فقاعل اشتيف إلى زيد من إشنافة اسم فقاعل إلى مفعوله ، أقهو في تكدير المتصوب ك

وقد يكون المقصود بمصطلح المعنى إعصال الفعل الماضي (قعَلَ) عَمَلَ الفسل المقصود بمصطلح المعنى إعمَلَ الله يدّه الفسل المضارع المتصل بلام الأمر (ليفعل) ؟ " • • • و نقول زيداً قطعَ الله يدّه و زيداً ألمّ عليه العيش لأن معناه معنى زيداً ليقطع الله يده "<sup>٧٧</sup> وقد يكون المقصود بالمصطلح هنا "التقدير النحوي" ؛ فقدير الجملة:

- زيداً قطعَ الله يدّه •

هو: زيدا ليِقطع اللهُ يده ٠

والوزن السابق للفعل (قطن) يعمل عمل الفعل (أقطن) ؛ فيكون استعمال مصطلح "المعنى" العمل النحوي ؛ ويتضح هذا في قوله: "وبن شيءت نصبته على أنك إذا قلت جَعَلتُ متاعك يدخله معنى القيت فيصير كاتك قلت القيت متاعك بعضه فوق قلت جَعَلتُ متاعك يدخله معنى القيت فيصير كاتك قلت القيت متاعك بعضه وق بعض على بعض وهو مفعول من قولك بعض متاعك بعضه على بعض وهو مفعول من قولك منظم متاعك بعضه على بعض فجرى أحدهما بالأخر في قولك ولكنه في موضع الأسم الأخر في قولك ما حرى صككت الحجرين أحدهما بالأخر من قولك الحجر أن أحدهما الأخر ولكتك لوصلت الفعل بالباء كما أن مررت بزيد الاسم منه في موضع اسم منصوب ومثل هذا طرحت المتاغ بعضه على بعض لان معنى منه في موضع اسم منصوب ومثل هذا طرحت المتاغ بعضه على بعض لان معنى النقطت فاجرى مجراه و إن لم يكن من لفظه فاعل "^" ؛ فالفعل (جعل) يدخله معنى الفعل (القي) ،

و الفعل (طرّح) يدخله معنى الفعل (اسقط)؛ اي يعمل عمله النحوي ، وقد يكون المر اد بالمصمطلح هذا الدلالة ؛ وهي التر ادف ، أو المحمل على المعنى ،

ضربي زيدا و وشكة كلكه قوله: " وانظم أن مبضى ما تصب بعد أو على إلا أن كما كان معنى ما فلاسب بعد الخاه طبي قو يضي المسترية تقول بالأربيتك أن تضيئي و لاضريقان أو تسبقي فلاسفي الأرشاك إلا أن تتضيئي و الأدريك إلا أن تسبقي هذا مضي الفسب: 7 / ٢ ؛ أصمطلح "اضطر" هذا يُضعد به "الصل الشحوي" او هو التسبيد إلى - ويصدل لحالف دلالته على المسلق المعلى عام مشقعان أيما بولا أن أن المثل أما فلناط من على الخاص باب يواني المستويد المناطقة المناطقة المستويد المناطقة والمناطقة المناطقة التناطقة المناطقة التناطقة المناطقة ال

<sup>167 /</sup>۱ ناکتاب تا ۱67 /۱ ماکتاب تا ۱67 /۱ ماکتاب تا ۱۸۷ /۱ ماکتاب تا ۱۸ /۱ م

<sup>&</sup>lt;sup>19</sup> ـ الكتاب ١٩٤/١٠ -

<sup>&</sup>lt;sup>40</sup> . و فظر كالك في دلالة النفي: ١٨٧/١ ·

و أحياناً يكون العمل النحوي المقصود (الرفع) ؛ كما يرفع ناتب الفاعل ؛" وشول سسير عليسه نهسار طويسسل مويسل وان لم تُذكر الصفة وأردت هذا المعنى رفعت إلا أنّ الصفة تبيّن بها معنى الرفع وثوضحه " أ

ومن العمل النحوي بالرفع كذلك الاسم التالي لــ(كيف)؛لاْ ٥٠٠ فـي كيف معنى(يكون) فجرى (ماأنت) مجرى(ماكنت)؛ كما أن (كيف) على معنى (يكون)"

من الملاحظ منا سبق أن أغلب هذه الدلالات للعمل النحوي لمصطلح "المعنى" قائمة على الحمل على المعنى ،أو على العمل النحوي، و الدلالة الاصطلاحية هنا قائمة على الحمل على المعنى ،أو على العمل النحوي، و الدلالة الاصطلاحية هنا و قائمة على الحمل على العمل النحوي ؛ فإن ما بعد (كيف) يأتي كذلك مرفوعاً، ومن الحمل على المعنى و على العمل النحوي معا تقوله:" ومن ثمّ قالوا حسبك وزيدا لما كان فيه معنى كفاك وقبح أن يُحملوه على المضمر ثووا الفعل كانه قال حسبك وبحسب أخاك درهم م ، ، و ولما ويلا له و لخاه وويله وأباه فانتصب على معنى الفعل الذي نصبه كانك قلت الزمه الله صبله ويله وأباه فانتصب على معنى الفعل الذي نصبه فلما كان كذلك وإن كان لا يُظهَرُ صَمله على المعنى كما أن حسبك في بلائك المعنى كما أن حسبك من على المعنى كما أن حسبك من يرتب بلا يتلهر وابن كان القوى لأنك لذكر ت الفعل كانك قلت ولقيت أباه وأما هذا لك وأباك فقيح أن وقياه وإن كان القوى لأنك لم يدنك الفعل كانك قلت ولقيت أباه وأما هذا لك وأباك فقيح أن تقصب الأب لأنه لم يذكر فعلا و لا حرفا فيه معنى فعل حتى يصير كانه قد تكلم بالفعل" أ

و مَن مَتَطَلَبَات العمل النحوي المفهوم من هذا المصطلح ؛ الأفعال التي تتعدى إلى اكثر من مفعول ؛ " الا ترى الله لو قلت أو أويت أبو من أنت أو أو أيت أزيد ثمَّ أم فلانً لم يَحسن لأنَ فيه معنى أخبر نى عن زيد وهو الفعل لا يَستَعْلَى السكوتُ على مفعوله الأول ٠٠٠ " ؛ فَحُمِل (أو أيت) على (أخبر ني) في "العمل النحوي"؛ وذلك بالتعدية إلى اكثر من مفعول ٠

۵ . ۲۲۰/۱، ب<del>انکتاب ۱</del>

<sup>·</sup> ١٩٨٢/١ ، ٢٠٤١، ٣٠٤، ٢٠١ مو الظر كذلك إشارته إلى هذه الدلالة المصطلح : ٣٨٢/١ •

 <sup>-</sup> الكلاف، ١ ( ١٦٠ - مع ملاحظة كترار مُسطلح "المعنى" في هذا المن سبع مرات .
 - الكلاف، ١ ( ١٩٦٧ - والقطر ١ (١٨٨٨ ميث الحديث عن دالالة التحدية بوسلها عبلاً تموياً دل عليه مصطلح "المعنى" وذلك لخيفاً في في عبد العزيز الكلافي:

وَجَلَنَا الْعُنَّا لِحَيْنَ لَهُمْ جَزًّا مُ وَجَنَّاتُ وَغَيَّا مُنْلَسَبِيلاً

الأن الوخسيدة مسيديّل إلى المسيني علي سبي المسيدواء أفخيّد أن الأحسيدرّ عليدسي المسيسين ولو كتب الواد كالمه المباع خلوا" ،

ويتابع مصطلح "المعنى" دلالته على (العمل النحوي) من خلال باب أخر ؛هو باب المفعول معه؛ ذلك "لأنك إنما تعطف بالواو إذا اردت معنى (مع)"<sup>60</sup>؛ أي :إذا اردت إعمال النصب فيما يلى (الواو) •

و أحياناً يجمع سيبويه تحت هذا المصطلح "العمل النحوي"مع "التقدير النحوي"؛ وذلك مثل"وشاتي حمد الله وثناءً عليه ولو نصنبَ لكان الذي في نفسه الفعلَ ولم يكن مبتدأ ليُبْنَى عليه ولا ليكونَ مبنيًا على شيء هو ما أطَهْرَ وهذا مثلُ بيتٍ سمعناه من بعض العرب ٢٠٠ يَرويه :

فقالت حَنَّانٌ ما أتى بك ههنا أَدُو نَسَبِ أَمْ أَنتَ بالحي عارفُ

لم ثرد حن ولكنها قالت أمرنا حنان أو ما بصديبنا حنان وفي هذا المعنى كله معنى النصب ومثله في أنه على الابتداء وليس على فعل قوله عز وجل (قالوا معنيرة إلى ربّكم) لم يريئوا أن يَعتذروا اعتذارا مستأنفا من أمر ليمُوا عليه ولكنهم قبل لهم لم تعظون قوما قبل أم محذرة إلى الله تعظون قوما قالوا موعظت المعنى هنا على أنه واللك من كذا وكذا يريد اعتذارا النصب "أ ؛ إذ يُقسَّر مصطلح المعنى هنا على أنه إذا جاءت هذه الكلمات مرفوعة ؛ فإنها على تقدير :

أمرنا حنانٌ وموعظنتا معذرة ١٠٠٠ الخ

لكن حين النصب؛ فإنه على تقدير فعل محنوف، وليس على تقدير اسم مبتدا، فينصب المصدر المذكور في التركيب محمولا على فعل محذوف مقدر؛ مثل سقيا وحمدا ١٠٠٠ إلخ، فالاختلاف في العلامة الإعرابية مرتبط بالعمل، ومرتبط كذلك بالتقدير:

- فتقدير الاسم يؤدي إلى رفع المبني عليه ؛يزدي إلى إعمال المبتدا في الخبر • - وتقدير الفعل يؤدي إلى نصب المبنى عليه ؛ يؤدي إلى إعمال الفعل في منصوبه • ''

ومثله النصب على الحال ؛ "٠٠٠ فإنما انتصب هذا لأثك مررت به في حال تصويت ولم ترد أن تُجعل الأخر صفة للأول و لا بدلا منه ولكتك لمًا قلت له صوت علم أنه قد كان ثم عَمَل فصار قولك له صوت بمنزلة قولك فإذا هو يصوت فحملت الثاني على المعنى وهذا شبية في النصب لا في المعنى بقوله تبارك وتعالى (وَجَاعِلُ الثاني على المعنى وهذا شبية في النصب لا في المعنى بقوله تبارك وتعالى (وَجَاعِلُ الثاني على القارئ أنه الثال سكنا وهذا قليم القارئ أنه على معنى جَعَل قصار كانه قال وَجَعَل الله على المعنى فكذلك على معنى جَعَل قصار كانه قال وَجَعَل الله على المعنى فكذلك له صوت فكاته قال فإذا هو يصوت فكمله على المعنى فتصلة كاته توهم بعد قوله له صوت فكاته قال فإذا هو يصوت فكمله على المعنى فتصلة كاته توهم بعد قوله له صوت فكاته قال المتوى بتقدير الفعل

<sup>&</sup>lt;sup>45</sup> ـ الكتاب، ٢٠١/١ ، ٣٠

<sup>6-</sup> لكنفي ، (، 27 . 7- دكل مرتب من الأمكاء (كنكب ، 271/ ، 271 ، 271 ، حيث يويط بين فقيل المقدر ، والإعمال بالتصب للاسم الميتي طهه • والاحمال بالرفع كناك

بالعمل و هو النصب ؛ فالعامل فعل محذوف بو الإعمال هو إحداث النصب ، والعمل هو علامة النصب أخر المعمول ، <sup>11</sup>

وليس الإعمال النحوي مرتبطاً بالأسماء والأفعال العاملة فحسب ابل يرتبط كذلك بالحروف والأدوات كما سيتبين في مبحث مستقل °° •

إذن من خلال هذه النماذج يتضبح أن مصطلح "المعنى" دل على "العمل النحوي" من اللحوي" بالرفع تارة ، وبالنصب تارة ، وبالجر أخرى ، ودار "العمل النحوي" من خلال مصطلح المعنى حول المحاور التالية:

- اللازم والمتعدي.
- اعمال المشتق عمل الفعل ·
- إعمال الماضي عمل المضارع المتصل بلام الأمر •
- أعمال الصبيغ عمل بعضها امثل إعمال (فعل) عمل (أفعل) .
  - . إعمال الرفع كما في نائب الفاعل .
  - حمل الأفعال والأسماء على غير ها في العمل والدلالة •
- الرفع للاسم المبني على (كيف) قياساً على الاسم المبني على (يكون)·
  - النصب على الحال •
- ارتباط "العمل النحوي" بـ "التقدير النحوي" كما سيتضح في المبحث التالي •

<sup>°° -</sup> و قطر كذلك : ١/ ٣٠٤ .

<sup>50 -</sup> انظر على سبيل المثال :الكتاب ١٦٦١/٢، ١٧٣ - وانظر التقصيل في المبحث الخاص بالافوات والحروف ·

#### ٧- التقدير النحوي

يرتبط هذا المبحث ارتباطا وثيقا بسابقه ؛ إذ يرتبط "العمل النحوي" المتمثل في العلامة الإحرابية الأصلية أو الفرعية، يرتبط بـ"العامل" الظاهر أو المقدر • وما يعنينا هنا العامل المقدر أو المعمول المقدر أحياننا ، وهذا الباب واسع في النحو العربي "° •

وقد أسفر استقراء "الكتاب" عن وجود مواضع كثيرة استعمل فيها سيبويه مصطلح "المعنى" ، ودل السياق الذي استعمل فيه هذا المصطلح ، فيي هذه المواضع، دل على أنه يعني به "التقدير النحوي" \*° .

ويرتبط (التقدير النحوي) بصفة أساسية ، بما يُسمّى في النظرية التحويلية التوليدية (Transformational Generative theory(T G) - البنية المعبقة (SS)؛ أو الأصل المقدر ، أو جملة النواة ؛ أوجملة البنرة ، وللتحويل من البنية المعبقة ؛ التي تمثل الأصل المقدر ، إلى البنية السطحية التي تمثل الاستعمال اللغوي ، تمر الجملة بعدة عمليات تُسمّى : العمليات التحويلية ؛ مثل إعادة الترتيب epermutation ، والحذف deletion ، والزيادة replacement ، والإحلال

ومن مواضع استعمال هذا المصطلح ، ويُراد به "التقدير النحوي" تقدير الضمير المنصل بالفعل ؛ يقول: " • • • وإنْ قلت: زيدٌ إذا يأتيني أضرب، تريد معنى الهاء ، ولاتريد : زيدا أضرب أذا يأتيني • • • \* \* فقوله "تريد معنى الهاء " ؛ يقصد به (تقدير) الهاء الواقعة مفعولا به للفعل "أضرب" ؛ فهنا مصطلح المعنى يقصد به (تقدير المعمول) ؛ فقوله: (تريد معنى الهاء) ؛ يقصد به : تريد (تقدير) الهاء الواقعة مفعولا به للفعل (أضرب) •

وكذلك ورد مصطلح (المعنى) ، وأراد به سيبويه (تقدير حرف الجار) ؛ فيقول:" وممًا لا يكون العملُ فيه من الظروف إلا متصبلا في الظرف كله قولك سير عليه الليلَ والنهارَ والدَّهرَ والأبدَ وهذا جواب لقوله تم سيرَ عليه إذا جعله ظرف الأنه يريد

التعويلية في الجملة العربية ، ١٠٠ وغيرها -١٠ . الكتاب ١١/ ١٢٠ -

أدّ ـ قطر في ذلك: ١-د -محمود مغرمان بطوت: قضايا التغدير التجري بين اقدماء والمحتفين ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكلدرية ١- ١٠٨٠ ( المستقد المعرفة الجامعية ، الإسكلدرية ، ١٩٨٨ ( المستقد المعرفة الجامعية ، الإسكلدرية ، ١٩٨٨ ( المستقد العربية في ضوء التطوية التحويفية، رسمة منهستير ٢ - صبحي إبراهم فلقي : نظام ترتيب فكاتم في طبحلة العربية في ضوء التطوية التحويفية، رسمة منهستير

نوفلت بكلية الإدب ، جامعة طلكنا ، ١٩٩٤م ، ١٩٠٤م ، ١٣٠ ، ٢٢٠ . ٢٢٠ . ٢٨٠ . ٢٢٠ . ٢٢٠ . ٤٤٠ . (٣٢) ٢٤٠ ـ ١٤٤ . . 25 - من هذه فعواضع خلى سبيل فشاق ، ٣٤ . ٢٠٠ . ٢٠٠ . ٢٠٠ . ٢٨٠ . ٢٠٠ . ٢٣٠ . (٣٣) ٢٢ . ٢٠٠ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠٠ ـ ١٤٠ ـ ٢٠٠ ـ

في كُمْ مبيرً عليه فتقول مجيبًا له: الليلَ و النهارُ وللدهرُ و الأبدُ ؛على معنى في الليل و النهار وفي الأبد • • • ° ° •

فالبنية السطحية للتركيب النحوي: الليل والنهار والدهر والأبد .

و البنية العميقة ؛ أو الأصل المقدر لهذا التركيب. كما ذكره سيبويه. هو .في الليل والنهار وفي الأبد ؛ بل أضاف أن هذه البنية العميقة فيها استفهام مقدر سابق: في كم سير عليه؟ •

ويتضم قصد (التقدير النحوي) أكثر في تقديره للفعل الرافع للفاعل المذكور في الشاهد الشعري "

لْيَبْكَ يَزِيدُ صَارعُ لخُصومهُ ومُختيط ممّا تُطيخُ الطوائحُ "'° إذ يقول مبررا رفع كلمة(ضارع):" لمّا قال: لِيُبْك يزيدُ؛ كان فيه معنى: ليَبْك بزيدُ كما كان في القدّم اللها مسالِمة كأنه قال: لِيَبْكِهِ صَارعٌ "°°،

فيتبين أن الأصل المقدر أو (التقدير النحوي) اكما ذكره سيبويه: ليبك يزيد ليبكه ضارعً ، أو حلى حد تعبيره ليبنك يزيد ، أما البنية السطحية فإنها: ليبنك بزيدً ضارع لخصومة؛ كما ورد في المشاهد،

و العملية التحويلية هنا ، من الأصل المقدر إلى البنية العطحية ؛ هي(الحذف)؛ إذ حُذِف الفعل (يبكي) من هذه البنية ، ودل على حذفه الفعل المذكور صابقاً ،

وإذا كان الفعل المحذوف في المثال السابق رافعاً للفاعل(ضارع) ؛ فإنه ورد مثال على حذف الفعل الناصب للمصدر ؛ إذ يقول: "ومما ينتصب فيه المصدر على إضمار الفعل المتروك إظهار ولكته في معنى التعجّب قولك: ترما وصلفا، كأنه قال: الزمّك الله وادام لك كرما والزمّت صلفا، ولكنهم خرّلوا الفعل هها "" ، فالتقدير النحوي حدث عن طريق الحذف كذلك ،

لكن قد يرتبط التقدير النحوي الدال عليه مصطلح "المعنى" ، يرتبط بفعل ناصب لغير المصدر ؟ ف " وقد يجوز أن ينصب ما كان صفة على معنى الفعل و لا يريد مدحا و لا شيئا مما ذكرت لك وقال :

وما غُرتُني حَوْزُ الرِّزلمِيِّ مِحْصِنا ﴿ عُوالنَّبِهَا بِالْجَوِّ وهُو خَصِيبُ

ومحصن اسم الرزامي فنصبه على : أعني وهو فعل يظهر الأنه لم يرد اكثر من أن

<sup>55 -</sup> **123** - 14 ۲ ۲ م

<sup>56 -</sup> الكذاب ، ١٨٨/١ - 57

يعرفـــه بعينـــه ولـــم يـــرد افتخـــارا ولا مــــدها ولا ذمــــا"<sup>49</sup>؛ فالتقدير النحوى؛أعنى محصنا؛ عن طريق الحذف •

وقد يكون التقدير النحوي الحادث عن طريق (إعادة الترتيب)Permutation؛ وذلك في قوله: " ٥٠٠ و أمّا قوله : شيءٌ ما جاءً بك ؛ فإنه يَحسُن و إن لم يكن على فعل مضمر ؛ لأنّ فِيهِ معنى : ما جاء بك إلا شيءٌ " ١٠٠ م

فالأصل : ما جاء بك إلا شيء ببترتيب (١+٢+٢+١) ٠

والمستعمل: شيء ما جاء بك ؛ بترتيب (١٠٠٠ + ٣+٢ + ١٠٠٠) ؛ حيث يشير الجزء المنقوط إلى مكان الزيادة المُمَثِّلة في (إلا) ؛ والتي حُذِف أثناء التحويل؛ فالتحويل إذن تم عبر عمليتين: أما الأولى فهي (إعادة الترتيب) ، وأما الثانية فعن طريق الحذف لـ (إلا) ،

وقد يرتبط مصطلح المعنى الدال على التقدير النحوي ؛ يرتبط بنقدير المنعوت المحذوف ويقاء النعت؛ فـ" لو البدات كلاما فقلت ما مررت برجل ولكن حمار" تريد ولكن هو حمار" كان عربيا أو بل حمار" أو لا بل حمار" كان كذلك كأنه قال ولكن الذي مررت به حمار" وإذا كان قبل ذلك منعوت فاضمرئه أو اسم فاضمرئه أو أظهرته فهو أقوى لاتك تضمر ما ذكرت وأنت هنا تضمر ما لم تذكر وهو جائز" عربي لان معناه ما مررت بشيء هو رجل فجاز هذا كما جاز المنعوت المذكور نحو قولك ما مسررت برك برجسلم صساح """

فالأصل: مامررت بشيء هو رجل ، و المُستَعمل: ما مررت برجل؛ فحذف الموصوف ، وجاء بالصفة ،

وقد يرتبط مصطلح المعنى بالدلالة بالتقدير النحوي في الأساليب ؛ كما في أسلوب التوكيد ؛ فيقول سيبويه:" فأما الوجه الحمن فأن يكون محمو لا على الابتداء؛ لأن معنى : إن زيدا منطلق: زيد منطلق" <sup>17</sup> ؛ فالاستعمال اللغوي الظاهر؛ أو البنية السطحية بزيادة (إنّ) التوكيد، و الأصل المقدر بحذفها ، فسيبويه حينما أطلق مصطلح "المعنى" كأنه قال: لأن تقدير جملة : إنّ زيدا منطلق؛ هو: زيدٌ منطلق،

ولا يكتفى سيبويه بذكر الأصل المقدر وراء الاستعمال الظاهر للجملة؛ بل يتعداه المي ذكر العمليات التي تمت للتحويل من الأصل المقدر إلى الاستعمال الظاهر ؟ وذلك ظاهر في تقصيله لتمييز العدد بقوله: "٠٠٠ وذلك أنك لو قلت كم لك الدرهم لم يجز كما لم يجز في قولك عشرون الدرهم لأنهم إنما أرادوا عشرين من الدراهم

<sup>19</sup> ـ الكتاب ، ۱۹/۷ . « 19 ـ 60

<sup>60</sup> ـ الكتاب، ۲۲۹/۱ ـ 60 11 ـ الكتاب، ۲۱ ـ 11 ـ 61

<sup>•</sup> ١٤٤/٢، باغتا - 62

و هذا معنى الكلام، ولكنهم حذفوا الألف واللام، وصيروه إلى الواحد، وحذفوا (من) استخفافا ٢٠٠٠ أنَّ ؛ فذكر الأصل المقدر ،أو التقدير ، ثم أردف ذلك بذكر كيفية التحويل؛ وذلك عبر ثلاث مراحل هي:

- حذف الألف واللام من "الدر أهم" ·

- تحويل الجمع إلى مفرد: در اهم و ودر هم و

- حذف "من" أستخفافا -

وانجر ً النقدير النحوي الذي يعنيه سيبويه باستعمال مصطلح(المعنى) على الاسماء المنصوبة على التعظيم والتعجب والافتخار والتخصيص والنداء ١٠٠ الخ نحو:"

ألم نر أنا بني دارم زرارة منا أبو معبد

فإنصا اخسَص الاسم هنا ليعرف بما حمال على الكلام الأول وفيه معنى الاسم الأول وفيه معنى الافتخار • • • " أ و و و عم الخليل: " أن قولهم بك الله نزجو الفضل وسبحانك الله العظيم نصبه كنصب ما قبله وفيه معنى التعظيم • • • " • و نحو: "

يا شاعرا لا شاعر اليوم مبللة جريرٌ ولكنْ في كاليب تواضعُ

فز عما أنه غير منادى و إنما انتصب على إضمار كأنه قال يا قائل الشعر شاعرا وفيه معنى حسبك به شاعرا كأنه حيث نادى قال حسبك به ولكنه أضمر كما أضمروا في قوله تالله رجلا وما أشبهه مما ستجده في الكتاب إن شاء الله عز وجل ومما جاء فيه معنى التعجب كقولك يا لك فارسا قول الأخوص ابن شريح الكلابي :

تُمَنَّاتي لِيَلْقَاني لقيط أعام لك بنَ صنعْصنة بن سَعد

و إنما دعاهم لهم تعجبا لأنه قد تبين لك أن المنادى يكون فيه معنى أفعل به يعنى با لك فارسا" <sup>71</sup> فهذه النماذج على تقدير فعل مضمر ؛ وهذا مايقصده سيبويه بمصطلح المعنى ؛ فهي على تقدير : أفتخر - أعَظَم — حسبك به - أفعل به •

ومن المواضع التي استعمل فيها مصطلح المعنى و المقصود به التقدير النحوي قوله في سبب حذف النتوين من المضاف:" اعلم أن النتوين بقع من المنفى في هذا الموضع إذا قلت: لا غلام لك، كما يقع من المضاف إلى اسم ؛وذلك إذا قلت لا مثل زيد و الدليل على ذلك قول العرب: لا أبالك و لا غلامي لك و لا مسلمي لك، وزعم الخليل رحمه الله أن النون إنما ذهبت للإضافة ولذلك ألحقت الألف التي لا تكون إلا في الإضافة ، وإنما كان ذلك من قبل أن العرب قد تقول : لا أباك في معنى

<sup>61 -</sup> الكتاب، ٢/٧٥٢ - والظر ٢/١٦٠ كثلك،١٦٢ -

<sup>64</sup> ـ الكتاب، ٢/٣٤/ ٠ 65 ـ الكتاب، ٢/ ٢٣٠ ،

<sup>66</sup> ـ الكتاب ، ٢٧٧٧ .

لا أبالك، فعلموا أنهم لو لم يجينوا باللام لكان التتوين ساقطا كسقوطه في: لا مثل زيد" ۲۰ م

ويرتبط التقدير النحوي عنده بالمعنى أحيانا مثل قوله: "٠٠ ومثل: لاسلام على عمرو: لابك سوء؛ لأن معناه: لاساءك الله: ١٨ و المعنى كما هو واصح- الدعاء،

ولحيانا يكون معنى مصطلح "المعنى" تقدير حرف عامل مكان حرف أخر ؛ أو اجلال حرف مكان أخر ؛ مثل قوله:" حدثنا بذلك يونس وعيسى جميعا أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول ما مررت بأحد إلا زيدا وما أتاني أحد إلا زيدا وعلى هذا ما رأيت أحدا إلا زيدا فينصب زيدا على غير رأيت وذلك أنك لم تجعل الأخر بدلا من الأول ولكنك جعلته منقطعا مما عمل في الأول والكنك جعلته منقطعا مما عمل في الأول والدليل على ذلك أنه يجئ على معنى ولكن زيدا ولا أعنى زيدا وعمل فيه ما قبله كما عمل العشرون في الدرهم إذا قلت عشرون درهما ومثله في الانقطاع من أوله إن لفلان والله مالا إلا أنه شقى فأنه لا يكون أبدا على إن لفلان وهد في موضع نصب وجاء على معنى ولكنه شقى أنه لا يكون أبدا على إن

ومثله كذلك قوله:" واعلم أن معنى ما انتصب بعد (أو) على (إلا أن) كما كان معنى ما انتصب بعد (الفاء) على غير معنى التمثيل نقول الأزمنك أو تقضيني والأضربنك أو تسبقني فالمعنى الأزمنك إلا أن تقتضيني والأضربنك إلا أن تسبقني هذا معنى النصب قال امرؤ القيس

#### فقلتُ له لا تُبلكِ عينك إنَّما للحاولُ مُلكا أو نَموتَ فَتُعَدِّرَا

وقد يكون الثقدير الذي يعنيه مصطلح المعنى مؤداه (تقدير حرف محذوف) ؟ وقد شرحه سيبويه بقوله:" ١٠٠٠ إن أتينتي لأكرمنك و إن لم تأنتي لأغمنك جاز لأنه في معنى: لنن أتينتي لأكرمنك ولنن لم تأنتي لأغمنك ءو لا بد من هذه الـلام مضمرةً أو مظهرة لأنها لليمين كأنك قلت: و الله لنن أتينتي لأكرمنك" ١٠٠٠

۰ ۲۷۲/۲۰ <del>۱۵۵۱ ۱۹۲</del>

<sup>40</sup> ـ طفقاً بـ 7/ 2 . ومثله: « - • طلهم غلاماً دومضاه: طلهم همه لي غلاماً " فطريفاتهم ، 20 9 9 . 9 ـ لفقاب ، 27/ 1 وقد تقصص ميهريه بنها كاملاً بعمل هذه الدلالة: "هذا بليه ما لا يكون (لا طبي مطى لفن" ، الفقاب، 27 9 7 حيث تكون (إن) على تلفيز (عن) للاستدر ف 9 ـ ـ فقلب/ 27/ 1 وقد أيضاً بالاستار 4 .

<sup>71</sup> ـ الكتاب، ١٦٦٣ -

وقد يكون التقدير اشبه جملة محذوف؛ نحو قوله:" وقد يجوز أن تقول: بمن تمرر أمرر، وعلى من تتزل أنزل، إذا أردت معنى :عليه وبه ،وليس بخد الكلام، وفيه ضعف ومثل ذلك قول الشاعر وهو بعض الأعراب:

إنّ الكريم وأبيك يَعْتُمِلُ إِنْ لَم يَجِدُ يُومًا على مَنْ يَتَكِل "٢٧

## ف التقدير:

- بمن تمرر أمرر به ٠
- على من تنزل أنزل عليه ·
- إن لم يجد يوما على من يتكل عليه •

و هكذا يتضح من خلال النماذج السابقة أن مصطلح (المعنى) عند سيبويه قد اكتسب دلالة أخرى هي(التقدير النهوي) ؛ إسا عن طريق الحذف ، وإسا أن يكون عن طريق الإحلال ، وإسا عن طريق الزيادة ١٠٠٠ الخ ،

<sup>72</sup> ـ **(اکتاب ، ۱۳/۳** -

## ٣- مصطلح (المعنى) وأقسام الكلمة

# أ\_ الأمنم ٧٣

ليس المقصود بهذا المبحث أن مصطلح (المعنى) يعنى به (الاسم) ؛ بل يعنى به قضايا متصلة به؛ نحو إعمال المشتقات عمل الفعل، والابتداء، والإخبار ١٠٠٠ إلخ، ويلاحظ أن قضايا المصطلح المتصلة بـ(الاسم) متداخلة؛ فأحيانا تدخل قضايا العمل النحوي، وأحيانا قضايا التقدير النحوي، ٢٠٠٠ وهكذا،

ويتداخل معنى (التقدير) مع قضية تأخير المبتدأ وهو اسم في قولـ4: "٠٠٠وقـال كعب بن زهير:

بادتْ وغَيْر آيَهِنَّ مع البلي إلا رواكدَ جَمْرُ هُنْ هِباءُ ومُشَجِّـجٌ أَمَا سَـواءُ قَذَالِهِ قَبدا وغَيْرَ سَارَهُ المَغْزاءُ

لأنّ قوله : إلا رواكد ، هي في معنى الحديث: بها رواكه فحمله على شيء لو كان عليه الأولّ لم ينقض الحديث " في فالدلالة المقصودة من مصطلح "المعنى" هذا ، وفي النموذج السابق ترتبط بالتقدير ، والعمل ، غير أنه لم يرد هذا المصطلح بدلالة "الاسم" ،

أد لوحظ أثناء البحث عن مصطلح "المخى" والمقصود به "االإسم" كه لم يرد بهذا المحلى ؛ إنما جاء في طرك قضايا العمل المحدود المحدود القدوي ، وقد منهن تقلق العالى المحدود المحدو

## ب۔ الفعل

وكذلك القضايا التي تربط مصطلح "المطى" بـ"الفعل" ابتداخل فيها العمل النحوي من ناحية ، والتقدير النحوي من ناحية أخرى ، وأحيانا ثالثة يأتي مصطلح المعنى ويراد به العمل والتقدير ، وقد لاحظ الباحث أن دلالة مصطلح المعنى على هذين الأمرين؛ العمل والتقدير ، أكثر ورودا في المستوى النحوي دون الدلالات الأخرى ،

وقد ارتبط مصطلح "المعنى" بـ"العمل النحوي" بـ"الفعل" في مواضع كثيرة مديق شرح بعض منها في مواضع كثيرة مديق شرح بعض منها في مبحث "العمل النحوي" "<sup>٧</sup>؛ ومن ذلك استشهاد سيبويه بقول العجاج: " يَذَهَبْنَ فِي نَجْدِ وِ عَوْر! عَائرا ، كأنه قال ويَسلكن غورا عائرا لأنّ معنى يَذَهْبْنَ فِيه يسلكن معنى المتعدي المتعدي (يسلكن) ؛ إذن: "

مضطلح المعنى يبعني العمل النحوي للفعل ٠

ومن المواضع التي دل فيها مصطلح (المعنى) على العمل النحوي والتقدير معا قوله: "٠٠٠ لو قلت: زيد أنا ضاربه، لكان جيدا في الكلام ؛ لأن ضاربا اسمّ ، و إن كان في معنى الفعل ٠٠٠ "<sup>٧٨</sup> فقوله: (في معنى الفعل) .

و هكذا في المواضع الأخرى المشار إليها في الهامش، ونلك التي نوقشت فيما سبق ؛ تثمير إلى دلالة مصطلح (المعنى) على القضايا المتعلقة بالفعل، وأهمها العمل النحوي، وكذلك النقدير النحوي،

<sup>77</sup> ـ الكتاب ١٩٦/١ - . 28 ـ الكتاب ١٠١/١ - .

<sup>- 181/1:</sup> QUAR . 79

## ج الحروف

أما الحروف وما لها من صلة بمصطلح (المعنى) ودلالته فإننا نستطيع تقسيم هذه الصلة إلى عدة محاور هي :

١- إعمال الحروف عمل بعضها ؛ أو إحلالها محل بعضها •

٧- العمل النحوي للحروف ذاتها ٠

٣- معانى الحروف ٠

٤ - تقدير الحرف المحذوف •

فمن إحلال الحروف محل بعضها قول سببويه:" ومما يُختَار فيه النصب الأول ويكون الحرف الذي بين الأول والآخِر بمنزل الواو والفاء وتُمْ قولك لقيتُ القوم حتى زيدا ضربت أباه و أنتيت القوم حتى زيدا ضربت أباه و أنتيت القوم حتى زيدا صربت به ومررت بالقوم حتى زيدا مررت به فحتى تَجْرى مَجْرى الواو وتَمْ وليست بمنزلة أمّا ؛ لأنها إثما تكون على الكلام الذي قبلها و لا تُبَدّأ وتقول رأيتُ القوم حتى عبد الله وتسكت، فإنما معناه أنك قد رأيت عبد الله على ذلك" \* جاز أن رأيت عبد الله على ذلك" \* ؛ جاز أن تحل (حتى) محل الواو وثم والفاء ؛ وذليل ذلك الأمثلة التي ساقها سببويه في هذا الاقتباس؛ فدلالة المصطلح هنا (إعمال حتى عمل هذه الحروف العاطفة) ،

و أحيانا تشترك دلالة المصطلح بين المستوى النحوي والمستوى الدلالي ؛ وذلك فيما نقله عن الخليل إذ يقول:" وزعم الخليل أنه يجوز بعث الشاء شاة ودر همّ؛ إثما يريد شاة بدر هم ويجعل بدر هم خبر اللشاة وصارت الواو بمنزلة الباء في المعنى كما كانت في قولك كلُّ رَجُل وضيعته في معنى مَعَ" (أ؛ فالواو بمعنى (مع) دلالة ، وحدث بينهما إحلال نحوا •

واستمرت دلالة المصطلح على الإعمال النحوي في إحلال (كم) محل (رب) من الناحية النحوية بأن تعمل الجر فيما بعدها ؛ خاصة إذا كانت (كم) خبرية ؛ وذلك في قوله:" واعلم أن كم في الخبر بمنزلة اسم يتصرف في الكلام غير منون يجر ما بعده إذا أسقط النتوين؛ وذلك الاسم نحو مانتي درهم افانجر الدرهم لأن النتوين ذهب ودخل فيما قبله والمعنى معنى رب وذلك قولك كم غلام لك قد ذهب فإن قال قائل: ما شأتها في الخبر صمارت بمنزلة اسم غير منون ؟ فالجواب فيه: أن تقول جعلوها في المسالة مثل عشرين وما أشبهها، وجعلت في الخبر بمنزلة ثلاثة إلى العشرة انجر ما بعدها كما جرت هذه الحروف ما بعدها فجاز ذا في كم حين اختلف الموضعان كما جاز في الأسماء المتصرفة التي هي للعدد، واعلم أن كم

<sup>41/1 ،</sup> الكتاب ، 11/1 ·

<sup>. #47/1 , #22</sup>**1** . \*\*

في الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه رب لأن المعنى واحد إلا أن كم اسم ورب غير اسم بمنزلة من والدليل عليه أن العرب نقول كم رجل أفضل منك تجعله خبركم أخبرناه يونس عن أبي عمرو "<sup>٨١</sup>"،

# وكائنُ رَدَدُنا عنكُمُ مِنْ مُدَجِّج يجئ أمامَ الألف يردي مُقتَّعا

فإنما الزموها مِنْ لأنها توكيد فجعلت كأنها شيء يتم به الكلام وصار كالمثل ومثل نظك ولا يقام وصار كالمثل ومثل نظك ولا سيما زيد فرب توكيد لازم حتى يصير كأنه من الكلمة وكأين معناها معنى رب وإن حذفت من وما فعربي وقال إن جرها أحد من العرب فعسى أن يجرها بإضمار من كما جاز ذلك فيما ذكرنا" ٨٠ ه

فقوله :فإنما الزموها من لأنها توكيد يشير إلى أنها بمعنى (رب) في العمل النحوي ؛ ف (من) الجر ؛ كما أن (رب) للجر ، وكذلك (كأين ) هنا في معنى ( رب ) ؛ أي تعمل عملها ،

وتجمع الدلالة على المستوبين مرة أخرى في باب الاستثناء ؛ حيث تأتي (غير) بمعنى (إلا) في دلالة الاستثناء من ناحية ، وفي جربانها مجرى الاسم الذي بعد إلا من الناحية الحديثة من ناحية أخرى ؛ بل يؤكد هذه الدلالة لمصطلح الذي بعد إلا من الناحية النحوية من ناحية أخرى ؛ بل يؤكد هذه الدلالة لمصطلح (المعنى) بتكراره ست مرات في نص واحد تحت (هذا باب غير) حيث يقول :" اعلم أن غير ا أبدا سوى المضاف إليه ولكنه يكون فيه معنى إلا فيجري مجرى الاسم الذي بعد إلا وهو الاسم الذي يكون داخلا فيما تخرج منه غيره وخارجا مما يدخل فيه غيره فأما دخوله فيما يخرج منه غيره فأتاني القوم غير زيد فغير هم الذين جاءوا ولكن فيه معنى إلا فصار بمنزلة الاسم الذي بعد إلا وأما خروجه مما يدخل فيه غيره فما أتاني غير زيد وقد يكون بمنزلة مثل ليس فيه معنى إلا وكل موضع جاز فيه الاستثناء بالا جاز بغير وجرى مجرى الاسم الذي بعده إلا لأنه اسم بمنزلته وفيه معنى إلا ولو جاز أن تقول أتاني لقوم زيدا تريد الاستثناء ولا تمكر إلا لما كان إلا نصبا ولا يجوز أن يكون غير بمنزلة الاسم الذي يبتداً بعد إلا

<sup>20 -</sup> اكتاب ۱۹۰/۲۰ - هذا وقد ورد مصطلح (مشی) بدلالة الإهلال كلّله في ورود (إنّ) في مطى (ليس) ؛ فلقر سهيويه ۲۳۲/۱۰ 10 - اكتاب ۱۹۰/۱ - ۱۰ - ۱

و أحياتنا تكون دلالة المصطلح على عدم الإعمال أو الإصلال ؛ وقد أفرد سبيويه بابا يحمل هذا المعنى ؛ وهو (باب مالايكون إلا على معنى لكن)^^ ؛ فلا تميل عملها ، و لاتكون على تقديرها ، وليست بدلالتها نفسها ،

أما دلالة المصطلح على إعمال الحروف بذاتها فننه إعمال حرف الجر الزائد ؛ وذلك بقوله : " • • • كأنه قال ما أتاني أحد إلا قلان لأن معنى ما أتاني أحد وما أتاني من أحد ولحد، ولكن من نخلت هنا توكيدا كما تدخل الباء في قولك كفي بالشيب و الإسلام وفي ما أنت بفاعل ولست بفاعل • • • " • ^ ^ ^ ، فقد عملت (من) فيما بعدها لفظا فقط بينما ظل ما بعدها فاعلا في المعنى كما هو ؛ لأن (من) حرف جر زائد ؛ وعملها كذلك هنا التوكيد للنفي الكائن في (ما) ؛ ففهوم المصحطح هنا أن الموقع الإعرابي لكلمة (أحد) واحد ؛ فاعل في الاستعمالين •

ومن دلالة المصطلح كذلك على العمل النحوي للحروف ؛ عمل حروف العطف ؛ ومنها قوله:"

وَمَن لا يُقدَّمُ رِجَلَهُ مُطْمَئِيَّةً فَيُشَيَّعُ الْحَرَى الأَرْضَ يَزَلَقَ فَقَالُ النصب في هذا جيد لأنه لراد هاهنا من المعنى ما أراد في قوله لا تأتينا إلا لم تحدثنا فكانه قال من لا يقدم إلا لم يثبت زلق " عدث نصبت (الفاه) الفعل التالي لها ،

اما كون المصطلح مقصودا به دلالة الحرف فمنه قول سيبويه :" وأمّا ما يجوز فيه الفعل مضمر ا ومظهرا مقدّما ومؤجّرا ولا يستقيم أن يُبتُداً بعده الأسماء فهالاً ولا تواقع أو الا وقومًا وألا زيدا قتلت جاز ولد لا زيدا ضربت وألا زيدا قتلت جاز ولسو قلست ألا زيدا وهسلا زيدا علسى إضسمار الفعسل ولا تستكره جساز وإنما جاز ذلك لأنّ فيه معنى التحضيض والأمر "^^

فَالْسِيةُ العميقة (SS) على تقدير فعل ولذلك تُصبَّت الأسماء التي بعد هذه الأدوات ؟ فمصطلح المعنى هذا مفهومه (دلالة الحرف) على المستوى الدلالي •

ومن ذلك قوله: " ٠٠٠ فإن قلت : زيدا يومَ الجمعة لم أضرب ، لم يكن فيه إلا النصب لأنه ليس ههنا معنى جزاء ، ولايجوز الرفع إلا على قوله: كله لم أصنع ؛ ألا

<sup>84</sup> ـ الكتاب ، ۳۴۳/۲ ، 85 85 ـ الكتاب ، ۳۲۰/۲ ،

<sup>80</sup> \_ الكتاب ، ٢١٦/٢ ·

<sup>87</sup> ـ الكتاب ، ۸۹/۳ • 81 ـ الكتاب ، ۸۹/۱ •

ترى أنك لو قلت : زيدٌ يوم الجمعة فأنا أضربه ، لم يكن ، ولو قلت : زيدٌ إذا جامني فأنا أضربه ، كان جيدا ؛ فهذا يدلك على أنه يكون على غير قوله : زيدا أضرب حين ا يأتيك" أم المعنى هذا يقصد به عدم استعمال حرف الجزاء (إذا) •

وتتضح هذه الدلالة جلياً حينما يتحدث سيبويه عن المفعول معه مؤكدا أن (الواو) تعنى المعية ؛ أي بمعنى (مع) ؛ وذلك بقوله: " ومن ذلك برأسَه و الحائط كاته قال: خَلُّ أو دُّعْ راسته و الحائط ؛ فألر أسُّ مفعولٌ معه فانتصبَبًا جمعًا عومن ذلك قولهم: شأتك والحجُّ كانه قِال:عليك شانك مع الحجّ، ومن ذلك: امْر أ ونفسه مكانه قبال: دُعَ امر أ مع نفسه أفصار بنَّ الوارُ في معنى منع أكما صيارتُ في معنى منعَ في قولهم إما صنعتُ و أخاك " ' ' ؛ فالواو تحمَّل معنى المعية ؛ وأذا فإن مصطلح المعنى يراد به (الدلالة) ادلالة الحرف •

وأحيانًا يلجأ سيبويه إلى عقد مقارنة حتى يتضبح معنى المصطلح ؛ فيقارن بين الحرف الذي يعد من بنية الكلمة ، وليس له معنى حيننذ ، والحرف الذي يأتي زائدا على بنية الكلمة ؛ واصطلح النحويون على تسميته ضميرا؛ وحيننذ تكون لـه دلالـة ؛ فيقول:" • • • وكذلك سمعناً العرب الذين يخففون يقولون اتبعوا مر ه لأن هذه الواو ليست بمدة زاندة في حرف الهمزة منه فصارت بمنزلة واو يدعو وتقول اتبعي مره صارت كياء يرمي حيث انفصلت ولم تكن مدة في كلمة واحدة مع الهمزة لأنها إذا كانت متصلة ولم تكن من نفس الحرف أو بمنزلة ما هو من نفس الحرف أو تجيء لمعنىً فإنما تجيىء لمدةٍ لا لمعنيُّ وواو اضربوا واتبعوا هي لمعنى الأسماء وليس بمنزلة الياء في خطيئةٍ تكون في الكلمة لغير معنيُّ ولا تجيء الياء مع المنفصلة لتلحق بناءً ببناء فيفصل بينها وبين ما لا يكون ملحقاً بناءً ببناء" ١٠

فمصطلح (المعني) في قولنا: اضربوا ويضربون وضربوا ، يعني الدلالة ؛ إذ للواو معنى أو دلالة • لكن الياء في قولنا : خطينة ليس لها معنى أو دلالة لذاتها •

أما مجيئ مصطلح المعنى مقصودا به ( التقدير) فكثير ؛ إذ يمكننا أن نعد كل المواضع الذي جاءت فيها الحروف بمعنى بعضها البعض ؛ أو حَلَّ بعضها محلَّ بعضها محلَّ بعضها محلَّ بعض ؛ نعد المصطلح فيها داللته التقدير \* أ •

وقد يأتي كذلك بهذه الدلالة دون إحلال لحرف محل حرف أخر ؟ ومنه قوله مبررا جر تمييز (كم):" فأما الذين جروا فإنهم أرادوا معنى مِن ولكنهم حذفوها ههنا تخفيف أعلمي اللسان وصارت علمي عوضا منهسا

<sup>89</sup> ـ الكتاب ، ۱۳۷/۱ -

<sup>°0</sup> ـ الكتاب ، 1۷1/1 -

<sup>&</sup>quot; - آكنت"، "//» » و فكلك تحدث عن مشى الحرف حراما ثكر أن (أن) في مشى (أوس) ؛ أي القليء ؟ ٧ ٣٧٪ \* ـ أنزيد ما تقصيل عن فشياء القليل الموجود إلى الدعو العربي عاماً : القلاح - عيس ال فلكل . كتاب أستلاق الجليل د/ مصود ياقوت : فضايا القليل القحوى بين القدماء والمستلين - و لقتل كلك الانتهاء أولد «أستكلنا الدكتر عبده الراجسي : اللحو العربي والدرس الحديث ، وكذلك كتاب : الجوائب التحرياية في التحو العربي السَّائنا الدكتور / كريم حسام الدين ،

ومثل ذلك الله لا أفعل وإذا قلت لاها الله لا أفغل لم يكن إلا الجر وذلك أنه يريد لا والله ولكنه صار ها عوضا من اللفظ بالحرف الذي يجر"<sup>17 ،</sup>

فالبنية السطحية(SS): كم جذع بيتك مبني •

والبنية العميقة (DS) : كم من جذع بيتك مبنى ، فجاء مصطلح (معنى) والمتصود به هنا ( التقدير )؛ تقدير حرف الجر (من) ،

ومثله تقدير الفاء للمحذوفة كما قال سيبويه:" وكما قالوا في اضعطر ار إن تأتني أنا صاحبك يريد معنى الفاء فشبهه ببعض ما يجوز في الكلام حذفه وأنت تعنيه"<sup>11</sup>؛ فقوله : على معنى الفاء ؟ أي : على تقدير الفاء المحذوفة •

وكذلك تحقق هذا المعنى لمصطلح (المعنى) في حديثه عن تقدير الجازم لفعل الشرط بقوله نقلا عن الخليل: "وزعم الخليل أن هذه الأوائل كلها فيها معنى إن الشرط بقوله نقلا عن الخليل: "وزعم الخليل أن هذه الأوائل كلها فيها معنى إن فلذلك انجزم الجواب لأنه إذا قال انتنى أتك فإن معنى كلامه إن يكن منك إثبان آتك وإذا قال أين بيتك أزرك لأن قوله أين بيتك يريد به أعلمني وإذا قال ليته عننا بحدثنا في معنى هذا الكلام إن يكن عننا بحدثنا وهو يريد ههنا إذا تمنى ما أراد في الأمر "° أو فالأمثلة على تقدير (إن) ؛ فقوله: على معنى ؛ أي: على نقدير و

وإذا كان (التقدير) في المثال السابق مرتبطا بتقدير محذوف ، فإنه في المثال التالي مرتبط بحذف ، فإنه في المثال التالي مرتبط بحذف مذكور ؛ إذ يقول : "ومثل : لاسلام على عمرو ، لابك سوء ؛ لأن معناه : لاساءك الله " أ فقد انتقل التركيب من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق حذف حرف الجر (الباه) ، ومصطلح (المعنى) هنا كذلك دلالته ( التقدير) ،

ومن المواضع التي تأكدت فيها دلالة المصطلح على (التقدير) قوله في باب النصب فيما يكون مسئتنى مبدلا: "حدثنا بذلك يونس وعيسى جبيعا أن بعض العبب الموثرق بعربيته يقول ما مررت بأحد إلا زيدا وما أتاني أحد الازيدا وعلى هذا ما رأيت أحدا إلا زيدا فينصب زيدا على غير رأيت وذلك أنك لم تجعل الأخر بدلا مسن الأول ولكنسك جعلت مقطعا ممسا عمسل فسي الأول والكنسك جعلت منقطعا ممسا عمسل فيه ما قبله كما والدليل على ذلك أنه يجئ على معنى ولكن زيدا ولا أعني زيدا وعمل فيه ما قبله كما عمل العشرون في الدرهم إذا قلت عشرون درهما " \* "

<sup>&</sup>lt;sup>93</sup> ـ <del>الكذاب</del> ، ۲/ ، ۱۲ ،

<sup>•</sup> مكتفي ، ٢/١٥ وقد ورد في موضع لغر من اكتف المعيث عن تكبير القاء المحقوقة باستصل مصطلح ( المحى ) بدلالة ( النظر ) و دلالة ( التأكيف ) ١٣٤/٢ ، ١٣٤/٢ ، ١٣٤/٢ ، ١٣٤/٢ ، ١٣٤/٢ ، ١٣٤/٢ ، ١٣٤/٢ .

<sup>95</sup> ـ الكتاب ، 1 £/4 . 96 ـ الكتاب ، ٢٠٢/٢ •

<sup>7°.</sup> الكتاب ، 2017 ، وقد أكد هذه الديلة كتلك في ياب يابيه مبتشرة في الاستثناء المناطع : ما فيها أهد (لا همارا جازا به على معنى : ولكن همارا ، . . إنام ، 2017 .

فالاستثناء المفرغ يعرب ما بعد (إلا) حسب العامل الذي يسبقها ؟ فليس النصب دانما ، ولكن في المثالين:

مامررت باحد إلا زيدا •

- ما أثاني لحد إلا زيداً ٠

بالنصب فإنه على تقدير (لكن) ومن ثم حدث النصب ؛ ولذا فإن مصطلح (المعنى) هذا دلالته (التقدير) ؛ فحينما يقول: على معنى ولكن ؛ أي : على تقدير ولكن ،

#### ثالثاً: مصطلح (المعني ) على المستوى الدلالي

من الأمور التي استقرت عليها الدراسات اللغوية الحديثة ، خاصة بعد نقسيم مستويات التحليل اللغوي إلى عدة مستويات <sup>14</sup> أن هذا المستوى يهتم ــ بصورة أساسية ــ بالقضايا المتصلة بالمعنى <sup>19</sup> ولذلك فإن مصطلح ( المعنى ) ــ طبقا لهذه الدر اسات ــ أصبح له دلالة واضحة ودقيقة ؛ تصبب كلها في الدلالة ؛ أو القسم المقابل للشكل ، لكن هل ظل هذا المستوى في (الكتاب) له الدلالة نفسها؟

تبين من خلال استقراء (الكتاب) أن هذا المصطلح أراد به سيبويه عدة دلالات هي :

سي. ١- الترانف •

- ٢ ـ مصطلح (المعنى ) ويراد به (الدلالة) ٠
  - ٣- الدلالة النَّحوية ،
- الدلالة على مستوى الأساليب; التعجب النفي الاستثناء الاستفهام التوكيد
   التمني القسم التحضيض الأمر ، و الدلالة الرابعة سوف نفرد لها مبحثا
   مستقلا ،

#### ١ \_ الترادف

ج - منتبان أولمان : دور فكلمة في قلقة ، ترجمة : د - كمثل يشر ، مكتبة الضباب ؛ القاهرة ، مصر ، ١٩٩٠ - ١ - وغيرها • 100 - ميبويه : الكتاب، ٢/٧٤ - ٧٠

<sup>&</sup>quot;- اختلف حداد اللغة حول حد هذه المستويات ؛ فستهم من تقللي بكولها مستويين قلط هما الشكل والمحتى ، ومشهم من جطها . ثلاثة : والسمة و الله الله على المستويات الله على الله على الله على الله الله على ال

وقصرتي والتموي والمعهميّ والدلالي والنصي • \*\* - من هذه الفضايا: تحريف المطيء لتقلل المطيء اتساعه – تضييلة – الترادف – الاشتراف ١٠٠٠ إلغ • اثاثر في تأصيل المديث

أ. ق. أحمد مقتار عمر : علم الدلالة ، علم الكتب القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ -ب. د. فايز الدلية : علم الدلالة العربي والتطريق والتطبيق) ، دار القفر، دمشق ، مورية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦ -.

فقوله : لاينقص معلى ؛ في الموضعين ؛ المقصود ثر انف مصطلح ( المعلى ) لمصطلح ( الدلالة) ؛ فزيدٌ في الجملتين فاعل ومفعول والدلالة لم تتفير فيهما :

- ضربت وضربني زيد ؛ أي : ضربت زيدا ، وضربني زيد ·

ضربني وضربت زيدا ؛ أي : ضربني زيد ، وضربت زيدا ،

ويظهر هذا الترادف جلها ؛ أي مصطلح (المعنى) يراد به (الترادف) ؛ أثناء حديثه عن نصب الظرف : " وممًا لا يكون العملُ فيه من الظروف إلا متصبلا في الظرف كله قولك سير عليه الله والدهر والأبدّ، وهذا جواباً لقوله : كم سير عليه إذا يعله ظرفا لأنه يريد في: كم سير عليه فتقول مجيها له : الليل والنهار والدهر والأبد؛ على معنى في الليل والنهار وفي الأبد " فالجملة على النصب ترادف الجملة على الخض بعد تقدير حرف الجرافي) ،

ومثله قوله: " فابتدا لأنَّ معنى الحديث حينَ: قال إنّ زيداً منطلقٌ :زيدٌ منطقٌ اولكنه أكَّذ بإنّ ٠٠٠ " ١٠٠٠

و أحيانا يعني للمصطلح أكثر من دلالة ؛ فير اد به ; النر ادف ، و الدلالة ، و التقدير ؛ نحو قو له تعليقا على أو ل الشاعر :"

> أسقى الإلهُ عُدُواتِ الـــــوادى وَجَوْفَةَ كُلُّ مُلــــــثَةٍ غــــادى كُلُّ أَجَشُ حَالِــــكِ السُّـــواد

كانه قال سقاها كلُّ أجشُّ كما حُمل صَمارعُ لخصومة على ليَبكُ يزيدَ لأنُّ فيه معنى سقاها كلُّ أجشُّ" ١٠٠٠ ،

وقد يراد به نرانف الحروف ؛ مثل قوله :" ولو قلت أنتَ وشألك كنتَ كأنك قلت أنتَ وشائك مقرونان وكلُّ امرئ وضيعته مقرونان لأنَّ الواو في معنى مَعَ ا<sup>101</sup> .

<sup>101</sup> ـ (250 ـ 101 + ۲۲۸/) . ۲۲۸/) . ۲۲۸/) . ۲۲۸/)

<sup>•</sup> YA9 /1 • 4268 - 100

<sup>104</sup> ـ الكتاب ، ١/٠٠٧ . 105 ـ الكتاب ، ١/ ٣٩٧ .

ومن دلالته كذلك على الترادف بين كلمتين قوله:" وزعم أن قول الشاعر وهو أميّة بن أبي الصنّلت :

سَلامَك ربَّنا في كلّ فجر بَرينا ما تَغَنَّكَ النُّمومُ

على قوله براجلك ربتًا من كلّ سوء ٠٠٠ واعلم أنَّ من العرب من يَرفع سلاما إذا أراد معنى العرب من يَرفع سلاما إذا أراد معنى المبار أوَ ١٠٠٠ من كلّ سوء كله: "ومن ذلك أيضا هذا سواجك وهذا رجلً سواجك فهذا بمنزلة مكاتك إذا جعلته في معنى بَذلك ولا يكون اسما إلا في الشعر قال بعض العرب لما اضطرً في الشعر جعله منزلة غير "٢٠٠ فصصطلح (المعنى) يراد به (الترادف):

ف. (سُوَاعَك) مرادفها هذا (بُدَلك) أو (غير) .

وقد يراد به أحيانا ( الترادف) على مستوى التركيب ؛ مثل قوله:" وكذلك صمار (لم أتك) بمنزلة لفظهم بـ (لم يكن إتيان) لأن المعنى واحد ١٠٥٠ه ؛ فالتركيبان مختلفان ؛ لكن الدلالة واحدة ٥

إذا اتجه مصطلح ( المعنى ) من خلال هذه النماذج صوب (الترانف ) ، و هذا النرادف لم يكن على مستوى العلاقة بين كلمتين فحسب ؛ بل على المستويات التالية :

- الترادف بين الحروف •
- الترادف بين اسم مفرد وغيره •
- الترادف على مستوى التراكيب •

ويُلاحظ كذلك أن هذا المصطلح أحيانا لم تخلص دلالته على التر الف فحسب ؛ بل التر ادف و الدلالة و التقدير

۱۵۵ <u>. ۲۲۱ ۲۲۰</u>/۱، ۱۷۲۹ ۱۵۵

<sup>+ £ +</sup> V/1 : 4/268 - 107

<sup>108</sup> ـ فكتاب ، ١/٠٧ والظر كثاف : ١٨/٣ •

#### ٧- الدلالسة

من الملاحظ - خلال استقراء مصطلح (المعنى) - أن المواضع التي أريد بهذا المصطلح فيها (الدلالة) ، أكثر عدا من الدلالات الأخرى لهذا المصطلح ، و هذا إن لم على شيء فإنما يدل على اتقاق هذه الدلالة عند سيبويه مع ما اتقق عليه علماء دل على شيء فإنما يدل على اتقاق هذه الدلالة عند سيبويه مع ما اتقق عليه علماء المعاصرون ؛ العرب والغرب على حد سواء ''' ، واللاقت للنظر أن سيبويه نفسه لم يستعمل مصطلح (الدلالة) أو مشتقاته في الكتاب كله ؛ لكنه استعمل مصطلح (المعنى) ومشتقاته علمة للدلالة على معان مختلفة كما سبق ، واستعمل هذا المصطلح والمقصود به (الدلالة) في مواضع كثيرة كما سنرى ، ولعل قلة استعمال مصطلح "الدلالة" لم يكن قاصرا على سيبويه وحده ؛ بل شاركه فيه المبرد (١٨٥هه) ، وابن المسراج (١٣١هه) ، والزمخشري (١٨٥هه) ، وابن

ومن المواضع التي استعمل فيها مصطلح (معنى) ؛ والمقصود به (الدلالة) قرل سيبويه في باب (الفاعلين والمفسولين اللذين كلُّ واحد منهما يَهْعَلُ بفاعله مثل الذي يَهْمَلُ بفيعه في باب (الفاعلين والمفسولين اللذين كلُّ واحد منهما يَهْعَلُ بفاعله مثل الذي يَهْمَلُ على وضربت ريداً وصربت ريداً تحميل الاستخم على المعنى فقد يُطم أنُّ الأولَى قد وقع إلا أنه لا يُمْمَلُ في اللفظ أحدُ الفعلين وأمّا في المعنى فقد يُطم أنُّ الأولَى قد وقع إلا أنه لا يُمْمَلُ في سيب ورفي المعنى على المعنى ومن المحاصل في المعنى على المعنى المعنى على المعنى على المعنى على المعنى المعنى على المعنى على المعنى على المعنى على المعنى على المعنى على المعنى المعنى على المعنى على المعنى المعنى على المعنى المعنى المعنى المعنى على المعنى المعنى على المعنى ا

<sup>109 -</sup> تكاد تجمع مصادر اللغة على هذا الترالف بين ( المحنى ) و(الدلامة ) ؛ فقد استصل المصطلحان ، قديما وحديثا ، والمقصود

ولعد . 101 - فقد استحمل الديرد مصطلح (الدلالة) ومشتقاته في سنة موضع ققط ، بينما استحمل مصطلح (المحتر) 197 مرة ، ولم يستمل ابن الصراح - في الأصول - مصطلح (الدلالة) مطاقا مقال أمورويه ، بينما استحمل مصطلح (المحتر) 197 مرة ، واستحمل الارمشاري - في المقتضب - مصطلح (الدلالة) ثلاث مرات ، بينما استحمل مصطلح (المحتر) سبع عضرة مرة ، واستحمل ابن هشامر في المقتى - مصطلح (الدلالة) إحدى عضرة مرة ، ومصطلح (الدلالة ) في ستين موضعة ، بينما استحمل مصطلح (الدلالة ) في ستين موضعة ، بينما استحمل مصطلح (الدلالة ) المستحمل مصطلح (الدلالة ) في ستين موضعة ، بينما استحمل مصطلح (الدلالة ) المستحمل موضعة ، بينما استحمل مصطلح (الدلالة )

<sup>-</sup>Jack Richards, John Platt and Heidi Webs - Longman Dictionary of Applied Linguistics, - 112

p.254. "The study of meaning" فقد ربط قموتلون بين لمصطلعين ربطا وثبلنا غلم قدايلة يضي د J.Lyons, Semantics, pp.174,175,206 - قد بدل قد تدالة فكاتحيكي . إذ يشرر إلى أن المخرر قدرة قدر علم الدائلة فكاتحيكي .

structures" والمعنى "Meaning" بغمضى الجملتين واحد بومن ثم فالدلالة واحدة ·

وليس معنى هذا أن (المعنى) هو (الدلالة) ؛ لكن المعنى يُعد هدفا للدلالة ؛ وذلك كما أكد علماء اللغة المعاصرون ؛ فالدلالة تدرس القضايا المحيطة بالمعنى ؛ مثل تغير المعنى وانتقاله ، واتساعه ، وتضييقه ، والمجالات الدلالية ، ونظرية السياق ١٠٠ الخ ١ لكن من خلال استقراء المواضع التي جاء فيها مصطلح المعنى عند سيبويه لوحظ أنه يعنى الدلالة كذلك ؛ فالجملتان :

> ۔ ضربت وضربني زيد ٠ ۔ وضربني وضربت زيدا ٠

دلالتهما و لحدة ؛ كما يجوز الّقول: معناهما و لحد ؛ على حد تعبير سيبويه • وعلى هذا بمكننا القول بأن هذه العلاقة تخضع للمجاز ؛ فالمعنى يطلق على الدلالة مجاز ا ؛ لأن الثاني يدرس الأول ؛ حسيما لتقق عليه علماء اللغة ·

ومن هذه المواضع كذلك حينما تحدث عن الصغة المشبهة "٠٠٠ فالمصافئ قول في الصفاقة المشبهة "٠٠٠ فالمصافئ قول في المصافئ الوجيد و هيد د حَسَب قة الوجيد و فالصنفة نقع على الاسم الأول ثم توصيلها إلى الوجه و إلى كلّ شيء من سبيه على ما ذكرتُ لك كما تقول هذا ضاربُ الرجل و هذه ضارية الرجل إلا أنَّ الحُسن في المعنى للوجه و الضربُ ههنا للأولَّ "أنَّ إفدلالة الحسن نتجه نحو الوجه لا للرجل كله ، غير أن اسم الفاعل (ضارب) نتجه صفته نحو المبتدأ (هذا) ،

و أحيانا بتجه المصطلح نحو دلالة المفرد عن طريق الاشتقاق ؛ وذلك في قوله: "٠٠٠ وزعم الخليل رحمه الله حيث مثل نصئب وحده وخمستهم الله كقولك أفرنتهم إفرادا فهذا تمثيل ولكنه لم يُستعمل في الكلام ومثل خمستهم قول الشماخ:

أتنى سُلَيْمٌ قضتُها بقضييضها تُمسَحْ حَولِي بالبَقيع سالبها

كأنه قال انقضاضهَم أى انقضاضا ومررتُ بهم قضّهم بقضيضهم فهذا تمثيل وإن لم يُتكُم به كما كان إفرادا تمثيلا وإنما تكرنا الإفرادَ في وَخَدَه والانقضاضَ في قضّهم لأنّه إذا قال قضّهم فهو مشتقٌ من معنى الانقضاض لأنّه كأنه يقول انقضُ أخرهم

موقعه على شيكة المطومات الدواية: http://www2.let.us.nl/UiL-OTS/Lexicon/Search the lexicon

وتاريخ الرجوع إليه : ٢١ -٢١-١٧

<sup>113 -</sup>Johan Kerstens, Eddy Ruys, Joost Zwarts, Lexicon of linguistics, Utrecht institute of Linguistics OTS, Utrecht University, 2001.

على أولهم وكذلك وخذه أبّما هو من معنى التقراد فكذلك أيضا يكونُ خمستهم نصبا إذا أردت معنى الانفراد فإن أردت ألّك لم تُدَعْ منهم أحدا جررت كما كان ذلك في قضهم" ١٠٠٠ ،

[	الدلالة التفسيرية	التركيب
I	<ul> <li>هذا عالم جداً •</li> </ul>	- هذا العالِمُ حِدُ العالِم
I	<ul> <li>هذا قد بلغ الغاية في العلم •</li> </ul>	

وكذلك قوله في موضع أخر:" مررت برجل أسد أبوه إذا كنت تريد أن تجعله شديدا ومررت برجل مثل الأسد أبوه إذا كنت تشبهه فإن قلت مررت بدابة أسد أبوها فهو رفع لأنك إنما تخبر أن أباها هذا السبع فإن قلت مررت برجل أسد أبوه على هذا المعنى رفعت إلا أنك لا تجعل أباه خلقه كخلقة الأسد ولا صورته هذا لا يكون ولكنه لجعنى كالمثل ومن قال مررت برجل مائة ابله وزعم يونس أنه لم يسمعه من ثقة ولكنهم يقولون هو نار جمرة لأنهم قد يبنون الأسماء على المبتدأ ولا يصغون بها فالرفع فيه الوجه والرفع فيه لحسن وإن كنت تريد معنى أنه مبائغ في الشدة لأنه ليس بوصف ومثل ذلك مررت برجل رجل أبوه إذا أردت معنى أنه أنه كامل "١٤٠ فهذا ربط وشيق بين التركيب والدلالة كالتالي:

الدلالة التفسيرية	التركيب
-إذا كنت تريد أن تجعه شديدا	- مررت برجل اسد ابوه
الله مبالغ في الشدة	ـ هو نار حمرة
-إذا أردت أنه كامل	- مررت برجل رجل ابوه

ويعني مصطلح "المعنى" "الدلالة" على مستوى الأساليب ؛ فيكون أسلوب فيه معنى أسلوب آخر :" ألا ترى أنك نقول : سبحان الله من هو وما هو؛ فهذا استفهام فيه معنى المتعجب "١١٨،

<sup>115</sup> ـ الكتاب ، ۲۷۰/۱ -

<sup>&</sup>lt;sup>115</sup> ـ فكتاب ، ۱۳/۲ . <sup>117</sup> ـ فكتاب ، ۲۹/۲ ، وفظر: ۲۲ ه ۲۲۷ ، ۲۲/۳ ، ۲۲۰ ، ۶ ،

<sup>· · ·</sup> المميد ، ١٩٠٢ ، وتطرح ٢١ تع ٢٠٠٢ ، ٢٠١٢ ، ٢٠٠٠ ٠ ٠ ۱۱۵ - الكتاب ، ١٨٦/٢ ، وتطر كتلك : ١٧١ ، ٢٠٢٢ ، ٢٠٢٢ ، ١٧١٤ ؛ ميث الدلالة على مستوى الأساليب ،

وقد تكون الدلالة متجهة نحو اتفاق التركيبين في الدلالة واختلافهما في التركيب النحوي مثل قوله:"،،،،وكذلك صار لم أتك؛ بمنزلة لفظهم بلم يكن إتبانٌ لأن المطى واحد"''

والمكس ؛ اختلاف التركيب يؤدي إلى اختلاف الدلالة ؛ " • • • والدليل على أن قولك أزيد عندك أم مصرو بمنزلة قولك أيهما عندك أنك لم قلت أزيد عندك أم بشر" فقال أن محالاً كما أنه أنها أنهما عندك فقال لا فقد أحال فقد أحال واعلم أنك إذا أربت هذا المعنى فتقديم الاسم لحسن لأنك لا تسأله عن اللقى وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري ليهما هو فيدأت بالاسم" <sup>\* \* \* \*</sup> ! فإذا كان السؤال عن الفاعل ؛ أو المسند إليه تقدم الاسم ، أما إذا كان السؤال عن الفعل فتقديمه أولى ؛

من الملاحظ فيما سبق أن مصطلح (المعنى) يراد به ( الدلالة) على مستوى المعنى الاجتماعي أو غير التركيبي أو النحوي وقد لوحظ كذلك أن مصطلح المعنى قد جاء والمراد به (الدلالة النحوية أو التركيبية) ؛ وقد سبق التمثيل لهذه الدلالة عند الحديث عن دلالة مصطلح (المعنى) على المستوى النحوي ؛ ومنه كذلك قوله: " ١٠٠ فإن قلت الذكل أله المت الذكل ألك لو قلت الذكل الأول فالأول ألا لانك لو قلت الذكل الأول فالأول ألا لائك لو قلت الذكل الأول فالأول التك لو قلت ترد أن تعرفه بشيء تحليه به لو قلت قومك الأول فالأول الأول فالأول الايون معنى الأول هذا كما لا يجوز معنى كلهم فأجرى مجرى خمستهم ووحده ولا يجوز في غير الأول هذا كما لا يجوز أن تقسول مصدر رت بسبه واحسدة ولا بهمسا الثنهما وركان عيسى يقول انكلوا الأول فالأول الأول فالأول الأرك فالأول الايخوا وركان عيسى يقول النكلوا الأول فالأول الأول معناه ليتخل "١٠٠٠"

فقد اشتمل هذا النص على مصطلح (المعنى) عدة مرات ودلالتها كالتالي:

- معنى الأول فالأول ألك تريد أن تعرفه ٠٠٠ الدلالة النحوية هي (التعريف)٠
  - وليس معناه معنى كلهم ٠٠٠ الدلالة النحوية (التوكيد) ٠
    - لأنّ معناه ليَدخل · · · الدلالة النحوية (الأمر) ·

وقد تكون الدلالة النحوية المقصودة من استعمال مصطلح (المعنى) هي (التتكور) كما في قوله: "وممّا يكون مضافا إلى المبعرفة ويكون نعتا اللكرة الأسماء التي أخذت من الفعل فاريد بها معنى التتوين من ذلك مررت برجل ضاريك فهو و نعت على أنه سيضربه كانك قلت مررت برجل ضارب زيدا ٢٠٠٠ " المصطلح (التتوين) كثيرا ما استعمله سيبويه وأراد به (التتكير) وهذا بدهي ؛ لأن التتوين الأيلحق إلا الأسماء المنكرة ٠٠

<sup>117</sup> ـ **(کتاب ، ۲۰/۳ ،** 120 ـ (کتاب ، ۱۲۹/۳ ،

<sup>\* 74</sup>A/1: QUAL: 121

<sup>122</sup> ـ (۲۰۴۱ ، ۱۳۶۱ - ۱۲۵

وقد تكون الدلالة النحوية متجهة نحو (الفاطية) ؛ مثل قوله:" كأنه قال ما أتاني لحد إلا فلان لان معنى ما أتاني أحد وما أتاني من أحد ولحد ولكن (من) دخلت هنا توكيدا كما تدخل (الباء) في قولك كفي بالشيب والإسلام وفي ما أنت بفاعل ولست بفاعل ٠٠٠" ؛ فكلمة (أحد) في الجملتين :

- ما أتاني لحدّ • - ما اثاني من لحد •

تعرب فاعلا ؛ غير أن العلامة الإعرابية ظاهرة في الأولى ، ومقدرة في الثانية · ١٢٠

وقد تكون الدلالة النحوية (الاستنراك) ١٠٠، أو (العطف دون تراخ) ١٠١، أو دلالة حروف العطف المختلفة ١٢٠، أو (العمل دلالة حروف العطف المختلفة ١٢٠، أو (العمل النحوي الحروف) ١٠٠، أو (العمل النحوي الحروف) ١٠٠، أو (الإضافة) ١٠٠، أو (الإضافة) ٢٠٠،

<sup>123</sup> ـ (134) ، ۲۱۲/۲ - 123

<sup>24</sup> ـ غير أن المحتى في الهملتين مفتلف ؛ فلي الثانية توجد دلالة التركيد عن طريق إضافة عرف الجر الزائد (من) • 25 ـ نظر : الكتاب ، ١٩١٧ •

<sup>126</sup> ـ الظر : فكتاب ، ٢٠ /٢ ،

<sup>&</sup>lt;sup>127</sup> - الظرع الكتاب : ( 11/7 ·

<sup>128</sup> ـ فظر : فكتاب ، ١٣ / ١٨ ·

<sup>129</sup> ـ فطر ۽ الكتاب ۽ 17 / ٨٩ -

<sup>130</sup> ـ فظر : 120 م 177 · 170 م 111 ـ فظر : 120م ، 7/ 127 ،

<sup>132 .</sup> فظر : فكذب ، ٢/ ٢٨٠ -

## رابعا: مصطلح (المعنى) على مستوى الأساليب

ورد مصطلح ( المعنى ) وقُصِيد به الأساليب كثيراً ؛ فقد دلُّ على عدد من الأساليب هي :

- التعجب •
- النفي •
- الاستثناء •
- الاستفهام
  - ـ التوكيد •
  - التمني ٠
- ـ القسم •
- التحضيض ٠
  - الأمد •

لكن من الملاحظ أن مصطلح (المعنى) ورد في المواضع المتعلقة بأسلوب التعجب ؛ ورد مضافاً إلى كلمة التعجب في كل المواضع ، ومن هنا اكتسب هذا المصطلح دلالته من خلال إضافته إلى ماييين هذه الدلالة ١٣٢٠

ومن ثم نرى أن من وسائل توضيح المقصود من المصطلح أحيانا ليس المصطلح في ذاته ؛ بل يتأتى ذلك من خلال الإضافة ·

أما دلالته على النفي فيسير على الطريقة نفسها التي سار عليها المصطلح في دلالته على التعجب ١٣٤٠ ،

و أحيانا يلجأ سيبويه لبيان دلالة المصطلح عن طريق إضافته إلى اداة من الأدوات العاملة ؛ والتي توضحه ؛ مثال ذلك قوله: " وما جاء من الأسماء فيه معنى إلا فغير وسدى وصا جاء من الأقصال فيه معنى إلا فسلا يكون وليس وعدا وخسلا وما فيه ذلك المعنى من حروف الإضافة وليس باسم فحاشى وخلا في بعض اللغات "<sup>۱۳</sup> ؛ فإضافة المصطلح إلى كلمة (إلا) توضح المقصود منه وهو (الاستثناء) ،

<sup>&</sup>lt;sup>133</sup> ـ قطّر من هذه المواضع: ا<u>كتاب ، ۲</u>۰۱۲ ، ۲۲۳ ، ۲۹۳ ـ ۲۹۳ ، ۴۹۷ ، ۴۹۰ ـــ ۱ و ۱۹۰ . <sup>134</sup> ـ من هذه المواضع : الكتاب ، ۲۱۳ ، ۲۱۸ ـ ۲ ، ۲ ، ۲۰ ه ، ۲۰

<sup>135</sup> ـ فكتاب ، ١٧ / ٢٠٩ ،

وقد يلجاً ... كما فعل في التعجب والنفي، إلى إضافته إلى مصطلح (الاستثناء) كما في قوله:" فإذا جاءتًا وفيهما معنى الاستثناء فإن فيهما إضمار اعلى هذا وقع فيهما معنى الاستثناء"<sup>171</sup> ،

وفي أسلوب الاستفهام يضماف المصمطلح إلى عامل من عوامل الاستفهام مثل قوله:" وإنما لزمت لم ههنا لانك تريد معنى ليهما ألا ترى لنك تقول ما لبالي أي ذلك كان وسواة على أي ذلك كان فالمعنى واحد"

وقد يشرح امثلة أولا ، ثم يشير إلى المفهوم من هذه الأمثلة باستخدام مصطلح (المعنى) ؛ فتتضنح دلالته من خلال هذه الأمثلة ؛ ومثال ذلك :" والدليل على أن قولك أزيد عندك أم بشر" فقال أزيد عندك أم بشر" فقال المسئول لا كان محالا كما أنه إذا قال أبهما عندك فقال لا فقد أحال المسئول لا كان محالا كما أنه إذا قال أبهما عندك فقال لا فقد أحال واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن لأنك لا تسأله عن اللقى وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو فيدأت بالاسم" " أنا فالأمثلة تتحدث عن الاستفهام ، وعن تقديم الاسم أم الظرف ؛ وهذا يعتمد على ما يقصده المتحدث ، ومن ثم اعتمد هنا على السياق في بيان المقصود من المصطلح ،

أما (التركيد) فقد دل المصطلح عليه عن طريق إضافته إلى مُوَكَّد في قوله:"••• وكلهم قد تكون بمنزلة لجمعين لأن معناها معنى لجمعين فهي تجرى مجراها"<sup>171</sup> فكلتا الكلمتين من المؤكدات المعنوية ؛ ومن ثم فقد اتجه المصطلح إلى الدلالة على التوكيد •

وقد تكون بالإضافة إلى مصطلح (القسم) نفسه ؛ بل ذكر ذلك في العنوان في"بلب ما عمل بعضه في بعض وفيه معنى القسم" <sup>11</sup>

<sup>24</sup> ـ قاعض ، ۲/ ۲۵۷ ـ ، ۲۰۰ و وفظر عقاف ؛ ۲۸ ۱۰ وقد قطر هذا قي شديقة حلى وافتحقي) كفايه: فظر ؛ ۲۲ ۳۵ وقي دلاكه طي (افتحقيش) : ۲/ ۲۰۱۰ ـ ۲۰۱۰ د تفكي ، ۲/ ۲/ ۲/ ۲۰۱۰ ـ ۱۸۲۰ ـ ۱۸۲۰ ـ ۱۸۲۰ ۱۸۲۰

<sup>&</sup>lt;sup>137</sup> - ا<del>لكذاب</del> ، ۱/۱۶۳ ، ۱۸۹ ، ۱۸۹ ، ۱۸۳ ، ۱۸۹ ، ۱۸۹ <sup>138</sup> - الكذاب ، ۱/۱۹۶۶ -

<sup>139 -</sup> الكذاب ، ٣٨٠/٢ •

وقد تكون بالأمثلة الشارحة ، وبالإضافة إلى مر الغه مصطلح القسم ، وبالإضافة إلى مر الغه مصطلح القسم نفسه ؛ وذلك في نص واحد في قوله:" وذلك قولك لعمر الله لأفعلن ويعمل العرب يقول أيمن الكعبة لأفعلن كانه قال لعمر الله المقسم به وكذلك أيم الله وأيمن الله إلا أن ذا أكثر في كلامهم فحذفوه كما حذفوا غيره وهو أكثر من أن أصفه لك ومثل أيم الله وأيمن لاها الله ذا إذا حذفوا ما هذا مبني عليه فهذه الأشياء فيها معنى القسم ومعناها كمعنى الاسم المجرور بالواو وتصديق هذا قول العرب على عهد الله لأفعلن فعهد مرتفعة وعلى مستقر لها وفيها معنى البسر» "ال.

وفي دلالته على (الأمر) يضيف مصطلح (المعنى) إلى صيغة (افقل) ؛ وذلك في قوله :" و اعلم أنك إذا قلت فعال و أنت تأمر امرأة أو رجلاً أو أكثر من ذلك أنه على لفظك إذا كنت تأمر رجلاً و احداً و لا يكون ما بعده إلا نصباً لأن معناه افعل" "١٢ ،

<sup>142</sup> ـ الكتاب ، ٢/ ٣٠٠ -

<sup>143 - 143 - 143 ·</sup> TA · A

#### الخاتمة

لقد أسفرت هذه الدراسة لمصطلح "المعنى" عند سيبويه عن النشائج

#### التالية :

- سيبويه أكثر اللغوبين ذكرا لمصطلح " للمعنى" ؛ فقد ورد ذكره مع عدد من
   مشتقاته في الغين و أربع مائة و عشرين موضعاً من الكتاب .
- لم يكتف سيبويه بمعالجة المعنى بوصفه مقابلاً الشكل فحسب ، كما فعل المحدثون ، لكنه جعله مقابلاً لعدد من الدلالات على المستويات اللغوية المختلفة ؛ الصوتية و الصرفية و الدلالية؛ مثل دلالته على العمل النحوي ، و التقدير النحوي ، و أضام الكلمة ، و الأساليب ، • البخ •
- قد يُذكر مصطلح المعنى و المقصود به أكثر من دلالة في النص نفسه ؛ مثل
   الدلالة على (العمل الندوي) و (التقدير الندوي) كذلك ·
- اقتراب دلالـة المصطلح عند سيبويه على التقدير النحوي مما استقر عليـه
   علماء التحويلية ٠
- أحياناً لايقف سيبويه عند حد ذكر (التقدير النحوي) ؛ بل يتعداه إلى ذكر
   العمليات التحويلية لتحويل التركيب من البنية العميقة إلى البنية السطحية .
- دلالة المصطلح عنده على أقسام الكلمة ؛ خاصة الاسم والفعل ، قد تداخلت كثير ا مع دلالته على (العمل النحوي) و ( التقدير النحوي) .
- أحيانا يأتي المصطلح ويراد به (الدلالة) و (النحو) معا ؛ كما في مجيء (الواو) بمعنى (مع) ،
- يدل المصطلح كذلك على عدم الإعمال النحوي ؛ بمعنى أنه قد يأتي بالدلالة المنفية •
- ورد المصطلح وقصد به الترادف و الدلالة و التقدير ؛ بمعنى تعدد دلالة المصطلح في موضع و احد •
- دل المصطلح على الترانف على المستويات : بين الحروف بين الاسم المفرد وغيره - على مستوى التراكيب •

- ورد المصطلح مقصودا به (الدلالة التعسيرية) ؛ وظلك بذكر جمل مفسرة للجملة موضع التحليل ،
- ورد المصطلح كذلك مقصودا به ( الدلالة النحوية ) ؛ مثل التوكيد أو الأمر
   أو التعريف أو العطف أو الظرفية ١٠٠٠ الخ ٠
- أحياناً بكتسب المصطلح دلالته بإضافته إلى ما بعده ؟ مثل دلالته على
   التعجب؛ وذلك بإضافة مصطلح المعنى إلى فعل التعجب ، أو ما ير ادفه ،
  - وقد تتضح دلالته أحيانا أخرى عن طريق شرح أمثلة مفسرة لدلالته .
  - · إذن يمكن أن تتضح دلالة المصطلح عن طريق و احدة من الطرق التالية :
- ١- عن طريق المصطلح نفسه ، والسياق المحيطبه ؛ وهذا السياق يتمثل في القضية اللغوية التي يناقشها سيبويه .
- عن طريق إضافة المصطلح إلى ما بعده ؛ مثل إضافته إلى فعل التعجب كما
   سنة ،
- عن طريق ذكر عدد من الأمثلة أو الشواهد التي تتعين دلالة المصطلح من
   خلالها
- إذن لم يكن اتجاه المعنى عند سيبويه نحو وصفه مقابلا للشكل فقط كما فعل
   كثير من القدماء والمحدثين ؛ لكن اتخذ دلالات كثيرة على المستويات اللغوية
   المختلفة •

# المصلار والمراجع العربية

- أحمد مختار عمر: علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ،
   الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ .
- الأزهري: تَهْنَيِهِ للنَّهُ ، تحقيق عبد الحليم النجار ، على حسن الهلالي ،
   يعقوب عبد النبي ، الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة ، ١٩٦٤
  - البدراوي زهران : مقدمة في علوم اللغة ، دار المعارف عصر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٠ .
  - ابن جني : الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٦ .

# حلمي خليل: مدخل إلى علم اللغة ،

- . خالد بسندي : تعد المصطلح وتداخله ، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، العدد ٩٨ ، السنة ٢٠ ، حزير ان ٢٠٠٥ ،
- الرازي: مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، بيروت ،
   ١٩٩٥ .
  - . رمضان عبد التواب : المشكل المي علم اللغة مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ·
- الزمخشري: العقصل ، تحقيق د علي بوملحم ، مكتبة الهادل ، بيروت ،
   الطبعة الأولى ، ۱۹۹۳ ،
- استيفن أولمان : بور الكلمة في اللغة ، ترجمة د ، كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٠ .
  - ابن المراج: الأصول في النحو ، تحقيق د عبد المحمن الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م
- سيبويه: الكتاب ، تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى، د -ت .

- شرشار عبد القادر : ضطرك المصطلح في الدراسات الأدبية والتقدية ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد ٣٧٧ ، أيلول ٢٠٠٢ ،
- صبحي ابر اهم الفقى : *نظام ترتيب الكلام في الجملة العربية في ضوم* النظرية التحويلية ، رسالة ماجستير نوقشت بكلية الأداب ، جامعة طنطا، ١٩٩٤ م ،
  - عبد الإله نبهان : الأسس الموضوعية لنشاء المصطلح في النقد العربي
     القديم مجلة النراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية ، العدد
     ٩٠ ، السنة الخامسة عشرة ، أبريل ، ١٩٩٥ .
    - عبده الراجحي: التجو العربي والفرس الخفيث ، دار المعرفة الجامعية ،
       الإسكندرية ، ١٩٨٨ ،
- ابن فارس: مقابه سلفة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ۱۹۷۱ .
- . فايز الد ايـة: علم الدالالـة العربـي ؛ النظريـة والتطبيق ، الراسـة تاريكيـة ، تاريكيـ
  - ف ور وبالمر : علم الدلالة اطار جديد ، ترجمة دو صبري إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٢ .
- الفير وز أبادي: القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت البنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ .
  - كريم حسام الدين : الجوانب التحويلية في النحو العربي
  - ماريوباي: أسس علم اللغة ، ترجمة د الحمد مختار عمر ، عالم الكتب، ١٩٨٣. المجلس الأعلى المعلوب : المقتضي ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى المنون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٩٩ ،
- - محمود السعران: علم ثلقة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف ، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٢ .
    - محمود سليمان ياقوت : قضايا التقدير النحوى بين القدمام والمحدثين ،

#### دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية

- محمود فهمي حجازي: الأمس اللغوية لطم المصطلح ، دار غريب الطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ت .
  - محمود فهمي حجازي: منكل إلى علم اللغة ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة، ١٩٩١ ،
    - ابن منظور : السائل العرب ، دار صادر ، بیروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، مادة (عنا) ، د من ،
  - ابن هشام : مغشى اللبيب ، تحقيق مازن المبارك عومحمد على حمدالله، دار
     الفكر ، دمشق ، سورية ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٥ .

## المصادر الأجنبية

- A.S.Hornby. Oxford advanced Learner's Dictionary . Oxford University press. Sixth edition . 2000
- D. Crystal 0 A Dictionary of Linguistics and Phonetics .Oxford . UK. 1986 .
- D. Crystal 0 *The Cambridge Encyclopedia of language* . Cambridge . USA .
- D.Gibbon, R.Moore, R.Winski. *Handbook of Standards and Resources for spoken Language Systems*. Mouton de Gruyter. Berlin. 1997
- J.C.Sager. Apractical course in Terminology processing. Amsterdam. 1990
- Johan Kerstens, Eddy Ruys, Joost Zwarts, Lexicon of linguistics, Utrecht institute of Linguistics OTS, Utrecht المعجم على شبكة المعلومات و عنو ان الموقع: University, 2001.
  p://www.let.uu.nl/UiL-OTS/Lexicon/Search the lexicon

وتاريخ الرجوع إليه : ٣١ -١٢ - ٢٠٠٥

- J.Richards, J.Platt and H. Weber. Longman Dictionary of Applied Linguistics. Longman. England. 1987.
- R.L. Trask. Key concepts in Language and Linguistics.
  Routledge . London .1999 .
- W.M.Roth . *The politics and Rhetoric of conversation and Discourse analysis*. (FQS) , V.2 , No.2,May 2001 .

  WWW.qualitative : وعزوان الموقع: Research.net

# دلالة السمات شبه اللغوية المصاحبة للآداء الكلامى فى عملية التواصل (دراسة تطبيقية)

على بعض من روايات الآستاذ/ نجيب محفوظ (ملحمة الحرافيش. السكرية. الشحاذ)

د. عبد المنعم السيد أحمد جدامي

أقصد بالسمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامى، أنها ليست السمات اللغوية Paralinguistic السمات شبه اللغوية Features تتمثل فيما يلى:

السمات البروسودية الصوتية المصاحبة للكلام، مثل: النبر، والتنغيم، والسكتات الكلامية Pauses، وكذلك معدل الأداء الكلامي، ودرجة الصوت Quality of Voice، وقوته Volume.

لأصوات غير الكلامية، وتسمى أيضاً بالفضلات الصوتية
 Vocal Segregates ، مثل: الضحك، والبكاء، والتأوه، والصراخ، والنحنحة، والسعال، والغمغمة، وغير ذلك من الأصوات المصاحبة للأداء الكلامى.

" الأصوات غير الإنسانية التي يسمعها الإنسان حوله، مثل:
 أصوات الحيوانات والجمادات، ومظاهر الطبيعة كصوت البرق، وهطول
 الأمطار، والآلات المختلفة(۱).

<sup>(</sup>١) انظر بالتفصيل كتاب د. كريم ١٩٩٢م، ص ١٧.

هذه السمات سوف نرى أن لها دلالات فى عملية التواصل، فالتواصل Communication داخل أى مجتمع متعدد الأنظمة، فهناك النظام اللغوى، وحركات الجسم وغيرها من الأنظمة التى يشملها التواصل، الذى يقسم إلى قسمين كبيرين هما:

١ ــ التواصل اللغوى Vocal ، وهو الذي يحتوى على كل الأحداث المتضمنة في إنتاج الكلام.

٢ ــ التواصل غير اللغوى non - Vocal وهو المركب من كل
 الأنشطة التواصلية غير الكلام، كالإيماءة، وحركات الجسم، والرموز
 وغيرها(١).

وما يركز بحثى عليه هو السمات شبه اللغوية المصاحبة للنوع الأول من السلوك أو التواصل، وقد وجدت في بعض روايات الأستاذ نجيب محفوظ مادة لغوية يصفها كتابة في رواياته من هذا النوع من السمات، سوف أقوم بتحليلها في هذا البحث، والروايات التي أخذت منها مادة بحثى هذا هي روايات (ملحمة الحرافيش، والسكرية، والشحاذ).

أما الدراسات السابقة في هذا المجال، ففي حدود علمي هناك دراستان، أولهما: دراسة ورائدة في اللغة العربية وهي دراسة أد. كريم زكى حسام الدين: الدلالة الصوتية، دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل، طبع بمكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٩٧م، وفيه قدم دركيم دور الدلالة الصوتية وأثرها في عملية التواصل للقارىء العربي، اشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب:

<sup>(2)</sup> Lavers, J, and Hutcheson. s. 1972, P. 12.

ونشير أنهما يرفضان المصطلحين ١٠ non-Verbal, Verbal

الأول: بعنوان: الصوت والسمع والكلام، وهو فصلان، الأول هو: الصوت الظاهرة ومفهومها، والثاني: السمع والكلام.

أما البساب الثانى: وهو بعنوان: الصوت: الكلام والدلالة، وهو فصلان، أولهما: الصوت الأداء والدلالة، وثانيهما: الصوت وسمات الأداء في العربية.

أما الباب الثالث: فهو بعنوان: الصوت اللغة والدلالة، وهو مكون من فصلين، الأول بعنوان: الدلالة والتباين الصوتى، والثانى بعنوان: الدلالة والتحبير الصوتى.

أما الدراسة الثانية فهى دراسة أ. د. أحمد عارف حجازى: دراسات لغوية فى الحديث الشريف، طبعة دار حراء بالمنيا، سنة ١٩٩٤م، بحث فى الفصل السابع تحدث عن الدلالة السلبية فى الحديث الشريف، وخص منها الصمت الذى ذكر دلالته فى الحديث الشريف.

وتوجد دراسة أ. د. محمد العبد: العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، توزيع دار الفكر العربي بالقاهرة، سنة ٩٩٥م، قدم فيه المؤلف مفهوم الاتصال وأنواعه، وركز على الاتصال غير اللفظي.

ومن هنا فمادة بحثى روايات نجيب محفوظ لم تبحث كموضوع لدلالة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي وأثرها في عملية التواصل.

ويشتمل بحثى على عدد من العناصر هي كالآتي:

أولاً: الدراسة النظرية، وتشتمل على عرض للسمات شبه اللغوية في الدراسات الغربية، وعرض لاهتمام التراث العربي ببعض هذه الملامح الصوتية. ثانسياً: الدراسة التطبيقية ، وتشتمل على توضيح للأثر الدلالي للسمات شبه اللغوية في عملية التواصل من خلال مادة البحث.

# أولاً: الدراسة النظرية:

ارتبطت نشأة البحث في السمات شبه اللغوية ودورها في عملية التواصل بأربع أنواع من الدراسات هي كالأتي:

- ۱- الدراسات التقافية، والتي تطورت من خلال علماء الأنثربولوجيا اللغوية الذين درسوا ثقافة الشعوب والتواصل فيها، وأنواع التواصل، وسوف نرى من خلال الدراسة المنظرية في هذا البحث أثر بعض اللغويين الأنثروبولوجيين، أمثال: سابير وهايمز وتريجر في دراسة هذه الظاهرة في التواصل.
- Y- ترتبط أيضاً بالدراسات السيمولوجية، حيث تشغل العلامة اللغوية والعلامة غير اللغوية والتي تغطي مجموعاً من اللغوية مكاناً في السيمولوجيا، فالعلامة غير اللغوية والتي تغطي مجموعاً من المظاهر الدالة على حركات الجسم والإيماءات والسمات شبه اللغوية، وكل ما هــ و انتصال خارج اللغة، كل هذا يدخل في إطار الدراسات السيمولوجية (١) ولعمل قــ ول أحد رواد هذا العلم الأن وهو الإيطالي إمبرتو إيكو U. Eco عن علاقة التواصل بالعلامات، حيث يذكر أن دراستهم تشمل كل العمليات التقافية كعمليات التراصيل، فهمذه العمليات من وجهة نظره تبدر كلها تحت نظام العلامات (١).
- ٣- ترتبط أيضاً بالدراسات الصوتبة، وبخاصة عند مدرسة لندن، فيرث Prosodic Analysis و التي و تلاميذه الذين أسسوا نظرية التحليل البروسودي Prosodic Analysis ، والتي هدفها تسجيل السياقات الصوتبة العامة، وأنواعها، وتوضيح الملامح الصوتبة الخاصة بالنبير والنغم، وقد خرج من هذه المدرسة الإنجليزية باحثون اهتموا بدراسة السمات شبه اللغوية ، أمثال: Laver ، وكريستل، وغيرهما، وسوف نوضح هذا بعد قليل.

<sup>(1)</sup> C. Maury - Rouan 1993, P. 103.

<sup>(2)</sup> U. Eco 1976, P.8.

٤- ترتبط أيضاً بدر اسات المعنى في مدرسة لندن عند فيرث وتلاميذه، الذين بلوروا نظرية المحنى متأثرة بفكرة السياق عند الأنثربولوجي الشهير مالينوفيسكي، ونظرية فيرث للمعنى نقرر أن المعنى يخرج من سياق الحال Context of .

ومن هذا كله ارتبطت وخرجت دراسة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي Paralinguistic ، علماً بأن هذه الظاهرة مرتبطة بالتواصل ككل - كما ذكرت و هذا بأنواعه مرتبط بالثقافة ، وسوف أوضح ذلك في السطور التالية.

إن العلاقــة بيــن التقافة والتراصل علاقة قوية، وفي توضيح مفهوم كل منهما تتضــح هذه العلاقة القوية . تعرف الثقافة بأنها " كل مخططات الحياة التي أنتجت عبر الــتاريخ، بمــا في ذلك المخططات الضمنية والصريحة، والمقلية، وغير المقلية، وهي مرشــد في أي وقت لسلوك الإنسان ((۱)، فقافة أي مجتمع تحتوي على أي شيء، من مــتل مــاذا يعرف، أو يعتقد لكي يعمل في سلوك متعارف عليه بين أعضاء المجتمع، والثقافة كاننة فيما يتعلمه الإنسان باعتبار أنه مميز من خلال ميراثه البيولوجي، والثقافة ليســت إلا عملــية تنظــيم للأفكار والمعتقدات والمشاعر، وصيغ للأفكار التي يمتلكها الإنسان في عقله (۱).

ومـن هـنا فالـنقافة تلعـب دوراً هو الأهم في تكوين المجتمعات الإنسانية أو التجمعات العرقية المتميزة، فهي تولد الروابط بين أعضاء مجتمعها، وتساهم في طريقة التفكـير والشعور والسلوك المشترك، كما أنها تساهم من ناحية أخرى بطريقة تواصلية رمزية في إثبات هذه الوشائج.

الثقافة نظام موروث من الأفكار المكونة من الخبرات الذاتية للأفراد، وباعتبارها طريقة مشــتركة للحياة يساهم في ذلك المستوى المادي والمستوى المعرفي [ اللغة – الرموز ] ، ومنهما نعرف أن الثقافة مشاركة (٢).

<sup>(1)</sup> Kluckhon, c and Kelly, W, 1945, P. 77.

<sup>(2)</sup> Goodenough, W.H. 1964, P. 36-37.

<sup>(3)</sup> Haslett, B, 1989, P.20.

يترادف في لغنتا مصطلحا الثقافة والحضارة، ففجد البعض يستعمل الحضارة بالدلالة نفسها الموجودة كــترجمة للمصــطلح الإنجليزي [ Culture ]، ونلحظ هذا في مقال د. أحمد أبي زيد: حضارة−

أما التواصل فهو تنظيم وتثبيس لنظام تقافي منمط من السلوك الذي يبقى ويضبط ويصدم الملاقات الإنسانية الممكنة (١).

ومن هذا نلحظ العلاقات المكملة بين التواصل والثقافة، فالبشر يكتسبون الثقافة والتراصل معاً، فلا توجد واحدة دون الأخرى، الثقافة مشاركة، وطريق الحياة مرضى عبنها من قبل المشاركين، والمشاركة والرضا يصنعان فقط من خلال التواصل، ويتواصل، الإنسان في وسط ثقافي يُشيِّد صيفة وطبيعة التواصل، ومن هنا يسأل الغرد عبن التأثيرات الثقافة في اكتساب الثقافة، فإنه يحتاج إلى معرفة أن الثقافة تبني كل من ماذا اكتسب، وكيف اكتسب، فمن خلال العمليات التواصلية تتحول الثقافة من جيل إلى جراء، ذلك أن كل ثقافة تفكير تحتى، وقيمة جماعية عرفية في نفسها (٢).

فطرق التفكير والشرور والسلوك المشترك داخل أية تقافة، كل هذا رموز للاتصال والمشاركة بين أفراد المجتمع، وهي شكل رمزي أو إشاري مشترك بين أفراد المجتمع، وبفضل هذا السلوك وبه يستطيع هؤلاء الأفراد التواصل والتفاعل فيشعرون بأنهم يكونون كياناً مميزاً يسمى مجتمعاً (٣).

<sup>—</sup>اللف...ة، المنشورة سنة ١٩٧١م، بمجلة عالم الفكر الكريتية، ولكن نلحظ أنه في السنوات الأخيرة قد استقرت ترجمة المصطلح الإنجليزي بمصطلح الثقافة، ونلحظ هذا في استخدامات اللغويين، ومسنهم: د. كمال بشر في مقاله: اللغة والثقافة، المنشور في سنة ١٩٩١م، وكذلك د. كريم حمام الدين في كــتابه: اللغة والثقافة، وهناك من المرب من يرى علاقات قوية بين مفهوم الحضارة ومفهــوم الثقافة، وإن اختلفا استعمالاً في اللغات الأوروبية، حول هذا انظر: مقال د. معن زيادة: بين الثقافة والحضارة، المنشور سنة ١٩٨٦م بمجلة الأبحاث.

<sup>(1)</sup> Ibid, P. 20.

وقد جمع د. محمد العبد عنداً من التعريفات الخاصة بالتواصل { أو الاتصال حسب تعبير د. محمــد ]، مــن هــذه التعريفات أنه نقل المطومات بين الأفراد نقلاً مقيداً بقناة محددة. وكذلك هو نظم صناعة الأخبار بواسطة العلامات، وهناك تعريف آخر ينقله هو أنه المؤشر على إحداث استجابة.

ويلاحــظ د. العــيد أن وظيفة الاتصال ليست دائماً نقل المحلومة أو صناعة الخبر - كما قال أحــد التعريفات - فريما التصرت وظيفة الاتصال على عمل جو من الموافقة الاجتماعية. انظر: كتاب د. العبد 1910م: ص ١٢٠.

<sup>(2)</sup> Ibid, P. 20.

<sup>(</sup>۲) د. کریم حسام الدین ۲۰۰۱م ، ص ۲۰

ومسن هنا العلاقة قوية بين التواصل والثقافة داخل أي مجتمع، الثقافة باعتبارها كديان مرمسز، والتواصل هو الترميز، وأي عضو في المجتمع يكتسب الاثنين معاً ، فالستقافة (١) والتواصل يكونان معاً في إطار المجتمع الواحد يكتسبان معاً، ويستخدمهما المجسمع معساً، ولعسل توضيح موجز لنظريات الثقافة بيين لنا أشياء مهمة في إطار التواصل داخل المجتمع.

# تلخص نظريات الثقافة في :

- [۱] الثقافة تعلى فطري، على اعتبار أن الروية الكلية للثقافة تعلى وتحول وتتقل من جيل السي آخر من خلال الأحداث الإنسانية، ومن التفاعل وجهاً لوجه، وبالطبع من خلال التواصل الإنساني، وهذه الروية للثقافة تشير إلى توضيح أن أي طفل من غير اعتبار للوراثة الجينية سوف ينمو ويحاول اكتماب النماذج الثقافية للبشر الذين يتواصلون ممه (۱).
- [Y] المنتفافة معرفة، ولمسا كانست الثقافة متعلقة فعن هذا فإنها يمكن أن تكون تفكير بمصطلحات لمعرفة العالم، هذا الفعل لا يشير فقط إلى أعضاء ثقافة ما يجب أن يعرفوا وقسائم أو تكون صالحة لإدراك الموضوعات والأماكن والبشر. تشير أيضاً إلى أنهم يجب أن يتشاركوا في نماذج التفكير وطرق فهم العالم (٢).
- [٣] المستقلفة كتواصل (<sup>6)</sup>، ولما نقول إن الثقلفة تواصل نشير إلى أن رؤيتها كنظام من العلامات، همذه هي النظرية العلامتية Semiotic الثقلفة، هذه الرؤية تعتقد أن

<sup>(&#</sup>x27;) يسير اللفوي الأمريكي بوجين نيدا E.Nida إلى تضيمات الثقافة، وسوف أنقل التعريف الذي أورده المستقافة أولاً، حيث يقول بأن : "الثقافة تشمل الموسيقي والفن والمادات الحميدة، وهذا ليس تمسريف الأنثر بولوجييسن المستقافة ، فعندهم هي كل السلوك المتعلم المكتسب من المجتمع المادية وغير المادية المنتقلة من جبل إلى جبل آخر، ثم يقسم الثقافة إلى تقافة مادية، واجتماعية، ودينية، ولغويسة، كما أن الثقافة مزيفة السلوك، المتفكير والثقاعل، لكننا لا نرى الثقافة، إننا نرى مظاهر ألماقة وبخاصمة الموضوعات - التي يصنعها أو يستخدمها الإنسان ، والأحداث التي يقعلها أو يقولها الإنسان ، فنظر: E.Nida, 1954, P. 28-29.

<sup>(2)</sup> A. Duranti, 1997, P.24.

<sup>(3)</sup> I bid, P. 27.

 <sup>(</sup>¹) مسن النيسن يناصرون ويأخذون بهذه النظرة الثقافة الأمريكي هول E. Hall ؛ ذلك لأنه يرى أن
 كسكًا من نظرية الثقافة ونظرية كيف تتشأ الثقافة خارج اهتمام كتابه، وأن كتابه يعالج الثقافة في-

السنقافة إعادة تمثيل المالم، فهي طريقة لجعل لإراك الحقيقة من خلال تشكيلها بقصصص وأساطير ، وأوصاف، ونظريات، وأمثال، وإنتاج فني والمسرحيات، برجهة السنظر هذه المنتج الثقافي البشري، مثلاً: الأساطير والقوس تصنيفات للعالم الطبيعي والاجتماعي (1).

يشير إلى أن هناك نظريات ترى الثقافة نظاماً من التوسط، على اعتبار أن الاستعمال العام للغة ما يأخذ مكانة في المستوى نفسه كاستعمال عام لكل الأهداف التي تطوقها في المجتمع<sup>(۱)</sup>، وترى على اعتبارها نظاماً من الممارسة<sup>(۱)</sup>، وكذلك كنظام من المشاركة (1).

ومن هذه النظريات نرى أن الثقافة بكل النظريات القائمة حولها تزكد أنها لا توجد إلا من خلال مجتمع بشري يصنعها، وهي نظام ممارس. كذلك فإن الإنسان داخل المجتمع يصنع ثقافته، ومن هذا أيضاً فهو قادر على الترميز، كما أن الثقافة والتواصل كل متحدد داخل المجتمع.

كما نشير إلى أن كل مجتمع تتجدد ثقافته بالاحتكاك مع الثقافات الأخرى، وأيضاً مسع الأحداث التي تطرأ على المجتمع ويتبع ذلك راصداً التغيرات الثقافية الملامات، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية (°).

-مجموعها كصديفة للتواصل. انظر: E. Hall, 1959, P. 51 ، كما أن هول يجمل عنوان النصل الخامس من كتابه هذا بعنوان ( الثقافة تواصل ] يفحص فيه الثقافة على اعتبارها تواصل. ننظر: E.Hall, 1959, P.119-126.

<sup>(1)</sup> A. Duranti, 1997, P.33.

<sup>(2)</sup> I bid, P.39.

<sup>(3)</sup> I bid, P. 43.

<sup>(4)</sup> I bid, P.46.

<sup>(&</sup>quot;) لمسل مسن هذا القبيل ما يذكره لوتمان وأوسينسكي من توجهات بطرس الأكبر ١٦٧٢ – ١٦٧٠م في روسيا ممادلة إلى درجة كبيرة لمولجهة الطقوس والرموز القديمة التي عبر عنها بالمواجهة بخلق علامات جديدة، قطى سبيل المثال أصبح حلق اللحية إلزامياً بعد أن كان إطلاقها أحملاً، كما أصب ح ترتداء الملابس الروسية التقليدية أصباح لرتداء الملابس الروسية التقليدية أسسلاً. انظر: مقسال لوتمان وأوسينسكي، ترجمة د. عبد المنحم تليمة، المنشور في كتاب من إشراف د. سبزا قاسم، د. تصر أبو زيد ١٩٨٦م، ص ٢٩٦، ويشير من، أ. ورم إلى أن التغير»

وتتنوع أنظمة التواصل إلى لغوية وغير لغوية، واللغوية التي يكون التواصل من خلال الإشارات الجسمية من خلال الإشارات الجسمية Gestures ، وحسركات الجسم وأوضساعه، وكذلك التواصل عن طريق اللمس والشم والشم والشخق، وهذلك التواصل والرسم والنحت، وهذلك التواصل المعري عن طريق الخط والكتاب والرسم والنحت، وهذلك التواصل السمعي ويتعتل إلى جانب الكلام في الموسيقي والغناء (1).

وهناك تواصل عن طريق الأنظمة الدلالية الأدانية التي تعتمد على أشياء خارجة عن جسم الإنسان، ونتمثل في:

 الأشياء التي يستعملها الإنسان، مثل: الملابس، والحلي، وبعض الأدوات التي تستعملها المجتمعات في أغراض مختلفة تحمل دلالات مختلفة، مثل: المنديل، والمسجة، والعصا، والسيف، وغير ذلك.

٢- المؤسسسات، ويعنبي هنا نظاماً محدداً من سلوك الجماعة تتواصل من خلاله ويخضب للتواضع والاتفاق، ويعد جزءاً أساسياً من ثقافة الجماعة، ومن ذلك نظام القرابة، ونظام الدين، ونظام الاقتصاد (١).

ومن هنا نلاحظ تعدد أنظمة التواصل داخل المجتمع، فإذا كان الإنسان قادراً دون غيره من الحيوانات أن يتكلم ويصنع بنظام اللغة العالم الذي يعيش فيه، فإنه يصنع هذا العالم أيضاً بأنظمة اجتماعية أخرى تحمل دلالات ومضامين مختلفة ترمز وتشير وتزدي وظائف مثل اللغة، ومن هنا يمكن أن نقول بدلاً من تعريف أرسطو القائل: إن الإنسان حيوان ناطق، نقول: إن الإنسان حيوان متواصل؛ ذلك لأنه يصنع أنظمة أخرى

حني الثقافة بوثر على اللغة، ويودي إلى انتراض اللغات في أحيان كثيرة، ومن ذلك ما يشور إليه ورم من أن ضنغط النقافة الأوربية الدخيلة على لغات السكان الأصليين في أستراليا أذى إلى القضاء على الثقافة الثقليدية للمتكلمين بهذه اللغات، فحلت محلها صورة من الثقافة الأوربية لم تسترعيها أفهام همولاء القوم في أغلب الأحيان، وكانت التتيجة أن أصبحت الفقاهم القومية الثقليدية المعتددة أسراً لا ضرورة له بعد انقراض الثقافة التقليدية بكل مفاهيمها، تنزجمة مقال محمود المقالة المقادة وانقراضها، ترجمة أمين محمود الشريف بمجلة ديوجين، المدد رقم ٨١ ، ص ٤٢ .

<sup>(</sup>۱) د. كريم حسام الدين، ١٩٩١م، سن ٢٧ - ٢٨ .

<sup>(</sup>۱) السابق: ص ۲۸، وانظر: كتاب برنارتوسان، ۲۰۰۰م، ص ۲۱ - ۳۳ .

مع اللغة هي سلوك له دلخل المجتمع تخضع للمواضعة مثل اللغة، كما أنها هذه الأنظمة جميعاً تؤدي وظيفة واحدة هي التواصل<sup>(1)</sup>.

وأشير في الصفحات التالية إلى مواد فكرة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي Paralanguage وأثرها الدلالي في عملية التواصل، وأقرر هذا أنها وادت كما سيتضـــح من خلال البحث الانثربولوجي اللغوي في أمريكا، ومن خلال مدرسة فيرث الإنجليزية المستأثرة بسروى مالينوفسكي الانثربولوجي، وتطورت هذه الأفكار ادى الباحثــن فــي أنتوجرافــيا التواصل وبخاصة عند اللغوي الأمريكي الكبير ديل هابمز D. Hymes

من أو لال الذين أسسوا لهذه السمات اللغوي الأمريكي لإوارد سابير سنة ١٩٢٧م فيه مقالسة بعنوان [ الكلام كسمة شخصية Speech as a personality trait [ الكلام كسمة شخصية الموت و الكلام، فالصوت و الكلام، فالصوت هو حركة تعبيرية Expressive Movement مكسا أسله مفقدة مثل: درجة الصوت الموت الموت المساقب المس

<sup>(1)</sup> د. كسريم حسام الدين، 1911م ، من ٢٩، نشير إلى أن عملية تواصل البشر داخل المجتمع بمثل التواصل غير اللغوي فهمثل ٢٠٠ من حجم التواصل غير اللغوي فهمثل ٢٠٠ من حجم علم علم علم التواصل أو التواصل عملية التواصل عملية التواصل الإنصائي، والدور المهم المتواصل غير اللغوي في الحياة الإنسانية، وكذلك الارتباط الوثيق بين التواصل اللغوي، والتواصل غير اللغوي، ونعرف كال تعدد تنوات التواصل الغرات كذلك تعدد تنوات التواصل. انظر: كتاب د. كريم السابق، ص ٣٠.

<sup>(&</sup>lt;sup>٢</sup>) طبيع هذا البحث سنة ١٩٢٧م ، ثم طبع مرة أخرى في كتاب محرر من قبل اللغويين J.Laver (<sup>٢</sup>) طبيع هذا المجتبع في سنة ١٩٧٧م ، وهي المجتبع في سنة ١٩٧٧م ، وهي التي التي التي اعتمدت عليها .

<sup>(3)</sup> E. Sapir, 1927 = 1972, P. 71-72.

<sup>(\*)</sup> انظــر ترضــــرحات أكثر عن رزية سابير في المقال الثالي : G.W. Allport and H.Cantril, (\*) 1972, P. 156.

كما أن سابير بشير إلى أنه من خلال الإنسان تنقل تعبيرات، لكن نادراً ما نقف 
لتحلسيل هذه الظاهرة من السلوك، فهناك عدد من الأنواع المختلفة من الصوت، ويقول 
إنه في أساسيات صوت الإنسان يمكن استشفاف معاني كثيرة عنه، يمكن استشفاف أنه 
عاطفي أو قساس (١). كما يقرر أن الصوت معيز أكثر لعدد عظيم من الاختلافات 
السلوكية التي يضغرها مع الصوت ويعطيها نوجيتها الديناميكية، ثم يتكلم سابير على ما 
أسماه ديناميكيات الصوت Voice Dynamics ، ومنه التغيم الذي يراه حقلاً مهما جداً 
لاكتشافات كل من اللغوي وعالم النفس، ويزعم أن هناك تنغيماً شخصياً 
Individual 
يراه مهمساً باعتباره عنصسراً اجتماعياً، وكجرزء من الاختلافات 
الشخصية (١).

الخلاصة أن الأستاذ سابير (٢) حاول لفت الأنظار إلى أن الكلام عندما ينطق فهو يحمــل فــي طيّاته تواصلاً صوتياً من خلال كل السمات التي ذكرها لتحمل مضامين تستحق أن تدرس.

ويأتى بعد سابير اللغوي الأنثربولوجي الأمريكي تريجر G. Trager ، الذي يؤكد أن الكل يدرك أن التواصل أكثر من اللغة، ذلك أن اللغة في أدائها مصاحبة بأنظمة تواصلابة أخسرى، واحدة مسنها الحسركات الجسمية، وأخرى ما يسمى بالأصوات والضوضاء فوق اللغوية Extralinguistic Nouses - Vocalization (1).

كما أن تريجر يرى أن كل تقافة هي تفاعل قاتم على التواصل، وأن التواصل هـ ون التواصل التي تحدث في مركب ثقافي كلي، وأن اللغة توصف هذا – عند، – على أنها نظام ثقافي يستخدم عدداً من الضوضائيات الناتجة من خلال الأحبال الصوتية<sup>(ه)</sup>.

<sup>(1)</sup> E. Sapir, 1972, P. 75.

<sup>(2)</sup> I bid, P. 76.

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) يشير الأنثربولوجيي الأمريكي بيردوسل إلى أن السمات الخاصة بما يسمى Paralanguage بدأت بعدد من الكتب في القرن التأسع عشر إلا أنه يذكر أن أهم من كتب في هذا المجال هو إدوارد مسابير. انظر عرضماً فوساً لمقاريخ البحث في هذه الظاهرة في البحث الثالي :
Birdwhistell, 1972, P.82-99

<sup>(4)</sup> G. Trager, 1964, P 275.

<sup>(5)</sup> I bid, P. 275.

هذه الرؤية المغة مهمة في تصور تريجر الكامل التواصل؛ ذلك لأنه يرى عندما 
نستعمل اللغة فإنها تأخذ مجاناً كحدث الكلم، فالكلام يحدث نتيجة للأنشطة التي تصنع 
كخلفية تسنقل صدونياً، هذه الخلفية – في تصور تريجر – تقمل التشريح الخاص 
بالمنكلميسن والسناقل الفيزيائي الكلي . هذا في المنطقة التي أسماها Perlinguistics 
ومقابل هذه الخلفية بوجد ثائثة أنواع من الأحداث المستخدمة في الجهاز الصوتي ، 
اللغة كما وصفت، أما النوع الثاني فهو الضوضائيات الأخرى المنتوعة التي ليست من 
بنية اللغية، والتي يسميها التصويب، أما الدوع الثالث فهو التكييفات لكل من 
الضوضائيات noises الأخرى والتي يسميها نوعيات الصوت Voice Qualities ، هذان 
السنوعان الأخيران – عملية التصويت – ونوعيات الصوت مماً يسميها بالمصطلح 
السنوعان الأخيران – عملية التصويت – ونوعيات الصوت مماً يسميهما بالمصطلح 
المنوضائيات المحدادة الكامن (1).

وت...أخذ هذه الظاهرة مكانها من البحث في المدرسة الإنجليزية، والتي يتمركز تفردها عن غيرها من المدارس اللغوية بعنصرين مهمين منتجين من هذه المدرسة الإنجليزية وهما ما تسميه هذه المدرسة بالتحليل البروسودي<sup>(٢)</sup> للأصوات، والثاني هو ما أسماه رائدهم فيرث بسياق الحال Context of Situation ، وهذان العنصران مهمان في تحليل الظاهرة التي بين أيدينا الآن، وأبدأ بتحليل رويتهم للعنصر الأول.

<sup>(1)</sup> I bid, P. 276.

<sup>(</sup>¹) توجيد دراسات لهذه المفاهيم مطبقة على بعض الثقافات؛ ومنها دراسة ماري هامن M.R. Haas التسيى وجيدت عبدداً من الاختلافات بين كلام الرجل وكلام المرأة في لفة Koasaii في جغرب غيرب Louisiana فنطق المرأة يسم بالسهولة والبطء والنمومة، وللمزيد انظر بحثها M.R.
Hass, 1964, P. 229.

<sup>(&</sup>lt;sup>7</sup>) ارتضىينا اقتراض هذا المصطلح وتعربيه كما قعل د. أحمد مختار عمر – رحمه الله – في كتابه وتشاب بصبب عدم تكافؤ [دراسية المصوت اللغوي]. انظر: ص ١٨٦ - ٢٠١ من كتابه، وذلك بسبب عدم تكافؤ المصيطلحات العربية المقترحة وضوضه، حيث اقترح د. محمد علي الغولي مصطلحين، هما: فوضيم ضوق قطمي، وسمة فوق قطمية، انظر معجمة: معجم علم اللغة النظري. وأدير إلى أن مصيطلح Prosody كمسا. يذكر بالمصر أن أول استمال له بالمعني العلمي العالمي العالمي النظرية على يد فيرث، وكان أول من عالج معالجة صريحة لنظرية البروسودي، انظر: إضافات أكثر في بحث بالمر التالي: F.R. Palmer, 1972, P. 181.

طرحت نظرية التطيل البروسودي من خال اللفوي الإدجليزي فيرث J.R.Firth (1)، وعززت بنطبيقات لهذا المنهج من خلال تلاميذه ، ومن ثم تطورت هذه النظرية.

ومسن خسلال فيرث وتلاميذه ليشمل التحليل البروسودي أجزاء الجملة، ويضم بروسودي الجملة [ التتفيم ] ، وطول الصوت، والنبر، والعلاقات النغمية بين المقاطع، وبروسسودي أجزاء المقاطع، مثل: السمات الصوتية النَّضَيَّة Aspiration ، والانفجاريسة Plosion ، وعسيرهم من الصفات ، والوحدات الصوتية المسوتية المتحدة من خلال مخارجها وصفاتها (1).

R.H. Robins, 1973, P. 262.
(2) R.H. Robins 1973, P. 367.

نشير هنا إلى أن منهج فيرث وتلاميذه بختلف عن المنهج الذي انتهجه الباحثون الأمريكيون في عام 
تنازلهم هنذه الملامح الصوتية، فمن خلال بحث هوكيت Hockell 1942 عن منظومة في عام 
الأصوات الوصفي، وقد عالج فيه السمات البروسونية من خلال ما أسماه Superementals 
فوق التركيبية، وهاريس Z.Harris في بحثه 1944 عن المكونات المباشرة المتزامنة في عام 
الأصبوات، هو أول من عالج ما يسمى بالمكونات الطويلة في التحليل الصوتي الأمريكي، وهناك 
هرجن Phoneme or prosodeme في بحثه e phoneme or prosodeme وحدة صوتية أو وحدة 
برومسودية، فإن ما يسمى عند الأمريكيين Superasegmental = فوق التركيبية يسمى عند 
فيرث بالبروسودي Prosody ، كما أن جوهر البروسودي عند فيرث هو النبر والنغم وطول-

<sup>(</sup>¹) مسرت تطيلات فيرث لنظرية البروسودي بمراحل بدأت بمقالين، أحدهما صحر في سنة ١٩٣٥، وللثاني في ١٩٣١، وتطورت تحليلاته أكثر في مقاله: الأصوات والبروسوديات ١٩٣١، وغر واضع Prosodies والشخي نشر سنة ١٩٤٨، لكن اللغوي إلى فيشر Prosodies ودينين Prosodies في مذه الأبحث، ويرى أن أبحث تلاميذ فيرث من أمثال روبنز Robins ودينين Palmer وبالسر Palmer زودتسنا بمقدمات جيدة عن مدرسة البروسودي، ويحد من التطبيقات المعتمد النظرية بلغات مختلفة شرقية وأفريقية. انظر تفاصيل أكثر في بحث فيشر الثالي: Eli Fischer للنظرية بلغات مختلفة شرقية وأفريقية. انظر تفاصيل أكثر في بحث فيشر الثالي: Jorgensen, 1970, P. 60. المحلم السياقات المعتربة العامة وأنواعها، ووصف المقاطع الأحادية، وتوضيح الملامع السياقات المعتربة العامة وأنواعها، ووصف المقاطع الأحادية، وتوضيح الملامع بحسنه ١٩٤٨ (يصرح بتشديده على أن الملامع المعربية تخرج من المياق ككل، وأيس من خلال الأصبوات أو المقساط أو الكلمات – كمسا كان يتصور دائيل جونز D. Jones أن الملامع المسوتية كلهسا تؤخذ من خلال الكلمة – ، ففي تصور دائيل جونز المعربية متطقة بالكلمة والمصل والشياق، والجمل ككل حيث تصاغ الملامع البروسودية. لنظر في ذلك:

الذي نريده من هذا العرض أن التحليلات البروسودية التي قامت على يد فيرث وتلاميذه قد أفلات في ملاحظة الظاهرة التي نحن بصددها، فعملية التصويت وغيرها من العمليات التابعة للكلام قد لوحظت صوبتياً أكثر من خلال هذه العدرسة، وقد أضافت هدده العدرسة عنصراً آخر مهماً في دراسة هذه الظاهرة تقافياً، ألا وهو سياق الحال Context of Situation (1).

إن فكسرة سياق الحال قد أضافها الأنثربولوجي مالينونسكي، وبها أضاف فكر سياق الحال إلى النظرية اللغوية، وعالج معنى الكلمة بواسطة إرجاعها إلى السياق الثقافي المستخدمة فيه، ووضح علاقة اللغة بالثقافة، وعلم اللغة بالأنثربولوجي(<sup>1)</sup>،

<sup>∞</sup>المقطــــه، أما في المفهج الأمريكي فالنبر ودرجة الصوت Pitch وحداث صوتية فوق تركيبية. وطول المقطع خارج إطار النظام الفونيمي عند الأمريكيين.

ويلخـــص لايـــنز الفروق بين المنهج الفونولوجي الأمريكي والمنهج البروسودي الإنجليزي **في ارتين** رئيسين:

الأول: المحلسل بالصنهج الفونولوجسي الأمريكي ينظم المعطيات الصعوتية، بينما البروسودي يصط المعطسيات الصعوتية فوق سلسلة بخط مستايم من الوحدات الصعوتية القطعية، بينما المحلل بالمغهج البروسسودي الإنجليزي يصف المعطيات بمصطلحين مفتلفي العناصد ، هما: الوحدات الصعوتية Phonemic Units والبروسوديات Prosodies .

الثاني: البروسودي مختلف عن صاحب المنهج الفونولوجي الأمريكي في أنه لا يقيم بياناً مفصلاً عاماً ممسلاً عاماً ممسونية مسونية مختلفة... هذه الاختلافات ربما تكون ملخصة بقول مفاده : أن النموذج الفونولوجي وحيد البعد Unidimensional ، أما البروسودي قله بعدان، ومتمدد الأنظام J. Lyons 1972, P. 230. نظر بحث لاينز التالي: Dolysestemic ، أما البروسودي المحالة بعدان، ومتمدد

<sup>(&#</sup>x27;) يشرر فريرث إلى أن مصطلح Situation لم يكن مالينواسكي أول من استخدمه، وأن الألماني وهرير فرود المتعاره مالينواسكي وجاردنر، وجدنر P. Wegener أول مسن استخدمه سنة ١٨٨٥م، ومنه استماره مالينواسكي وجاردنر، انظر بحدث فيرث J.R. Firth, 1957, P. 177 ، ولكن فكرة السياق هذه فكرة مالينواسكي، كسا يشرير جورمان، انظر حول هذا المصطلح وتاريخه القصل الأول والثاني من كتاب اللغومي الفرنسي جورمان التالي: C.German, 1973, P. 9-5.1.

 <sup>(</sup>ا) لنظر بحدث فررث: التطريات الأندورالية واللغة مع الإشارة إلى روية ماليدولسكي، ضمن المقالات الذي جمعها بالمر وحررها في كتاب ولحد سنة ١٩٦٨م -١٩٦٦م 137.
 167 .

ويشير كاود جيرمان C. German إلى السياق كما استخدمه مالينوفسكي في مقاله مشكلة المعنى جمل السياق اللغوى شاملاً لكل من:

- معرفة البنية العامة للغة .
  - السياق المعرفة اللغوية للكلمة .
- المعرفة فوق اللغوية والتي تشمل على : معرفة سياق الحال .

المعرفة الاجتماعية والأنثربولوجية (١).

وتطورت فكرة السياق هذه على يد اللغوي فيرث، فأصبح ما يسمى بسياق الحال أساساً لنظرية المعنى، وجزءاً مهماً من نظرية اللغة في هذه المدرسة (<sup>7)</sup>، فقد أخذ فيرث فكرة السياق مسن مالينوفسكي وأضاف إليها، حيث اهتم بالخلفية الثقافية للغة، وبنى نظريسته اللغويسة، وهو القاتل بأن كل علم اللغة في دراسة المعنى، والمعنى كاتن في وظيفة السياق (<sup>7)</sup>.

ومسن هسنا فقد كان مفهوم سياق الحال عند الأنثريولوجي مالينوفسكي مصدراً مهماً لسنظرية اللغة في مدرسة لندن اللغوية، وبه يضيف إضافة قوية إلى الإحساس بالظاهرة التي نحن بصددها، والتي تعتمد على الفهم الكامل الثقافة المراد تحليل الظاهرة فيها، وأيضاً سياقاتها.

من خلال هذين العنصرين المهمين في المدرسة اللغوية الإنجليزية بدأ اللغويون في ملاحظة ودراسة الظاهرة المسماة Paralanguage ، وفي الصفحات التالية عرض موجز لبعض الدراسات لهذه الظاهرة.

<sup>(1)</sup> C. German, 1972, P. 123.

<sup>(2)</sup> R.H. Robins, 1971, P. 33.

وفسي بحست روبنز هذا والمحنون بقوله : مالينوفسكي ، فيرث وسياق الحال يرى أن القلط الأساسية لـنظرية المسبواق عـند مالينوفسكي في الآتي: أن النظرة القديمة للغة على أنها أداة الفكر ، هذا المتعريف عديه القيمة تماماً، فاللغة حسب مالينوفسكي سلوك فعال مثل بالتي الأنشطة الاجتماعية الأخسرى، وليسست وعاة المفكر، كما أضافت نظريته أن الكلام لا يفهم من خلال عملية التمسويت ققسط، بسل المسباق اللغسوي يمساهم في هذا من خلال التاريخ والوضع النفسي لكل من المتكام والمخاطب، انظر بحث روينز السابق الذكر 35-93 . P.

<sup>(3)</sup> M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan, 1986, P. 8.

مـن أهم الذين درسوا هذه الظاهرة عالم اللغة الإنجليزي ديفيد إيركرومبي، وقد أفاض في توضيح وتضير هذه الظاهرة في كتابه الذي ترجمه إلى العربية د. محمد فتيح – رحمـه الله - : مبادئ علم الأصوات العلم، في هذا الكتاب يوضح في الفسل الأول اللهـة وعلاقــتها بالوسـط، فيشير إلى أن اللغة تنقل بوسطين إما منطوقة أو مكتوبة، المنطوق والمكتوب ينتميان إلى اللغة نفسها، لكن يتضمنان في وسطين مختلفين، يتركب أحدهما من شكال [ المكتوب ] ، والآخر من ألوان من الضوضاء [ العنطوق ] (١).

ومن هذا فمن الممكن للغة نفسها أن تنقل عن طريق وسطين مختلفين، ويواصل كلامه قائلاً: " إن ما نفعله عند تمييز اللغة من الوسط هو الفصل بين النموذج وتجسيده المسادي المستقل عنه بمعنى ما، فيمكننا أن نقول: اللغة شكل وقالب في حين أن الوسط مادة " (١).

كما يشير إبركرومبي إلى أن الوسط بالإضافة إلى ماله من خاصة تتعلق بإمكان 
تشكيل النماذج القادرة على حمل اللغة، فإن الوسط له خواصه الذائية المستقلة أيضاً، 
فالأوساط - حسب إبركرومبي - لا يبتكرها النشاط الإنساني فقط، بل تترك أيضاً على 
الكلمة المكتوبة والمنطوقة طابع الشخصية التي خلقتها، فمعظم ما يؤسس من نشاط 
بشري يظهر بشكل غير مباشر أموراً كالحالة النفسية والمركز الاجتماعي والأصول 
الجغرافية، وهام جرا .

و " الوسط اللغوي خاصية صنع هذا؛ فهو اليس لغة في نفسه، بل مركباً الغة .. ، فضيصن وجبوه الوسط المستحقة البحث على سبيل المثال الطريقة التي ينظم بها في نماذج ليقوم بوظيفة حامل اللغة، وخصائصه المادية والجمالية، وعلاقته بالأوساط الأخبرى وباللغة التي يحمل، ونوع الحركات الجسدية التي يتضمنها إنتاجه، والمدى المني يذهب إليه في قيامه بدور الدلالة على خصائص الشخص الذي يحقق الحركات الناتجة " (").

<sup>(</sup>۱) دیفید ایر کرومیی ۱۹۸۸ م صل ۲ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) السابق م*ن* ۹ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۱</sup>) السابق م*س* ۸ .

كما يشير إلى أن كل الأوساط تقترك في شيء واحد، وهو أنها تتوسط بين منتج اللغة ومستقبلها، ولهذا برتبط بكل منها نوعان من النشاط الإنساني : النشاط المنتج الذي ينشأ عنه الوسط، والنشاط المستقبل الذي به يُدرك (١).

تسم يفصل خصائص الوسط : ويسبها الخصائص الإشارية (١) المصائح Properties مقرراً أن أهم ما يمتلكه الوسط من خصائص هو لمكان تشكيله من نماذج، في المكان أو الزمان، معقدة ومنتوعة بصورة تكفي لحمل اللغة، كما يقرر أن الوسط لسيس موضوعاً مادياً أوجده نشاط إنساني، رائياً أنه ينجم عن هذه الحقيقة بعض خصائص الوسط فوق اللغوية الأعظم إثارة، التي تستطيع أن نقوم بدور مؤثر في التراصل الإنساني، قائلاً : " إننا عندما نقابل قرماً لأول مرة ينبني ما نكونه من آراء حولهم إلى حد كبير جداً على ألوان الحركات التي يصنعونها حين يتكلمون ويأكلون ويستخدمون الإشارة للتعبير ... إننا نفس طرقهم الاعتبادية المألوفة في صنع الحركات على أنها مفاتيح من النوع نفسه، وإن كنا في هذه الحركات لا نأخذ المفاتيح من ملاحظة الحركات الفعلية نفسها، بل من الشيء المصنوع المالات لا نأخذ المفاتيح من ملاحظة الحركات الفعلية نفسها، بل من الشيء المصنوع الانازي، أي من الوسط؛ فهو يحتفظ في شكله المادي بخصائص الحركات التي توجده، أو

ويسرى أنه من الممكن أن تسمى الملامة التي من هذا النوع إشارة an index ويسرى أن تسمى خصائص الوسط إلى إشارات كتلك " الخصائص الإشارية"
 كما يمكن أن تسمى خصائص الوسط إلى إشارات كتلك " الخصائص الإشارية"
 Linguistic Features المفيرة عن خصائصه اللغوية Indexical Features

كما أله يعد بعض الخصائص الإشارية الموجودة في كلام شخص ما أو في خطه مكتسبة أي متعلمة من آخرين، ومن ثم يجب أن يشتركوا فيها، على حين أن بعضها الآخر ليس بمتعلم، ومن ثم فهو فردي شخصي، زاعماً أن من بين الخصائص

<sup>(</sup>۱) السابق من ۹ ،

<sup>(</sup>أ) ترجمها د. فتيح هكذا، وربما تكون ترجمتها بالخصائص الدلالية ألرب إلى ما يريده إيركرومبي.

<sup>(&</sup>quot;) ليركروميي ۱۹۸۸م ، ص ۱۳ .

الأولى يشترك فيه أناس قليلون، وآخر تشترك فيه مجموعات كبيرة، وثالث تشترك فيه أم برمتها، بل تجمعات أكبر من التجمعات القومية (١).

كما يرى أن نقسم الإشارات الموجودة في نطقنا إلى ثلاثة أنواع، طبقاً لنوع ما ندل عليه :

## [أ] الإشارات الدالة على الانتساب:

ويتضــمن هــذا -حسب إبر كرومبى - نطق كل المتكلمين في اللغات جميعها إشارات محلية، يشترك في هذه الإشارات أعضاء الجماعات التي تعيش في منطقة ما، كمــا تــدل هذه الإشارات في بعض أجزاء من العالم دلالة دقيقة جداً على المكان الذي تربى فيه الشخص  $(\Upsilon)$ .

# [ب] الإشارات المييزة للفرد:

الإشارات التي تعيز الفرد ويمكن أن تسمى الإشارات الفطرية، وهي تمكننا من التعرف على الأشخاص عن طريق الصوت وحده عبر التليفون أو في الكلام مثلاً، كما أنها لا تُستعلم من الآخرين في العادة؛ فكثير منها يتولد في الواقع مباشرة عن بواعث طبيعية، ولهذا فهي فوق سيطرة المتكلم وإشارات الجنس والسن التي يتضمنها الكلام من هذا الدوع، وكذلك أثار التشوه الخلقي .. واللثغات ، ونظائرها من عيوب الكلام (<sup>77</sup>).

# [ح] الإشارات الكاشفة لحالات المتكلم المتغيرة:

هـذه الإشارات بمكن أن تخبر عند شخص ما دون النظر إليه ما إذا كان يتكلم بما ده وهذه الإشارات لا توجد دائماً في نطق شخص ماء بل تروح وتجيء بما يقال على الماديـة والمعنوية. وهناك إشارات أخرى من هذا النوع ترتبط بحالات التعب والإثارة والزكام والعم والإفراط في شرب الخمر والقلق، ومن الطبيعي أن تتولد بعـض الإشسارات أتوماتيكـياً عـن الحالات المادية التي تؤثر مباشرة على أعضاء النطق.(1).

<sup>(</sup>¹) السابق *من* ١٤ .

<sup>(</sup>١) السابق من ١٦ .

<sup>(</sup>۱) السابق ص ۱۷ .

<sup>(</sup>¹) السابق ص ۱۸ .

كما يشير إلى الخصائص الجمالية، التي هي من خصائص الوسط، ومن أمثلة ذلسك نطاق الوسلط أي حجم الأشكال أو درجة الصوت<sup>(۱)</sup>، مشيراً إلى أن الشعراء استغلوا في اللغات جميعها خصائص الوسط الموسيقية، والتي هي كثيرة ، منها الإيقاع وتترع طبقة الصوت <sup>(۲)</sup>.

ثم يفصل القول في الفصل السادس من كتابه عن العناصر الأساسية في الوسط الشفوي مقرراً أنها عنده مجموعات ثلاث، كالآتي:

### رأ] الخواص القطعية:

ويصفها بأنها تتكون من سمات سمعية معقدة في حالة من التذبذب السريع تعكس سرعة تعاقب حركات المصوتات، والخواص القطعية أيضاً هي ما تكون بوضع التساؤل عندما نقول إن شخصاً ما يمثلك صوتاً واضحاً (").

#### [ب] خواص نوعية الجهر:

وهــو يقصد بالجهر هنا ليس الصوت الذاشئ عن التصويت، أي تنبنب الأوتار الصــوتية، بل يقصد شيئاً أعم من ذلك بكثير " نعم هناك كثير من مكونات الوسط التي تقــع تحت العنوان: " خواص نوعية الجهر " عندما نُسِرٌ بشيء أي عندما يكون الجهر بمعناه الصوتي الدقيق مختفياً تماماً، بل إن بعض هذه الخواص يتحقق عندما نسعل فقط أو نتتهد أو نتتحت فالمصطلح " نوعية الجهر " يشير إلى هذه الخواص الموجودة تقريباً طوال الفترة التي يتكلمها الشخص " ()).

## [ج] خواص دينامية الجهر:

ويراها الخواص المعنية التي يسيطر عليها المتكام، ومن ثم من الممكن تعلمها، كما ينزع الناس المسبب نفسه إلى تقليد الأخرين فيها، وهي – حسب إيركرومبي قادرة على تميايز الطواقف الاجتماعية والأفراد كليهما، ويمكن النظر إلى هذه الخصائص تحت العناوين التالية (٩):

<sup>(</sup>¹) السابق من ١٩.

<sup>( )</sup> السابق س ۲۱ . (۲) السابق ص ۲۱ .

<sup>(&</sup>quot;) السابق س ۱۳۸ .

<sup>(&#</sup>x27;) السابق ص ١٣٩ .

<sup>(°)</sup> السابق من ١٤٤ .

۲− سرعة الإيقاع Tempo

١- الجهارة Loudness . - الاستمرارية Continuity

- الإيقاع Rhythm - ا

- Register - النفمة

- المجال الطبقي Tessitura - م

٧- تنبنبات طبقة الصوت Pitch Fluctuation -٧

هذا التحليل المستقوض بكون الافتتاح لدراسات أخرى في المدرسة اللغوية الإنجلسيزية، فمسئلاً يختار ليفير J. Laver نوعية الجهر وعلاقتها بالمعلومات الدلاتاية Voice Quality and Indexical Information ، ويذكر أنه اختار نوعية الجهر من خلال ما أسماه بالمعلومات البيولوجية Biological Information ، ويذكر أن هذه العملية يدخل فيها عدد من أعضاء الجهاز الصوتي، كما أن عملية التصويت متوقفة على صفات هذا الجهاز الصوتي(١).

كما يذكر أن هناك ربطاً بين حجر الشخص وطبيعته وحجر حدورته والأحيال الصوئية، فلو سمعنا صوتاً عميقاً جداً في الهاتف نتوقم بثقة أن المتكلم رجلاً كبيراً قوياً، فمن خلال الصوت تأخذ انطباعات عن جنس وعمر المتكلم، كما يشير إلى انطباع آخر يحدث من خلال الصوت و هو الحالة الصحية للمتكلم، ويضرب مثالاً لذلك يربط فيه بين المنتكلم بهمس والصحة الضعيفة، وبين ما يسمى بالأصوات الصاخبة العميقة والصحة الجيدة (٢)

كما يشير إلى أن نوعية الجهر تمدنا بدلالات نفسية قاتلاً: " بأننا نرى كمسمعين إلى اسستنتاجات مسن نوعية الجهر من خلال الملامح النفسية لأي متكلم، ففي تقييم الشخصيية نحن مستعدون في الثقافة الغربية للاعتقاد أن أي صوت أجش مرتبط أكثر بالملامح العدوانسية والسيطرة الدكتاتورية ، وأن صوت الهمس مرتبط أكثر بالصوت المتواضع والمطيع والشخصيات الحليمة (٢).

ويأتي اللغوى الإنجليزي ديفيد كريستل D. Crystal ليشارك في هذا المضمار من خال بحاثه المنتطق بالبروسودي والسمات المصاحبة للغة وعلاقتهما بالطبقات

<sup>(1)</sup> J. Laver 1972, P. 190.

<sup>(2)</sup> I bid, P. 196 - 197.

<sup>(3)</sup> I bid, P. 198.

الاجتماعية، يشير في البداية إلى أن المظاهر الصوتية غير القطعية non-Segmenta البافسوط ، همذه الملامسح عولجست بندرة (١٠)، كما يشير إلى أهمية الأبحاث الخاصة المتوجر السيا التواصل، فهي تبرهن على نظلة أخرى في الاتجاه الصحيح، فهايمز يؤكد بوضوح كبير إلى الاحتيام إلى تطور أشرجر الفيا الكلام لتعريفها لخصوصية أنواع تلائم لقول مع أنواع السياقات (١٠).

وتحاول دراسة كريستل أن تتخذ من الملامح غير القطعية [ n-s ] في السياق الأنثريولوجيين واللغويين، الأنثريولوجيين واللغويين، والنغويين، وربما هذا يساحد في توضيح طبيعة هذه الملامح، ويخلص إلى أن هذه الملامح متعلقة ودالة على معلومات منها الجنس والعمر ومكانة الإنسان، والتعلون والوظائف، وقد أعلى عدداً من الأمثلة المرجعية من الإنجليزية تؤكد نوعية المعلومة المتضمنة (٢).

من كل هذه الدراسات التي قدمناها تقرر الآتي:

- حدث تمريز بين الكلام Speech والصوت Voice من خلال الرائد معايير، ذلك أن الصحوت حركة تعبيرية، وأنه ملفوظ شخصي مركب من عوامل معقدة، باختصار هـو الصيغة الظاهرة التعبير اللغوي. أما الكلام يشمل المفردات المستعملة واللغة أو اللهجة المتكلمة، والبناء النحوي وطريقة التركيب، من هذا كله تتكون خصوصية الكلام.

<sup>(1)</sup> D. Crystal, 1972, P. 185.

<sup>(2)</sup> I bid, P. 187.

<sup>(3)</sup> I bid, P. 188-189.

وأشــر هذا إلى أن كرامر Kramer قد قام بتحليل معملي للأصوات ليحاول أن يثبت أو ينفي العاكلة بيــن العموت والشخصية، خلص منه إلى أنه لا توجد علاقة بين العموت والشخصية، لكنه يشير إلــى أن هناك من يلاحظ من خلال الخبرة العامة تحصل صلات بين العموت والشخصية، انظر بحثه التالي : E. Kramer, 1972, P. 184.

ويخلص كل من G.N. Allport and Cantril في بحثهما 1972 إلى أنهما وجدا استنتاج الشخصية يرسم مسن خلال كلامهم، وأن شخصياتهم متلائمة مع أسواتهم أكثر من أي سمة فردية . انظر بحثهما .1972 P. 156 .

- تتطور هذه الأفكار عند إبركرومبي ليدرس هذه الظاهرة بين الموسط واللغة معتبراً هذه الظاهرة هي الوسط في حالة اللغة المنطوقة، ويتوسع في دراسة هذه الظاهرة التي أفرد لها فصلين [ الأول، والسادس] من كتابه ١٩٦٧ [ مسادئ علم الأصوات العام]، وما يهمنا هنا أنه جعل لهذه الظاهرة دلالات هي كالآتي:
  - [أ] دلالات على الانتساب إلى طائفة من الناس.
    - [ب] دلالات مميزة للفرد ،
  - [ج] دلالات كاشفة عن حالات المتكلم المتغيرة (١).
- () إبركرومبسي ص ١٦ . ونذكس هنا أن هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر التراسطية أخذت روية أخسرى مسن خسلال البحسث في إنتوجرافيا التواصل Ethnography of Communication وبخاصسة عسد رائد هذا المجال الأمريكي ديل هابنز D. Hymes فقد بنى رويته لهذا المنهج علسى أن الكلام يتمركز أو يتحدد نظامياً داخل سياله الثقافي الاجتماعي، ففي بحثه 1968 عن التوجرافيا الكاسلام ركسز علسى أهمسية السدور الاجتماعي في عمليات التواصل، وفي تحديد المحاسل المميزة المسياق الذي يعادت التواصل، وفي تحديد الماط الأحداث الكلامية، حيث ركز على:
  - ١- الأشخاص المشاركون في الحدث الكلامي .
    - ٧- الموضوع الذي يتكلمون فيه .
  - ٣- الظرف ويقصد به السياق الزماني والمكاني .
    - ١- وضع الجسم عند الأطراف المشاركة .
  - ٥- القناة، باللفظ أم بالكتابة أم بالإشارة ... إلخ .
  - ٦- الشفرة [ اللغة أو اللهجة أو الأسلوب المستعمل ] .
- ٧- صنيفة الرسالة [حديث عابر غير رسمي أو مناظرة أو خطبة أو حكاية شعية أو قصيدة ...
   إلخ].
  - ٨- طبيعة الحدث التواصلي هل هو خطبة أو دعاء .
    - ٩- الطابع ، عل كانت خطبة جيدة أم لا .
    - ١٠- الغرض [ الذي يريده المتواصلون ] .
  - نظر توضيحاً أكثر في : .115 D. Hymes 1968, P. 99, 109 115.

كسا نذكسر أن هايمسز برى أن تعريف تشومسكي للقدرة اللغوية Competence تعريف ضبق لا يتناسسب مع الطبيعة الاجتماعية للغة، ومن ثم القترح استبدال القدرة اللغوية بالقدرة التواصلية، ذلك أنه يسرى أن القدرة اللغوية مقدرة عقلية الشخص، وأن القدرة تعتمد على المعرفة وعلى مهارة الاستممال في التواصل. انظر تفصيلات أكثر في بحثه التالي . D. Hymes, 1972, PP. 269-269 ومن خلال هذه المفاهيم سوف أحلل هذه الظاهرة ودلالتها في ثلاث من روايات الأستاذ نجيب محفوظ الذي لاحظت أنه يرتكز على هذه السمات الصوتية في رسم صحور أبطاله، وثقافاتهم بما تحتريه كلمة ثقافة من معاني أنثر وبولوجية، وحتى يتضع الأمر أذكر ما قاله إيركرومبي من أن الأستاذ هيجنز H.Higgins بطل بيجماليون كان متخصصماً في تحديد أماكن الناس بالاعتماد على لهجاتهم أنا، بمعنى أن المؤلف يرسم من خلال أبطاله كثيراً من الظواهر التي أمامنا، ومن ذلك ما يذكره د. كريم حسام الدين محن أنسنا يمكن أن نقف على مثل هذه السمات الصوتية التي تميز المتكلمين دلالة هذه السمات في الأعمال المسرحية و المسلسلات الإذاعية و التليفزيونية والقصيص والروايات الابيبة، وقد مثل لذلك بمقتطفات سريعة من ثلاثية الأديب المعاصر نجيب محفوظ تصور السلوك الصوتي السيد أحمد عبد الجواد بطل الثلاثية وزوجته ربة البيت من مثل

- " وقسف الحسنطور أمام البيت وارتفع صوت زوجها وهو يقول في نبرات ضاحكة استودعكم الله ... " (<sup>T</sup>).
  - " السيد عبد الجواد: مساء الخبر يا أمينة .
  - فقالت بصوت خفيض ينم عن الأدب والخضوع: مماء الخير يا سيدى "(٢).
- " ... ومضت أمينة إلى الأب فزفت إليه البشرى بنبرات رقيقة مهذبة مبالغة هذه المرة في حيانها وتهذيبها ( <sup>(3)</sup>).

ومــن هذا نصل إلى أنه تحول مع هذه الدراسات الاهتمام باللغة بنية ودلالة منفصلة عن سياقها إلى
 الاهــتمام باللغــة في سياقها مع الانظمة التواصلية الأخرى التي تتكانف مع اللغة للوصول إلى ولوج
 دلالة كاملة للحدث التواصلي .

<sup>(</sup>¹) اِبرکرومبي ص ۱۹ .

 $<sup>\</sup>binom{1}{2}$  انظـر د. کـریم حسام الدین ۱۹۹۲م ، س ۸۳ وما بحدها، وکذلك بین القصرین لنجیب محفوظ می ، ۱۰ .

<sup>(&</sup>quot;) بين القصرين من ٨ .

<sup>(&</sup>lt;sup>1</sup>) السابق م*ن* ٢٤٩ .

ومن هنا فإن الوسط بمفهوم الأمتاذ إيركرومبي يكون هو الشخص المستخدم للغة الموجودة لدى مجتمعه، هذا الوسط أو هذا الشخص ينتج اللغة حسب خواص شخصية، ومن هنا يأتي الاختلاف، فمن خواصه الشخصية يظهر جنسه وعمره وحالته الصحية والنفسية والنماؤه الاجتماعي وثقافته في استخدام هذه السمات. كما أن هذه الظاهرة وفي لم توصف وصفاً علمياً في مجتمعات كثيرة إلا أننا نلاحظ أن كل ثقافة لها سمات خاصة في الاستخدام في الثقاعل مع الأصوات، ولهذا هناك تقنين دلخل كل ثقافة لاستخدام الأصحوات أو قبل استخدام الوسط الحامل للكلام، ومن ذلك نجد في الثقافة الإسلامية وفضاً لما والصوت، يقول الشمائي: ( والقصيد في منشيكة واغشنش من الإسلامية رفضاً لمان المصوت، يقول الشمائي : ( والقصيد في منشيكة واغشنش من الكلام.

<sup>(&#</sup>x27;) سورة لقمان: الأية [١٩] .

# 

الكلامي، وتحتري على العناصر التالية :

[1] السمات الخاصة بالكلام ودلالاتها، وتحتوي على:

[أ] الإشارات المميزة للفرد، والخاصة بالسمات الشخصية ودلالاتها.

[ب] الإشارات الكاشفة لحالات المتكلم المتغيرة ، ودلالاتها.

[ج] الإشارات الدالة على الانتساب إلى طائفة معينة.

[۲] دلالات الأصدوات غير الكلامية [ الفضلات الصوتية ، مثل: الضحك،
 والبكاء، والصراخ، والتأوه، والمغمة] .

كسل هسذا مسن خسلال مسادة البحث، روايات الأستاذ نجيب محفوظ : ملحمة الحرافيش، الشحاذ، السكرية . وأبدأ بالقسم الأول:

#### [1] السمات الفاصة بالكلام ودلالتها:

[أ] الإشارات المموزة للغرد، والخاصة بالسمات الشخصية ودلالاتها:

إن الصدوت سمة تحدد السمات الشخصية، ويسميها البعض الإشارات القطرية، وهمي تمكننا من التعرف على الأشخاص عن طريق الصوت وحده عبر الهاتف أو في الطلاح مدثلاً، كما أنها لا تُتعلم من الآخرين في العادة، فحسب إدركروميي كثير منها يستولد في الواقع مباشرة عن بواعث طبيعية، ولهذا فهي فوق سيطرة المتكلم، وكذلك يتضمن إشارات عن الجنس والسن (1).

فالصدوت يساهم بشكل كبير في تحديد ممات الشخصية التي نسمعها حتى ولو كاندت في الظلام أو الهاتف، فإننا نتعرف من خلال الصوت عن جنس المتكلم وسنه، وهذا يدرجعه علماء الأصوات إلى أن لكل صوت إنساني بصماته المميزة التي قلما تنتبس ببصمات صوت آخر، ويذكر د. أحمد مختار عمر - رحمه الله - أن في علم اللغة يوجد مصطلح اسمه " التعرف اللغوي " الهدف منه في معظمه هدف عملي وهو القدرة على أن تدل من أصوات لغة منطوقة على نوع اللغة التي تواجهها، كما يشير

<sup>(</sup>¹) ليركرومبي س ١٧ .

إلى أنسه يستخل لتحديد المنطقة اللغوية الصغيرة التي ينتمي إليها المنكلم، لكن على المستوى الشخصي هذاك عوامل أخرى تحدد السمات الفردية، ومنها:

- الخصـانص النطقية المعينة الناتجة عن خاصة عضوية في المنكلم كأن يكون
   هناك تصلب أو ارتفاع في مؤخرة اللسان فينتج الصوت مغرغراً.
- يسؤدي إلسى تميسيز الأصسوات اختلاف معدن الصوت، والذي قسمه علماء الأصوات إلى معادن خمسة رئيسة.
- ٣- ويشميرون أيضاً إلى اختلاف الفراغات الرنانة المضخمة للصوت، وهي التي
   يمر خلالها الهواء بعد الحذجرة (١).

كما أن هناك من يشير إلى ما يسمى بالبصمة الصوتية للجنس، ويرون أن أظهر فسرق فسي صوت الذكر والأنثى البالغين هو " درجة الصوت" ، أو التردد الأساسي للتصويت الذي يعتمد على طول الوترين الصوتيين ووزنهما ودرجة توترهما، وقد خلق الله المرأة بوترين صوتيين أقصر وأقل ضخامة وأكثر قابلية للشد من وتري الرجل مما يسؤدي إلى حدة الصدي إلى حدة الصوتين.

وهـناك عـامل ثـان يمـيز الجنسين وهو نموذج الرئين الحادث في التجويف الصوتي فوق الحنجري ، فالذكور البالغون – في العادة – يملكون تجاريف صوتية فوق حنجرية أكثر مما تملكه الإناث ، ولذا فهم ينتجون حزماً صوتية أخفض، كما أن هناك عاملاً ثالثاً وهو العادات الكلامية لكل جنس، والتي نتبع الثقافة التي اكتسبوها (٢).

إن كمل همذه الموامل تصنع فروقاً بين الجنسين ، وبين الأفراد في كل من الجنسين، وسموف نرى من خلال التحليلات التي سوف أقدمها إلى أي مدى الصوت يوظف كسمة شخصية للأفراد، وله دلالاته على مستوى الأحداث في الرواية.

<sup>(</sup>ا) انظر د. مختار عمر ۲۰۰۲م، ص ۱۱۸ - ۱۱۹ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۱</sup>) السنابق من ۱۷۱، وانظير القصيل الفيامين من كتاب د. أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين ۱۹۱۱م، من من ۱۲۷ – ۱۶۳ ، وانظير الكتاب التالي: , Max.K. Adler, 1978 PP. 1-26

في رواية ملحمة الحرافيش يوظف الأسناذ نجيب محفوظ هذه السمات في رسم صور الأبطاله تحمل الدلالة التي يريدها، ومن هنا نراه يرسم صورة بطله عاشور قائلاً : "وثمــة شبح يقف منه على بعد شبرين يعكر عليه صفوه ويشده إلى عالم القلق، فرفع صون للأجش متسائلاً:

ماذا تنتظر یا معلم درویش ؟

فلكزه درويش في صندره وهمس بحنق :

- أخفض صنوتك يا بغل ! " (١).

نستنتج من هذه الصورة الروائية أن درويش صونه أجش، وهذا الصوت من قبل من معه " درويش " صوت غير مقبول، ذلك أن درويش يقول له: أخفض صوتك يا بغل! ، ويذكرنا هذا برؤية الصوت الحسن ، والصوت غير الحسن.

يقسول الفخسر السرازي في تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذَيِنَ آمَنُوا لاَ تَرَقَعُوا أَصْسُواتُكُمْ فَسُوقَ صَسُوتَ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ أَن تَحْبَطُ أَصْنَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَضْعُرُونَ ﴾ (١) ، يقول الرازي : " رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحسترام، أمسرهم سسبحانه وتعالى بأن لا يخاطبوه الله كما يتخاطبون فيما بينهم ولا يكثرون من الكلام بين يديه احتراماً " (١).

وتحفيظ لذا بعض كتب الأدب تصور العرب لجهارة الصوت، والتي تروي ما يؤكيد أن الجماعية العربية كانت تدعو إلى الالتزام بغض الصوت؛ لأنه من علامات الأدب واحترام الغير (4).

ويواصل نجيب محفوظ في رسم سلوك عاشور الصوتي في الحرافيش قاتلاً:

" فصاح بصوته الأجش " (°).

<sup>(</sup>¹) الحرافيش مس ١٦ .

<sup>(&</sup>lt;sup>†</sup>) سورة الحجرات : الآية [٢] ،

<sup>(&</sup>quot;) الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٤/ ١١٢ .

<sup>(</sup>أ) انظر عرضاً لهذا في كتاب د. كريم ١٩٩٢م، ص ١٢١ وما بحما .

<sup>(&</sup>quot;) الحراقيش من ٣٤ -

ويقول أيضاً : " فحرك رأسه الكبير بحيرة صامناً " (١).

نلاحسظ هذا أنه يصفه بصاحب رأس كبير، أليس هو بداية فتوات الحرافيش لما له من قوة صوتية وقوة جسمانية، انظر إلى رد عاشور في السياق التألي: "ماذا جاء بك يا عاشور ؟ ، فقال بغلظة " ( ) .

فهو غليظ في سماته الصوتية أيضاً كسماته الجسمية، أليس عاشور الذي يصفه نجيب محفوظ بالقوة في السياق التالي، الذي يرسمه محفوظ كالآتي : " فثار درويش وصاح :

- ستصير أحدوثة الصغير والكبير ..

فصاحت فلة:

- إنه قادر على حماية ما يملكه .

ف انقض عليها فلطمها حتى صرخت فوثب عاشور نحوه وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متّاوهاً ؛

- أنا في عرض النبي ...

فتركه وهو يزمجر غاضباً فتهاوى درويش على الأرض وهو يصرخ:

- في ألف داهية .. <sup>= (١)</sup>.

انظر كيف يرسم نجيب محفوظ قوة عاشور التي جملت درويش بتأوه، والتأوه عملية صوتية لها دلالتها، وكذلك الصراخ، والزمجرة، وسوف نشرح دلالتها في مكانها من من هذا البحث، إلا أندى هنا ما أريد توضيحه ربط قوة عاشور الجسمية بسماته الصوتية، إنه صاحب صوت أجش، ويقول بخلظة، حتى عندما يغضب يقول محفوظ: " وصاح بصوته الأجش البلكي " (1).

<sup>(</sup>¹) السابق ص ٤٧ .

<sup>(</sup>۲) السابق ص ٤٩ .

<sup>(°)</sup> السابق مس ۵۰ .

<sup>(</sup>١) السابق مس ٦٨ .

انظر إلى تصرور معفوظ لعاشور بقوله: "ولعل القضاة أعجبوا بعملقته، ويصورة الأمد المرسومة في صفحة وجهه، ولم ينس الناس صوته الأجش " (1).

ولننظر إلى النص التالي الذي يحمل دلالات صوتية مهمة، يقول مطوط: " وبصوت كالرعد صاح:

- يا درويش ا

خيل إليه أن غصون الأشجار تميد من صوته ، ولكن لم يجبه أحد " (١).

انظر إلى الصوت الذي كالرعد، إنه صوت قوي الرجل قوي يخيل إليه من قوة صوته أن تميد الأشجار منه.

هذه الدلالات تتكرر في نص آخر في صورة حوار بين عاشور ومحمود قطايف - شيخ الحارة - يصور نجيب محفوظ هذا الحوار كالأتي : " أثمة شك في ملكيتي لها ؟

معاذ الله ولكنها الأوامر ا

فقال بحدة بصوته الخشن:

- أريد أن أعرف ما تعنيه أو امرك ؟

فقال محمود قطایف بصبوت منخفض :

- اعتصبت بعض دور الهالكين في الأحياء المجاورة!

وغرقا معاً في صمت ثقيل مشحون بالتوجس والريب حتى رفع عاشور صوته قاتلاً .. \* (٢).

يوظسف نجيس محفسوظ صوت عاشور الخشن (1) كسمة صوتية شخصية لها دلالستها فسي السرواية، وانظر كيف أن شيخ الحارة يتكلم بصوت منخفض مع الفتوة

<sup>(</sup>¹) السابق ص A۳ .

<sup>(</sup>¹) السابق *ص* ٦٩ .

<sup>(&</sup>quot;) السابق من ۸۰ – ۸۱ .

<sup>(\*)</sup> يذكر إبركرومبي أن الصوت الأجش يرتبط بصفات نوعية الجهر، ويرى أن نوعية الجهر تستمر تقريباً طوال الفترة التي يتكلمها الشخص، فهذه النوعية أشبه بصفة ثابتة تستمر طوال مدة خروج الصوت من فمه . انتظر: إبركرومبي ص ١٣٦ ، ١٣٩ .

عاشور، وكيف أن عاشور يرفع صوته على شيخ الحارة، وهذا له دلالة كبيرة في هذا السياق الثقافي .

لن نجيب محفوظ بصف لذا الحوار بشكل دقيق بصف فيه الصورة النطقية، والمسياق الثقافي، وكل هذا له دلالاته داخل المجتمع الذي بعيشه الأبطال، فهو يصف ويكتف الدلالات حتى يخرج عمله بدلالاته الاجتماعية والتي منها السمات الصوتية حتى يكون العمل دالاً بالمعنى الواسع لهذا المفهوم.

إذا كان محفوظ يرسم لنا صورة عاشور مستعيناً بسماته الصوتية لرسم صورة الفـنوة القـوي، فإنه أيضاً يستعين بالسمات الصوتية في رسم شخصيات أخرى، ومنها مثلاً السمات الصوتية الخاصة بعبد المنعم شوكت في " السكرية " ، الذي يصف سماته الصوتية بقوله : " فقال عبد المنعم إبراهيم شركت بصوته القوي "(1)، ثم يصف صوته قـائلاً : " فقال عبد المنعم بصوته اليقيني" (1)، ثم يقول بعد ذلك : " فقال عبد المنعم بصوته الوقيني" (فيقول أيضاً : " فقال عبد المنعم بصوته القوي شديد الثقة بنفسه " (2)، ويقول أيضاً : " فقال عبد المنعم بصوته القوي ...

فقال الصنوت القوي" <sup>(؛)</sup>، و" فقال عبد المنعم وقد ارتفع صنوته حتى جعل الشباب الذي يجلس بينه وبين أخيه يردد رأسه بينهما كالمنزعج " <sup>(°)</sup> .

إن عبد المنعم بسماته الصوتية هذه قوي الصوت، وتتكرر هذه السمة منكرنا المؤلسف بسيمته جياعلاً منها سمة ملازمة كأي سمة في جسمه مثلاً لتدل من خلال الرواية على اليقين، الم يصف صوته عالياً بأنه الصوت اليقيني، وكذلك : " فأجابه عيد المسنعم إبراهيم شركت بصوته القوي المفعم بنبرات التوكيد " (1)، وكذلك : " فقال عبد المنعم بلهجة اليقين التي اشتهر بها " (٧)، وكذلك " عبد المنعم بصوته القوي العميق "(٨).

<sup>(</sup>¹) السكرية من ۲۸ .

<sup>(</sup>۲) السابق من ۳۳ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) السابق ص ۷۷ .

 <sup>(</sup>¹) السابق ص ۱۳۱ .

<sup>(°)</sup> السابق ص ۱۳۵ .

<sup>(</sup>¹) السابق *من* ۲٤ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) السابق ص ۸۱ .

<sup>(&</sup>lt;sup>^</sup>) السابق م*ن* ۲۹۰ .

إن المسمات الصدونية الخاصة بعبد المنعم أحد أبطال رواية السكرية يستظها نجيب محفوظ لرسم صورة هذا البطل، ويؤكد من خلال هذه السمات المحببة في تقافتنا على ما يذكره على على على على على ما يذكره على على على على على على على ما يذكره وقد انتهى الإشراف على شعبة الجمالية إليه فعين مستشاراً قانونياً لها، وأسهم في تحرير المجلة، وكان يلقي المواعظ أحياناً في المساجد الأهلية .. أو (١).

إن ما نريد أن نقوله هذا إن نجيب محفوظ يستغل دلالات السمات الشخصية الصوتية والمقننة في ثقافتنا، فكل سمة لها دلالة، وكل دلالة لها قبول أو عدم قبول في ثقافتنا العربية، وإذا كنا قدمنا في الصفحات السابقة وصف نجيب محفوظ من خلال روايات المذكورة السمات التي يتميز بها أبطاله، ومنها السمات الشخصية الصوتية الخاصة بالرجال، فإنني في السطور التالية سوف أقدم وصفه لنطق أبطاله من النساء.

انظر إلى وصفه لكلام امرأة من خلال هذا النص: " فابتسمت في دلال فقال:

- الحب يصنع المعجزات ،

فقالت بعذوبة " (٢).

فسمة العذوبة هنا مقرونة بامرأة تبتسم في دلال، ويقول في سياق آخر : "ققالت بنعومة "(<sup>7)</sup> إن النعومة سمة خاصة بقول العرأة، ويقول : " وإذا بصوت رفيع حادل يصرخ "(<sup>1)</sup>، وهذا الوصف صحيح علمياً ذلك أن حدة الصوت عند العرأة نتيجة لقصر الوترين الصوتيين لديها وأيضاً ضائنهما، وهذا يسبب زيادة في عدد الذبذبات عند العرأة أكثر من الرجل مما يؤدي إلى حدة صوت المرأة مقارنة بالرجل (<sup>6)</sup>.

<sup>(</sup>¹) السابق ص ۲۹۶.

ر) الحرافيش م*ن ٣٩٤* .

<sup>(&</sup>lt;sup>۱</sup>) السابق م*س* ٤١٢ .

<sup>(&#</sup>x27;) الشحاذ من ٨٦ .

<sup>(&</sup>quot;) د. أحمد مختار عمر ١٩٩٦م ، ص ١٣٢ .

وليضاً يقول: "وإذا بالصوت الرفيع يعلو أ<sup>(1)</sup> الصوت الرفيع هو هنا صوت الرأة المنوت الرفيع هو هنا صوت الرأة، إنه يريد أن يدلل بالصوت الرفيع على امرأة ذات ملامح حسنة، وتتجلى السمات الخاصاة بالمسرأة في الموقف التالي بين عمر الحمزاوي بطل روايته " الشحاذ " وبين وردة الراقصة إحدى بطلات الرواية، يقول محفوظ: " وقال لها بصدق :

- الحق إني أسف يا وردة .

فقالت وهي تبتسم ابتسامة غامضة :

- لا يجب أن تأسف على ما فات ..

ئم بنبرة ساحرة :

- وتجربة الحب ثمينة ولو بالعذاب!

فقال و هو يعض شفتيه :

– لست طبيعياً ..

فقالت بصوت مهموس .. <sup>= (۱)</sup>.

نلاحظ أنه يستخدم صغة ساحرة النبرة التي قالت بها وردة الجملة، والنبرة هنا بمعسنى النغمة التي عليها النطق، وهذا له دلالته في عالم الحب في تقافتنا، كذلك عندما بنضول بصدوت مهمسوس، والهمس هنا ليس الصغة الصونية المقابلة لصغة الجهر في تصنيف الأصوات اللغوية، وإنما هو الكلم بصورة تخفي الكلم، أو بتمبير آخر بمعنى الكسلام الخفيض، وله دلالة هنا بريد أن يطفيها محفوظ على نصعه وهي أن الهمس بين الرجل والمرأة لا يكون إلا بين المقربين لبعضهما.

والـنص التالـي يلخص لنا السمات الصوتية الفارقة بين الرجل والمرأة، والتي نلحظها جمـيعاً، ويدركها محفوظ مسجلاً إياها لتعطى دلالة قوية داخل الرواية، وهذا النص عبارة عن حوار بين أحمد وعلوية صبري، والحوار مفاده أن أحمد يريد مفاتحة علوية في أن يخطبها، ونتخير منه بعض الفقرات المهمة لنا : " فقالت بصوت خالف لم يخل من عتاب ...

<sup>(</sup>۱) الشعاذ ص ۸۷ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) الشعاذ ص ۱۱۱ – ۱۱۷ .

عن بعد وبعدهن
•••••
تمتمت في حياء :
قالت بصوت كأنما تعمدت أن يكون رقبقاً فوق العادة :
•••••
قالت بصوت حيي

انظر المقارنة التي عقدها محفوظ بين السمات الصوتية عند الرجل "أحمد " والمسرأة " علوية " علوية تمتم في حسياء وبصدوت حيى، كما أنها تتعمد أن يكون صوتها رقيقاً فوق رقته الحقيقية، بينما أحمد يستكام بصوت خيى، كما أنها تتعمد أن يكون صوتها رقيقاً فوق رقته الحقيقية، بينما أحمد يستكام بصوت غليظ إنه رجل وإنها لمرأة أليس كذلك ؟ بلى، فالسمات الصوتية للرامية بالمرأة ، وقد ذكرنا ذلك منذ قليل، والذي نريد أن نقوله هنا إن نجيب محفوظ كروائي ، أو قل إن هذه النصوص الروائية المربية تعسرف وتدرك السمات الصوتية الخاصة بالجنسين ودلالتهما في ثقافتا العربية، وكما رأسنا في الصفحات السابقة أنه أحس بغروق صوتية بين كل شخص وآخر من الجنس نفسه، واسستغل المؤلف هذا في رسم صور أبطاله أو قل أضفى على أبطاله سمات صوتية شخصية أعطت دلالات منتوعة (أبادل الرواية .

فقال بصوت غليظ " (١).

<sup>(</sup>¹) السكرية من ١٨٥ – ١٨٨ .

<sup>(</sup>²) لمسل ما يؤكد ارتباط السمات الشخصية بالسمات الصوتية في تقافتنا العربية ما يذكره الرازي في كستابه " الفراسسة " من ١٦١ ، يذكر في بلب دلائل الصوت و الكلام أن " من كان صوته غليظاً جهــيراً فهــ شجاع مكار، ومن كان كلامه سريماً فهو عجول قابل الفهم، ومن كان كلامه عائياً مسريماً فهــو غضوب سيء الخاق، ومن كان كلامه منخفضاً فيالضده، ومن كان صوته تقيلاً فهو مسريماً فهــو غضوب سيء الخاق، ومن كان كلامه منخفضاً فيالضده، ومن كان صوته تقيلاً فهو رغيب البطــن، ومسن كان موقفنا من محسترى السنص، لكنه يسجل تصوراً السمات الصوتية المحببة وغير المحببة ودلائتها في الرشط الشافي العربي أنذلك .

والأن أنتقل للى العنصر التالي، وهو عن الإشارات الدالة على الحالات النفسية والصحية .

#### [ب] الإشارات الكاشفة لمالات المتكلم التغيرة ودلالاتها :

إن علاقة قوية بين الصوت والحالة النصية التي فيها المتكلم ، فهناك إشارات صونية تدل على الحالة الصحية المتكلم، وعلى حالات التعب والإثارة والزكام والإقراط في شرب الخمر، ومن الطبيعي حسب تصور إبركرومبي أن تتولد بعض الإشارات أمادية التي تؤثر مباشرة على أعضاء النطق ، كما أنه غالباً ما توجد إشارات إلى الحالات التي نحن بصددها أكثر أهدية من هذه الإشارات المتوادة مباشرة عسن سبب مادي أعضي تلك التي نتحرف منها على أحاسيس: كالتسلية ، مباشرة عسن سبب مادي أعضى نقلك التي نتحرف منها على أحاسيس: كالتسلية ، والخصيب، والاحتقار، والستعاطف، وغير ذلك مما يمكن أن يقع حسب تصور إلى كرومبي حت عنوان " نعمة الصوت Tone of Voice ).

وإذا كان هذا تصور العلماء المحدثين فإن تصوراً عربياً قديماً إلى حد كبير يلمس الملاقة بين الصوت والحالة النفسية ، ففخر الدين الرازي [ ٢٠١٥ هـ ] يتكلم عن هذه العلاقة قائلاً : " إننا نشاهد الإنسان حال استيلاء الغضب عليه يصير صوته صوتاً غليظاً جهيراً ، وعد استيلاء الخوف يصير صوته حاداً خفيضاً ، والسبب فيه أن عند استيلاء الغضب عليه تخرج الحرارة من الباطن إلى الظاهر فيسخن ظاهرة البشرة ، والحسرارة توجب توسيع المنافذ وتفتيح السدد في آلات الصوت وهذه الأحوال توجب صسيرورة الصسوت ثقيلاً غليظاً ، ولما عند الخوف فإن الأمر يكون بالمكس من ذلك ، وذلك يوجب صيرورة الصوت حاداً خفيفاً ، وإذا عرفت الكلام في هذين المثالين فاعتبر مثله في سائر الأحوال ، فإذا ضبطنا الأحوال النفسانية ثم تأملنا أن الحالثة النفسية وبين ذلك كل نسوع مسنها أي أنواع الأصوات علمنا حينذ أن بين ذلك الحالة النفسية وبين ذلك الصوت المخصوص مناسبة واجبة وملازمة تامة(٢) .

نخلسص من كل ذلك إلى أن العلاقة بين ظاهرة الصوت والحالة النفسية للمتكام معروفة قديماً حديثاً ، كما أن الشخص العادي يلمس هذه العلاقة تماماً ويتفاعل معها في

<sup>(&#</sup>x27;) ايركرومبي ص١٨ .

<sup>(ً)</sup> فخر الدين الرازي : الفراسة ص١١٠ .

سبيلة ا، ويدرك أن الغاضب يرفع صوته ونطقه يكون سريعاً ن أما الشخص الهادئ فيكرن خافضاً لصوته ، كما نبرات الصوت تتغير حسب مشاعر وأحاسيس المتكلم، منال: السعادة، والفرح، والحزن، والألم، والخوف، والفزع، والخجل، والاضطراب، والتهكم، والسخرية<sup>(۱)</sup>.

إن كال هذه المشاعر والأحاسيس الخاصة بالمتكلم تؤثر في نغمة أو نبرة صوته ، وهذا ما سجله الأستاذ نجيب محفوظ في رواياته فأكسبت عمله دلالة فنية ، والحق أننا مع أعسال هذا الرجل نحس بصدق الوصف لسياقات النصوص أو الحوارات، ومن الظواهر المسادق في وصفها ظاهرة الصوت ودلالاتها، وكما قلنا إن هذا النصوص الروائية تمثل ثقافة المجتمع بكل دلالاتها، وفي هذه الثقافة الصوت وسلوكيات مستخدميه لها دلالات تكشف عمن دلالات يدركها أعضاء المجتمع، وبالتالي فنصوص هذه السروايات تسبجل ما هو حاصل ، ومنها الظاهرة الصوتية وكيفية استعمال الصوت ودلالاته ، وإن نصوص ذودلالاته ، وإن نصوص ذاحد دلالات ، وإن نصوص نجيب محفوظ ندرك العلاقة بين الصوت والحالة النفسية للمتكلم ، أو قل إن شخوصه يدركون ذلك ، وفي السطور التالية عرض يؤكد ذلك .

في رواية الحرافيش يروي نجيب محفوظ قصة رؤية الشيخ عفرة لوليد صغير تركه أهله ، وأخذه الشيخ عفرة زيدان إلى بيته فأخذته زوجته سكينة ، وأقدم الآن هذه اللمظات والحدوار الدائر بين الشيخ وامرأته، يقول : " راحت سكينة تهدهد الطفل ثم قالت بحنان :

- إنه ذكر يا شيخ عفرة .

فحرك رأسه صنامتاً فقالت باهتمام:

- يلزمه غذاء ...

- وما درايتك بذلك وأنت لم نتجبي ذكراً ولا أنثى !!

.....

وتجلى صمت مفعم بالانفعالات حتى تمتم الشيخ عفرة زيدان :

- أليس من الخطأ أن نبقيه أكثر مما ينبغي ؟

<sup>(&#</sup>x27;) لنظر تفاصيل أكثر في كتاب د . كريم حسام الدين ١٩٩٢م ص ٨١ .

فقالت بحماس وحرارة:

- الخطأ خطأ من ضبعه ...

ثم قالت وهي تتلقى إلهاماً بالرضى :

- لم يبق لي أمل في الإنجاب<sup>(١)</sup> ! " .

مــن خــلال هذا الحرار تبدو لنا العلاقة بين الصوت والحالة النفسية واضحة ، فسكينة تســتخدم سـلوكاً صوتياً مع الطفل تحاول أن توصل له الحنان من خلال هذا المبــوت ، ثم عندما القتحت أن الطفل يكون عوضاً لها عن عدم إنجابها تستخدم سلوكاً صحــوتياً آخــر التأكيد على احتياجها له ، فتتكلم بحماس وحرارة لتوصل من خلال هذا الســلوك المصوتي تحسكها بالطفل ، ثم انظر إلى دلالة الصحت في هذا النص ، فعندما يحرك الشيخ عفرة رأسه صامتاً له دلالة الحيرة والتفكير في اتخاذ قرار ، وكذلك عندما يقول " وتجلى صحت مفعم بالانفعالات حتى تمتم الشيخ ...." فالصحت هنا له دلالته فهو صحت مفعم بالانفعالات ، ثماذا يقول الرجل أياخذه أم يذهب به إلى القسم ، ولماذا تركه والداه ، وأسئلة أخرى ، كل هذا جمل الصحت مغماً بالانفعالات .

إن السلوك الصدوتي يصفه محفوظ بمقدرة فاتقة وكأنه المغوي ، والنظر إلى النص التالي النص التاليخ الدي تربى عند الشيخ عفرة وعاشور الذي تربى عند الشيخ عفرة ، وغي هذا الحوار يحاول درويش استغلال قوة عاشور في السرقة إلا أن عاشور يرفض ،، والميكم جزءاً من نص كبير : " وتمخض جانب الصحراء عن نامة: وحمل الهواء عطر حي وارتفع صوت موسوم بالشيخرخة يقول :

- توكل على الله ..

وعند القرب وضح أن العجوز يمنطي حماراً . وعندما حاذاهما تماماً وثب عليه درويــش ، ذهــل عاشــور وتحققت مخاوفه . لم ير شيئاً بوضوح ولكنه سمع صوب درويش وهو يقول متوعداً :

- هات الصرة وإلا ..

فتردد صوته مرتعشاً بالكبر والذعر:

<sup>(&#</sup>x27;) الحرافيش ص٨.

- الرحمة .. خفف أبضتك ..

اندفع عاشور إلى الأمام بلا وعي وهتف :

– دعه یا معلمي ا

صرخ به درويش:

- لخرس ... " (۱).

السلوك الصوتي في هذا النص له دلالات متعددة ، فعندما يقول: " ارتفع صوت موسوم بالنسيخوخة " نفهم أنه صوت رجل كبير ، كما أن هذا الرجل عندما يهدده درويش يسلك سلوكاً يؤكد خوفه وذعره وكذلك كبر سنه ، كل هذا نابع من قوله: " فتردد صوته مرتعشاً بالكبر والذعر " ثم انظر إلى تردد الصوت المرتعش ، فعملية تردد الصحوت، وأنه موسوم بالارتعاش فيها دلالة الخوف والذعر، عن الصوت يكشف هنا عن الحالة التي مر بها الرجل الكبير .

شم نأتي إلى سلوك درويش الصوتي في هذا السياق ، فهو يتكلم متوحداً الرجل ثم يصرخ، والصراخ هو الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيية (١) ، فهو مفزوع بفعل عاشدور هذا ، الذي رفض أن يساند درويش في سرقة الشيخ المجوز ، ومن هنا تتمدد دلالات السلوك الصوتي في النص .

وتــتوالى النصوص التي تؤكد علاقة الصوت بالحالة التي عليها المتكلم ، ومن نلــك الحوار الذي دار بين بكر ورضوانة ، فيه يتحدث بكر بحزن عن الذي حدث من مشاكل في بيتهم بيت الفتونة ، يقول محفوظ : " تمتم بكر :

هي الحقيقة يا رضوانة .

رآها تتمخض عن تمثال للذهول فقال بقهر ويأس وحقد :

- لا فترنة ولا مال ولا سعادة ا

نساءات بربق جاف:

<sup>(</sup>¹) السابق مس۱۷ .

<sup>(&</sup>quot;) لسان العرب ، مادة صرخ .

- ولكن .- لكن كيف وقع ذلك ؟
- كما يقع الشال والفضيحة والموت ، لم تتعجبين ؟ ما هي إلا مغامرة أخطأت الهدف!
   فقالت بعذاب :
  - طالما حذروك من المغامرات ..

فقالت بازدراء:

الذين لا يعلمون ينتقدون ويعظمون ويحمدون ، عليهم اللعنة ... (١).

نرى ارتباطاً قوياً بين الحالة النفسية التي عليها كل من رضوان وبكر والسلوك الصحوتي الذي يستخدمونه في هذا الحوار ، هذا كله له دلالته ، ثم انظر الوصعف الذي يذكره المؤلف : فقالت بعذاب ... فقالت بازدراء ، ما معنى هذا ؟ إن ما يريد أن يصبغه المؤلف على القولين هو أنه واضح من خلال السلوك الصوتي المستخدم الحالة النفسية التي عليها صاحب القول ، والذي يتبين منه العذاب والازدراء .

ولننظر إلى الحوار الذي دار بين عاشور وزوجته زينب في حديث عن البوظة وفلة المرأة التي تممل فيها ، يقول : " في انتظار كانت زينب أمام الباب . اهتدى إلى مسكنه بضوء مصباحها الموضوع على عتبة المدخل ... سألتها بلهفة :

أين الأولاد ؟

فنساءل بوجوم :

- ألم براجعوا ؟

فتتهدت بصوت مسموع فتمتم:

- لتكن إرادة الله .

وهو يجلس على الكنبة قالت بحدة :

-- كان يجب أن تدعني أذهب ...

- تذهبين إلى البوظة في خضم السكاري ؟!

<sup>(&#</sup>x27;) المرافيش س١٨٢ .

.....

~ وما هذه الفلة التي رمانا بها درويش؟

يتجنب النظر أليها وقال بازدراء:

- فيم تسألين ؟ بنت تقيم في خمارة !

- جميلة ؟

- داعرة ،

- جميلة ؟

فقال بعد تر دد :

- لم أنظر نحوها .

فقالت متأه هة :

- ان يرجعوا يا عاشور .... "(١) .

نلحضظ ربطاً قوياً بين سؤال زينب بلهفة والموقف الذي تعيشه من غيرة على زوجها من فلة ، ومن خوف على أو لادها ، وهي أيضاً تنتهد بصوت مسموع ، والتنهد دليل الحزن ، ثم إنها تتكلم متأوهة في إحدى الجمل ، والتأوه "هو حكاية المتأمّه في صوته(۱) " ، مفيدة الحزن والتوجع ، هذا السلوك كله صورة للحالة النفسية التي عليها زينب من خوف وغيرة .

ولنـنظر إلى النص التالي ، والذي هو عبارة عن حوار بين سليمان الناجي مع أولاده ، بكر وخضر ورضوانة وسنية ليعرف من خلال حقيقة الفضيحة التي حدثت لمم ، يقول : "صماح سليمان بفظاظة :

- الحقيقة!

لم ينيس أحد فصناح :

- الويل لمن يخفى همسة ...

<sup>(&#</sup>x27;) السابق ص ٤١ . ٤٢ .

<sup>(&#</sup>x27;) hult flat (')

ورمى رضوانة بنظرة فاحصة حادة أمراً :

- تكلمي يا رضوانة .

فأجهشت في البكاء فهتف متبرما :

- لا أحب الدموع ...

فتمتمت وهي تشهق

.....

فصناح سليمان

فقال لها سليمان بحدة :

فقالت بيأس :

- إنه الشيطان يدنس بيننا ..

فقال سليمان بحق:

- الشيطان لا بندس إلا بإذن منا ..

فقالت سنية مولولة :

- حلت بنا اللعنة .

. . . . . .

فصرخ سليمان وهو ينهض :

- ها أنت تعترف يا مجرم<sup>(۱)</sup> . .

إن السلوك الصسوتي هنا يرتبط بالجالة النضية تماماً ، فسليمان الرجل سليل عاشسور الداجسي المعروف بالفتونة والصلاح ، يحدث في بيته فمل مشين ، هذا الفعل

<sup>(&</sup>lt;sup>۱</sup>) الحراقيش ص١٦٩ ، ١٧١ .

يجعل الحالة لنفسية لسليمان أكثر من سيئة تجعله يصديح بفطاطة ومعنى صباح أنه تكلم بصوت مرتفع، حيث إن " .. صَبِّح : صَوَّت باقصى طاقته (۱) " ، كما أنه يهتف مثيرماً، والهناف هو " الصوت لشديد " ...

وهـنف به هتافاً أي صاح به (۱) " ، كل هذا دليل غضب سليمان الشديد ، ويتكلم بحدة ، وفي النهاية يصرخ ، والصراخ كما ذكرنا سابقاً هو الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيية . هذا السلوك الصوتي مرتبط تماماً بالحالة التي عليها سليمان .

أما سسلوك النسوة الصوتي في الحزن فهو مغتلف ، وهذا حاصل في نصنا السابق فرضوانة عندما بكلمها سليمان بحدة ويقول لها تكلمي ، ماذا حدث أجهشت في السابق فرضوانة عندما بكلمها سليمان بحدة ويقول لها تكلمي ، ماذا حدث أجهشت في بعم البكاء ، وتمتمت وهي تشهق ، والتمتمة هي : "أن يعجل بكلامه فلا يكاد يفهمك(")" ، بعم ني عدم وضوح الكلام ، وهذا هو نتيجة للحالة النفسية التي عليها رضوانة ، ثم الخطر إلى ولولىة سسنية ، وهو سلوك صوتي غالباً ما يسلكه النساء عند تعرضهن المصائب أو الخوف ويهبر عن المسلوك الصوتي بنبرة وبلهجة ونغمة ، ومن التعبيرات التي ذكر فيها نبرة الآتي: "وبلغت نسرته غابية الاحتجاج (أ)" ، بريد سلوكه الصوتي قد ارتفع للاحتجاج ، وأيضاً " فقالت شميخ الحارة بنبرة ساخرة (")" ، بمعنى سلوك صوتي يظهر منه السخرية ، و " فقالت بفسرة بلكية (")" ، بمعنى أنها تكلمت بسلوك صوتي يظهر منه البكاء ، والنبرة هنا الإنجليزي Stress ، فما أود أن أقوله إنه يستخدم نبرة بمعنى سلوك صوتي واضح أنه الإنجليزي واضح من المسخرية ..... إنخ ، وفي السطور التالية عدد من الأمثلة المستخدم فيها كلمة للبكاء أو للسخرية ..... إنخ ، وفي السطور التالية عدد من الأمثلة المستخدم فيها كلمة للبرة توضح ما أقول .

<sup>(</sup>١) لسان العرب مادة " صبيح ،

<sup>( )</sup> للسابق مادة " هتف " . ( ) السابق مادة " هتف " .

<sup>(&</sup>lt;sup>"</sup>) السابق مادة <sup>°</sup> تمتم <sup>°</sup> .

<sup>(</sup>¹) الحرافيش من٥٨.

<sup>(°)</sup> السابق ص٩٢ .

<sup>(</sup>¹) السابق ص1٤ .

يقـول : "فقال بنبرة عالية (۱) "بمعنى سلوك صوتي عالى مؤكد مستخدم ليدل علـى الحالــة النفســية التي عليها صاحب القول ، وأيضاً : "فقال بنبرة حزينة (۱) "، وكنلــك " وغمنمــت في حيرة فقالت رئيفة بنبرة عدوانية قاسية متحدية مباغتة (۱) "، بمعــنى أنها قالت بسلوك أو طريقة عدوانية ....، وأيضاً : "بكت نور الصباح وقالت عفيفة بنبرة متشنجة (۱) "، كل هذه الأمثلة تزكد استعماله كلمة نبرة بمعنى سلوك أو نهج صحــوتي هو سمة للقول ، هذا السلوك دال من خلال السياق على موقف صاحب القول من الأحداث الحاصلة في السياق ، ومن هنا هل نبرة صوته عالية أو حزينة أو ضاحكة أو عدوانية لها دلالة، مؤكد أن كل هذه الأمثلة تصف السلوك الصوتي الدال على الحالة النفسية التي عليها المتكلم . .

ويســـتخدم أيضاً كلمة لهجة بالدلالة التي استخدم بها كلمة نبرة، وهذا يتضع من السياقات التالية ، ومن ذلك الآتي :

" فقال لها بلهجة أمرة<sup>(۱)</sup> " ، وكذلك : " فقال له زين علباية بلهجة تحريض<sup>(۱)</sup> " ، وأيضاً : " فقال ضياء بلهجة جمعت بين التشكي في ظاهرها والظفر في أعماقها<sup>(۱)</sup> " ، وفي السكرية أمثلة منها : " وكان كمال يحب هذه اللهجة الوديعة اللطيفة التي لم يحظ بها إلا بعد عمر طويل<sup>(م)</sup> ... " .

في المثال الأول تعنى أنه استخدم سلوكاً صوتياً في قوله يشير إلى الأمر ، وفي الثاني بمعنى طريقة تحريضية في قوله ، وفي المثال الثالث بمعنى أيضا السلوك ، وفي كل هذه الأمثلة يكون السلوك الصوتي المستخدم دالاً في سياقه ، والأمثلة التالمية توكد أيضاً ذلك .

<sup>(</sup>¹) السابق ص٤٠٢ .

<sup>(</sup>١) السابق ص٣١٣ .

<sup>(&</sup>quot;) السابق ص٣٤٨ .

<sup>(</sup>¹) السابق ص°۶۱ .

<sup>(°)</sup> السابق ص ۲۵۸ .

<sup>(</sup>١) السابق ص٣٤٥ .

<sup>( )</sup> السابق ص۱۵۰ . (۲) السابق ص۱۵۵

<sup>(^)</sup> السكرية مس١٢ .

"بلهجة حزينة (١)"، و "وقالت بلهجتها الساخرة "حمد الله على السلامة (١)" ، "وقال الأستاذ بلهجة المتسائل (١) " و " فضحكوا معاً ، وإذا يعلي عبد الرحيم يغير لهجته ويتساعل حاداً (١) " و " أما عاشقة فإنها عندما دعستها خديجة إلى شهود الدخلة الصامتة هزت رأسها عجباً وقالت بلهجة عصد بية (١) " تستخدم همنا كلمة لهجة في الأمثلة المذكورة بمعنى سلوك صوتي، أو الطريقة المستخدمة في القول ، ومن هنا يكون الربط بين الشخص القائل وتفاعله مع الموقف ، فيكون دالاً على حالته وموقفه .

وتستخدم كلمسة نغمة في الإطار نفسه ليصف بها السلوك الصعوتي ، ليدل بها على المالية النفسية الخاصة بالمتكلم ، وقد وردت في أعمال نجيب محفوظ الثلاثة المذكورين أقل من ورود كلمتي نبرة ، ولهجة ، وتقريباً الكلمات الثلاث بمعنى واحد ، وبخاصة في السياقات ذات الدلالة الخاصة بالسمات الصوتية ، ويستخدمها كالآتي :

" فقالت نعيمة في نغمة ساخرة (١٠) " و " فضحك كمال ضحكة تحمل نغمة جديدة وقال (١٠) " و " وساد الصمت مرة أخرى كاللازمة بين النغمة والنغمة ، ثم قالت (١) " .

هـــذه الأمـــئلة تؤكد استعمال كلمة نغمة واصفة سلوكاً صوتياً معيناً يتناسب مع حالة المتكلم.

ويستخدم أيضاً كلمة صوت متبوعة بصفة معينة ليبين سمات الصوت المستخدم ودلالته ، ومن ذلك الأمثلة التالية :

<sup>(</sup>¹) السابق ص ١٩ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) السابق م*ن* ۲۱ ،

ر) (<sup>۲</sup>) السابق من۸۸ .

<sup>(</sup>ا) السابق ص١٤٥ .

<sup>(°)</sup> السابق ص١٦٨ .

<sup>( )</sup> السابق س۲۲۲ . (۱) السابق ص۲۲۲ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) السابق ص۲ ،

<sup>( )</sup> السابق ص ۱۹۲ . (^) السابق س ۱۹۲ .

V4- 41 41

<sup>(</sup>¹) السابق ص٢٦٥ .

" وساله سايمان بصوت متهدج (١) " و " فقال بصوت منخفض (١) " و " وإذا بحمائــه تبعــته فاتلــة و هي تقبقه بصوت داعر <sup>(۱)</sup> " و " وقالت بصوت مبحوح<sup>(۱)</sup> " و "قتساءل جلال بصسوت ضعيف(") " و "بصوت مضطرب(١) " و " فقال عبد المنعم بصبوت قوى غاضب (٢) " و " فجاءه صوت ناعم مضطرب النبرة يقول (<sup>٨)</sup> " و " فجاء الصوت الرقيق<sup>(١)</sup> " .

كل هذه الأمثلة لها دلالتها داخل السياق ، فكل الصفات التي وصف بها الصوت تستخدم دالة على الحالات الخاصة بالمتكلم ، فهذه الاستعمالات المستقاة من المجتمع يكسبها المؤلف دلالة فنية ليعبر عن صفات شخوص الرواية ، ودالة داخل سياقات نصوص الرواية أيضاً .

ولم يقف عند هذا فقط بل يستخدم صفات أخرى لقول من مثل قوله: " فقال بلين وخموف (١٠) " ، ويصف القول باللين والخوف ليقرر أن السمات الصوتية التي خرجت من هذا المتكلم في هذا السياق تؤكد على حالته النفسية التي هو عليها في هذا السياق.

وفي الصفحات التالية على الإشارات الدالة على الانتماء إلى مجتمع معين .

## [ج] الإشارات الدالة على الانتصاب إلى جماعة معينة:

قلنا سابقاً إن التواصل هو تنظيم وتقييس لنظام ثقافي في نمط من السلوك الذي يبقى ويضبط ويصمنع العلاقات الإنسانية الممكنة ، كما أن البشر يكتسبون الثقافة والتواصــل معاً ، فلا يوجد واحد منهما دون الآخر ، فطرق التفكير والشعور والسلوك

<sup>(</sup>١) الحرافيش م١٣٦٠ .

<sup>(</sup>۲) السابق ص۱۹۰ .

<sup>(</sup>۲) السابق ص ۲۳۰ .

<sup>(</sup>¹) السابق مس٤٣٧ .

<sup>(°)</sup> السابق ص٥٥٥ .

<sup>(</sup>١) السابق ص ٨٧ .

<sup>(</sup>Y) السابق ص١١٨ .

<sup>(^)</sup> الحراقيش من ٢٧٢.

<sup>(</sup>¹) السكرية من110 .

<sup>(</sup>۱۰) الحرافيش ص ۸۱ .

المشــترك داخل أية تقافة يكون من خلال رموز تواصلية يشترك فيها أفراد المجتمع ، وبغضــل هــذا السلوك الرمزي أو الإشاري يستطيع هؤلاء الأفراد التواصل والتفاعل فيســعرون بــانهم يكونون كياناً مميزاً يسمى مجتمعاً وإن التواصل جزء مهم في حياة الإنسان ، فهو ميزة يكتسبها الإنسان منذ طفولته من خلال مجتمعه ، والتواصل بأنواعه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع في ممارسته؛ ذلك لأنه نشاً في أحضان المجتمع ، ووجد بكل أنواعه عــندما أحس الإنسان بالحاجة إلى التفاهم ، والإنسان لا يتواصل بلسانه وأعضاء الجهـاز الصوتي الأخرى فقط ، وإنما يتوصل بأعضاء جسمه أيضاً ، فهو يومـــئ برأسه ويغمز بعينيه ويرمز بشفتيه ويشير بأصابعه ، وهذه الإشارات المصاحبة للكــالام تقــوم بتأكيد دلالات هذا الكلام من ناحية ، أو إكمال ما يستورها من نقص من ناحية ، أو إكمال ما يستورها من نقص من ناحية ثانــية، ومن هنا تثمثل أهمية لغة الإشارات الجسيمة في نقل الأفكار والمشاعر والراء والمواطف (١٠).

وقبل أن يغطن الأوربيون إلى هذا فطن العرب إلى ذلك ، ومنهم الجاحظ الذي وعلى منهم الجاحظ الذي وعلى التواصل ، وحدده في خمس وسائل ، يقول : " وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد ، أولها : اللفظ ، ثم الإسارة ثم العقد ، ثم الحلل ، وتعمى . النصبة وهي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصداف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات(") " .

همنا قسم الجماحظ الدلالات على المعاني إلى قسمين : لفظي وغير لفظي ، ونلاحمظ أنه وضع الإشارة : باليد وبالرأس ونلاحمظ أنه وضع الإشارة : باليد وبالرأس وبالمين و الحاجب والمنكب ، إذا تباعد الشخصان ، وبالثوب وبالسيف . وقد يتهدد رافع السموط و السيف فيكون ذلك زاخراً رادعاً ، ويكون وعبداً وتحذيراً ، والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم المون هي له ، ونعم المترجمان هي عنه ، وما أكثر ما تتوب عن اللفظ وما تغنى عن الخط (٢) ؟ " .

والإشارات الجسمية كما يذكر بلومفيلد إنها تصاحب كل الكلام ، كما أنها تخضع إلـــى تواضع العجتمع عليها وإذا فهي تختلف من مجتمع لأخر ، كما يرى أن استعمال

<sup>(</sup>۱) انظر تفاصيل أكثر في كتاب د . كريم حسام الدين ١٩٩٠م ص٨ .

 <sup>(</sup>۱) الجاحظ: البيان والتبيين ۱/۲۷.

<sup>(</sup>T) السابق ٧٧/١ ، وانظر عرضاً مفصلاً في مقال د . فاطمة محجوب ١٩٧٥ م ص ٣٣، ٣٤ .

الإيطالييسن للإشارات الجسمية أكثر من استعمال الإنجليز ، ويقول بأنه في حضارتهم النشر يستعملون الإشارات أقل(<sup>()</sup> .

وما يهمنا ما قاله بلومفيلد من أن الإشارات الجسمية تخضع إلى تواضع المجتمع مثلها مثل اللغة تماماً ، ومثلها مثل السمات الصونية المصاحبة المكلم تستمد من دلالتها مس المجتمع الذي يقنن كل وسائل التواصل ، وإذا كان كل مجتمع لغة ، هذه اللغة لها عدد من الوحدات الصونية ، فإنه أيضاً في كل مجتمع حركات جسمية معينة يرتضيها المجتمع ويحملها دلالات معينة يتواضع عليها ، وأيضاً كل مجتمع يُحمل السمات الصدوتية المصاحبة الكلام بعض المعاني التي يتواضع عليها، وبالتالي فإن عمليات التواصل بكل وسائله في المجتمع تفضع لتواضع الذي يحملها معاني مختلفة .

والسمات الصدونية بمكن أن تبين طبقة المتكلم الاجتماعية التي نشأ فيها أهي طلبقة غنية أم وسطى أم فقيرة ، وكذلك وظيفته ، ولعل ما يراه برنشتاين من أن اللغة فسى عملية اكتسابها تختلف من فرد الآخر من طبقة الأخرى ، بسبب أن أبناء الطبقة الوسلطى تسود لديهم لغة تتصف من حيث الشكل بالغنى والنتوع ، وذلك بالقياس إلى اللغة التي تسود الطبقات الشعبية ، بسبب أن الأسرة المتوسطة تنظر إلى الطفل بوصفه فرداً ، وتتعامل معه كما هو ، وتستخدم بني لغوية مختلفة من أجل تعزيز الطفل بوصفه فرداً ، وتتعامل معه كما هو وتستخدم بني لغوية مختلفة من أجل تعزيز النزعة الفردية لدايه أما فسي الطبقات الشعبية فالبني اللغوية الخاصة بهم لغة محددة ، وتقوم على منظومة من العبارات المختصرة التي تأخذ شكل تأكيدات قاطعة (١٠).

ومن هنا تختلف سلوكيات التواصل من طبقة لأخرى ، لأن هناك اختلاف نقافي بين كل طبقة وأخرى .

وسوف نحاول أن نحال ظاهرة السمات الصوتية المصاحبة للأداء الكلامي<sup>(٢)</sup> في كل من بيئة الحرافيش بيئة الطبقة الشعبية وبيئة السكرية الطبقة الوسطى لنرى هل هناك اختلاف بين البينتين لم لا .

<sup>(1)</sup> Bioomfield, L, 1962, p. 39.

<sup>(&</sup>lt;sup>۱</sup>) انظـر نفاصـــيل أكثر في بحثه التالي Bernstein , B , 1972 , pp . 157-177 وانظر بحث د. على وطفه ۱۹۹۱ هـ ۲۸ ، ۳۸ .

<sup>(&</sup>lt;sup>٣</sup>) لقــد فطن العرب إلى تأثير المسائن الصوتية كحسن الصنوت وغيرها من السمات الصنوئية الثاجمة الأداء الكــــلام ، ومن ذلك ما يرويه الأبشيهي في كتابه المستطرف في كل فن مستظرف من أن-

نجد في بيئة الحرافيش استخدامات صوتية مميزة كاستخدام الصوت الغليظ ، وارتفاع الصوت، وكذلك كثرة الصياح والصراخ ، والزمجرة ، ومن أمثلة ذلك الأتي :

يستخدم رفع الصوت مع الغلظة ، ومن ذلك : " فرفع صوته الأجش متسائلاً ؟:

ماذا تنتظر یا معلم درویش ؟

فلكزه درويش في صدره وهمس بحتق .

- أخفض صوتك يا بع ' '

طبعاً مثل هذه السلوكيات مرتبطة بالبينات الشعبية ، ليس فقط بسلوكها الصوتي في رفع الصوت ، ولكن أيضاً في الشتيمة الحاصلة : " أخفض صوتك يا بغل " .

ومن ذلك القول بغلظة ، يقول : " ماذا جاء بك يا عاشور ؟

فقال بغلظة :

- إنك خبيث وشرير وتعرف كل شئ (٢) ".

سبحض أهل التفسير يقولون بأن قوله تمالى: ﴿ وَيْرِيدُ فِي الخَلْقِي مَا يَشَاءُ ﴾ سورة فاطر: الآية[1] مسرحة المسوت الحسن ، كما يقول بأن النبي ﷺ قال لأبي موسى الأشعري هه لما أعجبه حسن صحوته: \* لقد أوتيت مزماراً من مزامير أل داود \* ، ويقول أيضاً بأنه حكى أن البطبكي مؤذن المنصور رجع في أذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتحدت حتى وقع الإبريق من يدها ، فقال له المنصور : خذ هذه الجارية فهي لك ولا تحد ترجع هذا الترجيع . انظر ١٩٧ من كتابه ، والجاحظ كان أكثر تفصيلاً حيث يشير للي أن \* العرب تجمل الحديث والمسلما والتأسيس والتقسي بالبشر من حقوق القرى ، ومن تمام الإكرام . وقالوا : تمام الضيافة الطلالة عند أول وهلت ، وإطالة الحديث عند المواكلة \* البيات والتبيين ١١/١ ، كما يشير للي المادات الصدونية المحبية عند الجماعة العربية والمحبب وجودها في الخطيب ، يقول الجاحظ : \* كان جعفر بين يصيي البرمكي أنطق الإنسان قد جمع الهدوء والتمهل والجزالة ، وإفهاما يغنيه عن الإعادة ، ولو كان في الأرض ناملق يستغني بمنطقه عن الإشارة ، لاستغنى عن الإعادة وقال مرة : ما رأيت أحداً لا يتحبس ، ولا يتوقف ولا يتلجلج ولا يتتحنح ، ولا يرتقب لفظاً قد استدعاه من بعد ، ولا يلتمس التخلص إلى معنى قد تعصى عليه طلبه ، أشد اقتدار أو لا أقيل تكافأ من جمغر بن يحيى \* البيان والتبيين ١٨/١ هو يريد أن يقول إن الأداء الكلامي لجعفر أداء جيد لما فيه من الهدرات بلاغية .

<sup>(&#</sup>x27;) الحرافيش ص١٦٠.

<sup>(</sup>¹) السابق ص ٩٠٠ .

ولُوضاً هالك سمة أخرى نجدها في البيئة الشعبية ، وهي الزمجرة ، يقول : " فانقض عليها فلطمها حتى صرخت فوثب عاشور ونحوه وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوهاً :

- أنا في عرض النبي .....

فتركه وهو يزمجر غاضباً فتهاوى درويش على الأرض (١) ... . . .

والزمجرة هي كما يقول صاحب لسان العرب: " ويقال للرجل إذا كثر الصخب والصياح والزجر سمعت لفلان زمجرة (<sup>(۱)</sup> "، فهذه السمة تكثر في البيئات الأقل ثقافة .

ومــن ذلك الصياح بصوت على ، يقول : " وصاح بصوته الأجش الباكي : يا هوه ! .. يا أهل الله ..

.....

وبصوت كالرعد صاح:

- يا درويش<sup>(۱)</sup> ۱ ° .

انظر السي تعبسير وبصوت كالرعد صاح الذي يحمل معاني مرتبطة بالقوة والفتونة الموجودة في الأحياء الشعبية، فهذه سلوكيات صوتية مرتبطة بالبيئات الشعبية.

ومــن ذلــك أيضاً كما يصفه محفوظ من خلال البيئة الشعبية ، يقول : " وراح يغني بصوت كالنهيق<sup>()</sup> " .

وكذلك : " فقال بصوت جهوري<sup>(م)</sup> " .

وأيضاً : " وتلوث قائمة مثل لسان من لهب وصرخت في وجهه :

اقطع لسانك القذر (١) " .

<sup>(</sup>¹) السابق ص٥٠ .

<sup>(</sup>١) لسان العرب مادة " زمجرة " .

<sup>(&</sup>quot;) الحراقيش ص١٩، ٦٩.

<sup>(</sup>¹) السابق ص٣٨٤ .

<sup>(°)</sup> السابق ص٥٥٧ .

<sup>(</sup>١) السابق ص١٨٩ .

كل هذه المسلوكيات مرتبطة تماماً بالبيئات الشعبية ، ومن ذلك أيضاً " فقال عاشور بصوت لا حياء فيه :

عظیم<sup>(۱)</sup> ! " .

هــذه السمات الصنوتية لا نجدها نفسها في الطبقى الوسطى ، وإنما نجد تتوعلت أخرى لهذه السلوكيات الصنوتية ، لأن لكل طبقة عنداً من السمات الخاصنة بألاب الحديث ، ورواية السكرية سنجد فيها هذه السماك .

رأيــنا في [أ] أن عبد المنحم إبر اهيم شوكت يطفي عليه المؤلف عنداً من سمات قوة الشخصية ، ومنها السمات الصوتية ، إلا أنه لا يصل إلى حالة الزمجرة والصراخ والصحوت الذي لا حياء فيه ، فقد كان المؤلف راعياً في وصف السمات الصوتية لهذه الطبقة، فهر يصف عبد المنحم بأقرال مثل: " فقال عبد المنحم شوكت بصوته القوي $^{(7)}$  ", و " فقال عبد المنحم بصوت قوي شديد الثقة بنفسه أن عبد المنحم بصوت قوي شديد الثقة بنفسه أن " ، حتى في حالة الغضب يقول : " فقال عبد المنحم بصوت قوي غاضب  $^{(9)}$  ".

إن هذه السمات الصوتية مرتبطة بالطبقة الوسطى، وكذلك الأمثلة الأخرى من مثل: ققال بصوت رقيق (<sup>()) "</sup> و " فجاء الصوت الرقيق يقول (<sup>()) "</sup> .

وفي حالة الغضب نكون السمات الصوتية مختلفة أيضاً عن حالة البيئات الشعبية ، فهنا في السكرية حيث الطبقى الوسطى تكون السمات الصوتية كما في الأمثلة الآتية :

فكانت تقول لها بصوت ينم عن الضجر (<sup>(^)</sup> و " فقالت عائشة بامتعاض <sup>(¹)</sup> و " فكانت عائشة بامتعاض <sup>(¹)</sup> و " إذا بعلي عبد الرحيم يقول رافعاً صوته إلى درجة

<sup>(</sup>¹) السابق ص ١٥٥ .

<sup>(</sup>۲) السكرية ص٢٨٠ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) السابق ص۳۳ .

<sup>(</sup>أ) السابق س ٧٧ .

<sup>(°)</sup> السابق ص١١٨ .

<sup>(</sup>۱) السابق ص۸۷ .

<sup>(\*)</sup> السابق ص۱۱۰ .

<sup>(&</sup>lt;sup>^</sup>) السابق س ٧ .

<sup>(&#</sup>x27;) السابق مس٨ .

<sup>(</sup>¹¹) السابق ص٥٣ .

جديدة منذرة بتغير مجرى الحديث<sup>(١)</sup> و " فقال كمال فيما يشبه الضجر (١) " .

هكذا يكون التعبير عن الفضب بسلوك صوتي إلى حد كبير خال من الصراخ والزمجرة وغيرها من السمات الصوتية الخاصة بسلوكيات البيئات الشعبية .

وأود أن أشير إلى سمة أخرى تحدد من خلال المجتمع ، وهي العمات الصوتية الخاصة الجائزة المرأة ، والإسلام قد اهتم بتهذيب الخاصة المرأة ، والإسلام قد اهتم بتهذيب السلوك الرجل -- كما أشرنا سابقاً -- ويتهذيب سلوك المرأة فقال تعالى : ﴿ فَلاَ تَحْضَمُعْنَ بِالْقُولِ فَرَطُمْعَ الذّي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَولًا مُعْروفاً ﴾ (٢) ، ويفسر أبو حيان هذه الآية قائلاً : " فسلا تخضسعن بالقول أي لا تجبن بقولكن خاضعاً أي لينا خنثاً مثل كلام المريبات والمومسات ، فيطمع الذي في قلبه مرض أي ريبة وفجور ، ....

قال ابن عباس : يندب للمرأة إذا خالطت الرجال الجانب بالخلطة في القول من غير رفع الصدوت ... (<sup>4)</sup> .

فخفوت صوت المرأة ورقته شئ ممدوح في الثقافة العربية ، وسنجد هذا في عدد من الأمثلة عند نجيب محفوظ ومن ذلك الأتي :

يقول : " وإذا بالصنوت الرفيع يعلو (٥) " ، وكذلك " فهمست :

- لا شئ في الوجود عبث ..

......

و همست<sup>(۱)</sup> \* .

والهمــس بمعنى الخفي من الصوت لو الكلام الخفي ، والهمس يأتي من المرأة والرجل ولكن له دلالات متنوعة منها القرب والمحبة وغيرهما .

<sup>(</sup>¹) السابق مس٤٢ .

<sup>(</sup>۱) السابق ص ۲۱ .

<sup>(&</sup>quot;) سورة الأحزاب : الآية [٣٢] .

<sup>(1)</sup> أبو حيان : البحر المحيط ٢٢٩/٧ .

<sup>(°)</sup> الشجاذ من ۸۷ .

<sup>(</sup>¹) السابق ص١٧٠ .

ويأتي منها الصراخ من المرأة والرجل ، وبخاصة في الطبقات الدنيا ، والأمثلة عديدة وسوف نقدمها في الصفحات القادمة ابن شاء الله . أما الولولة فتأتي من المرأة ، ومن ذلك ما أظهره محفوظ في الحرافيش ، انظر إلى الحوار الآتي :

" وتدخلت العجوز وقالت :

- ألم أقل لك إن قلبه أسود ؟!

فنهر ها فائلاً:

اقطعي لسانك القذر …

فولولت العجوز <sup>(١)</sup> .

وأبضاً : " وتمتم مجاهد إيراهيم :

- أي قدر يعبث بأب ووحيده ..

فرلولت عفيفة هاتفة :

~ إنه الشيطان ... " (١).

إنه حقا كما يقول هايمز عن السلوك اللغوي يتأثر بالطبقة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد ، وبسنه ، ومهنته ودينه وكذلك درجة تعليمه وجنسه (<sup>7)</sup> ، وهذه الظاهرة التي نحص أمامها ترتبط بكل ذلك ، فالولولة الموجودة عند نساء الحرافيش التي تمثل الطبقة الدنيا (<sup>1)</sup> لا تجدها بهذا الشكل عند الطبقة العليا ، والولولة من العجوز لا تكون عند الصغيرات في البيئة نفسها ، ولا تأتى من الرجال في البيئة نفسها .

<sup>(</sup>١) الحرافيش ص٢٣٢ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) السابق مس٤٥٤ .

<sup>(3)</sup> Hymes , D , 1974 , 154 - 156 .

<sup>(\*)</sup> تناولت د . أحيلي الصحاري فحي بحثها : لغة النساء المصدريات كانمكاس ادورهن في المجتمع المصحري ، تناولت الارتباط بين اللغة وجنس المتحدث ، وخلصت منها إلى وجود اختلاف أيس فقط على جنس المتحدث وإنما على درجة تعليم الأشخاص الجنس نفسه ، وكذلك اختلاق ماردات الحديث باخستلاف حسنس المتحدث ، وارتباط المكانة الاجتماعية للفة الحديث بجنس المتكلم ، وعرضيت لمصدد من التعبيرات المميزة للنساء الشعبيات التقليديات ، مثل التعبيرات الدالة على تمسكين بالإيمان بالنيبيات من مثل "محروس ومصان " و " حوش يا رب " و" لخزى العين "، "

وهناك ظاهرة التتخيم وهو من الوحدات الصوتية فوق التركيبية ويصاحب نطقنا اللجمل والكلمات ، وهو بمعنى لرتفاع أو انخفاض في درجة الصوت الحادث بسبب التغير في نسبة ذبنبة الوترين الصوتيين ومن خلال ذلك بحدث نغم موسيقى ، هذا النغم الموسيقى في نظام اللغة له دلالته<sup>(۱)</sup>.

وهـنك خـلاف حـول وجود التنغيم أم لا في العربية قديماً ، إلا أنه مقرر أن اللهجـات العربية الحديثة ومنها العامية المصرية يوجد فيها التنغيم ، لكن لا يمكننا أن نعستمد على ما ذكره محفوظ في روايته نظراً لاحتياجنا إلى سماع النطق ، لكن هناك بعـض الإشـارات داخل الروايات من مثل قوله : " فأجابه عبد المنعم إيراهيم شوكت بصوته القوي المفعم بنبرات التوكيد<sup>(۱)</sup> " ، لكن لا يمكن الاعتماد على ما قاله محفوظ ، لكننا نؤكد أن التنغيم يظهر موسيقى كلامية على مستوى الجملة، وبخاصة في اللهجات، هذه الموسيقى لها دلالتها .

وانستقل إلى نقطة مهمة ومرتبطة دلاليا بثقافة المجتمع ، وهي الصمت أو عدم التصسويت ، فسإذا كنا قد ذكرنا أن السمات الصوتية تحمل دلالات فإن الصمت أيضاً يحمسل كشيراً مسن الدلالات المختلفة ، ولهذا اعتبره المهتمون بدراسة التواصل غير اللغوي شكلاً من أشكال التواصل<sup>(۱)</sup> ، وهذا الصمت تختلف دلالته من ثقافة إلى أخرى ،

سوكذلك التعبيرات الدالة على الضعف والحيلة مثل "الله يسترك " و " ربنا ما يطب لك ولية " ، وأبضاً التعبيرات الخاصة برثاء الموتى مثل " با خويا " و " يا جملي " ، وتعبيرات التعاطف والحسنان مسئل " يا دلمدي " و " يا روحي / يا روح قلبي / يا روح أمك " والتعبيرات الدالة على العسنف والعدوانية مثل " يا أيرة مصدية على الكرم مرمية " و " اللي ما تتسماش " ، انظر بحثها مرمية " م ح ٥٣ م ص ٥٣ م ٢٠٠٧ .

<sup>(</sup>¹) تحست عسوان التنغيم هل هو ظاهرة كلية ، وضع بحثه اللغوي بولنجر D. Bolinger جمع فيه عسداً مسن أراه اللغويين جيلسون وبيك وغير هما من اللغويين الموكدين أو المبر هنين على فكرة التشابه فسي التنغيم كملكة كلية جامعة، ومنهم من قال بأن كل لفة تملك كلمات .... ، وعلامات منضسمنة بسنى صورتية وقابلة للاستممال كهملة مركبة من عناصر من التنغيم ، وقال بولنجر إن عسداً مسن اللغات يبلغ ١٩٥٩ لفة تستخدم نغماً للاستفهام P. 837 ، لكنه في P. 838 يرى أن اللغات ككل ليس بينها الشتراك واضع في التنغيمات مثلما في انظمة الوحدات الصوتية ، انظر بحثه Bolinger ,D, 1964

<sup>(</sup>¹) السكرية من ٢٩ .

<sup>(&</sup>quot;) انظر كتاب د . كريم حسام الدين ١٩٩٢م ص١٠٦ .

وفـــى الـــنقافة العربية الإسلامية ، السكوت جُعل علامة الرضا عند البكر في عرض السزواج عليها ، وعند بعض القبائل الإسترالية التي تحظر على الأرامل أن يتكلمن بعد وفاة أزواجهن لمدة معينة نبدأ من شهر وقد تطول إلى انتبي عشر شهراً يتخاطبن خلالها بأصبابعهن و أنديهن (١) .

وفي باب الصمت من كتابه البيان والتبيين يروي لنا الجاحظ عدداً من المأثور ات التبي تصدور رؤية العرب للصمت ، ومن ذلك أن أعرابياً كان بجالس الشعبي بطبل الصمت فسئل عن طول الصيمت فقال : اسمم فأعلم ، واسكت فأسلم . وقالوا : لو كان الكـــلام من فضه لكان السكوت من ذلك ، وقالوا : مقتل المراء بين لحبيه وفكيه ، وقال النبسى ﷺ: "وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد السنتهم(٢) " ، ويروى في موضع أخر ، يقول الشاعر (٦) :

> و الصبمت أجمل بالغتى ما لم يكن عن يشينه ما لم يكن لب يعنيه والقــول ذو خطل إذا

هكذا صورة الصمت، أو السكوت في الثقافة العربية، وفي السطور الثالية نقدم تحليلاً نحاول أن نتبين منه دلالات الصمت في مادة البحث .

فى حوار بين عاشور ودرويش ، : " تبادلا نظرة طويلة مرة أخرى تجلى التخاذل في عيني درويش ، فقال ملاينا :

- ما أريد إلا أن تجود على مثل الأخرين ..

- و لا مليم لأمثالك ..

وساد صمت فرجع عاشور بتساءل<sup>(٤) \*</sup> .

الصــمت هذا له دلالة تشير لوجود تفكر في اتخاذ القرار ، وخوف درويش من عاشور .

<sup>(</sup>١) السابق ص١٠٨ .

<sup>(&</sup>lt;sup>1</sup>) انظر تفصيلات أكثر في باب الصمت في كتاب البيان والتبيين الجاحظ.

<sup>(&</sup>quot;) السابق ١/٥ .

<sup>(1)</sup> الحرافيش ص٧٦ .

وعلى هذه الشكل الكثير من الشواهد ، ومن ذلك الصمت الذي ساد بين محمود قطائف شيخ الحارة وعلشور فترتها ، يقول عاشور : " أثمة شك في ملكيتي لها ؟

معاذ الله ولكنها الأولمر !

فقال بحدة بصوته الخشن:

- أريد أن أعرف ما تعنيه أولمرك ؟

فقال محمود قطائف بصبوت منخفض :

- اغتصبت بعض دور الهالكين في الأحياء المجاورة !

وغسرقا معساً في مسمت ثقيل مشحون بالتوجس والربية حتى رفع عاشور صوته(۱).

هذا الصمت دلالته مكشوف عنها ، وهي الترجس والريبة والخوف ، وانظر إلى الصمت الذي في المثال التالي عقب فوز شمس الدين الفتوة الجديد على غمان ، "ويقف شمس الديس لاهمة على غمان أو يقف المرق ، ويغلب صمت الذهول ، حتى يمضى شعلان الأعور إليه بملابسه وهو يقول :

نعم الفتى .. ونعم الفتوة<sup>(٢)</sup> .

إنــــه بالفعل صمت الهول فالكل لم يكن يتصور أن شمس الدين بهذه القوة التي تجعله يتفوق على منافسه غسان ، ويطرحه أرضاً .

وفي حوار طويل بتكرار الصمت ، هذا الحوار بين شيخ الحارة محمود قطائف وشـمس الديسن الفتوة، يبلغ فيه شيخ الحارة الفتوة بأن الوجهاء يرفضون دفع الإتاوة ، يقول : " فقال [ سليمان ] بغضب :

إنهم يأبون إلا الرفعة والدونية للأخرين .

فصمت محمود قطائف مليا ثم قال :

- من حقهم أن يطالبوا باحترام يكافئ أعمالهم .

<sup>(</sup>¹) السابق *س*۸۰ .

<sup>(</sup>۲) السابق ص۱۰۶ .

- لولا أبي ما انتفع بأموالهم أحد، انظر إلى نظراتهم في الحارات الأخرى ماذا يفعلون!
   فلاذ شيخ الحارة بالصمت مرة أخرى ، بدا متردداً ، قالت فلة :
  - تكلم ، ما على الرسول إلا البلاغ .

.....

الخسنفى محمود قطائف تاركاً خلفه رائحة نبغ وعرق . ونرك صمتاً نتلاقى فيه النظرات وتتباعد . وثمة نتاحر بين الفتى وأمه . بين الفتى وغرالزه(١٠ ° .

إن دلالات متتوعة بدت ثنا من الصمت في هذا النص ، فالصمت الأول كان من محمود قطاتف نتيجة خوفه من غضب الفتوة شمس الدين، وكان الصمت الثاني من قطائف أيضاً الذي لاذ في الصمت ، ولهذا دلالة الخوف وحدم القدرة على الكلام رداً على ما قاله شمس الدين ، أما الصمت الثالث فكان من قبل الفتوة وأمه ، ودلائته قوية على الحيرة والتفكير في الأمر ملياً .

وهناك صمت دلالته أخرى مثل الصمت التالي : "وتصاب فلِه بحمي . تتدهور صحتها ولا تنفع معها وصفات العطار . وترنو إليه صامتة ، وتعجز حتى عن البكاء ، ونسلم الروح في جوف الليل<sup>(۲)</sup> " .

إنها ترنو إليه صامتة ، انظر إلى هذا التعبير الدال ، فقد حمل الصمت هنا عدم القدرة على الكلام ، وصمت العبرة أيضاً ، أو صمت العجز .

وهـناك دلالــة أخرى للصمت في الحوار الذي دار بين شيخ الحارة وزوجة سـماحة الهارب، "ومر بها شيخ الحارة فسألها عن زوجها، ماذا أقعده في البيت، فقالت بوجوم:

- سافر إلى الصعيد ..

فدهش الرجل وقال:

- أمس قابلته فلم يخبرني بشئ

<sup>(</sup>۱) الحرافيش من١١٩ ، ١٢١ .

<sup>(</sup>۲) السابق ص۱۲۸ .

فقالت باستسلام:

- سافر <u>ا</u>

\*\*\*\*\*\*

متى يرجع ؟

فلانت بصمت واجم<sup>(۱)</sup> ".

دلالة الصمت الواجم هي الخوف من إفشاء سر زوجها ، فلو يعرف شيخ الحارة سره لكان ذلك شراً لهم .

وهــنا دلالــة أخــرى للصمت واضحة في هذا الحوار التالي " وكان يمر أمام البوظة في جوف الليل عندما رأى شبحاً مترنحاً عرف فيه أباه عبد ربه . تأبط ذراعه فتسائل الرجل :

- من ؟

- جلال يا أبى ..

وصمت السكران قليلاً ثم قال :

- إني خجلان يا بني<sup>(١)</sup> .. " .

حقا إنه صمت يدل على الخجل والحياء من مَنْ ؟ خجل وحياء الأب من ابنه .

وهناك دلالة أخرى للصمت تتضح من الحوار التالي : " وتدافعت الأحداث مثل زبد الدهر الأغبر . ولاحظ شمس الدين ذات صباح وهو يحتسي قهوته في بيته قلقا أسود يلف عفيفة ونور الصباح فخفق قلبه وتساعل :

- سماحة ؟

فتلقى صمتاً مربباً ضاعف من أحزانه فسأل بحدة :

- ما الجديد من متاعبه ؟

<sup>(</sup>۱) السابق مص۲٤٠ .

<sup>(</sup>¹) السابق ص۳۹۹ .

- ايس في البيت ..
- رجع إلى النسال ؟
  - بل غلارنا!
  - \_ هر ب(۱) = <u>\_</u>

إن الصمت هنا له دلالة الحزن وخيبة الأمل خيبة والرجاء .

كمـــا أن الصمت تتعدد دلالته كما في الحوار التالمي " ولكن غيبة سماحة لم نتم كما دامت من قبل غيبة عاشور أو قرة . رجع إلى الحارة ذات يوم وقد بلغ رشده .

بلغ رشده ولكنه فقد أشياء ثمينة لا تعوض ... حتى أبوه لم يعرفه الأول وهلة .

ولمـــا لكتشف حقيقته واجتاحته موجه من السرور والأسى ... وتنحى به جانباً وسأله باشفاق :

- ماذا فعلت بنفسك ؟

وجعل يرددها والآخر صامت مستغنيا بمنظره عن أي بيان<sup>(٢)</sup> " .

فالعمسمت هسنا دلالته الاستغناء بالسياق والمنظر عن الكلام ، فالكلام ريما لا يكون دالاً مثاما الحال .

وإذا كان الصمت نتعدد دلالته في البيئات الشعبية [ الحرافيش ] فهو أيضاً نتعدد دلالـــته فـــي الطــبقة الوسطى [ السكرية ] ، والأمثلة التالية تؤكد ذلك : " وتشبع الجو بالحمــاس والحرارة ، وتعب المشرفون على الحفل حتى نشروا السكون في الأركان ، كــي يسمع الناس المقرئ وهو يتلو ما تيسر من القرآن مردداً فيما يتلو ﴿ وَا أَيُّهَا اللّهِيُ مُــرَضِ المُونَمنيون عَلَــي القتال ﴾ ، وكان الناس ينتظرون هذا المنداء فتعالى الهتاف والتصفيق حتى احتراما لكتاب الشراع .

<sup>(&</sup>lt;sup>'</sup>) السابق ص٤٦٥ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) السابق س٤٦٧ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) السكرية مس٣٧ .

وهـ نا دلالة الصمت محددة باحترام كلام أنه والتقكر فيه ، ودلالة الصمت في الحــوار التالــي جديدة في سياقها إذ يتكلم كمال ورياض قلدس [ المسيحي ] في مشكلة الأقباط والمسلمين ، يقول كمال : " اسمم ، لماذا لا تعالج ذلك في قصيصك ؟

- مشكلة الأقباط والمسلمين ...

فصمت رياض قلاس ملياً ، ثم قال :

- أخاف سوء الفهم ..

ثم مستطر داً بعد فترة صيمت أخرى:

- ثم لا تنسى أننا رغم كل شئ في عصرنا الذهبي (١) " .

دلالــة الصــمت الأول دلالته التعجب من طلب كمال ، أما الصمت الثاني من رياض أيضا دلالة على تفكره فيما يقول .

وهناك دلالة للصمت أخرى تتضع من الحوار التالي بين أحمد وعلوية التي يريد أحمد خطبتها فيعرض لها إمكانياته : " ساجد بعد تخرجي عملاً ..

ثم بعد لحظات من الصبمت :

- وسيكون لي يوماً دخل لا بأس به ا

فتمتمت في حياء :

- كلام عام ..

فقال و هو بداري ألمه بالهدوء :

- سيكون المرتب في الحدود المعروفة ، أما الدخل فحوالي عشرة جنيهات ..

وساد الصمت . لعلها نزن الأمور وتفكر (٢) "

الصحمت الأول دلالحته التحرج من الكلام في هذا السياق ، أما الصمت الثاني فدلالته التفكر .

<sup>(&</sup>lt;sup>ا</sup>) السابق م*ن* ١٤٩ ، ١٥٠ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) السابق ص۱۸۷ .

وانظر إلى دلالة الصمت في الحوار التالي : " ألم تفكر في اختيار الشكل الذي يناسبك من أشكاله الكتابة ؟ أ

فصمت مفكراً كأنما أغلق عليه المعنى المقصود<sup>(١)</sup> " .

دلالة الصمت هذا هي التعجب من التساؤل ، انظر أيضاً إلى النص التالي :

وتوقفت عن المسير وابتسمت ابتسامة مرتبكة كأنما نقول أن لذا أن نفترق فبلغ به الاضطراب نهايته ، ثم مدت يدها ، فتلقاها بيده وصممت فترة رهيبة ، ثم غمغم : 
– مع السلامة(١) ! .. ".

الصمت هذا يدل على الاضطراب من الافتراق وعدم موافقته عليه .

وفي الطبقة العليا كما تصور رواية الشحاذ نجد الصمت متعدد الدلالات أيضاً ، ومن ذلك الأمثلة التالية :

ولــولا الشــرفة المغلقــة المطلــة على الميدان ما روعتهما بين حين وآخر عواصف الشئاء أو انهلال المطر . واستغدت ليالي الشئاء الأحاديث . وشعلهما الصمت أوقاتاً ولكنه صمت مضمر الرضني والارتياح والطمانينة المتبادلة (٢٠٠٠).

الصمت هنا دلائته الرضى والارتباح والطمأنينة التي تسود بينهما ، أما الصمت في النص التالي فله دلالة أخرى ، " وتعانقا طويلا وعمر في غاية من الانفعال ، ثم جلسا على المقعدين المنقابلين أمام المكتب ولسانه لا يتوقف عن كلمات الترحيب والتهنئة والتبريك ، والأخر يبتسم وكأنه لا يجد ما يقوله . وحل صمت قصير كرد فعل فراحا بتسيادلان النظر . وتموجت المخيلة بالذكريات . وتحركت في الأعماق مشاعر غريبة منذرة بكل ظن "(1) . إنه صمت التوجس والربية .

و هكذا تستعدد دلالات الصمت في مادة البحث ، وهي بإيجاز ، دلالة التوجس والخسوف والريسية، ودلالسة الذهول، ودلالة التعجب، ودلالة العجز وعدم القدرة على

<sup>(</sup>¹) السابق مس٣٠٩ ،

<sup>(</sup>Y) السابق من ۲۷۰ .

<sup>(&</sup>quot;) الشماذ س١٠٣ .

<sup>(&#</sup>x27;) السابق س۱۳۰

(٢) دلالات الأصموات غمير الكلامية [الفضالات الصوئية] كالتأوه اوالصراخ المناهجة المراخ المراخ المناهجة المراخ المرا

إن لهدذه الأصدوات دلالات ، تظهر من خلال الانفعالات التي تحدث التأوه والضسحك والصدراخ وغيرهم من الأصوات التي تمثل الحالة النفسية للمصوت بهم ، ولتحليل دلالات هذه الظاهرة من خلال مادة البحث أبدأ كالآتى :

التأوه، ومعه آه، ولوه، وهه.

بين صاحب اللسان أن " آه : هو حكاية المتأمّه في صوته<sup>(۲) \*</sup> ، كما يشير أحد الباحثيسن إلى أن لا خلاف بين دلالة المادة في القديم ودلالتها المعاصرة فكلاهما يفيد النوجم والحزن<sup>(۲)</sup> .

وأتسى الستأوه بهدذه الدلالسة في الحرافيش ، وهذا كان في حوار ببن عاشور وزوجته عن فلة التي تعمل في البوظة ، يقول الحوار : " وما هذه الفلة التي رمانا بها درويش ؟ تجنب النظر إليها وقال بازدراء :

- فيم تسألين ؟ ، بنت تقيم في خمارة ؟

- جميلة ؟

<sup>(&#</sup>x27;) درس د . أحصد عسارف حجسازي دلالسة الصمت في الحديث النبوي ، ووجد دلالاته كالآتي : الاسترسسال فسي الفكر ، الإنهام ، وجود الوحى أثناه السوال ، انتظار الوحي ، الشفقة والحب ، السرفض – الرضا والقبول ، المخالفة ، كما يشير إلى أن دلالات الصمت في الحديث اليومي تفيد دلالات متعددة ، منها :

 <sup>[</sup>١] الموافقة . [٢] المخالفة . [٣] الرضا والقبول . [٤] الحياء .

 <sup>[</sup>٥] التعلم . [٦] الثفكير . [٧] الاحترام . [٨] الخوف .

كما يشير للى دلالته الأساسية وهي انتهاء الكلام ، أو انتهاء الفكرة .

انظر بحث د . احمد عارف ۱۹۹۴م ص۱۲۳ ، ۱۶۳ .

<sup>(</sup>٢) لسان العرب مادة " أوه " .

<sup>(</sup>۲) انظر د . محمد داود ۲۰۰۲ ص ٤٧٠ .

- داعرة ،
- جميلة .

. . . . . .

فقالت متأوهة :

- أن يرجعوا يا عاشور ... (<sup>())</sup> .

فهنا دلالة التأوه الحزن .

وتأتي [ أه ] ليضاً في الدوار التالي : " فقال إبراهيم شوكت وهو يشعل سيجارة:

جاءهـــا للطلــق فـــي الصباح الباكر ، والساعة ندور الأن في الخاممة مساء ، مسكينة ، إنها رقيقة كالخيال ، ربنا يأخذ بيدها .

ثم و هــو يردد عينيه الخاملتين في الجالسين عامة ، وابنيه عبد المنعم وأحمد خاصة :

- أه لو تذكر الألام التي تتحملها الأم<sup>(١)</sup> 1 ° .

و" آه " هنا دلالتها واقعة على الألام للتي تتحملها الأم في عملية الولادة .

وتأتي" آه " بدلالة الخوف في الحوار الذي يدور بين أحمد عبد الجواد وزوجته ، يقول السيد : " وجهك شاحب من المشي ، كلها كم يوم وتصبحين من زيانن الدكتور! ..

- ربــنا الحــافظ ، أن لا أخــرج إلا لــزيارة آل اللبيت، فكيف يقع لي سوء ؟ ا .. ثم مندار كه :
- أه بـا ســيدي ، كدت أنسى ، يتحدثون في كل مكان عن الحرب ، يقولون إن هلتر
   هجم ... ! (<sup>(7)</sup>) .

وآه ناتي للتوجع مع التاوه : " فتأوه الباشا قائلاً :

<sup>(&#</sup>x27;) الحرافيش ص٤٢ .

<sup>(</sup>۲) السكرية ص١٥٤ .

<sup>(&</sup>quot;) السابق ص١٧٤ .

- أيسام زمسان ! . أه مسن السزمان ! ، يا أولاد لم نكبر ؟ !! ، جلت حكمتك يا ربي وعلت الله عنه الله عنه الله عنه الله وعلت الله الله الله عنه الله الله الله الله عنه الل

أتى الفعل " تأوه " مع " أه " ؛ ليفيد التوجع الزائد عند المتكلم .

وتأتى [ أف ] بدلالة المعاناة كما في " الدنيا حر ، أف ..

- إذا لطسنتا الخمر استوى لدينا الحر والبرد .. "(٢) .

وتأتى [ أوه ] بمعنى التعجب : " أتعرف هذه المرأة ؟ .

- نعم ..
- كيف ؟
- امرأة من هاتيك النسوة ، ولعلها نستني ! ..
  - أوه ، الحانات ملأى بهن ...... "(") .

وكذلك في الحوار التالي : "صاحبكم جثة لا يؤثر فيها الشعر ! ، ولكنه سبيلغ قريباً فترة الحسرات حين يصير كل جميل أو إحدى أخواتها ، [ثم مثلفتا إلى مهران ] وأصحاب زمان يا ابن الهرمة هل نسيتهم .

- أوه ، الله يمسيهم بالخير (١) .. " . وتدل هنا على التوجع بذكري مع صاحب .

وهناك [ هه ] ، يقول : " وعندما قلت لها إني تواق إلى سماع كلمات الحب من تفرها المشغول بالاشتراكية وبَختني قائلة باحتقار : " هذه النظرة البورجوازية العتيقة إلى المرأة .. هه 1 ؟ "(\*) .

وتأتــــي [ هـــه ] في النص السابق بدلالة الاستحقار والاستهزاء ، وتأتى بدلالة التعجب كما في النص التالي: " كان سفره إلى إيران آخر ما حدثتي به إسماعيل لطيف عنه ١ .

<sup>(</sup>¹) السابق م*ن* ۳۰۱.

<sup>(</sup>۱) السابق م*س*۱۱۳ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) السابق مس۱۹۳ .

<sup>(</sup>اً) السابق من٢٠٧ .

<sup>(&</sup>quot;) السابق ص ٢٦١ .

### فقال حسين بكآبة :

لم تمكث أختى معه في هذه الرحلة إلا شهراً واحداً ، ثم علات بمردها .. [ ثم بصوت مذفق ] يرحمها الله 1 .

. (1) .. 1 T 4A

### - المسراخ:

الصدخة هي " الصدحة الشديدة الغزيع أو المصدية ... وقيل الصداخ : الصدوت الشديدة الله المعاصرة دلالات الدعوة الشديدة الفرائ " ، ويشدير د . داود إلى أنها تأخذ في الفصحى المعاصرة دلالات الدعوة الحارة ، والإعلان بشدة ، وبمعنى المهتاف العالي ، وبمعنى الشكوى ، ويمعنى الأقكار الجربئة ، وبمعنى النقد الحاد ، وبمعنى الذاء ، وبمعنى النقد الحاد ، وبمعنى الرفض (٢٠) . ونقدم في السطور التالية تعليلاً لدلالة الصداخ .

يقول: "ضمه عاشور إلى صدره بقوة حتى صرخ (())، وهذا بمعلى طلب النجدة من قوة ضم عاشور له، وألمه من هذا الضم.

وبالدلالــة نفسها في النص التالي : " فانقض عليها فلطمها حتى صرخت فوشب عاشور نحوه وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوهاً :

- أنا في عرض النبي ....

فتركه وهو يزمجر غاضباً فتهارى درويش على الأرض وهو يصرخ "(").

وهنا وردت كلمة صرخ مرتين بدلالة طلب النجدة ، والألم .

وتـــرد بدلالــــة الفزع والغضب في : " ثم رأى بكر يسد الباب مرتجفاً من شدة الغضب .

<sup>(</sup>۱) السابق س ۲۱۰ .

<sup>(</sup>¹) أسان العرب مادة " صدخ " .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) د . محمد داود ۲۰۰۲ ص۲۷۸ : ۵۸۰ .

<sup>(</sup>¹) الحرافيش مس٢٤ .

<sup>(°)</sup> السابق من • ° .

صرخ بکر:

- يا لك من وغد .

انقــض عليه كالوحش وراح يكيل له الضربات والأخر ولا يرد . دميت شفتاه وأنفه ولكنه لم يرد ، فصاح بكر :

- شلك العار

........

- ماذا جرى لك ؟
- ألا تعرف حقا ؟
  - لا أفهم شيئاً ..

فصرخ:

تطمع في زوجة شقيقك "(١).

وتسرد بمعنى الرفض، مثل : " فقال خضر: إذن فليؤجل المزاد لمعلنا نصل إلى النفاق .

عند ذلك صرخ بكر : كلا  $^{(1)}$  .

وبمسى الاعتراض ، مثل : ° ما أنت إلا امرأة قذرة نتطلع إلى عاشقها القديم .. . فصر خت :

- لقد فقدت عقلك "<sup>(٣)</sup> .

فهنا بمعنى الاعتراض على السب والتطاول.

وتأتسي "صرخة "بمعنى مصيبة أو فزعة ، : " من مكان ما في معلكة الظلام انطلقت صرخة . صرخة مميزة بالفزع واليأس . سرعان ما تجسدت في صورة فريسة موءودة الفرحة . تتطلع بعينين محتجنين نحو النجم اللامع(١) " .

<sup>(</sup>¹) السابق ص١٦٨ .

<sup>(</sup>١٨٦ السابق ص١٨٦ .

<sup>(</sup>۲) السابق مس۱۸۸ .

<sup>(</sup>¹) السابق ص۲۲۰ .

وكذلك في : " عقب اختفاته بدقائق سمعت صرخة عصفت بجذور قلبها .

لندفعت مدن الدكسان مجنونة فرأت رحيد يتمرغ في التراب مخضب الوجه بالدمساء. وعن بعد ثمة غلمان يجرون فزعين ، تجاهلت مضطرة الجناة ورفعت ابنها بين يديها وهي تصوت ، ولما تفحصت وجهه صرخت بأعلى صوتها :

- ضماعت عين الولد ! ط<sup>(١)</sup> .

وتأتى كلمسة "صريخ" بمعنى الصوت الشديد المفزع ، : "والتحم الغريقان بضراوة ووحشية ، تصادمت النبابيت ، تلاطمت الأجساد ، فرقعت الصكات ، تطايرت اللعسنات تحست الرذاذ ، سألت الدماء ، استحرت الأحقاد ، أغلقت الدكاكين ، هرولت العسريات ، تجمع الناس في طرفي الحارة ، اكتظت النوافذ والمشربيات علا الصريخ والعويل . . (7) .

وأشــير إلى أن الصراخ ومشتقاته يوجد بكثرة في الحرافيش ويقل في الشحاد ، بينما لا يوجد بكثرة في السكرية ، وهذا بالفعل حقيقة فالصراخ يوجد في البيئات الشعبية ، ويقل في الوسطى ، ويندر في العليا .

## الزمجرة :

الزمجسرة هسي : " الصوت ، وخص بعضهم به الصوت من الجوف ، ويقال للسرجل إذا أكثر الصخب والصياح والزجر : سمعت لفلان زمجرة (٢) " واستعيرت إلى مجال الدلالة الكلامية بمعنى : الكلام بغضب وحدة، وريما بسوء أدب(١) .

وتسرد بمعنى الكلام بغضب وسوء أدب في : " فوثب عاشور وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوهاً :

- أنا في عرض النبي ..

فتركه وهو يزمجر غاضباً فتهاوى درويش على الأرض وهو يصرخ:

<sup>(</sup>¹) السابق مس٧٤٧ .

<sup>(</sup>١) السابق ص٤٧٨ .

<sup>(&</sup>quot;) لسان العرب مادة " زمجر " .

<sup>(</sup>۱) انظر د . مجمد داود ۲۰۰۲ م س ٤٩٩ .

في ألف داهية .. <sup>(١)</sup> .

وترد بمعنى أخر وهو الصوت الصاخب الذي تقعله زوابع : "وثمر الأيام تزمجر زوابع أمشير ثم تعقبها رياح الخماسين . تترلكم السحب ثم يسفر بحر الصفاء الأزرق<sup>(۲)</sup> ".

وترد بمعنى الصوت الصاخب الغضب كما في : " واستأنف الحملة عليها حتى هرع عمال إلى مدخل الحجرة وتجمهر نفر في الحارة أمام المحل .

وترامى من بعيد صوت سليمان الناجي وهو يزمجر (٢) " .

وأشــير إلــى أن الزمجــرة وجدت في الحرافيش [ البيئة الشعبية ] ولم ألاحظ وجودها في السكرية والشحاذ ، ربما لارتباط الصوت العالي الشديد في عملية التواصل بالبينات الدنيا .

#### - الغمغمة:

تعـــرف الغمغمــــة والتغمغم بأنها : " الكلام الذي لا يبين ؛ وقيل : إنها أصوات الثيران عند الزعر ، وأصوات الأبطال في الوغى عند القتال ، قال امرؤ القيس :

وظل لثيران العريم غمائم يداعسها بالسمهري المغلب

وفي صفة قريش ليس فيهم غمغمة قضاعة ، الغمغمة والتغمغم : كلام غير بين قاله رجل من العرب لمعاوية «(١) .

وتأتسي كلمسة الغمغمة<sup>(ه)</sup> ومشنقاتها بكثرة في رواية الحرافيش ، وسوف نتبين دلالات الغمغمسة مسن خلال حدث الغمغمة في السياق الخاص بالنصوص التي نختار بعضا من الذي وردت فيه .

<sup>(</sup>¹) الحرافيش ص٥٠٠ .

<sup>(&</sup>quot;) الحرافيش ص١٦٨.

<sup>(</sup>¹) أسان العرب: مادة [ غمم] .

 <sup>(\*)</sup> لـم بــتطرق د . محمــد داود إلى هذه الكلمة رغم أن كتابه عن الدلالة والكلام ، دراسة تأسيلية
 لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة .

يقول : " عصف الغضب بعاشور . اجتاحت عاصفته جدران معبد الليل . وجه مسن راحته الكبيرة ضربة إلى رأس معلمه هوى على أثرها فاقد الوعي . لبث يصارع غضبته حتى تراخت للسكون . أدرك خطورة ما أقدم عليه . غمغم :

- غفرانك يا شيخ عفرة .

.....

تطاير من عيني درويش شرر ينم على التذكر. ترامقا ملياً في صمت . خيل إلى عاشور أن عفرة وسكينة حاضران ، ينظران في وجوم ..

- · غادر عاشور البيت مغمغماً :
- توكلت على خالق السماوات والأرض ... "(١) .

إنَّ غمغم هنا بمعنى قال كالاما غير بين ، نتيجة الذعر والغضب الذي كان فيه ، وفى نهايسة السنص جاءت كلمة [ مغمغما ] بالدلالة نفسها ، وندرك مباشرة أن فعل الغمغمة يحدث هنا في سياق غضب وذعر وضرب .

وتأتـــي الغمغمة لشئ مأسوف عليه من قبل فاعل الغمغمة كما في : " كلا إنها بنت يتيمة تنبيتها ...

......

- ولماذا تجئ بها إلى الخمارة ؟

- لتكسب رزقها بعرق جبينها !

فغمغم آسفاً:

- لا فائدة "<sup>(٢)</sup> .

فهذا الغمغمة : الكلام غير الواضح أتى في سياق دلالته الرفض لما يقال .

وفسي نص آخر: "لم يعد عاشور يرى من النهار إلا غياره، ولا من الليل إلا ظلامه، وكلما أقدم على بعطفة توقع عثرة ليست في الحسبان، وترف عيده فيغمغم اللهم لجعله خيرا، ترى هل أصاب البنيان شرخ يتعذر ترميمه ؟ (٢٠).

<sup>(</sup>¹) الحراقيش ص١٩ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۱</sup>) السابق ص۳۷ .

<sup>(&</sup>quot;) السابق الصفحة نفسها .

هذا يغمغم بمعنى يتلفظ بكلام غير واضح ناتج عن الحالة النفسية التي هو فيها ، فهذا يغمغم دلالتها واضحة من سياقها .

ويقول : " وتقابعت الفصول ، وظلت النكية تشدو بالأناشيد الغامضية ، حتى جاء اليوم الموعود .

وتلفت شيخ الجارة فيما حوله وغمغم حانقا :

- ماشاء الله !

رأى الأعلام تزفرف في أعالى الدكاكين والأسطح ، رأى الكلوبات تعلق ، رأى الأرض تفرش بالركل الفاقع ، سمع موجات الأصوات وهي تهدر بتبادل التهائي . وعلد يغمغم :

كل ذلك من أجل عودة لص من سجنه! (١) .

هنا يغمغم وغمغم بالدلالة السابقة ، ولكن ارتبطت بحقد من شيخ الحارة وتكرار الغمغمــة هــنا له دلالــته الواضحة على الكراهية الزائدة من شيخ الحارة على فتوتها عاشور .

وفسى السنص التالسي : "ونادت شمص الدين حتى فتح عينيه متذمراً . طالعها بوجهه الجميل متسائلاً ، فقالت له :

أبوك لم يرجع من سهرته!

ولما استوعب قولها أزاح عنه الغطاء بجسمه الرشيق المائل إلى الطول وبقلق غمغه :

- ماذا حدث ؟ "(٢) .

غمنم هنا بالدلالة نفسها المذكورة آنفاً ، وقد أعطت دلالة القلق والحيرة هنا . ويلاحظ أن دلالة الغضب واضحة في النص التالي :

" نرى ماذا شهدت خمارة درويش ؟ . هل يوجد رجال يعرفون من خفايا أمه ما لا يمكن أن يعرف ؟ ! .

<sup>(&#</sup>x27;) السابق ص ٨٦ ، ٨٧ .

<sup>(</sup>١) السابق ص ٨٩ ، ٩٠ .

وغمتم يقضيب :

- الويل لمن تسول له نفسه اقتحام محرابها! أأ.

وكذلك في النص التالى: " فغمغم بأصوات مغضوضة وجف ريقه " (٢) .

وتكتسب دلالة الحيرة كما في النص التالي : "وقال الحرافيش إن أسرة الناجي أصبحت مسرح الحزن وأمثولة العبر جزاء خيانتها لمهد جدها العظيم صاحب الكرامات والبركات ...

وفي ذلك الوقت تتكر الجو في برمودة فتلبدت السماء بالغيوم على غير ميعاد ، وانهل مطر غريب ، ثم تساقط وابل من البرد ، فذهل الناس وعجبوا ، ووجفت قلوبهم ، ولكنهم غمغموا حياري " لعله خير يا رب العالمين ! "(۲) .

إنّ الغمغمــة هنا دلالة على الحيرة التي فيها الحرافيش للأحداث الواضعة من السياق التي غصغم فيها الحرافيش .

و هكذا تأتي الغمغمة بمعنى أصوات أو كلام غير واضح في سياق يتضح منه النضب أو الضرب والذعر أو الحمد أو الحيرة .

## - الهمهمة :

هــــي" الكلام الخفي ، وهمهم الرجل إذا لم يبن كلامه "(<sup>1)</sup> ، ووردت في العربية المعاصرة بمعنى الكلام الخفي غير الواضح "<sup>(ه)</sup> .

وترد الهمهمة في مادة البحث ، منها " فقال بعد تردد :

عثرت على وليد تحت السور العتيق ..

وانداحت همهمة بين الرجال حتى قال أحدهم :

اللعنة على الآثمين .. <sup>(1)</sup>.

۱۱۰سابق ص۱۱۰

<sup>(</sup>۱) السابق ص۱۲۳ .

<sup>(</sup>۲) السابق ص۳۸۰ .

<sup>(&</sup>quot;) لسان العرب مادة " همم " .

<sup>(\*)</sup> د . محمد دارد ۲۰۰۲ م ص ۴۹۶ .

<sup>(</sup>¹) الحراقيش مس٧ .

والهمهمة هي الكلام غير المفهوم ، أو تصويت غير مفهوم والهمهمة تدل هذا على الحيرة والتوجس الذي جعل الرجال يهمهمون، وبالدلالة نفسها نزد في النص التالي : " تطايسرت التوقعات من رأس إلى رأس ، سرت الهمهمة مثل الطنين . داري سعيد الفقى ابتسامة (١) " .

#### - الضحك :

ولما كانت دلالة الضحك متعدة جعلتها في نهاية الأصوات غير الكلامية. والضحك هو سرور النفس ، وقد استعير ليستخدم في مجال السخرية ، ومجالات أخرى سوف نراها في النصوص التالية من مادة البحث .

فيستخدم بدلالة السخرية مثل: " فقال أحمد عبد الجواد منتهداً:

أنا ؟ ! . يا ليت ، الزمن غير الزمن يا سلطانة ، طالما صارحتك بالحقيقة ولكن يبدو
 أنك لا تصدقين يا سلطانة ..

فضحكت ضحكة دارت بها خيبة أملها وقالت :

- السلطانة مغلسة ، فما العمل ؟ <sup>(٢)</sup> .

وأيضا بدلالة السخرية في النص التالي : " فقال أحمد عبد الجواد ضاحكاً :

- إذا ندمتم فاندموا على الشر لا على الخير يا أولاد الكلب! . "(٢) .

وبدلالة السخرية أيضاً : " يبدو أن قهوة أحمد عبده لا تعجبك !

فارتفع رأس إسماعيل في تطاوله المعهود ، وقال :

- إنها غريبة حقاً ، ولكن لماذا لا نختار مكانا فوق سطح الأرض ؟!

- على أي حال هي أنسب مكان للناس المستقيمين أمثالك .

فضــحك إسماعيل وهو يهز رأسه في تسليم ، كأنما يقر بأنه أصبح جديراً حقا بفضيلة الاستقامة ، هو الذي كان وكان (١) " .

<sup>(</sup>۱) السابق ص۱۸۰ .

<sup>(</sup>¹) السكرية م*ن* ١٩ .

<sup>(</sup>۲) السابق ص٤٢ .

<sup>(</sup>¹) السكرية مس٤٩ ، ٤٩ . .

وبدلالــة السرور والانبسلط في النص التالي : " فضمك لمساعل ضمكة عالمية أعــانت للى وجهه الرزين كثيراً من ملامح الماضي الملكوة<sup>(١)</sup> "، وبالدلالة نفسها في السنص التالــي : " فتساعل ليراهيم الفار : أتحسب أن الذي يستطيع أن يعرف أن جده الأول قرد يعجز عن معرفة أن أباه فاسق فاجر ؟!

- فضحك محمد عفت عاليا حتى سعل<sup>(۲)</sup> " .

وتـناون الضحكات بدلالات متوعة كما في النص التالي: "وشعر لتوه بأنه ما كان ينبغي له أن يطرح هذا السؤال خشية أن يفسره الآخر بأنه استدراج إلى الكلام في خطبة نعيمة ! ، ولكن فؤاد لم يبد عليه أنه فكر في هذا ، بل ضحك ضحكة عالمية وإن لم خرج به عند حد الوقار ، وقال :

أنــت تعلم أني لم أفسد إلا متأخراً ، لم أفسد مثلك في زمن مبكر ، فأنا لم أشبع بعد !

.....

أنت نتظر إلى الزواج نظرة ...

فقاطعه قبل أن يكمل كلامه ضاحكاً:

خير من الذي لا يعيره نظرة على الإطلاق ا

......

إن مركزك يغنيك عن أمثال هذه المغامرات ..

- لولا هذه المغامرات ما استطاع رئيس أن يؤلف وزارته ؟ .

فضحك كمال ضحكة لا طعم لها(١) . .

فدلالة الضحك في النص السابق تتنوع ما بين السخرية والسرور والاستهجان .

وتتلون دلالة الضحك في السياقات الثقافية التي تزخر بها السكرية ، ومن ذلك : قات الله معالم مستحدد من ذاحتاه عملاً أحداً

" قلت إني سأجد عملاً ، ستجدين من ناحيتك عملاً أيضاً ...

<sup>(&#</sup>x27;) السابق ص٥٠ .

<sup>(&</sup>lt;sup>۲</sup>) السابق ص٤١ .

<sup>(&</sup>quot;) السابق س٩٩، ١٠٠ .

فضحكت ضحكة غربية:

- كلا أن أشتغل ، لم أذهب الجامعة الأتوظف كسائر الزميلات ..

ليس العمل عيبا ..

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

فقالت بصوت كأنما تعمدت أن يكون رقيقاً فوق العادة ك

أستاذ أحمد ، فلنؤجل الحديث ، أعطني مهلة للتفكير …

فضحك ضحكة فاترة <sup>(1)</sup> .

فالضحكة الأولى التي ضحكتها طوية كانت ضحكة غريبة دلالة على الاستهجان منها لمسا يقوله أحمد ، أما الضحكة الثانية وهي من أحمد فقد كانت فاترة تحمل دلالة الضحوق والضجر من كلام علوية . وأنا أتممد أن استعين بالكلمة داخل سياقها الواسع حتى تكون دلالتها واضحة .

وتحمــل الضحكة أحياناً معاني مهمة داخل الرواية ، ومن ذلك " فضحك ياسين ضحكته العظيمة وقال<sup>(٢)</sup> " ، وياسين شخصية لها خصوصيتها في الرواية ، حيث حملت بدلالة الاستهتار وحب العيث .

وتأتي الضحكة بمعنى الرئاء كما يتضح من النص لتالي : " السلطانة في حجرة فوق السطح! . سبحان من له الدوام . فقال على عبد الرحيم :

نهایة محزنة ، بید أنها كانت متوقعة .

فندب عن محمد عفت ضحكة رثاء وقال:

- فليرجم الله من يأمن إلى هذه الدنيا! "(") .

كما أنها تحمل دلالات أخرى في النص التالي: " من الصعب أن أوضح ، ولكني وجدت في ديوانك بدء الطريق ..

<sup>(&#</sup>x27;) السابق مس۱۸۷ .

<sup>(</sup>۱) السابق ص ۲۸۰ .

۱۳) السابق ص۱۹۰۰

وضحك ضحكة عضلية خالصة وقال:

مؤامسرة عاتلسية ! .. أمسك تعرف من زمن وأطلعتك على ذلك الشئ الذي تسمينه
 ديواناً .. (١٠) .

إن سخرية من نوع خاص تلك النابغة من هذه الضحكة العضلية ، وتأتي من النص التالي بنوع من السخرية الحادة أيضاً: "لدكتور حامد سأل عن الأصلع الصغير ..

ثم بعد أن سكتت عاصفة الضحك ١٠٠٠ .

انظر إلى تعبير " عاصفة الضحك " المفعم بدلالة السخرية ، وأيضاً يأتى تعبير أخر عند نجيب محفوظ بالدلالة نفسها ، : " على أن أعيد النظر في حياتي كما فعلت أنت ..

- طالما نصحت بالمثابرة والصبر .

فبصق ضحكة خشنة وقال:

- لا فائدة من تجاهل الجماهير! " (").

انظــر اللـــى التهكم والازدراء من خلال تعبير فبصق ضحكة خشنة الموصوف بسمات بلاغية جميلة الدلالة في سياقها ، والحادة في وصفها ضحكة الرجل .

وتأتـــي كلمة يقهقه بدلالة السخرية والتهكم كما في : " وسرعان ما اعترف فيما بيــــنه وبيـــن نفسه بأنه ضباق بكل شئ نرعا ، وأن الدنيا تبدو أحياناً كلفظة قديمة اندش معناها .

– إنك لم ترض يوماً عن عظى !

إسماعيل وهو يقهقه :

أتذكر ؟ بالها من أيام ! "(1) .

<sup>(</sup>۱) الشحاذ من۳۷ ، ۲۸ .

<sup>(</sup>¹) السابق ص١٦ .

<sup>(&</sup>quot;) السابق ص ٤٠ .

<sup>(&</sup>lt;sup>ئ</sup>) السكرية من×٥ .

وتأتى بدلالة السرور والانبساط: " فقال لإسماعيل :

- أتقبل دعوتي إلى كأسين في مكان لطيف مأمون ؟

فقهقه إسماعيل قائلاً:

- إن زوجتي تتنظرني لنذهب معاً إلى زيارة خالتها .. "(١) .

وتأتي بدلالـــة أخرى حسب هذا السياق : " يعاملني كما لو كنت أنا الابن وهو الأب ، يحاسبني حساب الملكين .. أو يتساعل وهو يقهقه (٢) " .

هنا تحمل دلالة عدم الأهمية والازدراء والغضب.

وتحمل دلالــة السخرية كما في النص التالي : " عند ذاك قال حسونة السبع متهكماً :

هناك سبب أقرى من الإفلاس .

واتجهت إليه الرءوس بكل إجلال فقهقه قائلاً :

- الجنون ! .. "(") .

وهكذا تتعدد دلالات الضحك<sup>(1)</sup> والقهقهة في الروايات مادة البحث ، مما يجعلنا نقــول إن الأصوات غير اللغوية التي يخرجها الإنسان ، والتي تسمى عند علماء اللغة بالفضلات اللغوية تحمل معاني عديدة داخل التواصل ، وتحملها كل ثقافة دلالات خاصة بها ، ومن هنا نقول إن دلالات السمات اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي تعطي دلالات واسعة في عملية التواصل .

<sup>(</sup>¹) السابق ص٥٥ .

<sup>(</sup>۲) الحرافيش من ۳۸۸ ، ۳۸۹ .

<sup>(</sup>۲) السابق ص٥٣٥ .

<sup>(</sup>¹) في دراسية لمدلالات الصحك في الحديث الشريف ذكر د . أحمد عارف أن دلالاته كالآبي : السرور والاستحمان والرضا والقبول، والتمجيب ، والتعظيم ، والتصديق ، والحياء ، والغضيب. انظر كتاب د . لحمد عارف ص ١١١ - ١٢١ .

#### فغلامة

فسى خستام بحشى هذا القائم على تطول دلالات السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي في عملية التواصل في روايات الأستاذ نجيب محفوظ: ملحمة الحرافيش ، والسكرية ، والشحاذ وقد قسمت هذه الدلالات إلى قسمين:

[١] قسم نابع من أصوات تابعة للأداء الكلامي .

[٢] قسم نابع من أصوات غير كلامية كالغمغمة والصراخ والزمجرة والضحك .

في القسم الأول رأيت من خلال نصوص الروايات أن السمات الصوتية تساعد المؤلف على رسم شخصيات الرواية ، ويستغلها في ليضاح السمات الجسدية ، أي بين القوة والضعف ، وبين الرجل والمرأة ، فقد رأينا المؤلف قد عبر بالفروق الصوتية بين شخص و أخر من الجنس نفسه ، وبين الرجل والمرأة ، وأضفى على شخصياته سمات صوتية شخصية أعطت دلالات متوعة .

كما أن السلوك الصوتي كما يتضع من خلال نصوص الروايات يرتبط بالحالة النفسية ، وكذلك بالحالة الصحية للمتكلم.

وتبين السمات الصدوتية الشبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي الطبقة الاجتماعية الأداء الكلامي الطبقة الاجتماعية المنتمي لها المتكلم التي نشأ فيها ، ومن روايات محفوظ اتضمع كثير من السمات الخاصة التي ترد كثيراً في الحرافيش [ البيئة الشمبية ] ولا ترد في السكرية أو الشسحاذ لارتباطها بالبيئة الدنيا . فسمات كالولولة عند النساء توجد في البيئة الشمبية أكثر من البيئات الأخرى .

كمــا حللت دلالات الصمت التي وجدتها من خلال نصوص الروايات دالة على التوجس والربية ، والتفكر ، والخوف ، والحيرة ، والعجز ، والحزن ، والاضطراب ، وحدم الموافقة .

أمــا دلالات الأصوات غير الكلامية ، فمن خلال الروايات المذكورة وجدت أن دلالـــة الـــتأو، ، وآه هي الألم ، والخوف ، ويأتي الفعل " تأوه " مع " آه " ليفيد النتوجع الزائد عند المنكلم . وتأنسي " أف " بدلالسة المعاناة ، وتأتي " أوه " بمعنى التعجب ، وتأتي " هه " بمعنى الاستحقار والاستهزاء .

أمـــا الصراخ فيدل على الألم وطلب النجدة ، وبدلالة الرفض ، والاعتراض ، والمتعبير عن الفزع .

وتدل الزمجرة على الغضب ، وتدل الهمهمة على الكلام غير المفهوم لظروف يعيشها المتكلم، وتدل الغمغمة على الغضب والضجر ، وغالبا ما ترتبط بالبيئات الشعبية لكثرة المعارك فيها .

ويــدل الضحك على السخرية ، والسرور ، والاستهجان ، ويدل على الرثاء ، والـــتهكم والازدراء ، كمـــا أن القهقهة تدل على السرور ، وعدم الأهمية، والغضب ، والسخرية ، هذه الدلالات تتبع من خلال السياقات التي حدثت فيها في الروايات الثلاث.

## المصادر والمراجح

# أولاً : العربية :

- ١- الأبشـيهي ، شهاب لدين محمد بن أحمد : المستطرف في كل فن مستظرف ،
   تحقيق د . مصطفى محمد الذهبى ، دار الحديث بالقاهرة .
- ٣- د . بشــر [كمــال] ١٩٩١ : اللغة والثقافة ، مقال منشور بمجلة مجمع اللغة
   العربية بالقاهرة ، ج١٨ ص ٢٥ ٥٢ .
- ٤- الجاحظ ، أبو عثمان ، عمر بن بحر ١٩٦٩ : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة الخانجي .
- ٥- د . حسام الدين ، كريم ١٩٩٠ : الإشارات الجسمية ، طبعة الأنجلو المصرية .
  - ٦- \_\_\_\_\_ ١٩٩٢ : الدلالة الصوتية ، طبعة الأنجلو المصرية .
    - ٧- ..... ٢٠٠١ : اللغة والثقافة ، طبعة دار غريب بالقاهرة .
- ٨- د . داود ، محمد محمد ٢٠٠٢ : الدلالة والكلام ، دراسة تأسيلية الفاظ الكلام
   في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة ، دار غريب بالقاهرة .
- ٩- السرازي ، أبو عبد الله ، فخر الدين محمد بن عمر ١٩٨٧ : كتاب الفراسة ،
   تحقيق د . يوسف مراد ، طبعة الهيئة المصرية العامة الكتاب .
  - ١٠ ١٩٨٥ : التفسير الكبير ، طبعة دار الفكر ، بيروت .
- ١١ د . زيادة : معن ١٩٨٦ : بين الثقافة والحضارة ، مقال منشور بمجلة الأبحاث
   بكلية الآداب الجامعة الأمريكية بيروت ، ٣٤ ، ١٩٨٦ ، ص٥١ ، ٦٥ .
- ۱۲ د . الصحاري ، لحلي ۲۰۰۲ : لغة النساء المصريات كانعكاس لدورهن في المجتمع المصحري . مقال منشور بكتاب : العربية أبحاث لغوية واجتماعية وحربوية ، تحرير د . المحمد بحوي و د. علاء الجبالي ، طبعة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ص٥٣ ٨٠ .

- ١٣- د. عارف ، أحمد ١٩٩٤ : دراسات لغوية في الحديث النبوي ، دار حراء بالمنيا ، مصر .
- ١٤ د. العبد ، محمد ١٩٩٥ : العبارة والإشارة ، دراسة في نظرية الاتصال ، دار
   الفكر العربي بالقاهرة .
- ١٥ د. عسر ، أحمد مختار ١٩٨٥ : دراسة الصوت اللغوي، طبعة عالم الكتب ،
   القاهرة.
  - ١٦ ----- اللغة واختلاف الجنسين ، طبعة عالم الكتب ، القاهرة .
    - ١٧ ...... ٢٠٠١ : أنا واللغة والمجمع ، طبعة عالم الكتب ، القاهرة .
- ۱۸ اوتعان : بـوري وأوسنبسكي ، بوريس ۱۹۸۱ : سيمبوطيقة الثقافة ، ترجمة د. عبد المنعم تليمة ، ضمن كتاب أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة ، إشهراف د. سـيزا قاسـم و د . نصر حامد أبو زيد ، دار إلياس العصرية القاهرة .
- ١٩٧٠ د. محجوب ، فاطمة ١٩٧٥ : اللكنة والحركة الجسمية من خلال البيان والتبيين
   ، مقال منشور بمجلة الثقافة ، العدد ٢١ ، ص ٢٨ ٣٤ .
  - · ٢- محفوظ ، نجيب : بين القصرين ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .
    - ٢١ ----- : السكرية ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .
      - ٢٢ ----- : الشحاذ ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .
  - ۲۳ ملحمة الحرافيش ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .
- ٢٤ ابن منظور ، أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، طبعة
   دار المعارف بالقاهرة .
- ٢٥ ورم ، س ، أ : تغيير اللغات نتيجة لتغير الثقافة وانقراضها ، ترجمة أمين
   ٨٤ ٣٨ ٨٤٠
- ٢٦ د. وطفة ، علم ١٩٩٤ : اللغة والانتماء الاجتماعي ، مقال منشور بمجلة الموقف الأدبي العدد ٢٨٧ ، ص٣٢ ٣٨ .

# ثانياً: الأجنبية:

- Alder, M,K, 1987: Sex Differences in Human Speech, Helmut Buske Verlag Hamburg.
- Allport, G.W and Cantril, 1972: Judging Personality form Voice, in Laver, J and Hutcheson (eds) 1972, PP. 155-171.
- Bernstien, B, 1972: Social Class, Language and Socialization, in Giglioli, P (ed) 1972, PP. 157 – 178.
- Birdwhiste, R. L. 1972: Paralanguage Twenty Five Years after Sapir, in Laver, J and Hutcheson (eds) 1972, PP. 82 – 100.
- Bloomfield, L, 1962 : Language, Ruskin House, London.
- Bolinger, D, 1964: Intonation as a Universal, in Horace, G. Lunt
   (ed): Procedings of the Ninth International Congress of Linguists, PP. 833 – 848, Mouton, London – Paris.
- Crysal, D, 1971: Prosodic and Paralinguistic Correlates of Social Categories, in Edwin Ardener (ed) 1971: Social Anthropology and Language, PP. 185 – 205, Tavistock Publications, London.
- Duranti, A, 1997 : Linguistic Anthropology, Cambridge.
- Eco, U, 1976: A Theory of Semiotics, Indiana Uni press.
- Firth, J. R, 1957: Papers in Linguistics 1934 1951, London.
- ------ 1968: Ethnographic Analysis and Language with Reference to Malinowski Views, in Palmer, F, R, (ed) 1968.
   Selected Papers of J.R. Firth 1952-1959, Longmans.
- German. C. 1972: Origne et évolution de la notion de situation de l'école linguistique de Londres, in la Linguistique 1972, Vol. 8, Face: 2, PP. 117 – 136.
  - 1973 : La notion de situation en linguistique, Uni d'ottawa, Canada.
  - Goodenough, W: H, 1964: Cultural Anthropology and Linguistics, in Hymes, D (ed): Language in Culture and Society, Harper and Row, New York. PP. 36-39.
- Halliday, M, A,K and Hassan, R, 1985: Language, Context and Text, Deakin University.
  - Hall, E, T, 1959: The Silent Language, New York.
  - Haslett, B, 1989: Comunication and Language Acquistion within a Culural Context, in Toomey, S. T and Korzenny (eds) 1989:

- Language Communication and Culture, Sage publications, London, PP. 19-34.
- Hass, M, R, 1964: Men's and Women's Speech in Koasati in Hymes D (ed) 1964: Language in Culture and Society.
- Hymes, D 1972: On Communicative Competence, in Bridge, J and Holmes, J (eds) 1972: Sociolinguistics, Benguin Books, PP. 269 – 293.
- -------- 1972: Toward Ethnographies of Communication, in Giglioli, P (ed) 1972: Languages and Social Context, Penguin, PP. 21 – 44.
- 1974: Foundation in Sociolinguistics, University of Pennsylvania Press.
- Kluckhn, C and Kelly, W, 1985: The Concept of Culture, in Ralph, Linton (ed) 1985: The Science of Man in the World Crisis, New York: Columbia University Press.
- Kramer, E 1972: Judgement of Personal Characteristics and Emotions from Non- Verbal Properties of Speech, in Laver, J and Hutcheson (eds) PP. 172 – 188.
- Laver, J 1972: Voice Quality and Indexical Information, in Laver, J and Hutcheson (eds) 1972, PP. 189 – 203.
- Laver, J and Hutchesson (eds) 1972 Communication in Face to Face Interaction, Penguin Books.
- Lyons, J, 1973: Phonemic and non Phonemic Phonology, in Jones, W, E and Laver, J (eds) 1973: Phonetics in Linguistics, Longman, PP. 229 - 239.
- Nida, E 1954: Customs and Cultures, Harper and Row Pub, New York.
- Robins, R, H, 1971: Malinowski, Firth, and the Context of Situation, in Edwin Ardener (ed) 1971: Social Anthroplolgy and Language, London, PP. 33 – 46.
- ------- 1973: Aspects of Prosodic Analysis, in Jones, W,E and Laver, J (eds) 1973: Phonetics in Linguistics, Longman, PP. 262 -277.
- Sapir, E, 1927 1972: Speech as a Personality Trait, in Laver, J and Hutcheson, S (eds) 1972, PP. 71 – 81.
- Trager, G, 1964: Paralanguage: A First Approximation, in Hymes, D 1964 (ed) Language in Culture and Socity, PP. 274 – 287.

رقم الإيسداع ٦٨١٥



